الأكثر مبيعًا في قائمة **نيويورك تايمز**

عدّاء المتاهة
اقرأ الكتاب
شاهد الفيلم
★ ★ ★

Book #1



المتاهة

THE MAZE RUNNER

جيمس داشنر

ترجمة: مي أشرف

عصير الكتب

عدّاء المتاهة
اقرأ الكتاب
شاهد الفيلم
★★★

الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

عدّاء المتاهة
THE MAZE RUNNER

جيمس داشنر

ترجمة: مي أشرف





إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The Maze Runner
- العنوان العربي: عدّاء المتاهة
- طُبِع بواسطة: Delacorte Press
- طُبِع بواسطة: ديلاكورت بريس

- ترجمة: مي أشرف
- مراجعة وتحرير: محمد الجيزاوي
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: أبريل/ 2022م
- رقم الإيداع: 23803/2021م
- الترقيم الدولي: 978-977-6902-68-8

عدّاء المتاهة

اشترك في مكتبة للحصول على بقية السلسلة
4 قصص قادمة

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود





إلى لينيت، هذا الكتاب هو رحلة ثلاث سنوات، لم تراودكِ خلالها شكوكٌ حول نجاحه قط.


MOHAMED KHATAB



الفصل الأول

بدأ حياته الجديدة واقفًا على قدميه، محاطًا بظلام بارد وهواء مغبر فاسد.

سمع صوت صرير معدني عندما بدأت الأرضية المعدنية الصلبة فجأة بالترنح أسفل قدميه. أسقطته الحركة المفاجئة أرضًا فتراجع للخلف زاحفًا على يديه ورجليه، وأخذت قطرات من العرق تتصبب على جبينه على الرغم من الهواء البارد. اصطدم ظهره بجدار معدني صلب فانزلق على طوله حتى وصل إلى زاوية الغرفة، وبينما تنحدر به نحو الأسفل شد ساقيه بقوة على جسده آملًا أن تتكيف عيناه قريبًا مع الظلام.

ومع هزة أخرى، بدأت الغرفة تنتفض للأعلى مثل مصعد قديم في مهواة منجم. ترددت عبر الغرفة أصوات عنيفة لسلاسل وبكرات بأنين معدني أجوف كأعمال مصنع قديم للحديد والصلب. كان المصعد المعتم يتأرجح للأمام والخلف في أثناء صعوده، فأصاب معدة الفتى بالغثيان، ورائحة كريهة كرائحة زيت محترق قد غزت حواسه مما زاد عليه الأمر سوءًا. أراد أن يبكي ولكن الدموع لم تطاوعه، ليس بيده شيء إلا الجلوس هناك وحيدًا منتظرًا.

اسمي توماس، جال في خاطره.

كان هذا... هو الشيء الوحيد الذي يستطيع تذكره عن حياته، لا يفهم كيف لذلك أن يكون ممكنًا، ظل عقله يفكر محاولًا تقدير المكان من حوله وطبيعة مأزقه. غمرت المعرفة أفكاره، حقائق ومشاهد وذكريات وتفاصيل عن العالم وكيفية عمله. تخيل ثلوجًا على الأشجار، الركض على طريق مليء بأوراق الأشجار المتناثرة، تناوُل الهامبرجر، القمر مُلقيًا بضوئه الخافت على مرج عشبي، السباحة في بحيرة، ميدان مدينة مزدحم بمئات من الناس المسرعين من أجل اللحاق بأعمالهم.

ومع ذلك لم يكن يعلم من أين أتى، أو كيف دخل إلى هذا المصعد المظلم، أو من هم والداه، لم يكن يعرف حتى ما لقب عائلته. ومضَت صور لأشخاص

في ذهنه لكنه لم يستطع التعرف عليهم وسرعان ما استُبدلت بها ظلال تشوبها لطخات من الألوان. لم يستطع التفكير في شخص واحد يعرفه، أو حتى تذكُّر محادثة واحدة.

واصلت الغرفة صعودها متأرجحة، حتى اعتاد صوت القعقعة المتواصل للسلاسل التي تسحبه نحو الأعلى. مر وقت طويل، وامتدت الدقائق إلى ساعات، على الرغم من أنه كان من المستحيل التيقن من ذلك لأن كل ثانية بدت وكأنها أبدية.

لا، إنه أذكى من ذلك، بثقته في غرائزه علم أنه كان يتحرك لنصف ساعة تقريبًا. والغريب أنه شعر بخوفه يتلاشى مثل سرب من البعوض في مهب الريح، ليحل مكانه فضول شديد، أراد أن يعرف أين هو وما الذي يحدث.

ومع صوت صرير قوي ثم اصطدام ثقيل توقف صعود الغرفة، رجَّ هذا التغير المفاجئ توماس وحرَّكه من وضعه المتكدس ملقى به على الأرضية الصلبة، وبينما كان يحاول الوقوف على قدميه شعر بالأرضية تتأرجح أقل فأقل حتى هدأت أخيرًا وسكت كل شيء.

مرت دقيقة، اثنتان، نظر في كل اتجاه لكنه لم يرَ إلا ظلامًا، تحسس الجدران مرة أخرى باحثًا عن مخرج لكن لم يكن هناك شيء عدا المعدن البارد، تأوه من إحباطه، فتضخم صدى صوته في الهواء مثل عويل الموت، وحين تلاشى وعاد الصمت مرة أخرى صرخ طالبًا النجدة وأخذ يضرب الجدران بقبضتيه.

لكن لا شيء.

عاد توماس إلى الزاوية ثانية، وطوى ذراعيه وهو يرتجف، لقد عاوده الخوف، شعر بقشعريرة مقلقة في صدره وكأن قلبه أراد الهروب، أراد الفرار من جسده.

- فليساعدني... أحد!

صرخ بقوة حتى كادت كل كلمة أن تمزق حلقه.

سمع صوتًا صاخبًا آتيًا من فوقه، فأخذ نفسًا عميقًا في ذهول ونظر إلى الأعلى، ظهر شعاع ضوء عابرًا سقف الغرفة، ظل يراقب ذلك الشعاع وهو يتوسع. بدأ صوت احتكاك عنيف بالكشف عن زوج من الأبواب المنزلقة يتم فتحهما بالقوة، وبعد وقت طويل في الظلام طعن الضوء عينيه، فأدار وجهه بعيدًا مغطيًا إياه بكلتا يديه.

سمع ضجيجًا بالأعلى -أصوات أشخاص- وقد اعتصر الخوف قلبه.

- انظر إلى هذا العرقوب.
- كم عمره؟
- يبدو ككومة من الرَّطْم[1] في تي-شيرت.
- أنت نفسك كومة من الرَّطْم أيها المَقشور.
- يبدو وكأن رائحة أقدام تفوح من الأسفل يا صاحبي!
- آمل أن تكون قد استمتعت بالرحلة، إنها رحلة بلا عودة أيها العود الأخضر.
- لا توجد هنا أي تذاكر للعودة يا صديقي.

أُصيب توماس بموجة من الارتباك المصحوب بالذعر. كانت الأصوات غريبة ومشوبة بالصدى، بدت بعض الكلمات غير مفهومة وكأنها أجنبية تمامًا والبعض الآخر بدا مألوفًا. أراد أن تتكيف عيناه وهو يحدق بهما نصف مغمضتين تجاه الضوء وأولئك الذين يتحدثون. في بداية الأمر لم يكن يرى سوى ظلال متحركة لكنها ما لبثت أن تحولت إلى أشكال أجساد، أشخاص ينحنون فوق الفتحة الموجودة في السقف، ينظرون ويشيرون إليه بالأسفل. ومن ثم، وكأن عدسة كاميرا قد شحذت تركيزها فأصبحت الوجوه واضحة. كانوا كلهم فتيانًا، بعضهم صغير والبعض الآخر أكبر سنًّا. لم يكن توماس يعرف ما الذي كان يتوقعه، لكن رؤيته لتلك الوجوه حيرته. كانوا مجرد مراهقين، أطفال. ذاب بعض من خوفه لكن ليس بما يكفي لتهدئة نبضات قلبه المتسارعة.

قام أحدهم بإنزال حبل من الأعلى، مربوط في نهايته حلقة كبيرة. تردد توماس قليلًا، ثم صعد إليها بقدمه اليمنى وتمسك بالحبل وهو يرتفع نحو السماء. مُدَّت أيادٍ نحوه بالأسفل، أيادٍ كثيرة تجذبه من ملابسه وتسحبه نحو الخارج. بدا العالم وكأنه يدور من حوله، دوامة ضبابية من الوجوه والألوان والضوء. اجتاحته عاصفة من المشاعر زعزعت أحشاءه، أراد أن يصرخ، أن يبكي، أن يتقيأ.

سكتت الأصوات من حوله لكن أحدهم تحدث بينما كانوا يسحبونه نحو الحافة الحادة للصندوق المظلم، عرف توماس أنه لن ينسى تلك الكلمات أبدًا. قال الفتى:

- سعيد بمقابلتك أيها العرقوب، مرحبًا بك في الجلايد.

---

(1) الكلمات الغريبة غرابتها مقصودة وسيتم إيضاحها من خلال السياق.

الفصل الثاني

لم تتوقف الأيادي المساعِدة عن الاحتشاد حوله حتى نهض توماس ووقف باستقامة ونفض الغبار عن ملابسه. كان الضوء ما يزال يزغلل عينيه فظل يترنح قليلًا. كان ممتلئًا بالفضول، ولكنه كان متعبًا لدرجة أنه لم يكن قادرًا على تفحص محيطه. لم يقل رفقاؤه الجدد شيئًا بينما كان رأسه يدور محاولًا استيعاب كل ما جرى.

وعندما حاول أن يخطو أولى خطواته وجد نفسه يدور ببطء والأطفال الآخرون يضحكون ويحدقون إليه. مد البعض منهم أيديهم وحاولوا وخزه بأصابعهم. كان يوجد ما لا يقل عن خمسين منهم، ملابسهم ملطخة ومتعرقة وكأنهم كانوا يكدحون في أعمالهم، فتيان من مختلف الأشكال والأحجام والأعراق، حتى شعرهم كان على درجات متفاوتة من الطول. شعر توماس فجأة بالدوار وأخذت عيناه تتأرجحان بين الأولاد والمكان الغريب الذي وجد نفسه فيه.

كانوا واقفين في ساحة واسعة تبلغ مساحتها عدة أضعاف مساحة ملعب كرة القدم، محاطة بأربعة جدران هائلة الضخامة مصنوعة من الحجر الرمادي ومغطاة ببقع من نبات اللبلاب السميك. لا بد أن طول تلك الجدران كان يبلغ مئات الأقدام، كانت تشكل مربعًا مثاليًّا من حولهم، ينقسم كلا الجانبين في تمام المنتصف بفتحة بنفس طول الجدران والتي حسبما رأى توماس، تؤدي إلى ممرات ودهاليز طويلة وراءها.

- انظروا إلى الوافد الجديد.

قالها صوت مبحوح لكن توماس لم يستطع معرفة من قائلها.

- سوف يكسر رقبته محاولًا تفقد المكان الجديد.

ضحك العديد من الأولاد.

فأجاب صوت عميق قائلًا:

- اخرس يا جالي.

ركز توماس مرة أخرى على عشرات الغرباء الواقفين حوله. كان يعلم أنه ليس في حالته الطبيعية، شعر وكأنه ليس في وعيه.

كان هناك فتى طويل أشقر الشعر عريض الفكَّين ينظر إليه بازدراء ووجهه خالٍ من أي تعبير، وأخذ فتى قصير وبدين يتململ في مشيته جيئة وذهابًا وينظر إلى توماس بعينيه الواسعتين. ووقف فتى آسيوي مفتول العضلات عاقدًا ذراعيه يدرس حالة توماس وردود أفعاله، وكانت أكمام قميصه الضيق مُشمَّرة لتكشف عن عضلات ذراعيه المنتفخة. بينما وقف الفتى ذو البشرة الداكنة -نفس الفتى الذي رحب به- متجهمًا في وجود عدد لا يحصى من المحدقين الآخرين.

سأل توماس قائلًا:

- أين أنا؟

وقد تفاجأ لسماع صوته وكأن ذاكرته كانت تتعرف على صوته لأول مرة. لم يبدُ وقع صوته كما توقعه إطلاقًا؛ كان أعلى مما كان من الممكن أن يتخيله.

قال الفتى ذو البشرة الداكنة:

- ليس في أفضل مكان على الإطلاق. فلتبقَ مهذبًا وهادئًا فحسب.

صاح أحدهم من آخرَ الحشد قائلًا:

- مع أي من الأمناء سيكون مصيره؟

فصاح آخر مجيبًا إياه:

- لقد سبق وأخبرتك أيها المقشور، إنه كومة من الرطم ليس إلا؛ سيكون واحدًا من الحُثَّل... لا شك في هذا.

ثم قهقه الفتى ضاحكًا وكأنه قد قال للتو أطرف نكتة على الإطلاق.

شعر توماس مرة أخرى بألم شديد في رأسه بسبب الارتباك، فقد سمع العديد من الكلمات والعبارات الغريبة التي لم يفهم مغزاها؛ عرقوب، مَقشور، أمناء، حُثَّل. خرجت تلك الكلمات من أفواه الأولاد بشكل طبيعي جدًّا لذا فقد بدا له أنه من الغريب ألا يفهمها هو. كان الأمر كما لو كان فقدان ذاكرته قد أفقده حفنة من مفرداته. كان الأمر مربكًا.

تصارعت مشاعر مختلفة لكي تهيمن على عقله وقلبه... الارتباك، الفضول، الذعر، الخوف... ولكن ما غلب عليهم جميعًا كان شعورًا طاغيًا باليأس التام،

وكأن العالم قد انتهى بالنسبة إليه، أو مُحي من ذاكرته واستُبدل به شيء ما شنيع ومروع. أراد الهرب والاختباء من هؤلاء الناس.

كان الفتى ذو الصوت المبحوح ما يزال يتحدث قائلًا:

- ... حتى إنني أراهن بقطعة من كبدي على ذلك.

ولكن توماس كان ما يزال غير قادر على رؤية وجهه.

صاح الفتى ذو البشرة الداكنة قائلًا:

- قلت لكم كفوا عن الكلام وأغلقوا أفواهكم. من سينطق بأي كلمة أخرى سأشق رأسه إلى نصفين.

أدرك توماس أن هذا الفتى لا بد أن يكون قائدهم. استنكر كيف كان الجميع يحدقون إليه، فركز على النظر حوله مستكشفًا هذا المكان الذي قد أطلق الفتى عليه اسم الجلايد.

بدت أرضية الساحة وكأنها مصنوعة من كتل حجرية ضخمة، وكان الكثير منها متصدعًا ومليئًا بالعشب والحشائش الضارة. وبدا مبنى خشبي متضعضع غريب الشكل بالقرب من أحد أركان الساحة متناقضًا بشكل كبير مع تلك الأحجار الرمادية. أحاطت بهذا المبنى بضع أشجار، جذورها أشبه بأيادٍ مجعدة شرسة تنقب في الأرضية الحجرية بحثًا عن قوتها. وفي ركن آخر من الساحة كانت هنالك بساتين، حيث استطاع توماس من مكانه أن يرى نبات الذرة والطماطم وأشجار الفاكهة. وعلى الجهة المقابلة لتلك المزارع كانت توجد حظائر خشبية بداخلها أغنام وخنازير وأبقار. أما الركن الأخير فكان عبارة عن غَيْضَة كبيرة من الأشجار، وقد بدت أقرب أشجارها كأشجار شعثاء على حافة الموت. كانت السماء فوقهم زرقاء صافية، إلا أن توماس لم يستطع رؤية الشمس على الرغم من سطوع النهار. ولم تكشف الظلال الزاحفة للجدران عن وقت أو اتجاه محدد... قد يكونون في وقت مبكر من الصباح أو بعد العصر. ولما أخذ توماس نفسًا عميقًا محاولًا تهدئة أعصابه شمَّ خليطًا من الروائح: التربة، والسماد، وأشجار الصنوبر، ورائحة شيء عفن، ورائحة شيء عطر. فعرف أن تلك الروائح تشير إلى وجود مزرعة.

عاد توماس ينظر إلى آسريه، كان مرتبكًا ومَلْخومًا، ولكنه كان متلهفًا لطرح الكثير من الأسئلة. *آسرين*، جال في خاطره. ثم، *لماذا طرأت تلك الكلمة في رأسي؟* تفحص وجوههم محاولًا فهم واستيعاب كل التعابير الظاهرة عليها. استوقفته نظرات أحد الفتيان المتقدة بالكراهية، بدا غاضبًا جدًّا،

حتى إن توماس لم يكن ليتفاجأ لو أخرج الفتى سكينًا وهاجمه. كان شعره أسود، ولما تلاقت أعينهما هز الصبي رأسه وابتعد سائرًا باتجاه عمود حديدي مُشَحَّم بجانبه مقعد خشبي، وعلق راية كثيرة الألوان بهدوء في أعلى العمود، ولكن لم تكن هناك رياح لتكشف عن شكل المرسوم عليها. ظل توماس يحدق إلى ظهر ذلك الفتى وهو يرتجف، ولما عاد واتخذ مقعدًا، أشاح توماس نظره بعيدًا بسرعة.

وفجأة، تقدم قائد المجموعة -ربما كان في السابعة عشرة من عمره- خطوة للأمام. كان يرتدي ملابس عادية: تي-شيرت، بنطال من الجينز، حذاء رياضي، وساعة رقمية. ولسبب ما تفاجأ توماس لرؤية تلك الملابس هنا، فقد بدا وكأنه يجب على الجميع ارتداء شيء ما أكثر كآبة وشؤمًا... كزي السجن مثلًا. كان للفتى ذي البشرة الداكنة شعر قصير، ووجه حليق، لكن بخلاف تجهمه الدائم، لم يكن هناك شيء مخيف بشأنه على الإطلاق.

قال الفتى:

- إنها قصة طويلة أيها العرقوب. سوف تفهم شيئًا فشيئًا. سنأخذك في جولة غدًا. وإلى ذلك الحين لا تقتحم أي مكان ولا تقم بأي فعل متهور.

ثم مد يده قائلًا:

- اسمي آلبي.

من الواضح أنه أراد المُصافحة. ولكن توماس رفض، وتملكه الغضب بشكل ما، فمشى مبتعدًا عن آلبي دون أن ينبس ببنت شفة واتجه نحو شجرة قريبة حيث جلس وأسند ظهره إلى لحائها الخشن.

أحس بالذعر يتضخم في داخله مرة أخرى، ذعر أكبر من أن يمكنه احتماله، ولكنه أخذ نفسًا عميقًا وأجبر نفسه على محاولة تقبل الوضع. حدَّث نفسه قائلًا: *ساير الأمر فحسب. فإنك لن تفهم أي شيء إذا استسلمت للخوف.*

ثم صاح توماس قائلًا وهو يجاهد لكي يبدو صوته طبيعيًّا:

- أخبرني بتلك القصة الطويلة إذًا.

ألقى آلبي نظرة خاطفة على الأصدقاء القريبين منه ثم نظر إلى أعلى في ضجر، بينما أخذ توماس يحدق إلى الحشد مرة أخرى. كان تقديره الأوَّلي مقاربًا... كان هناك ما يقرب من خمسين إلى ستين من الأولاد، بعضهم كانوا أولادًا ما يزالون في منتصف سن المراهقة، وبعضهم كانوا شبابًا مثل آلبي، الذي قد بدا واحدًا من الشباب الأكبر سنًّا. وفي تلك اللحظة، أدرك توماس

بخيبة أمل أنه ليس لديه أي فكرة كم كان عمره هو. غرق قلبه في تأمل تلك الفكرة. كان في غاية التيه والضياع لدرجة أنه لم يكن حتى يعرف كم عمره. قال مستسلمًا ومتخليًا عن محاولته لإظهار شجاعته:

- جديًّا، أخبرني، أين أنا؟

فاقترب منه آلبي وجلس أمامه متربعًا، وتبعه باقي الأولاد الآخرين محتشدين خلفه. وبدأت رؤوس الأطفال ترتفع هنا وهناك وتتمايل من أجل الحصول على رؤية أفضل.

قال آلبي:

- من الطبيعي أن تخاف. إن لم تكن خائفًا، فأنت لست إنسانًا من روح ودم. ولو كانت ردة فعلك خلاف ذلك، لكنت سأرمي بك من أعلى الجرف لأن هذا كان سيعني أنك مختل عقليًّا.

سأل توماس وقد شحب وجهه:

- الجرف؟

فقال آلبي وهو يفرك عينيه:

- قَشْرًا، لن ندخل في هذا النوع من المحادثات، أتفهمني؟ نحن لا نقتل أمثالك من العراقيب هنا، أقسمُ لك. حاول فقط أن تتفادى هلاكك، لا تعرِّض حياتك للخطر، مهما يكن.

صمت آلبي لبرهة، وأدرك توماس أنه من المؤكد أن وجهه قد ازداد شحوبًا عند سماعه لهذا الجزء الأخير من الحديث.

قال آلبي:

- اسمعني يا رجل.

ثم مرر أصابعه من خلال شعره القصير وتنهد تنهيدة طويلة وأردف قائلًا:

- أنت أول وافد جديد يأتي إلى هنا منذ موت نِك.

اتسعت عينا توماس، واقترب فتى آخر وصفع آلبي على رأسه مازحًا وقال بصوت غليظ ولهجة غريبة:

- يا إلهي يا آلبي، انتظر حتى نأخذه في جولة على الأقل. إن الفتى على وشك أن يُصاب بنوبة قلبية وهو ما يزال لا يعرف شيئًا بعد.

انحنى الفتى ومد يده نحو توماس وقال:

- اسمي نيوت أيها العود الأخضر، وسنكون جميعًا سعداء هنا إذا سامحت قائدنا الجديد ذا الدماغ المليء بالرَّطم.

مد توماس يده وصافحه... بدا ألطف بكثير من آلبي. كان نيوت أطول من آلبي كذلك، ولكنه بدا أصغر منه بنحو سنة أو أكثر. كان شعره الأشقر الطويل يتدلى فوق التي-شيرت الخاص به، وكانت عروقه بارزة من ذراعيه المفتولتين.

قال آلبي وهو يسحب نيوت إلى الأسفل ليجلس بجانبه:

- اخرس أيها المقشور. على الأقل استطاع أن يفهم نصف كلامي.

تعالت بعض الضحكات المتناثرة، ثم تزاحم الجميع أكثر خلف آلبي ونيوت في انتظار أن يستمعوا لما سيقولانه. رفع آلبي يديه إلى أعلى وقال:

- هذا المكان يسمى الجلايد، حسنًا؟ إننا نعيش، ونأكل، وننام هنا... أما نحن، فنسمي أنفسنا أفراد الجلايد. هذا كل ما تحتاج...

قاطعه توماس وقد بدا أن الخوف بداخله قد أفسح أخيرًا مجالًا للغضب، إذ سأل قائلًا:

- من الذي أرسلني إلى هنا؟ كيف يمكن أن...

ولكن قبل أن يتمكن توماس من إكمال سؤاله، وقف آلبي ومد يده وأمسك به من ملابسه وقد انحنى للأمام على ركبتيه وقال:

- انهض أيها العرقوب، انهض!

وقف آلبي وشدَّ توماس معه، فوقف توماس على قدميه مرة أخرى، خائفًا من جديد. تراجع توماس تجاه الشجرة، محاولًا الفرار من آلبي الذي ظل واقفًا أمام وجهه مباشرة.

صاح آلبي قائلًا:

- لا تقاطعني يا فتى! أيها الغبي، لو أخبرناك بكل شيء، لسقطت ميتًا في مكانك على الفور بعد أن تبلل سروالك مباشرة. وكان سيجرك أحد الشوالجية بعيدًا، إذ ستكون بغير ذي فائدة بالنسبة إلينا حينذاك، صحيح؟

تكلم توماس ببطء وقد صُدِم لسماع صوته بهذا الهدوء والثبات، إذ أجاب قائلًا:

- أنا لا أعرف حتى ما الذي تتحدث عنه.

مد نيوت يديه وربت على كتفي آلبي وقال:

- اهدأ قليلًا يا آلبي. إن لأفعالك تلك ضررًا أكبر من نفعها، أتعرف هذا؟

ترك آلبي تي-شيرت توماس وتراجع للخلف وهو يزأر بأنفاسه قائلًا:

- ليس لدي وقت لأكون لطيفًا أيها العود الأخضر. إن الحياة القديمة قد انتهت، وبدأت حياة جديدة. تعلَّم قواعدها سريعًا، أصغِ إلينا جيدًا، وأغلق فمك. أتفهمني؟

أخذ توماس ينظر إلى نيوت، أملًا في الحصول على دعمه ومساعدته. شعر بأن كل أحشائه تتخضخض وتتألم بداخله، ودموعه التي لم تخرج زادت من حرقة عينيه. أومأ نيوت برأسه وقال:

- إنك تفهم ما قاله أيها العود الأخضر، أليس كذلك؟

ثم أومأ برأسه مرة أخرى.

استشاط توماس غضبًا، أراد أن يلكم أحدًا. ولكنه أجاب فقط قائلًا:

- أجل.

فقال آلبي:

- حلو الكلام. هذا كل شيء بالنسبة إلى يومك الأول أيها العرقوب، الليل آتٍ، وسيعود العداؤون قريبًا. لقد وصل الصندوق متأخرًا اليوم، ليس لدينا وقت للقيام بجولة الآن. سنفعل ذلك في صباح الغد بعد الاستيقاظ مباشرة.

ثم التفت إلى نيوت وتابع قائلًا:

- جِد له مكانًا لكي ينام.

فأجاب نيوت قائلًا:

- حلو الكلام.

ثم عاد آلبي ينظر إلى توماس مُضيِّقًا جفنيه وقال:

- في غضون أسابيع قليلة سوف تشعر وكأنك في ديارك أيها العرقوب. ستكون سعيدًا، وسوف تساعدنا. كنا جميعًا مثلك في البداية، لم يكن أحد منا يعرف أي شيء في يومه الأول. حياتك الجديدة تبدأ غدًا.

استدار آلبي وشق طريقه بين الجمع، وتوجه إلى المبنى الخشبي المائل عند الزاوية، ثم بدأ الآخرون يتفرقون واحدًا تلو الآخر، وقد رمق كلٌّ منهم

توماس بنظرة طويلة قبل أن يغادر. عقد توماس ذراعيه وأغلق عينيه وأخذ نفسًا عميقًا. أحس بفراغ ينخر في داخله، والذي سرعان ما حل محله حزنٌ شديد اعتصر قلبه ألمًا. كانت الكثير من الأسئلة تحوم في رأسه: أين هو؟ ما هذا المكان؟ أهو نوع من السجون؟ وإن كان كذلك، فلماذا أُرسِلَ إلى هنا؟ وإلى متى سيبقى؟ كانت اللهجة التي يتحدثون بها غريبة، ولم يبدُ أن أيًّا منهم كان يهمه سواء عاش أو مات. شعر بأن الدموع كانت على وشك أن تملأ عينيه، ولكنه لم يسمح لها بأن تنهمر.

همس توماس قائلًا:

- ماذا فعلتُ؟ ما الذي فعلته... لماذا أرسلوني إلى هنا.

فربت نيوت على كتفه وقال:

- أيها العود الأخضر، جميعنا قد شعرنا بما تشعر به، جميعنا كنا كذلك في اليوم الأول. عندما تخرج من هذا الصندوق المعتم تجد الأمور سيئة، وهي كذلك، بل إنها ستزداد سوءًا بالنسبة إليك عما قريب، هذه هي الحقيقة. ولكن في النهاية، سوف تقاتِل بجد وإخلاص. أستطيع القول إنك لست جبانًا لعينًا.

أخذ توماس ينقب في ظلمة أفكاره، محاولًا أن يجد ثغرة مضيئة تذكره بماضيه. ثم سأل قائلًا:

- هل هذا سجن؟

فأجابه نيوت:

- لقد طرحتَ أربعة أسئلة بالفعل، أليس كذلك؟ حسنًا، لا توجد أي إجابات مرضية، ليس بعد، على أي حال. من الأفضل أن تهدأ الآن، تَقبَّل التغيير... غدًا يوم جديد.

لم يقل توماس شيئًا، خفض رأسه وراحت عيناه تحدقان إلى الأرض الحجرية المتصدعة. كان هناك صف من الأعشاب ذات الأوراق القصيرة يمتد على طول حافة إحدى الكتل الحجرية، وتتخلله أزهار صفراء بدت كما لو كانت تطل بحثًا عن الشمس التي طال اختفاؤها خلف الجدران العملاقة للجلايد.

قال نيوت:

- سأسلمك إلى تشاك، هو سيفي بالغرض. إنه صغير السن وسمين بعض الشيء، ولكنه غلام لطيف وودود على أي حال. ابق هنا، سأعود.

لم يكد نيوت ينهي جملته عندما دوت فجأة صرخة عالية في الهواء، صرخة حادة مفزعة أخذ صداها يتردد عبر الساحة الحجرية، وراح كل الأولاد على مرمى البصر ينظرون تجاه مصدر الصوت. شعر توماس بالدم يتجمد في عروقه عندما أدرك أن هذا الصوت المريع قد جاء من داخل المبنى الخشبي. حتى نيوت نفسه قفز كما لو كان مذهولًا وعقد جبينه وقال:

- اللعنة، ألا يمكن للطبيجية أن يدبروا أمر ذلك الفتى لمدة عشر دقائق دون الحاجة إلى مساعدتي؟

ثم هز رأسه وركل توماس ركلة بسيطة في قدمه، وأردف قائلًا:

- ابحث عن تشاكي، وأخبره بأنه هو المسؤول عن إيجاد مكان لك لتنام فيه.

واستدار بعد ذلك وراح يركض متجهًا إلى المبنى. انزلق توماس إلى أسفل على طول لحاء الشجرة الخشن حتى جلس على الأرض مرة أخرى، وأغمض عينيه متمنيًا لو أن بإمكانه أن يستيقظ من هذا الكابوس الرهيب.

الفصل الثالث

ظل توماس جالسًا هناك لعدة لحظات، مغلوبٌ على أمره، غير قادر على الحركة، ولكنه أجبر نفسه في النهاية على النظر إلى المبنى المتداعي. كان ثمة مجموعة من الأولاد يتسكعون حوله وهم ينظرون إلى النوافذ العلوية في قلق كما لو كانوا يتوقعون أن ينفجر زجاج تلك النوافذ فجأة ويخرج منها وحش مخيف.

جذب انتباهه صوت طقطقة معدنية آتيًا من أغصان الشجرة أعلاه، وجعله ينظر إلى الأعلى. رأى وميضًا لضوء أحمر وفضي ولكن سرعان ما اختفى عند الجانب الآخر من الجذع، فوقف سريعًا ودار حول الشجرة ورفع عنقه باحثًا عن مصدر الصوت الذي سمعه، ولكنه لم يرَ سوى أغصان عارية، رمادية وبنية، متشعبة كأصابع هيكل عظمي... خالية من الحياة تمامًا.

سمع صوتًا يقول:

- لا بد أنها خنفساء معدنية.

فالتفت توماس إلى يمينه فرأى ولدًا يقف بالقرب منه، غلام قصير وبدين يحدق إلى وجهه. كان صغيرًا... قد يكون الأصغر سنًّا من بين كل الأولاد الذين رآهم حتى الآن، ربما كان في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره. له شعر بني طويل يغطي أذنيه مارًا برقبته حتى ينسدل على كتفيه، وكانت عيناه الزرقاوان متلألئتين من خلال وجه بائس مثير للشفقة، مملتئ ومحمر.

أومأ إليه توماس قائلًا:

- خنفساء ماذا؟

قال الولد وهو يشير إلى أعلى الشجرة:

- خنفساء معدنية لن تؤذيَك إلا إذا كنت غبيًّا بما يكفي لتلمس إحداها.

سكت لبرهة ثم أردف قائلًا:

- ...أيها العرقوب.

لم يبدُ مرتاحًا لقول تلك الكلمة الأخيرة، وكأنه لم يكن معتادًا تمامًا لهجة سكان الجلايد.

دوت صرخة أخرى، صرخة أطول وأكثر رعبًا هذه المرة، وشعر توماس بقلبه يترنح. سأل مشيرًا إلى المبنى:

- ما الذي يحدث هناك؟

أجاب الولد السمين قائلًا:

- لا أعرف.

كان صوته ما يزال طفوليًّا إلى حدٍّ كبير.

- بِن هناك، إنه مريض جدًّا. لقد أمسكوا به.

- أمسكوا به؟

لم تُعجِب توماس الطريقة الخبيثة التي قال بها الولد.

- أجل.

- مَن هؤلاء؟

أجاب الولد وقد بدا هادئًا للغاية بالنسبة إلى ما يحدث:

- من الأفضل أن تتمنى ألا تعرف أبدًا.

ثم مد يده قائلًا:

- اسمي تشاك. لقد كانوا ينادونني بالعود الأخضر حتى ظهرتَ أنت.

قال توماس في قرارة نفسه: *أهذا هو مرشدي لليلة؟*

لم يستطع التخلص من إحساسه الشديد بالانزعاج، وقد زاده إحساسه بالغضب الذي تسلل إليه الآن. لم يكن هناك أي شيء مفهوم أو منطقي بالنسبة إليه. شعر برأسه يؤلمه.

سأل وهو يصافح يد تشاك بسرعة ثم تركها:

- لماذا يناديني الجميع بالعود الأخضر؟

أجابه تشاك وهو يشير إليه ضاحكًا:

- لأنك أجدد شخص هنا.

أتت صرخة أخرى من البناء، صوت كصوت حيوان يتضور جوعًا ويتعرض للتعذيب.

سأل توماس مذعورًا من الصوت:

- كيف لك أن تضحك؟ يبدو وكأن أحدهم يموت هناك.

- سيكون بخير. لا أحد يموت إذا عاد في الوقت المناسب للحصول على المصل. إنه هكذا، إما كل شيء أو لا شيء، إما أن يُشفى أو أن يموت. إنها فقط تؤلم كثيرًا.

قاطعه توماس سائلًا:

- ما التي تؤلم كثيرًا؟

هامت عينا تشاك، وكأنه ليس متأكدًا مما سيقول.

- اممم، لدغات الهوام.

- هوام؟

كان توماس يزداد ارتباكًا أكثر فأكثر. لدغات... هوام... كان للكلمات وقع ثقيل من الرهبة، وأحس فجأة بأنه لم يكن متأكدًا مما إذا كان يريد معرفة معنى ما يتحدث عنه تشاك. هز تشاك كتفيه ثم أشاح بنظره بعيدًا بعينين هائمتين. وتنهد توماس من إحساسه بالإحباط وخيبة الأمل وأسند ظهره إلى الشجرة وقال:

- يبدو أنك تعرف أكثر مما أعرف بكثير.

ولكنه كان يعلم بأن هذا ليس صحيحًا. كان فقدان ذاكرته غريبًا، فقد كان يتذكر معلومات كثيرة عن العالم، غير أن كل ما كان يتذكره كان خاليًا من أي تفاصيل أو وجوه أو أسماء، ككتاب سليم تمامًا ولكن كل جملة فيه تنقص كلمة واحدة، مما يجعل من قراءته عملية عبثية ومربكة. لم يكن يعرف حتى كم كان عمره.

- تشاك، آه... كم هو عمري في رأيك؟

فتفحصه الفتى من أعلى إلى أسفل وقال ضاحكًا:

- أحسبك في السادسة عشرة من عمرك. وإن كنت تتساءل، فطولك نحو خمسة أقدام... شعرك بنِّي. آه، وقبيح كقطعة كبد مقلية مثبتة على عصا.

ذُهِلَ توماس لدرجة أنه بالكاد سمع الجزء الأخير من كلام تشاك. السادسة عشرة؟ أكان فعلًا في السادسة عشرة؟ شعر أنه أكبر من ذلك بكثير.

- أأنت جاد؟ لكن كيف...

ثم سكت للحظة محاولًا العثور على كلمات. لم يكن يعرف حتى ماذا يسأل.

- لا تقلق. سيُجَن جنونك تمامًا لبضعة أيام، ولكن بعد ذلك ستعتاد هذا المكان. لقد اعتدتُه. نحن نعيش هنا، هذا هو الحال. إنه أفضل من العيش في كومة من الرَّطْم.

ضيَّقَ عينيه كما لو كان يتوقع سؤالًا من توماس. ثم أردف قائلًا:

- الرَّطْم هي كلمة نقصد بها البراز، فهو يصدر صوت ارتطام عند سقوطه في أوعية التبول خاصتنا.

نظر توماس إلى تشاك، غير قادر على تصديق أنهما كانا يجريان محادثة كهذه.

- آه، حسنًا.

كان هذا كل ما استطاع قوله. قام وسار متجاوزًا تشاك متجهًا نحو المبنى البالي. كانت كلمة عُشَّة هي أنسب توصيف له. كان على ارتفاع ثلاثة أو أربعة طوابق، وبدا وكأنه على وشك الانهيار في أي لحظة. كان عبارة عن تشكيلة منوعة من جذوع الأشجار وألواح وحبال سميكة ونوافذ وبدت هذه العناصر وكأنها قد أُلقيَت معًا عشوائيًا أمام الجدران الحجرية الضخمة ذات بقع نبات اللبلاب المتناثرة. وبينما كان يشق طريقه عبر الساحة شم رائحة واضحة لحطب مشتعل ولحم يُشوى جعل معدته تأن. والآن بعد أن عرف أنها كانت مجرد صرخات فتى مريض، شعر توماس بتحسن، حتى بدأ يفكر فيما قد يكون سبب مرضه...

سأله تشاك وهو يركض وراءه محاولًا اللحاق به:

- ما اسمك؟

- ماذا؟

- اسمك، لم تخبرنا به بعد... وأنا أعلم جيدًا أنك تتذكره.

- توماس.

بالكاد سمع نفسه وهو ينطقه، فقد اتخذت أفكاره محورًا آخر. فإذا كان تشاك على حق، فها قد اكتشف للتو شيئًا مشتركًا بينه وبين بقية الأولاد. فقد عانوا جميعًا فقدانًا للذاكرة من نفس النوع. جميعهم قد تذكروا أسماءهم. لماذا لم يتذكروا أسماء والديهم؟ أو أصدقائهم؟ أو ألقاب عائلاتهم؟

قال تشاك:

- سعيد بمقابلتك يا توماس. لا تقلق، سأعتني بك. إنني هنا منذ شهر كامل، وأعرف هذا المكان جيدًا. يمكنك الاعتماد عليَّ، حسنًا؟

كان توماس قد وصل تقريبًا إلى الباب الأمامي للعُشَّة عندما رأى مجموعة صغيرة من الأولاد محتشدين هناك وتملكته موجة صاعقة ومباغتة من الغضب، ثم التفت إلى تشاك وقال:

- إنك غير قادر على شرح أو توضيح أي شيء حتى. لا يمكنني أن أُسمي هذا اعتناءً بي.

ثم التفت نحو الباب مرة أخرى عازمًا على الدخول لإيجاد بعض الإجابات لما يدور في رأسه. ولم يكن لديه أدنى فكرة من أين أتت له هذه الشجاعة والعزيمة المفاجئة.

هز تشاك كتفيه قائلًا:

- لا شيء مما أقول سيكون ذا فائدة بالنسبة إليك، فأنا في الأساس ما زلت جديدًا هنا أيضًا. لكن بوسعي أن أكون صديقك...

فقاطعه توماس قائلًا:

- لستُ بحاجة إلى أصدقاء.

عندما وصل إلى الباب -لوح خشبي قبيح بَهُت لونه بفعل الشمس- وفتحه ليرى العديد من الفتيان ذوي وجوه جامدة خالية من أي تعبير كوجوه الرواقيين واقفين عند أسفل درج متهالك، كانت درجاته والدرابزين ملتوين ومزويين في جميع الاتجاهات. وكان هناك ورق حائط داكن اللون يغطي جدران الردهة والمدخل، وكان نصفها مُقَشَّر، وكانت العناصر الزخرفية الوحيدة التي من الممكن رؤيتها هي مزهرية مغبرة فوق طاولة بثلاث أرجل وصورة بالأبيض والأسود لامرأة عجوز ترتدي فستانًا أبيض قديم الطراز. لقد ذكَّرَ توماس بالمنازل المسكونة في الأفلام أو شيء من هذا القبيل. حتى لاحظ أن هناك ألواحًا خشبية مفقودة من الأرضية. كان المكان مليئًا بالغبار وتفوح منه رائحةٌ عفنة... على العكس تمامًا من الروائح الطيبة بالخارج. كانت مصابيح الفلوروسنت تومض في السقف. لم يكن قد فكر في هذا الأمر بعد، ولكن كان عليه أن يتساءل من أين أتت الكهرباء في مكان مثل الجلايد. حدق إلى المرأة العجوز الموجودة في الصورة. هل عاشت هنا من قبل؟ هل كانت تتولى رعاية هؤلاء الأشخاص؟

صاح أحد الفتيان الأكبر سنًا قائلًا:

- انظروا! ها هو العود الأخضر.

وفورًا، أدرك توماس أن الشاب ذا الشعر الأسود كان هو مَن يرمقه بنظرات قاتلة مسبقًا. بدا وكأنه في نحو الخامسة عشرة من عمره، طويل القامة ونحيف، أنفه بحجم قبضة صغيرة ويشبه حبة البطاطس التالفة.

- على الأرجح أن هذا العرقوب قد بلل سرواله عندما سمع بِني يصرخ كالفتاة. هل تحتاج إلى حفاضات جديدة أيها المقشور؟

- اسمي توماس.

كان عليه الابتعاد عن هذا الفتى. فدون أن ينبس ببنت شفة، صعد الدرج، فقط لأنه كان قريبًا، ولمجرد أنه لم يكن لديه فكرة ماذا يفعل أو ماذا يقول. ولكن الفتى المتنمر خطا أمامه ورفع يده قائلًا:

- مهلًا أيها العود الأخضر.

ثم أشار بإبهامه إلى الطابق العلوي وأردف:

- لا يُسمح للجدد برؤية أي شخص... مسلوب. نيوت وآلبي لن يسمحا بذلك.

سأله توماس محاولًا إخفاء خوفه وتجنب التفكير فيما يقصده الفتى بكلمة مسلوب:

- ما مشكلتك؟ إنني لا أعرف حتى أين أنا. كل ما أريده هو بعض المساعدة.

تجهم وجه الفتى وعقد ذراعيه وأجابه قائلًا:

- أصغِ إليَّ أيها العود الأخضر، لقد رأيتك من قبل. هناك شيء مريب بشأن ظهورك هنا، وسأعرف ما هو.

قال توماس والدم يفور في عروقه:

- لم أرَك قط في حياتي. ليس لدي أي فكرة عمن تكون، ولا يهمني أن أعرف.

ولكن في الحقيقة، كيف له أن يعرف؟ وكيف استطاع هذا الفتى أن يتذكره؟

ضحك الفتى المتنمر ضحكة مكتومة بعض الشيء ممزوجة بشخير مليء بالبلغم، ثم أصبح وجهه أكثر جدية وعقد حاجبيه وأشار إلى أعلى الدرج وقال:

- لقد... رأيتك من قبل أيها العرقوب. لا يوجد الكثيرون هنا ممن يمكنهم قول إنهم قد تعرضوا للدغ. لكني تعرضتُ لذلك، وأعرف ما يمر به بِني الآن. لقد عشتُ هذا بالفعل، ورأيتك في أثناء التحوُّل.

ثم مد يده ووخز توماس في صدره وأردف قائلًا:

- وأراهن على وجبتك الأولى من السيد طاسة أن بِني قد رآك أيضًا.

ظل توماس ينظر إلى عينيه لكنه قرر عدم قول أي شيء. اجتاحه الذعر مرة أخرى. هل ستظل الأمور تزداد سوءًا؟

قال الفتى ساخرًا:

- هل جعلتك سيرة الهوام تبلل سروالك؟ أخائف بعض الشيء الآن؟ لا تريد أن تتعرض للدغ، أليس كذلك؟

تلك الكلمة من جديد؛ اللدغ. حاول توماس أن يمنع نفسه من التفكير فيها وأشار إلى أعلى الدرج، من حيث تتردد صيحات الفتى المريض عبر المبنى.

- إذا كان نيوت قد صعد إلى هناك فأنا أرغب في التحدث معه.

لم يقل الفتى شيئًا، وظل يحدق إلى توماس لعدة ثوانٍ. ثم هز رأسه وقال:

- أتعرف ماذا؟ أنت محق يا تومي... لا ينبغي أن أكون بهذا اللؤم مع الوافدين الجدد. اصعد إلى الطابق العلوي وأنا علي يقين من أن آلبي ونيوت سيشرحان لك الأمر. هيا، اذهب. أنا آسف حقًا.

ثم ربت على كتف توماس وتراجع وهو يشير إلى أعلى الدرج. ولكن توماس كان يعرف أن الفتى يخطط لشيء آخر. ففقدان جزء من ذاكرتك لا يجعل منك أحمق.

سأل توماس في محاولة منه للمماطلة من أجل كسب بعض الوقت ليقرر ما إن كان عليه الصعود في نهاية المطاف:

- ما اسمك؟

- جالي. ولا تدع أحدًا يخدعك، أنا القائد الحقيقي هنا، وليس التافهان الموجودان في الأعلى. بإمكانك مناداتي (كابتن جالي) إذا أردت.

ابتسم لأول مرة، وكانت أسنانه تضاهي أنفه البشع قرفًا، مفقود منها سِنَّان أو ثلاثة، ولا يمت أيٌّ منها للون الأبيض بصِلة. رائحة أنفاسه ذكَّرت توماس بشيء ما مروِّع، على الرغم من أنه لم يكن يعرف ما هو، جعلته يشعر بالغثيان.

قال وقد سئم تمامًا من هذا الفتى الذي أراد أن يصرخ في وجهه ويلكمه:

- حسنًا. وهو كذلك، كابتن جالي.

بالغَ في تحيته، وأحس باندفاع الأدرنالين في عروقه، إذ كان يعلم أنه قد تجاوز حدوده للتو. اندلعت بعض الضحكات الخافتة من الحشد، فنظر جالي حوله وقد احمَرَّ وجهه، ثم عاد يحدق إلى توماس والكراهية قد جعَّدت جبينه وغضَّنت أنفه.

قال جالي محدقًا إلى توماس وهو يشير إلى الأعلى مرة أخرى:

- اصعد الدرج فحسب، وابق بعيدًا عن طريقي أيها الأحمق الصغير.

- حسنًا.

نظر توماس حوله مرة أخرى، كان مرتبكًا، حائرًا، غاضبًا. شعر بحرارة الدم الذي يسري في وجهه. لم يتخذ أحدًا أي خطوة لمنعه من فعل ما طلبه منه جالي، باستثناء تشاك الذي وقف عند الباب الأمامي وأخذ يهز رأسه قائلًا:

- لا يُفترَض بك أن تفعل هذا. أنت وافد جديد... لا يمكنك الصعود إلى هناك.

قال جالي بسخرية:

- اذهب. اصعد إلى الأعلى.

ندم توماس على دخوله إلى هذا المبنى من الأساس، ولكنه كان يريد التحدث إلى هذا الفتى المدعو نيوت. بدأ في صعود الدرج، ومع كل خطوة كان يَصدرُ صوت صرير وطقطقة من تحت قدميه بسبب ثقله. ربما كان ليتوقف خوفًا من السقوط من خلال هذا الخشب القديم لو لم يكن يريد الهرب من مثل هذا الموقف المربك بالأسفل. صعد إلى الطابق العلوي، وكان يجفل عند كل مرة يسمع فيها صوت تصدع الخشب. ولما وصل إلى الطابق العلوي، انعطف يسارًا ومشى في ممر مُسيَّج يؤدي إلى عدة غرف. لم يكن هناك سوى باب واحد فقط يتسرَّب الضوء من أسفله.

صاح جالي من الأسفل قائلًا:

- التحوُّل! توقع حدوثه لك عما قريب أيها المقشور!

وكما لو كان الاستهزاء قد أعطى توماس دفعة مفاجئة من الشجاعة، فسار نحو الباب المضيء، متجاهلًا صرير ألواح الأرضية وضحكات السخرية بالأسفل... متجاهلًا سيل الكلمات الغريبة التي لم يفهمها، وكابحًا لكل

المشاعر السيئة التي أثاروها بداخله، ومد يده لأسفل وأدار المقبض النحاسي وفتح الباب. وفي داخل الغرفة، رأى نيوت وآلبي جاثمَين فوق شخص يرقد على السرير. اقترب توماس أكثر وانحنى ليرى سبب كل هذا العناء، ولكن عندما ألقى نظرة واضحة على حالة المريض تجمَّد الدم في عروقه. كان عليه محاربة ارتجاع العصارة الصفراوية التي وصلت إلى حلقه. كانت لمحة سريعة -بضع ثوانٍ فقط- لكنها كانت كافية لمطاردته إلى الأبد. جسد متشنج شاحب يتلوى من شدة الألم، صدره عارٍ وشنيع المظهر، وتظهر عروق بارزة ومنتفخة بلون أخضر على جسده وأطرافه، وكأنها حبال تحت جلده. علاوة على وجود كدمات أرجوانية ولطخات جلدية حمراء وخدوش في جميع أنحاء جسده. عيناه منتفختان ومحتقنتان بالدم تدوران من ناحية إلى أخرى. كانت صورته قد حُفِرَت بالفعل في ذهن توماس قبل أن يقفز آلبي ليحجب الرؤية، ولكنه لم يستطع حجب صوت النواح والصرخات. دفع توماس إلى خارج الغرفة وصفع الباب وراءهما.

صاح آلبي وهو يشتعل غضبًا وعيناه تشعان شررًا:

- ماذا تفعل هنا بالأعلى؟

تمتم توماس في وهن شديد:

- أنا... أجل... أريد الحصول على بعض الإجابات.

لم يستطع أن يُظهِر أي قوة في كلماته، ففي أعماقه، كان قد استسلم بالفعل.

سأل توماس وقد مال على الدرابزين في الممر وحدق إلى الأرض غير واثق مما ينبغي له فعله بعد ذلك:

- ما خطب ذلك الفتى؟

أمره آلبي قائلًا:

- اغرب من هنا فورًا. تشاك سيساعدك. لو رأيتك مرة ثانية قبل صباح الغد، فلن تعيش ليوم واحد آخر. سأرمي بك من فوق الجرف بنفسي، أتفهمني؟

شعر توماس بالمهانة والخوف، شعر وكأنه قد تقلص إلى حجم فأر صغير. ودون أن ينبس ببنت شفة، ترك آلبي وتوجه إلى الدرج ذي صوت الصرير المزعج بأقصى ما تمكن من سرعة متجاهلًا النظرات المحدقة إليه

من الجميع في الأسفل -وبخاصة جالي- إلى أن خرج من الباب ساحبًا تشاك من ذراعه ليخرج معه. كره توماس أولئك الناس، كرههم جميعًا، ما عدا تشاك.

قال توماس وقد أدرك أن تشاك قد يكون فعلًا هو صديقه الوحيد في هذا العالم:

- خذني بعيدًا عن هؤلاء الفتيان.

أجابه تشاك بصوت يحمل الكثير من البهجة كما لو كان سعيدًا لأن أحدًا بحاجة إليه، وقال:

- حسنًا، ولكن أولًا علينا أن نحضر لك بعض الطعام من السيد طاسة.
- لست واثقًا من أنني سأتمكن من وضع أي طعام في فمي بعد الآن.

ليس بعد ما رآه للتو.

أومأ تشاك برأسه وقال:

- بلى، ستفعل. قابِلني عند الشجرة نفسها التي كنت تجلس عندها من قبل، بعد عشر دقائق.

***

كان توماس في غاية السعادة بابتعاده عن ذلك المنزل، وتوجه عائدًا نحو الشجرة. لم تمضِ سوى فترةٍ قصيرة على اكتشافه كيف هو شكل الحياة في هذا المكان، ولكنه أرادها حقًا أن تنتهي. تمنى من كل قلبه لو كان بإمكانه أن يتذكر شيئًا عن حياته السابقة، أي شيء؛ أمه، أبيه، صديق، مَدرسته، هواية، فتاة. أغمض عينيه بقوة عدة مرات، محاولًا إخراج صورة ما رآه للتو في تلك العُشّة بعيدًا عن ذهنه.

يسمى *التحوُّل*، هكذا قال جالي.

لم يكن الجو باردًا، لكن توماس شعر بنفسه يرتجف مرة أخرى.

الفصل الرابع

جلس توماس متكئًا على الشجرة في انتظار تشاك. أخذ ينظر إلى هذا المكان من حوله الذي يُدعى الجلايد. هذا المكان الجديد المليء بالكوابيس الذي بدا أنه قد قُدِّرَ له العيش فيه. كانت ظلال الجدران قد امتدت بشكل ملحوظ، وأصبحت الآن تزحف على جوانب الجدران الحجرية المغطاة باللبلاب على الجانب الآخر.

على الأقل ساعده ذلك في معرفة الاتجاهات... كان المبنى الخشبي قابعًا في الزاوية الشمالية الغربية عالقًا في رقعة مظلمة من الظل، فيما كانت غَيْضَة الأشجار تقع في الجنوب الغربي، أما منطقة المزارع -حيث كان ما يزال عدد قليل من العمال يشقون طريقهم بحذر شديد بين الحقول- فكانت تمتد عبر الربع الشمالي الشرقي بأكمله من الجلايد، وكانت الحيوانات في الزاوية الجنوبية الشرقية، تصدر خوارًا ونعيقًا وعواءً.

وفي وسط الساحة بالضبط كان الصندوق ما يزال مفتوحًا، وكأنه يدعوه إلى القفز فيه مرة أخرى والعودة للمنزل. وبالقرب من الصندوق، ربما على بُعد نحو قدم صوب الجنوب، كان هناك مبنى منخفض مصنوع من كتل خرسانية خشنة، بلا أي نوافذ، له مدخل وحيد عبارة عن باب حديدي ينذر بالخطر. كان هناك مقبض دائري كبير يشبه عجلة القيادة الفولاذية بدا أنه هو الطريقة الوحيدة لفتح الباب، تمامًا كما هو الحال في داخل الغواصات. وعلى الرغم من المشهد المروع الذي رآه توماس منذ قليل، لم يكن يعرف أي الشعورين هو الذي يسيطر عليه بصورة أقوى؛ الفضول لمعرفة ما وراء الباب، أم الخوف مما قد يكتشفه.

كان توماس قد حوَّل انتباهه للتو إلى الفتحات الأربع الضخمة في منتصف الجدران الرئيسية للجلايد عندما وصل تشاك حاملًا معه زوجين من الشطائر، بالإضافة إلى تفاح وكوبين معدنيين مملوءين بالماء. غمره شعور مفاجئ بالارتياح، فهو لم يكن وحيدًا تمامًا في هذا المكان على الرغم من كل شيء.

قال تشاك وهو جالس بجوار الشجرة ممسكًا بشطيرة وأشار إلى توماس ليفعل الشيء نفسه:

- لم يكن السيد طاسة في غاية سعادته باقتحامي لمطبخه قبل وقت العشاء.

أمسك توماس بالشطيرة، لكنه تردد في قضمها، فقد عاد المشهد الوحشي الذي رآه في العُشَّة ينبثق في ذهنه من جديد، ومع ذلك سرعان ما غلبه جوعه وأخذ قضمة كبيرة. ملأ المذاق الرائع للحم الخنزير والجبن والمايونيز فمه.

تمتم توماس وفمه ممتلئ بالطعام:

- آه يا رجل، كنت أتضوَّر جوعًا.

فقال تشاك وهو يقضم من شطيرته:

- قلتُ لك.

وبعد قضمتين أخريين سأل توماس أخيرًا السؤال الذي كان يؤرقه. قال:

- ما خطب ذلك الفتى المدعو بِن حقًّا؟ إن مظهره لم يعد حتى يبدو بشريًّا.

ألقى تشاك نظرة على المنزل ثم تمتم وهو شارد الذهن قائلًا:

- لا أعرف حقًّا. إنني لم أره.

عرف توماس أن الفتى لم يكن صادقًا، لكنه قرر ألا يضغط عليه. قال:

- حسنًا، من الأفضل ألا تراه، صدقني.

ثم تابع تناول طعامه وأخذ يراقب الفتحات الموجودة في الجدران وهو يمضغ التفاح. وعلى الرغم من أنه من العسير ملاحظة ذلك من مكان جلوسه، فإنه لاحظ وجود شيء غريب حول الحواف الحجرية للمخارج المؤدية إلى الممرات الخارجية. انتابه شعور غير مريح بالدوار عند النظر إلى الجدران الشاهقة وكأنه كان يلوح فوقها وليس جالسًا عند سفحها. ثم سأل أخيرًا وكسر حاجز الصمت قائلًا:

- ماذا يوجد خلف تلك الجدران؟ أهي جزء من قلعة عملاقة أم ماذا؟

تردد تشاك وبدا منزعجًا وقال:

- اممم، لم يسبق لي الخروج من الجلايد قط.

صمت توماس لبرهة، ثم أجاب أخيرًا وهو ينهي تناول آخر قضمة ويأخذ رشفة كبيرة من الماء:

- أنت تخفي شيئًا ما.

كان الإحباط من عدم الحصول على إجابات من أي أحد قد بدأ يثير أعصابه، وما زاد الأمر سوءًا هو التفكير في أنه حتى لو حصل على إجابات فلن يعرف ما إذا كانوا يقولون الحقيقة أم لا.

- لماذا هذا التكتم الشديد يا رفاق؟

- هذا هو ما عليه الحال. إن الأمور تنطوي على قدر كبير من الغرابة هنا، ومعظمنا لا يعرف الحقيقة كاملة، ولا نصف الحقيقة حتى.

انزعج توماس لأن تشاك لم يبدُ مهتمًّا بما قاله للتو، ولأنه بدا غير مبالٍ بأن حياته قد سُلِبت منه. ما خطب هؤلاء الناس؟ وقف توماس على قدميه وبدأ يمشي باتجاه الفتحة الشرقية.

- حسنًا، لم يقل أحد إنني لا أستطيع أن ألقي نظرة.

كان بحاجة إلى أن يفهم شيئًا ما وإلا سيفقد عقله.

صاح تشاك لاهثًا وهو يركض للحاق به:

- مهلًا، انتظر! كن حذرًا، إنها على وشك أن تُغلَق.

قال توماس:

- تُغلَق؟ عمَّ تتحدث؟

- الأبواب، أيها العرقوب.

- أبواب؟ لا أرى أي أبواب.

شعر توماس أن تشاك كان جادًّا ولم يكن يختلق الأمور فحسب، وأن ثمة شيئًا واضحًا يغفل عنه. بدا مرتبكًا بعض الشيء وأدرك أنه قد أبطأ من سرعته، وأنه لم يعد متلهفًا للوصول إلى الجدران كما كان منذ لحظات.

قال تشاك مشيرًا إلى الفجوات الشاهقة الموجودة في الجدران والتي كانت على بعد ثلاثين قدمًا منهما فقط:

- ماذا تسمي تلك الفتحات الكبيرة؟

قال توماس محاولًا إخفاء شعوره بالقلق وعدم الارتياح عن طريق السخرية:

- أُسميهم فتحات كبيرة!

ولكن خاب أمله ولم ينجح.

- حسنًا، إنها أبواب، وهي تُغلَق كل ليلة.

توقف توماس معتقدًا أن تشاك قد قال شيئًا خاطئًا. نظر إلى الأعلى، وإلى كلا الجانبين متفحصًا الألواح الحجرية العملاقة إذ تحوَّل إحساسه بالقلق وعدم الارتياح إلى رعب تام.

- ماذا الذي تعنيه بــأنها تُغلَق؟

- فقط انتظر دقيقة واحدة وسترى بأم عينيك، سيعود العداؤون قريبًا، ثم ستتحرك تلك الجدران الكبيرة حتى تُغلَق هذه الفجوات.

تمتم توماس قائلًا:

- أنت مخبول.

فلم يكن قادرًا على استيعاب كيف من الممكن لجدران عملاقة أن تتحرك. كان واثقًا تمامًا أن ذلك لا يمكن أن يكون صحيحًا، فهدأ معتقدًا أن تشاك يحاول خداعه فحسب.

وعندما وصلا إلى الفجوة العملاقة التي تؤدي إلى ممرات حجرية أخرى في الخارج، فَغَرَ فاه، وتوقف عقله عن التفكير وهو يحدق إلى كل هذا من كثب.

قال تشاك كما لو كان يكشف بفخر عن عمل فني قد صنعه بنفسه:

- هذا يسمى الباب الشرقي.

بالكاد سمعه توماس، إذ كان مصدومًا بمدى كبر حجمها عن قرب. كانت تلك الفجوة في الجدار يبلغ عرضها نحو عشرين قدمًا على الأقل، وتمتد إلى ارتفاع عالٍ جدًّا. تحد الفتحة الضخمة حواف مصقولة، باستثناء وجود نمط غريب مكرَّر على كلا الجانبين. على الجانب الأيسر من البوابة الشرقية توجد ثقوب يبلغ قطرها عدة بوصات ومتباعدة بعضها عن بعض بمقدار قدم واحدة، بداية من القرب من سطح الأرض وتستمر وصولًا إلى الأعلى. أما على الجانب الأيمن من البوابة فبرزت من حافة الجدار قضبان طولها نحو قدم، ويبلغ قطرها هي الأخرى عدة بوصات، وتنتشر بنفس نمط الثقوب المقابلة لها على الجانب الآخر. كان الغرض منها واضحًا.

سأله توماس وقد عاد الخوف يكبل شجاعته:

- أتمازحني؟ ألم تكن تعبث معي؟ هل تتحرك الجدران حقًا؟

- وما الذي قد يعنيه كلامي غير هذا؟

كان توماس يواجه صعوبة في إقناع نفسه بهذا الاحتمال.

- لا أعرف. تصورت أن هناك بابًا متأرجحًا أو سورًا صغيرًا ينزلق خارجًا من هذا الجدار الكبير. كيف لهذه الجدران أن تتحرك؟ إنها في غاية الضخامة، وتبدو وكأنها ثابتة في مكانها هنا منذ ألف سنة.

كانت فكرة أن تلك الجدران تُغلَق وأنه سيكون محاصَرًا في هذا المكان الذي يسمونه الجلايد مروعة بكل تأكيد.

رفع تشاك ذراعيه إلى الأعلى وقد بدا عليه الإحباط بشكل واضح وقال:

- لا أعلم، إنها تتحرك فحسب. ويمكنني أن أخبرك بأنها تُحدث صوت صرير جهنمي عندما تتحرك، إنها ضوضاء رهيبة لا يمكن احتمالها. ويحدث الشيء نفسه داخل المتاهة؛ تتحرك الجدران كل ليلة أيضًا.

التفت توماس -الذي قد انتبه فجأة إلى التفصيلة الجديدة- إلى الفتى الأصغر وقال:

- ما الذي قلته للتو؟

- هاه؟

- لقد وصفتها للتو بكونها متاهة، قلت إن الشيء نفسه يحدث داخل المتاهة.

احمر وجه تشاك وقال:

- لقد سئمتُ منك. لقد نلت كفايتي.

ثم مشى عائدًا نحو الشجرة التي غادراها للتو. تجاهله توماس تمامًا، إذ كان مهتمًا أكثر من أي وقت مضى بالجزء الخارجي من الجلايد. متاهة؟ أمامه مباشرة، من خلال الباب الشرقي يمكنه رؤية ممرات تؤدي إلى اليسار وأخرى تؤدي إلى اليمين وإلى الأمام مباشرة.

كانت جدران الممرات شبيهة بتلك المحيطة بالجلايد، والأرضية مصنوعة من نفس الكتل الحجرية كما في الساحة. بدا اللبلاب أكثف هناك. وعلى بعد مسافة، كانت هناك المزيد من الفتحات التي تؤدي إلى مسارات أخرى. وفي العمق، على بعد مائة ياردة أو نحو ذلك، وصل الممر المستقيم إلى نهاية مسدودة.

همس توماس وهو بالكاد يضحك في قرارة نفسه:

- تبدو وكأنها متاهة حقًا!

كما لو كان يستحيل للأمور أن تصبح أكثر غرابة. لقد محوا ذاكرته ووضعوه داخل متاهة عملاقة. كان كل شيء جنونيًا لدرجة أنه بدا مضحكًا بحق.

كاد قلبه يقفز من مكانه عندما ظهر فتى فجأة عند زاوية أمامية، خارجًا من أحد الممرات الجانبية يمينًا إلى الممر الرئيسي يركض نحوه ونحو الجلايد. كان مغطى بالعرق، أحمر الوجه، وملابسه مبللة وملتصقة بجسده. لم يتباطأ الفتى، وبالكاد لمح توماس عندما مرَّ بجانبه. توجه مباشرة إلى المبنى الخرساني المنخفض الواقع بالقرب من الصندوق. استدار توماس عند مروره وثبَّت عينيه على العدَّاء المُنهَك غير متأكد من سبب تفاجئه الكبير بهذا الحدث الجديد. لماذا لا يخرج هؤلاء الناس لتفتيش هذه المتاهة؟ ثم أدرك أنه كان هناك عداؤون آخرون يدخلون إلى الجلايد من خلال الفتحات الثلاث الأخرى. جميعهم يركضون ويبدون منهَكين تمامًا كالفتى الذي مرَّ بسرعة بجانبه منذ قليل. من المؤكد أن المتاهة ليست بالمكان اللطيف بما أن هؤلاء الفتيان قد عادوا منها وهم منهكون إلى هذا الحد.

أخذ يراقبهم بفضول وهم يجتمعون عند الباب الحديدي الكبير للمبنى الصغير، حيث أدار أحد الفتيان المقبض الدائري الصدئ وهو يزعَق مجهَدًا. كان تشاك قد ذكر شيئًا بشأن العدائين في وقت سابق. ماذا كانوا يفعلون بالخارج هناك؟ فُتِحَ الباب الكبير أخيرًا، وبصوت صرير معدني يصم الآذان فتحه الأولاد على مصراعيه، ثم اندفعوا إلى الداخل وأغلقوه خلفهم. وقف توماس محدقًا بينما كان عقله يخَضخَضُ في داخل رأسه محاولًا التوصل إلى أي تفسير ممكن لما شاهده للتو. لم يستطع التوصل إلى شيء، ولكن شيئًا ما حيال ذلك المبنى القديم المخيف أصابه بقشعريرة، قشعريرة مزعجة ومثيرة للقلق.

شدَّ شخصٌ كُمَّه وقطع أفكاره، وإذا به تشاك قد عاد. وقبل أن تُتاح لتوماس فرصة للتفكير، انهمر من فمه سيل من الأسئلة.

- من هم هؤلاء الفتيان وماذا كانوا يفعلون؟ ماذا يوجد داخل هذا المبنى؟

ثم استدار وأشار إلى البوابة الشرقية وأردف:

- ولماذا تعيشون داخل متاهة لعينة؟

كان في حيرة شديدة، شعر بأن رأسه يكاد ينفلق من شدة الألم.

أجابه تشاك بنبرة سلطوية غريبة:

- لن أتفوه بكلمة أخرى. أعتقد أنه من الأفضل أن تذهب إلى النوم مبكرًا؛ أنت بحاجة إلى النوم من أجل الغد.

ثم سكت لبرهة ورفع إصبعًا ووخز أذنه اليمنى وأردف قائلًا:

- آه، إنه على وشك الحدوث.

سأل توماس وقد أثار استغرابه أن يتصرف تشاك فجأة مثل الكبار بعدما كان يتصرف كطفل صغير يحاول يائسًا أن يكسب صديقًا جديدًا قبل لحظات فقط:

- ماذا؟

وإذا بصوت مدوٍّ ينتشر في الهواء جعل توماس يقفز فزعًا، وتبعه صوت صرير فظيع. أخذ توماس يتراجع للوراء حتى تعثر وسقط على الأرض. شعر وكأن الأرض كلها تهتز من تحته. نظر حوله مذعورًا. كانت الجدران تُغلَق، كانت تغلق أبوابها بالفعل... محاصِرَة إياه داخل الجلايد. انتابه شعور قوي خانق برهاب الاحتجاز، شعر برئتيه تنضغطان، كما لو كان الماء يملأ تجويفَيهما.

صاح تشاك في وسط الضوضاء قائلًا:

- اهدأ أيها العود الأخضر، إنها الجدران فحسب!

بالكاد سمعه توماس، فقد كان مأسورًا تمامًا، ومذعورًا للغاية من فكرة إغلاق الأبواب. نهض على قدميه سريعًا وهو يرتجف وتراجع بضع خطوات للوراء ليتمكن من الرؤية بشكل أفضل. وجد صعوبة في تصديق ما تراه عيناه.

بدا أن الجدار الحجري الهائل الموجود على يمينهما يتحدى كل قوانين الفيزياء المعروفة، إذ كان ينزلق على الأرض محدِثًا شررًا وسحابة من الغبار في أثناء حركته. صخر يجرش صخرًا. هزَّ صوت الصرير عِظامه. أدرك توماس أن هذا الجدار كان وحده الذي يتحرك، متجهًا نحو جاره على اليسار، استعدادًا للإغلاق، وقضبانه الناتئة على وشك أن تنزلق داخل الثقوب المحفورة في الجهة المقابلة. أخذ يدور وينظر حوله إلى الفتحات الأخرى، شعر أن رأسه يدور أسرع من جسده، وانقلبت معدته بسبب الدوار. في جميع الجهات الأربع من الجلايد، كانت الجدران الموجودة على الناحية اليمنى هي وحدها التي تتحرك، متجهة نحو اليسار، لتغلق فجوات الأبواب.

قال في نفسه: *مستحيل. كيف لهذا أن يحدث؟*

لقد حارب رغبته في الركض إلى هناك والانسلال عبر الألواح الصخرية المتحركة قبل أن تغلق، والفرار من الجلايد، وقد فاز الحس المنطقي السليم، فالمتاهة تنطوي على قدر من الأمور المجهولة أكبر بكثير مما ينطوي عليه وضعه بالداخل. حاول أن يتخيل في عقله هيكل العمل لكل ذلك. جدران حجرية ضخمة، يصل ارتفاعها لمئات الأقدام، تتحرك كالأبواب الزجاجية المنزلقة... ومضت صورة من حياته السابقة بين أفكاره، حاول أن يتبيَّنها، أن يبقيَها قليلًا، حاول أن يكمل الصورة بوجوه وأسماء ومعالم المكان، ولكنها تلاشت فورًا في الظلام، وسالت مرارة الحزن فوق بقية مشاعره المضطربة.

راقب الجدار الأيمن وهو يصل إلى نهاية مساره، حيث عثرت قضبان التوصيل على هدفها ودخلت في الثقوب المقابلة لها بسلاسة. تردد دَويٌّ مجلجل عبر الجلايد حين أُغلِقَت الأبواب الأربعة. شعر توماس بلحظة أخيرة من الخوف، وسرت نوبة سريعة من الذعر في جسده ثم اختفت، ثم هدَّأ أعصابه شعورٌ مفاجئ بالسكون. تنهد تنهيدة طويلة وقال وقد شعر أن لسانه قد انعقد بعدما أدرك مدى استخفافه الهائل بالأمر:

- واو!

- إنه شيء عادي، ستعتاد ذلك بعد فترة.

نظر توماس حوله مرة أخرى، بات شعوره بالمكان مختلفًا تمامًا الآن بعد أن أُغلِقَت الأبواب وأصبحت الجدران جميعها مصمتة بلا مخرج. حاول أن يتخيل الغرض من شيء كهذا، ولم يكن يعرف أي التخمينين هو الأسوأ: أنهم محتجَزون هنا في الداخل، أم أن وجودهم هنا هو حماية لهم من شيء ما بالخارج. تسببت أفكاره في إنهاء لحظات سكينته القصيرة، وأثارت في ذهنه ملايين من الفرضيات حول ما قد يكمن في المتاهة بالخارج، وجميعها كانت مرعبة، فتملكه الخوف مرة أخرى.

قال تشاك وهو يشد كُمَّ توماس للمرة ثانية:

- ثق بي، عندما يخيم الليل، من الأفضل أن تكون في مكان نومك.

عرِفَ توماس أنه لم يكن يملك خيارًا آخر، وبَذَلَ قصارى جهده من أجل كبح كل ما كان يشعر به وتبع رفيقه.

الفصل الخامس

انتهى بهما المطاف بالقرب من الجزء الخلفي من بيت المزرعة... هكذا سمى تشاك ذلك الهيكل الخشبي المائل ذا النوافذ عندما كانا يمشيان في بقعة مظلمة بين البناء والجدار الحجري الواقع خلفه.

سأل توماس قائلًا:

- إلى أين نحن ذاهبان؟

كان ما يزال يشعر بثقل لرؤية تلك الجدران عن قرب، ما يزال يفكر في المتاهة، وما يزال مرتبكًا وخائفًا. أخبر نفسه بأنه يجب أن يتوقف عن التفكير وإلا فسيصاب بالجنون. وفي محاولة ضعيفة منه لأن يبدو طبيعيًّا، حاول دون نجاح إلقاء مزحة قائلًا:

- إن كنت تتطلع إلى قبلة ما قبل النوم، فانسَ الأمر.

لم يتوانَ تشاك وقال:

- اخرس فحسب، وابقَ على مقربة مني.

تنهد توماس بعمق وهز كتفيه متجاهلًا ما حدث وتبع الفتى الأصغر على طول الجزء الخلفي من البناء. مشيا على أطراف أصابعهما حتى وصلا إلى نافذة صغيرة متربة خرج منها شعاع خافت من الضوء أضاء بقعة من الجدار الحجري المغطى باللبلاب. سمع توماس شخصًا يتحرك في الداخل.

همس تشاك قائلًا:

- إنه الحمَّام.

أحس توماس بشيء من الريبة وقال:

- إذن؟

- أحبُّ فعل هذا بالآخرين. هذه هي متعتي الصغيرة قبل النوم.

- فِعل ماذا؟

شيء ما جعل توماس يشعر أن نيات تشاك لم تكن جيدة.

- ربما ينبغي لي أن...

- فقط أغلِق فمك وراقب.

صعد تشاك بهدوء على صندوق خشبي كبير موضوع أسفل النافذة مباشرة، وجثم خافضًا رأسه لكيلا يراه الشخص الموجود بالداخل، ثم مدَّ يده ونقر بخفة على الزجاج.

همس توماس قائلًا:

- هذا سخف.

لم يكن من الممكن أن يكون هناك وقت أسوأ من هذا للمزاح، فقد يكون نيوت أو آلبي بالداخل.

- لا أريد أن أتورط في المشكلات، لقد وصلت للتو إلى هنا!

كتم تشاك ضحكته بوضع يده على فمه متجاهلًا توماس، ومد يده ونقر النافذة ثانيةً. عبر ظلٌ أمام الضوء ثم فُتِحَت النافذة. سارع توماس من أجل الاختباء، وألصقَ جسده على الجزء الخلفي من المبنى بأقصى ما استطاع. لم يستطع تصديق أنه قد تم إقحامه في عمل مَقلب كهذا لشخص ما. كانت زاوية الرؤية من النافذة تحميه في تلك اللحظة، ولكنه كان يعلم أنه إذا أخرج الشخص الموجود في الداخل رأسه لإلقاء نظرة أفضل فسيكشف أمره هو وتشاك.

صاح الفتى من داخل الحمَّام بصوت مبحوح ومليء بالغضب:

- من هناك!

حبس توماس أنفاسه عندما أدرك أن هذا الصوت هو صوت جالي... كان يعرف هذا الصوت مسبقًا، ودون سابق إنذار، رفع تشاك رأسه فجأة نحو النافذة وصرخ بأعلى صوته، وكشف صوت ارتطام قوي في الداخل أن الحيلة قد نجحت، وسيل الشتائم الذي أعقب ذلك أوضح أن جالي لم يكن سعيدًا جدًّا بما حدث. شعر توماس بمزيج غريب من الرعب والإحراج.

صرخ جالي قائلًا:

- سأقتلك أيها المقشور!

لكن تشاك كان قد قفز بالفعل من فوق الصندوق وركض باتجاه ساحة الجلايد. تجمد توماس في مكانه عندما سمع جالي يفتح الباب من الداخل ويخرج من الحمَّام، ولكنه سرعان ما تحرر أخيرًا من خدْرَته وهرع قبالة صديقه الجديد... والوحيد.

كان قد انعطف للتو من الزاوية عندما خرج جالي من بيت المزرعة يصرخ وكأنه وحش بري طليق.

أشارَ إلى توماس على الفور وصاح قائلًا:

- تعال إلى هنا!

غرق قلب توماس في حالة من الاستسلام. بدا أن كل شيء يشير إلى أنه سيحصل على لكمة في وجهه.

قال:

- لست أنا، أقسم لك.

وبعد ذلك، أخذ يشاهد الفتى وهو يقترب وأدرك أنه يجب ألا يرتعب إلى هذا الحد، فلم يكن جالي ضخمًا للدرجة... في الواقع، كان من الممكن لتوماس أن يتغلب عليه إذا اضطر إلى ذلك.

تحرك جالي نحو توماس بخطوات بطيئة حتى توقف أمامه مباشرة وهو يزمجر قائلًا:

- لم تكن أنت، أليس كذلك؟ إذن كيف تعرف أن ثمة شيئًا قد حدث؟!

لم يقل توماس أي شيء. من المؤكد أنه كان مرتبكًا ولكنه لم يكن خائفًا كما كان قبل لحظات قليلة.

قال جالي في انفعال:

- أنا لست غبيًّا أيها العود الأخضر، لقد رأيت وجه تشاك السمين من النافذة.

ثم أشار إلى توماس مرة أخرى، هذه المرة إلى صدره مباشرة، وأردف قائلًا:

- ولكن من الأفضل أن تقرر بسرعة مَن تريده صديقًا ومَن ستتخذه عدوًا. أتسمعني؟ خدعة أخرى كهذه -لا يهمني إن كانت فكرتك بالأساس أم لا- وسوف تُراق دماء. هل فهمت هذا أيها الوافد الجديد؟

وقبل أن يتمكن توماس من الرد، كان جالي قد استدار بالفعل لكي ينصرف. أراد توماس إنهاء هذا الموقف فحسب، فهمس قائلًا:

- آسف.

وقد جفل عندما أدرك مدى غباء ذلك.

أضاف جالي دون أن يلتفت إلى توماس:

- أنا أعرفك. لقد رأيتك خلال التحوُّل، وسأكتشف من أنت.

أخذ توماس يراقب ذلك البلطجي وهو يدخل إلى بيت المزرعة مرة أخرى. على الرغم من أنه لم يكن يذكر الكثير، فإن شيئًا ما أخبره بأنه لم يكره في حياته

شخصًا إلى هذا الحد. لقد فوجئ بمدى كرهه لهذا الشاب فعلًا. لقد كرهه بحق. ولما التفت رأى تشاك يقف هناك محدقًا إلى الأرض وقد بدا عليه الإحراج بشكل واضح.

- شكرًا جزيلًا لك يا صديقي.

- آسف، لو كنت أعلم أنه جالي، لم أكن لأفعل هذا قط، أقسم لك.

تفاجأ توماس بسماع نفسه يضحك، فقبل ساعة واحدة كان يعتقد أنه لن يسمع مثل هذا الصوت يخرج من فمه مرة أخرى. حدَّقَ تشاك إلى وجه توماس بريبة ثم تسللت إلى وجهه ابتسامة وجلة وقال:

- ماذا؟

هز توماس رأسه وأجاب قائلًا:

- لا تتأسف، فذلك العرقوب الـــ... قد استحق ما حدث له، ولا أعرف حتى ما هو العرقوب، ولكن ما حدث كان رائعًا.

لقد شعر بتحسن كبير.

***

وبعد ساعتين، كان توماس مستلقيًا داخل كيس نوم طري بجوار تشاك فوق بقعة من العشب بالقرب من البساتين. كان مرجًا واسعًا لم يلاحظ وجوده من قبل، وقد اختاره عددٌ غير قليل من الفتيان ليكون مكانًا للنوم. وجد توماس الأمر غريبًا، ولكن على ما يبدو لم يكن هناك ما يكفي من المساحة داخل بيت المزرعة. كان الجو دافئًا على الأقل، مما جعله يتساءل للمرة المليون أين هم. عانى عقله في محاولة تذكر أسماء الأماكن، أو تذكر البلدان، أو الحكام، أو كيف كان يتم تنظيم العالَم. ولم يكن لأي أحد من الفتيان بالجلايد أي فكرة عن تلك الأشياء أيضًا، أو -على الأقل- لم يكونوا يفصِحون عما إذا كانوا يعرفون شيئًا. ظل صامتًا لوقت طويل، كان ينظر إلى النجوم ويستمع إلى الهمهمات الخافتة للمحادثات المختلفة من حوله. بدا النوم وكأنه على بعد أميال، ولم يستطع التخلص من اليأس والسوداوية اللذَين أخذا يتدفقان عبر جسده وعقله، فقد تلاشى أثر لحظة المرح العابرة التي أحدثتها حيلة تشاك على جالي منذ فترة طويلة. لقد كان يومًا طويلًا وشديد الغرابة.

تذكر الكثير من صغائر الأمور عن الحياة: الطعام، الملابس، الدراسة، اللعب، صور عامة لشكل الحياة في العالم. ولكن أي تفاصيل من شأنها أن تُكمِّل الصورة وتخلق ذكرى حقيقية وكاملة قد تم محوها بطريقة ما. كان الأمر أشبه بالنظر إلى صورة من خلال المياه الموحلة. ربما شعر من صميم قلبه أنه... حزين، حزين أكثر من أي شيء آخر.

قاطع تشاك أفكاره قائلًا:

- حسنًا أيها العود الأخضر، لقد نجحت في النجاة من يومك الأول هنا.

- بالكاد فعلتُ.

أراد أن يقول: *ليس الآن يا تشاك فأنا لست في مزاج رائق.*

اتكأ تشاك على مرفقه ونظر إلى توماس وقال:

- ستتعلم الكثير من الأمور في الأيام القليلة القادمة، وستبدأ في التعود على الأشياء. حلو الكلام؟

- اممم، أجل، حلو الكلام، على ما أظن. ولكن بالمناسبة، من أين تلك الكلمات والعبارات الغريبة؟

كانت تبدو وكأنها مأخوذة من لغة أخرى وتم دمجها مع لغتهم.

استلقى تشاك على ظهره وأجاب قائلًا:

- لا أعرف... لم يمضِ سوى شهر واحد على وجودي هنا. ألا تذكر؟

تساءل توماس ما إذا كان تشاك يعرف أكثر مما أفصح عنه. لقد كان فتًى غريب الأطوار وخفيف الظل وبدا بريئًا، ولكن هل يمكن الوثوق به؟ من يعلم، فقد كان غامضًا حقًا مثل كل شيء آخر في الجلايد.

مرَّت بضع دقائق، وشعر توماس أن تعب هذا اليوم الطويل قد حلَّ عليه أخيرًا، وبدأ النوم يغلبه. ولكن طرأت فكرة في رأسه فجأة، فكرة لم يكن يتوقعها، ولم يكن يعرف من أين أتت بالضبط.

فجأة، بدا كل شيء في الجلايد، والجدران، والمتاهة... مألوفًا، مريحًا. ساد شعور دافئ من الهدوء في صدره، وللمرة الأولى منذ أن وجد نفسه هناك، لم يراوده شعور بأن الجلايد هو أسوأ مكان في الكون. هدأ، وفُتِحَت عيناه عن آخرهما، وتوقفت أنفاسه للحظة طويلة. قال لنفسه: *ما الذي حدث للتو؟ ما الذي تغير؟* ولسخرية الأمر، شعوره بأن كل شيء سيكون على ما يرام جعله يشعر بأنه غير مرتاح بعض الشيء. لم يكن يعرف تمامًا كيف حدث هذا، ولكنه عرف بطريقة ما، ما الذي يجب عليه فعله. لم يستوعب. كان هذا الشعور -الأشبه بالوحي- غريبًا ومألوفًا في الوقت نفسه، ولكنه كان على يقين من أن هذا الشعور... لم يكن خاطئًا.

قال بصوت عالٍ غير مدركٍ أن تشاك كان ما يزال مستيقظًا:

- أريد أن أكون أحد هؤلاء الفتيان الذين يخرجون إلى هناك... إلى داخل المتاهة.

ردَّ تشاك بنبرة تنم عن الامتعاض:

- هه؟

فألحَّ توماس قائلًا:

- العداؤون، أيًّا كان ما يفعلونه هناك، أريد الانضمام إليهم.

تذمر تشاك قائلًا وهو ينقلب على جانبه لينام:

- إنك لا تعرف حتى ما الذي تتحدث عنه، اخلد إلى النوم.

شعر توماس أنه كان واثقًا للغاية مما يقوله، على الرغم من أنه لم يكن يعرف حقًّا ما الذي يتحدث عنه.

- أريد أن أصبح عَدَّاءً.

التفت إليه تشاك ونهض مستندًا إلى مرفقه وقال:

- انسَ ذلك الآن.

فوجئ توماس برد فعل تشاك ولكنه تابع قائلًا:

- لا تحاول أن...

- توماس، صديقي، الوافد الجديد... انس الأمر.

- سأقول لآلبي غدًا.

قال توماس في قرارة نفسه: *عدَّاءً! لا أعرفُ حتى ما الذي يعنيه ذلك. هل جننتُ تمامًا؟*

استلقى تشاك وقال ضاحكًا:

- إنك لقطعة من الرَّطْم. اخلد للنوم.

لكن توماس لم يستطع التوقف عن الكلام:

- ثمة شيء ما هناك في الخارج... يبدو مألوفًا.

- اخلد... إلى... النوم.

ثم شعر توماس فجأة وكأن ثمة وحيًا قد أُنزِل عليه، وكأنه يرى قطعًا من أحجية يتم تجميعها وتركيبها أمام عينيه. لم يكن يعرف بعد ماذا ستكون عليه الصورة النهائية، ولكنه شعر وكأن شخصًا ما كان يملي عليه كلماته التالية:

- تشاك، أنا... أعتقد أنني كنت هنا من قبل.

سمع صديقه يشهق ويهم بالجلوس، ولكن توماس انقلب على جانبه ورفض أن ينطق بأي كلمة أخرى، خوفًا من أن يفسد هذا الشعور الجديد بالتشجيع الذي أصابه، ويقضي على الهدوء المطمئن الذي ملأ قلبه، وراح في النوم بسهولة أكبر بكثير مما كان يتوقع.

الفصل السادس

هزَّ أحدهم توماس ليوقظه. فتح عينيه ليرى وجهًا يحدق إليه عن قرب شديد. كل شيء حولهم كان ما يزال تحجبه ظلمة الفجر. وما إن فتح فمه للتحدث حتى أطبقت يد باردة على فمه وأغلقته. استولى عليه الذعر حتى استطاع أن يرى من هو.

- صه، اصمت أيها العود الأخضر، لا نريد أن نوقظ تشاكي، أليس كذلك؟

لقد كان نيوت، والذي بدا وكأنه الفتى الثاني في القيادة، وكانت تفوح من أنفاسه الصباحية رائحة كريهة.

تفاجأ توماس إلا أن قلقه تلاشى على الفور. لم يستطع إلا أن يشعر بالفضول وأن يتساءل عما يريده هذا الفتى منه. أومأ توماس برأسه باذلًا قصارى جهده ليقول نعم بعينيه، حتى سحبه نيوت من يده وهو يهمس قائلًا:

- تعالَ أيها العود الأخضر. عليَّ أن أريك شيئًا ما قبل أن يستيقظ الجميع.

لقد كان قويًا للغاية حتى إن توماس شعر وكأنه سيقتلع ذراعه. كان النوم قد راح من عينيه، فأجابه وهو على أتم استعداد لاتباعه حيثما يشاء:

- حسنًا.

كان يعلم أنه يجب أن يحترس منه وأن يشكَّ في أمره، فليس لديه سبب للوثوق بأي شخص حتى الآن، ولكن الفضول انتصر. نهض بسرعة وانتعل حذاءه وقال:

- إلى أين نحن ذاهبان؟

- اتبعني فحسب، وابقَ على مقربة مني.

شقَّا طريقهما متسللَين من بين أجساد الفتيان النائمين المتناثرة. كاد توماس أن يتعثر عدة مرات، ودعس يد أحدهم فتلقى منه في المقابل صرخة ألم حادة ولكمة في الساق.

همس قائلًا وقد تجاهل النظرة المقيتة التي رمقه نيوت بها:

- آسف.

وبمجرد مغادرتهما للمرج العشبي ووطء أقدامهما للكتل الحجرية المكوِّنة لأرضية الساحة، حتى اندفع نيوت ركضًا نحو الجدار الغربي. تردد توماس في البداية في أن يحذو حذوه، متسائلًا عن السبب الذي جعله يركض، ولكنه تخلص من تردده بسرعة وركض خلفه من أجل اللحاق به. وعلى الرغم من أن الضوء كان خافتًا، فإن كل العوائق التي واجهته كانت تلوح في الأفق كظلال داكنة، فتمكن من شق طريقه بسرعة. وأخيرًا، توقف عندما توقف نيوت، بجوار الجدار الضخم ذي الارتفاع الشاهق كناطحة السحاب... وبدا ذلك المشهد كصورة عشوائية أخرى طفت على سطح البركة الموحلة لذاكرته الممحوَّة. لاحظ توماس وجود أضواء حمراء صغيرة تومض هنا وهناك على طول واجهة الجدار، تنير وتنطفئ وتتحرك من مكان لآخر.

همس توماس بأعلى صوت تجرأ على إصداره:

- ما هذه؟

وقد تساءل في داخله عما إذا بدا صوته مرتعشًا كما شعر به. بدا الوميض الأحمر المتوهج للأضواء وكأنه يحمل تيارًا خفيًا من التحذير. وقف نيوت على بعد قدمين فقط من ستار نبات اللبلاب السميك الذي يغطي الجدار.

- عندما تكون هناك حاجة لعينة لكي تعرف، ستعرف أيها العود الأخضر.

- حسنًا، إنه لمن الغباء أن تأخذني إلى مكان لا شيء فيه يبدو منطقيًا ولا تجيب عن أي من أسئلتي.

سكت توماس لبرهة متفاجئًا من جرأته، ثم أكمل قائلًا:

- أيها العرقوب.

وقد حاول نطقها بأكبر قدر من السخرية.

انفجر نيوت بالضحك ولكنه توقف بسرعة وقال:

- أنا معجب بك أيها العود الأخضر. والآن، اصمت ودعني أريك شيئًا. تقدم نيوت للأمام وغرس يديه في اللبلاب السميك، مُفَرِّقًا عدة فروع بعيدًا عن الجدار لتكشف عن نافذة مربعة مغطاة بالغبار يبلغ عرضها نحو قدمين. بدَت معتمة في تلك اللحظة كما لو كانت مطلية باللون الأسود.

همس توماس قائلًا:

- ما الذي نبحث عنه؟

- اهدأ قليلًا يا فتى، ستعرف، إنها على وشك أن تأتي.

مرَّت دقيقة، ثم دقيقتان، ثم عدة دقائق. تململ توماس وبدأ يحرك قدميه وهو يتساءل كيف يمكن لنيوت أن يقف هكذا، صبور وهادئ تمامًا وهو يحدق إلى الظلام فقط لا غير.

ثم حدث شيء ما.

شعَّ وميض ضوء غريب ومخيف عبر زجاج النافذة؛ ألقى طيفًا مذبذبًا من الألوان على جسد نيوت ووجهه، كما لو كان يقف بجانب حمام سباحة مضاء. تجمد توماس في مكانه، محدقًا إلى ما يراه، في محاولةٍ لمعرفة ماذا يوجد على الجانب الآخر. شعر وكأن هناك كتلة سميكة تقف في حلقه.

سأل توماس:

- ما هذا؟

همس نيوت وعيناه مذهولتان كما لو كان في حالة من النشوة قائلًا:

- إنها المتاهة الموجودة هناك. إن كل ما نقوم به، وحياتنا بأكملها تتمحور حول تلك المتاهة أيها العود الأخضر، كل ثانية نقضيها في كل يوم لعين هنا نقضيها على شرف المتاهة، نحاول حل لغز لعين لا نعرف حتى ما إذا كان له حل أم لا. أتفهم؟ أريد أن أريك لماذا علينا التعامل مع الأمر بجدية، وأنها ليست بالمكان الذي تود الدخول إليه. سأريك لماذا تغلق جدرانها المزعجة كل ليلة، سأريك لماذا يجب عليك ألا تخطو خطوة إلى داخلها أبدًا.

تراجع نيوت إلى الخلف وهو ما يزال ممسكًا بفروع اللبلاب، وأشار إلى توماس ليأخذ مكانه وينظر عبر النافذة، فانحنى توماس إلى الأمام حتى لامس أنفه السطح الزجاجي البارد. لم يستغرق الأمر إلا ثانية حتى استطاع أن يركز عينيه على الجسم المتحرك الموجود على الجانب الآخر، نظر إلى ما وراء الأوساخ والغبار ليرى ما أراده نيوت أن يراه. ولما فعل، شهق وشعر وكأن رياحًا جليدية قد جمدته في مكانه، فقد رأى مخلوقة ضخمة، بحجم بقرة تقريبًا، ولكن ليس لها شكلًا يميزها، تتلوى غاضبة على أرضية الممر بالخارج. أخذت تتسلق الجدار المقابل ثم قفزت على النافذة الزجاجية الثخينة مصدرة صوت ارتطام عالٍ. اندلعت صرخات توماس قبل أن يتمكن من إيقاف نفسه، ورمى بنفسه بعيدًا عن النافذة، غير أن تلك المخلوقة ارتعدت مبتعدة تاركة الزجاج سليمًا بلا أي كسور. أخذ توماس نَفَسين عميقين وانحنى لينظر عبر

النافذة مرة أخرى. كان الظلام شديدًا مما جعل الرؤية غير واضحة، ولكن تلك الأضواء الغريبة كانت تومض من مصدر غير معروف كاشفة عن بريق معدني لنتوءات فضية وبريق لحم لامع. برزت تلك الأطراف الآلية الخبيثة من جسمها كما الأذرع: نصل منشار، ومجموعة من المقصات، وقضبان طويلة لا يمكن سوى تخمين الغرض منها.

كانت هذه المخلوقة مزيجًا مروِّعًا من حيوان وآلة، وبدت وكأنها أدركت أنها مُراقبة وأنها تعرف ما يكمن داخل جدران الجلايد، وأنها تريد الوصول إلى الداخل لكي تتغذى على اللحم البشري. شعر توماس بالرعب يجتاح صدره ببرودة جليدية، ويتمدد داخله كما يتمدد الورم الخبيث، مما جعله يواجه صعوبة في التقاط أنفاسه. وحتى مع ذاكرته الممحوَّة، كان يشعر أنه على يقين من أنه لم يرَ شيئًا مروِّعًا إلى هذه الدرجة في حياته من قبل.

تراجع خطوة إلى الوراء، وشعر بأن الشجاعة التي انتابته مساء أمس بدأت تذوب بعيدًا. سأل توماس وقد شعر برعشة قوية تسري في أحشائه، حتى إنه شك في أنه سيتمكن من تناول الطعام مرة أخرى:

- ما هذا الشيء؟

أجاب نيوت قائلًا:

- نسميهم الهوام. إنها مقززة أليس كذلك؟ لحسن الحظ أن الهوام لا تخرج إلا في الليل، كن شاكرًا فحسب لوجود تلك الجدران التي تُغلَق في أثناء الليل.

ابتلع توماس ريقه بصعوبة، متسائلًا كيف سيجرؤ على الخروج إلى هناك. تلقت رغبته في أن يصبح عدَّاءً ضربة في مقتل، فقد أدرك أنها مخاطرة كبيرة، لكن كان عليه أن يفعل ذلك. بطريقة ما كان يعلم أنه يجب عليه فعل ذلك. كان من الغريب أن ينتابه هذا الشعور، وبخاصة بعد ما رآه للتو.

نظر نيوت إلى النافذة وقد بدا شارد الذهن، وقال:

- بتَّ تعرف الآن ما يكمن داخل المتاهة من مخلوقات لعينة يا صديقي. بتَّ تعرف الآن أن الأمر لا يتحمل المزاح. لقد تم إرسالك إلى الجلايد أيها العود الأخضر، ونأمل أن تحافظ على حياتك وأن تساعدنا على القيام بما تم إرسالك إلى هنا من أجله.

سأل توماس، على الرغم من أنه كان خائفًا من سماع الإجابة:

- وما هو؟

استدار نيوت لينظر إليه مباشرة في عينيه. وقد تسلل إليهما نور اللحظات الأولى من الفجر، فتمكن توماس من رؤية كل تفاصيل وجه نيوت، ملامحه المتجهمة وجبينه المتغضن.

قال نيوت:

- جِد لنا طريقًا للخروج أيها العود الأخضر، حل هذه المتاهة اللعينة، واعثر لنا على مخرج حتى نعود إلى منازلنا.

***

وبعد مرور ساعتين، أُعيد فتح الأبواب مرة أخرى، واستمرت أصواتها الهادرة المقعقعة، واستمر اهتزاز الأرض حتى فُتِحَت بالكامل. كان توماس جالسًا إلى طاولة نزهة مهترئة ومائلة خارج بيت المزرعة. كل ما كان يشغل ذهنه هي الهوام، ماذا قد يكون الهدف من وجودها، وما الذي تفعله بالخارج في أثناء الليل، وكيف سيكون الحال لو تعرض للهجوم من قِبل تلك المخلوقات الرهيبة.

حاول أن يخرِج صورتها من رأسه وأن يفكر في شيء آخر: العدَّاؤون، لقد غادروا للتو دون أن ينطقوا بأي كلمة لأي شخص، وانطلقوا إلى داخل المتاهة بأقصى سرعة، وما لبثوا أن اختفوا في ممراتها. أخذ يتخيل ما الذي سيفعلونه في الداخل وهو يأكل البيض ويتناول لحم الخنزير المقدد بشوكته، دون أن يتحدث إلى أي أحد، ولا حتى تشاك، الذي كان يأكل في صمت بجانبه، فقد استنفد الفتى المسكين محاولاته في خلق حديث مع توماس، الذي رفض الرد بأي شكل من الأشكال، فكل ما أراده هو أن يبقى بمفرده.

ما يحدث كان أكبر من استيعابه، دماغه مثقل بمحاولة إدراك مدى استحالة الوضع. كيف يمكن لمتاهة كهذه أن تكون بتلك الضخامة، لدرجة ألا يتمكن عشرات الفتيان من حلها والعثور على مخرج بعد كل هذا الوقت؟ كيف يمكن لهيكل كهذا أن يكون موجودًا على سطح الأرض؟ والأهم من ذلك، لماذا؟ ماذا قد يكون الغرض من وجود شيء كهذا؟ وما سبب وجود كل هؤلاء الفتيان هنا؟ ومنذ متى وهم هنا؟

على الرغم من محاولاته أن يتجنب التفكير فيها، فإن ذهنه استمر في العودة إلى التفكير في الهامة ومظهرها المتوحش. شعر وكأن شبح تلك الهامة ينقض عليه في كل مرة يرمش فيها أو يفرك عينيه.

توماس يعرف أنه فتى ذكي، حدسه يخبره بذلك، إلا أنه لم يكن يفهم أي شيء مما يحدث في هذا المكان، لم يبدُ أي شيء معقولًا بالنسبة إليه، باستثناء شيء واحد، أنه من المفترض له أنه يكون عدَّاءً. لماذا كان شعوره قويًّا حيال تلك الفكرة؟ وبخاصة بعد رؤيته لما يكمن داخل المتاهة!

شعر بنقرة على كتفه قطعت أفكاره، فنظر إلى أعلى ليرى آلبي واقفًا خلفه طاويًا ذراعيه.

قال آلبي:

- انظر إلى نفسك، يبدو أنك نمت جيدًا، أليس كذلك؟ هل كان المنظر الذي رأيته عبر النافذة هذا الصباح رائعًا؟

نهض توماس، على أمل أن يكون وقت الإجابة قد حان، أو ربما على أمل أن يصرف انتباهه عن أفكاره السوداوية. قال:

- كان يكفي لجعلي أرغب في معرفة المزيد عن هذا المكان.

كان يأمل ألا يثير تلك الحالة من المزاج السيئ التي رأى عليها آلبي في اليوم السابق.

أومأ آلبي برأسه وقال:

- هيا أيها العرقوب، ستبدأ الجولة الآن.

ثم بدأ في التحرك، لكنه توقف بعد ذلك ورفع إصبعه قائلًا:

- لا تطرح أي أسئلة حتى النهاية، مفهوم؟ فليس لدي وقت للثرثرة معك طوال اليوم.

- ولكن...

قطع توماس كلامه عندما وجد آلبي ينظر إليه رافعًا حاجبيه. لماذا كان يتعامل هذا الفتى بهذا القدر من الفظاظة؟

- ولكن أخبرني بكل شيء؛ أريد معرفة كل شيء.

لقد قرر في الليلة السابقة ألا يخبر أي شخص آخر كيف أن هذا المكان قد بدا مألوفًا بشكل غريب بالنسبة إليه، وأن لديه شعورًا غريبًا بأنه كان في هذا المكان من قبل، وأنه يستطيع تذكر أشياء عنه. بدت مشاركته لتلك الانطباعات فكرة سيئة للغاية.

- سأخبرك بما أريد أن أخبرك به أيها العود الأخضر. هيا لنذهب.

سأل تشاك الذي كان ما يزال جالسًا إلى الطاولة:

- هل بإمكاني أن آتي معكما؟

مدَّ آلبي يده إلى أسفل وقرص أذن الفتى.

صاح تشاك بصوت عالٍ:

- آااه!

سأله آلبي قائلًا:

- أليس لديك عمل للقيام به أيها الأخرق؟ ألا يوجد الكثير من الحثالة تحتاج إلى أن تقوم بتنظيفها؟

نظر تشاك إلى أعلى ثم نظر إلى توماس وقال:

- استمتع بوقتك.

- سأحاول.

شعر فجأة بالأسف على تشاك، وتمنى لو أن البقية يعاملونه بشكل أفضل. لكن لم يكن بيده شيء ليفعله حيال ذلك، فقد كان عليه الذهاب.

مشى بعيدًا مع آلبي، على أمل أن تكون الجولة قد بدأت رسميًا.



الفصل السابع

بدأ الجولة من عند الصندوق، الذي كان مغلقًا في تلك اللحظة... زوج من الأبواب المعدنية، مسطحة على الأرض، مطلية بطلاء أبيض باهت ومتشقق. كان النهار قد سطع إلى حدٍّ كبير، وامتدت الظلال في الاتجاه المعاكس لِما رآه توماس بالأمس. لم يكن قد تمكن من رؤية الشمس بعد، لكنها بدت وكأنها على وشك الظهور فوق الجدار الشرقي في أي لحظة.

أشار آلبي إلى الأبواب بالأسفل وقال:

- هذا هو الصندوق. مرة واحدة كل شهر، يأتينا بوافد جديد مثلك، لا يتأخر أبدًا. ومرة كل أسبوع، نحصل منه على الإمدادات والملابس وبعض الطعام. لا نحتاج إلى الكثير، فنحن نتدبر أمورنا إلى حد كبير هنا في الجلايد.

أومأ توماس برأسه، وانتابته رغبة عارمة في طرح الكثير من الأسئلة.

حدَّث توماس نفسه قائلًا: *إنني بحاجة إلى شريط لاصق لأضعه على فمي.*

تابع آلبي كلامه قائلًا:

- نحن لا نعرف أي شيء عن هذا الصندوق، أتفهمني؟ لا نعرف من أين يأتي، ولا كيف يصل إلى هنا، ولا من المسؤول عنه. فالعراقيب الذين أرسلونا إلى هنا لم يخبرونا بأي شيء. لدينا ما نحتاج إليه من الكهرباء، ونربي ونزرع معظم طعامنا، ونحصل على الملابس وما إلى ذلك. لقد حاولنا ذات مرة أن نعيد وافدًا جديدًا أخرق مرة أخرى إلى الصندوق، لكن الصندوق لم يتحرك حتى أخرجناه منه.

تساءل توماس عما كان يكمن تحت ذلك الباب حينما لا يكون الصندوق موجودًا، لكنه أمسك لسانه. شعر بمزيج من المشاعر المختلفة: الفضول، والإحباط، والتعجب... كلها جنبًا إلى جنب مع الرعب الذي كان ما زال باقيًا في داخله من أثر رؤيته لتلك الهامة صباحًا.

استمر آلبي في الحديث، ولم يكلف نفسه عناء النظر إلى عيني توماس. قال:

- الجلايد مقسم إلى أربعة أجزاء.

ثم أردف وهو يرفع أصابعه ويعد الكلمات الأربع التالية: البساتين، وبيت الدم، وبيت المزرعة، ومنطقة الموتى. هل فهمت ذلك؟

تردد توماس، ثم هزَّ رأسه في ارتباك.

أخذ آلبي يرمش للحظات وهو يكمل حديثه، بدا وكأنه كان يفكر في آلاف من الأشياء الأخرى التي كان يفضل القيام بها عوضًا عن حديثه مع توماس في تلك اللحظة. أشار إلى الزاوية الشمالية الشرقية حيث توجد الحقول والأشجار المثمرة وقال:

- البساتين، حيث نزرع المحاصيل، ويتم ضخ المياه إليها من خلال أنابيب في الأرض. لطالما كانت هناك، وإلا كنا قد متنا جوعًا منذ وقت طويل. فالسماء لا تمطر هنا أبدًا، أبدًا.

ثم أشار إلى الزاوية الجنوبية الشرقية، نحو حظائر الحيوانات وقال:

- بيت الدم، حيث نربي الحيوانات ونذبحها.

وأشار بعد ذلك إلى المسكن البائس المتهالك وقال:

- بيت المزرعة. أصبح هذا المكان الغبي أكبر بمرتين مما كان عليه عندما وصل أول واحد منا إلى هنا، لأننا نستمر في توسعته عندما يرسلون لنا الأخشاب والمزيد من الوافدين الجدد. إنه ليس جميلًا، ولكنه يفي بالغرض. يفضل معظمنا النوم في الخارج على أي حال.

شعر توماس بالدوار، فالكثير من الأسئلة كانت تدور في رأسه لدرجة أنه كاد يفقد السيطرة عليها.

وأخيرًا، أشار آلبي إلى الزاوية الجنوبية الغربية، حيث توجد منطقة الغابة التي يوجد في مقدمتها عددٌ من المقاعد والعديد من الأشجار. وقال:

- نسمي هذه منطقة الموتى، إذ توجد مقبرة في عمق تلك الزاوية، بين الأشجار الأكثر كثافة. هذا كل شيء. يمكنك الذهاب إلى هناك لكي تجلس وترتاح قليلًا أو للتسكع أو أيًّا ما تريد.

ثم تنحنح وكأنه يريد تغيير الموضوع. وأردف قائلًا:

- سوف تقضي الأسبوعين المقبلين في العمل كل يوم مع أمين مختلف، حتى نعرف ما الذي تجيد عمله. هل ستصبح واحدًا من أولئك الحُثَّل، أم شوالجيًّا، أم بنَّاء، أم جرّافجيًّا. ستجد شيئًا ما يناسبك، دائمًا ما يكون هناك شيء مناسب. هيا لنذهب.

مشى آلبي نحو الباب الجنوبي، الواقع بين ما أُطلِق عليه منطقة الموتى وبيت الدم، وتبعه توماس وقد تجعد أنفه عندما باغتته رائحة الأوساخ والروث القادمة من حظائر الحيوانات.

حَدَّثَ توماس نفسه قائلًا: مقبرة؟ *لماذا قد يحتاجون إلى وجود مقبرة في مكان مليء بالمراهقين؟*

حيَّره ذلك أكثر حتى من عدم فهمه لبعض الكلمات التي قالها آلبي ككلمتي حُثَّل وشوالجي مثلًا، والتي لم تكن تبدو ككلمات ذات معانٍ لطيفة على الإطلاق. اقترب من آلبي أكثر وكاد يقاطعه ولكنه ألجم فاه وأجبر نفسه على البقاء صامتًا.

وفي إحباط، وجَّه توماس انتباهه إلى الحظائر الموجودة عند بيت الدم.

رأى العديد من الأبقار تتزاحم حول حوض مليء بالتبن. وخنازير غارقة في بركة من الوحل، تهز ذيلها من حين لآخر وكانت هذه هي العلامة الوحيدة لكونها على قيد الحياة. ورأى حظيرة أخرى تحوي أغنامًا، هذا بالإضافة إلى وجود أقفاص دجاج وأقفاص ديَكَة رومية أيضًا. كان العمال يعملون بنشاط في أرجاء المنطقة، وبدوا وكأنهم يعرفون كل صغيرة وكبيرة عن أعمال الحقل.

تساءل توماس في قرارة نفسه: *لماذا أتذكر تلك الحيوانات؟*

لم يبدُ أيٌّ منها جديدًا عليه أو مثيرًا للاهتمام بالنسبة إليه. كان يعرف أنواعهم، وأشكالهم، وماذا يأكلون عادة. لماذا كانت أشياء من هذا القبيل ما تزال عالقة في ذاكرته؟ ولماذا لم يكن يتذكر أين رأى تلك الحيوانات من قبل؟ أو مع مَن؟ كان فقدانه لذاكرته معقدًا ومحيرًا.

أشار آلبي إلى الحظيرة الكبيرة الموجودة في الزاوية الخلفية، وقد بدا أن لونها الأحمر قد بهت منذ مدة طويلة وتحوَّل إلى لون الصدأ.

قال:

- هناك بالخلف يوجد المكان الذي يعمل فيه الجزارون. إنه عمل مقرف، مقرف بحق. ولكن إن كنتَ تفضِّل الأعمال الدموية، فيمكنك أن تصبح جزَّارًا.

هزَّ توماس رأسه، فلم تبدُ الجزارة اختيارًا جيدًا على الإطلاق. وبينما تابعا سيرهما، ركَّز توماس انتباهه على الجانب الآخر من الجلايد، على القسم الذي أطلق عليه آلبي اسم منطقة الموتى، ولاحظ أن الأشجار تزداد سمكًا وكثافة كلما اقتربت أكثر من عمق الزاوية. ملأت الظلال الداكنة أعماق المنطقة المشجرة، على الرغم من سطوع النهار. نظر توماس إلى أعلى، وحدق إلى السماء ليتمكن أخيرًا من رؤية الشمس، لكنه وجد مظهرها غريبًا إلى حد ما، كانت برتقالية أكثر من المعتاد، وقد صُدِم لكون هذا مثالًا آخر على مدى غرابة ذاكرته الانتقائية.

عاد يحدق إلى منطقة الموتى مرة أخرى، وكان أثر التحديق إلى قرص الشمس المتوهج ما يزال يمنعه من الرؤية بوضوح. أخذ يرمش لكي يستوضح الرؤية، وفجأة، لمح الأضواء الحمراء مرة أخرى، تومض وتتحرك بسرعة في أعماق ظلمة الغابة.

تساءل توماس وقد بدا منزعجًا للغاية من تكتم آلبي الشديد:

- ما هذه الأشياء؟

توقف آلبي عن المشي وتفاجأ توماس عندما رأى أنهما قد وصلا إلى الباب الجنوبي، وبدا الجداران اللذان يحدَّان مدخله كالبرجين فوق رأسيهما. كانت الألواح الحجرية الرمادية متصدعة ومغطاة باللبلاب، بدت قديمة جدًّا، أقدم من أي شيء يمكن لتوماس أن يتخيله. رفع رقبته لكي يرى الجزء العلوي من الجدران، ولكن داعب عقله إحساسٌ غريبٌ بأنه كان ينظر إلى أسفل وليس إلى أعلى. ترنح خطوة للوراء، وشعر بالرعب مرة أخرى من مدى ضخامة هيكل موطنه الجديد، ثم أعاد انتباهه أخيرًا إلى آلبي، الذي كان قد أدار ظهره إلى المخرج، وأشار إلى الخلف بإبهامه من فوق كتفه وقال:

- المتاهة هناك بالخارج.

ثم سكت للحظات، وحدَّق توماس إلى الاتجاه المُشار إليه، من خلال تلك الفجوة بين الجدران التي كانت تُعَد مخرجًا من الجلايد. الممرات في الخارج تشبه إلى حد كبير الممرات التي رآها من النافذة الموجودة بجوار الباب الشرقي في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم. انتابته قشعريرة باردة عندما تذكر ما رآه من النافذة، وتساءل عما إذا كان من الممكن أن تهاجمهما إحدى الهوام في أي لحظة. فتراجع خطوة إلى الوراء تلقائيًا قبل أن يدرك ما الذي كان يفعله. قال لنفسه موبخًا إياها في حرج: *اهدأ*.

ثم أردف آلبي قائلًا:

- أنا هنا منذ عامين، وأُعَدُّ الأقدم هنا، فالقليلون الذين كانوا هنا من قبلي قد ماتوا بالفعل.

شعر توماس بعينيه تتسعان، ونبضات قلبه تتسارع.

- لمدة عامين ونحن نحاول حل تلك المتاهة، نحاول إيجاد مخرج، ولكن لم يحالفنا الحظ، فجدران تلك الممرات اللعينة بالداخل تتحرك في أثناء الليل تمامًا كما تتحرك جدران هذه الأبواب. رسم خريطة للمتاهة ليس بالأمر السهل، ليس بالأمر السهل بتاتًا.

ثم أومأ برأسه نحو المبنى الخرساني الذي اختفى فيه العداؤون في الليلة السابقة.

شعر توماس بطعنة أخرى من الألم في رأسه، فقد كان هناك الكثير من الأشياء التي لم يكن قادرًا على استيعابها في وقت واحد. أهُم محتجَزون هنا منذ عامين؟ هل تتحرك الجدران بداخل المتاهة؟ وكم عدد الذين ماتوا؟ وجد نفسه يتقدم إلى الأمام، راغبًا في رؤية المتاهة بنفسه، كما لو كانت إجابات تلك الأسئلة مطبوعة على الجدران هناك.

مدَّ آلبي يده ودفع توماس في صدره فتعثر إلى الخلف.

- لا يمكنك الخروج إلى هناك أيها العرقوب.

كان على توماس أن يبتلع كبرياءه.

- ولمَ لا؟

- هل تعتقد أنني أرسلت نيوت إليك قبل أن يستيقظ الجميع فقط من أجل المرح؟ اسمع أيها المعتوه، هذه هي القاعدة رقم واحد، وهي القاعدة الوحيدة التي لن يُغفَرَ لك كسرها أبدًا. لا أحد، لا أحد مطلقًا، مسموح له بالدخول إلى المتاهة باستثناء العدائين. جرب أن تكسر تلك القاعدة وسوف تقتلك الهوام، وإن لم تقتلك الهوام فسنقتلك بأنفسنا. هل تفهمني؟

أومأ توماس برأسه، ولكنه كان يتذمّر في داخله، فقد كان متأكدًا من أن آلبي كان يبالغ، أو كان يأمل أنه كذلك، وفي كلتا الحالتين، إذا كان لديه أي شك بشأن ما قاله لتشاك في الليلة السابقة، فقد اختفى هذا الشك تمامًا الآن، وأصبح الأمر واضحًا بالنسبة إليه. أراد أن يصبح عدَّاءً، بل أنه سيصبح عدَّاءً بالفعل. في أعماق قلبه كان يعرف أن عليه أن يخرج إلى المتاهة. فعلى الرغم من كل ما عرفه عنها وكل ما شاهده من كثب بأم عينيه، ظلَّ هذا الشعور يناديه كما الجوع والعطش.

لفت انتباهه شيء يتحرك فوق الجدار الأيسر للباب الجنوبي. جَفَلَ، ونظر إليه بسرعة وفي الوقت المناسب تمامًا ليرى وميضًا من الفضة. ثم اهتزت رقعة من اللبلاب عندما اختفى هذا الشيء تحتها.

أشار توماس إلى الجدار وسأل قائلًا:

- ماذا كان ذلك؟

سأل قبل أن يُطلَب منه أن يصمت مرة أخرى.

لم يكلِّف آلبي نفسه عناء النظر في الاتجاه الذي أشار إليه توماس، وأجابه قائلًا:

- أخبرتُك بألا تطرح أي أسئلة حتى النهاية أيها العرقوب. كم مرة سأضطر إلى تكرار ذلك؟

سكت لبرهة ثم تنهد وأردف قائلًا:

- إنها خنفساء معدنية، تلك هي الطريقة التي يراقبنا بها المؤسسون. من الأفضل ألا...

قاطعه صوت صافرات إنذار مدوية، آتية من جميع الاتجاهات. ثبَّت توماس يديه على أذنيه، وأخذ ينظر حوله بينما كانت صافرات الإنذار تدوي، كان قلبه ينبض بقوة لدرجة أنه شعر بأنه كاد يشق صدره ويخرج منه، ولكن عندما أعاد انتباهه إلى آلبي، هدأ قليلًا.

لم يبدُ آلبي خائفًا، وإنما بدا مرتبكًا، مدهوشًا، بينما واصلت صافرات الإنذار الدوي عبر الهواء.

سأل توماس وقد غمرت الطمأنة صدره إذ لم يبدُ على مرشده أن العالم كان على وشك الانتهاء:

- ما الذي يجري؟

- هذا غريب.

كان هذا كل ما قاله آلبي بينما كان يحدق متفحصًا أرجاء الجلايد. ولاحظ توماس أن الفتيان في بيت الدم أيضًا كانوا يلقون نظرات خاطفة على أرجاء الجلايد من حولهم، وأنهم بدوا في ارتباك شديد مثل آلبي تمامًا. صاح أحدهم لآلبي -وهو فتى قصير ونحيف مغطى بالوحل- قائلًا:

- ما الخطب؟

طرح الفتى سؤاله وهو ينظر إلى توماس لسبب ما.

فتمتم آلبي مجيبًا إياه بصوت بعيد:

- لا أعرف.

لكن توماس لم يعد يستطيع تحمل هذا التكتم أكثر، فسأل قائلًا:

- آلبي! ما الذي يحدث هنا؟

- إنه الصندوق أيها المقشور، الصندوق!

كان هذا كل ما قاله آلبي قبل أن ينطلق متجهًا إلى مركز ساحة الجلايد بخطوات سريعة كادت تبدو لتوماس أنها تنم عن الذعر.

فسأله توماس وهو يسرع للحاق به:

- ما به؟ أخبرني!

أراد أن يصرخ في وجهه، لكن آلبي لم يرد ولم يتباطأ في مشيته حتى، وعندما اقتربوا من الصندوق، رأى توماس أنه ثمة عشرات الفتيان يركضون في الساحة، تمكن من رؤية نيوت بينهم فناداه، محاولًا كبح خوفه المتزايد وإقناع نفسه بأن الأمور ستكون على ما يرام، وأنه لا بد من وجود تفسير معقول. صاح قائلًا:

- نيوت، ما الذي يحدث!

نظر نيوت إليه، ثم أومأ برأسه ومشى بهدوء غريب في خضم تلك الفوضى. وضرب توماس على ظهره وقال:

- هذا يعني أن ثمة وافدًا جديدًا لعينًا آتيًا في الصندوق.

ثم سكت لبرهة كما لو كان يتوقع أن يرى ملامح الاندهاش على وجه توماس، ثم أردف قائلًا:

- الآن.

- وماذا في ذلك؟

وعندما حدق توماس إلى وجه نيوت من كثب، أدرك أن ما كان يظنه هدوءًا لم يكن في الواقع إلا حالة من عدم التصديق لما يحدث، وربما حتى شيء من الحماس.

فأجابه نيوت فاغرًا فاه:

- ماذا في ذلك؟ أيها العود الأخضر، لم يحدث من قبل أن أتانا وافدان جديدان في الشهر نفسه، ناهيك بيومين متتاليين.

وبقوله ذلك، هرع نحو بيت المزرعة.

الفصل الثامن

توقفت صافرات الإنذار أخيرًا، بعدما ظلت تدوي لدقيقتين كاملتين. تجمع حشد في منتصف الساحة حول البابين الفولاذيين اللذين ذُهِلَ توماس لمّا أدرك عند رؤيتهما أنه قد وصل بالأمس فقط.

قال في قرارة نفسه: *الأمس؟ أحقًّا لم يمضِ على وصولي إلى هنا إلا يوم واحد فقط؟*

نكزه أحدهم في مرفقه، فنظر ليجد تشاك يقف بجانبه مجددًا. سأله تشاك قائلًا:

- كيف حالك أيها العود الأخضر؟

فأجابه قائلًا:

- بخير.

على الرغم من أن هذا كان أبعد ما يكون عن الحقيقة. ثم أشار إلى بابي الصندوق وسأل قائلًا:

- لماذا الجميع مفزوعون بهذا الشكل؟ ألم تأتوا جميعًا إلى هنا بنفس الطريقة؟

هزَّ تشاك كتفيه وقال:

- لا أعرف، أعتقد أنه دائمًا ما كان منتظمًا تمامًا، واحد في الشهر، كل شهر، في نفس اليوم. ربما أدرك من أرسلك إلى هنا أنك لم تكن سوى خطأ كبير، فأرسل شخصًا ليحل محلك.

ثم قهقه ضاحكًا وهو ينكز توماس بمرفقه في ضلوعه، ضحكة عالية جعلت توماس لسبب ما غير مفهوم يحبه أكثر.

نظر توماس إلى صديقه شزرًا في مشاكسة وقال:

- أنت مزعج، بجدية.

- أجل، ولكننا أصبحنا صديقين الآن، أليس كذلك؟

ضحك تشاك من قلبه هذه المرة، ضحكة يشوبها بعض الشخير عالي النبرة.

- يبدو أنك لا تعطيَني مجالًا للاختيار بشأن ذلك.

لكن الحقيقة كانت أنه بحاجة إلى صديق، وكان تشاك صديقًا لا بأس به.

طوى الفتى ذراعيه وقد بدا راضيًا جدًّا وقال:

- سعيد لأننا اتفقنا أيها العود الأخضر. الجميع يحتاج إلى صديق في هذا المكان.

أمسك توماس بتشاك من ياقته وقال مازحًا:

- حسنًا يا صديقي، فلتنادِني باسمي؛ توماس، وإلا سأرمي بك في الحفرة بعد نزول الصندوق.

أثار ذلك فكرة في رأسه عندما أطلق سراح تشاك، فأردف قائلًا:

- انتظر لحظة، هل سبق لكم يا رفاق أن...

فقاطعه تشاك قبل أن يتمكن توماس من إنهاء سؤاله، وقال:

- جربنا.

- جربتم ماذا؟

أجاب تشاك:

- النزول في الصندوق بعد وصول شحنة الإمدادات. لا ينجح الأمر. لن ينزل الصندوق حتى يصبح فارغا تمامًا.

تذكر توماس أن آلبي أخبره بالشيء نفسه من قبل.

- أعرف هذا بالفعل، ولكن ماذا عن...

- جربنا.

هنا كان على توماس أن يكظم غيظه، فقد كان أسلوب صديقه الجديد مزعجًا.

- إنه لمن الصعب التحدث إليك يا فتى. جربتم ماذا؟

- المرور عبر الحفرة بعد نزول الصندوق. لا يمكن فعلها. سيُفتَح البابين، لكنك لن تجد هناك شيئًا سوى الفراغ، سواد، لا شيء على الإطلاق، لا حبال ولا أي شيء. الأمر مستحيل.

- كيف لهذا أن يكون ممكنًا؟ هل...

- جربنا.

بدا على توماس الغيظ الشديد هذه المرة، وقال:

- حسنًا، جربتم ماذا؟

- ألقينا ببعض الأشياء في الحفرة، ولم نسمع صوت ارتطام هبوطها قط. يستمر صوت سقوطها لفترة طويلة فحسب، ومن ثم لا شيء.

سكت توماس قليلًا قبل أن يرد، فلم يكن يريد أن تتم مقاطعته مرة أخرى. ثم قال بأكبر قدر استطاعه من السخرية:

- من تكون أنت؟ قارئ للأفكار أو شيء من هذا القبيل؟

غمز تشاك بعينه وقال:

- إنني عبقري فحسب، هذا كل ما في الأمر.

فابتسم توماس قائلًا:

- تشاك، لا تغمز لي ثانية أبدًا.

كان تشاك مزعِجًا بعض الشيء، لكن كان ثمة شيء ما حياله جعل الأمور تبدو أقل فظاعة. أخذ توماس نفسًا عميقًا ونظر إلى الوراء نحو الحشد المتجمع حول الحفرة وقال:

- إذن، كم يتبقى من الوقت حتى تصل الشحنة إلى هنا؟

- عادةً ما يستغرق الأمر نحو نصف ساعة بعد صافرة الإنذار.

فكَّر توماس للحظة. يجب أن يكون هناك شيء لم يجربوه.

- هل أنت متأكد مما تقوله بشأن الحفرة؟ هل سبق وأن...

ثم سكت لبرهة، في انتظار أن يقاطعه تشاك، ولكنه لم يفعل، فأردف قائلًا:

- هل سبق وجربتم أن تصنعوا حبلًا؟

- أجل، لقد فعلوا، باستخدام اللبلاب. أطول حبل من الممكن لهم أن يصنعوه، ولكن دعنا نقول فقط إن تلك التجربة الصغيرة لم تسر على ما يرام.

- ماذا تقصد؟

فكَّر توماس بينه وبين نفسه: *والآن ماذا؟ ما الذي حدث؟!*

- لم أكن هنا في ذلك الحين، لكنني سمعت أن الفتى الذي تطوع للقيام بذلك قد نزل عشرة أقدام فقط إلى أسفل عندما انطلق شيء ما عبر الهواء وقطع جسده إلى نصفين.

ضحك توماس قائلًا:

- ماذا؟ لا أصدق ولا كلمة مما تقوله هذا.

- أوه، فعلًا أيها الفتى الذكي؟ لقد رأيت عظام ذلك الأبله بنفسي. لقد قُطِّع إلى نصفين تمامًا كما يقطع السكين قالب الزبدة. يحتفظون بعظامه في صندوق لتذكير فتيان المستقبل بألا يكونوا أغبياء مثله.

انتظر توماس أن يضحك تشاك أو يبتسم، معتقدًا أنها لا بد أن تكون مزحة، فمن سمع عن شخص قُطِّع إلى نصفين من قبل؟ ولكن تشاك لم يفعل.

- هل أنت جاد؟

حدَّق تشاك إلى وجهه وقال:

- أنا لا أكذب أيها العود الأخـ... آه، أقصد يا توماس. هيا بنا، دعنا نذهب ونرى من سيأتي. لا أستطيع أن أصدق أنك لم تكن عودًا أخضر سوى ليوم واحد فقط أيها الأخرق.

وفي أثناء سيرهما، سأل توماس السؤال الوحيد الذي لم يكن قد طرحه بعد. قال:

- كيف تعرف أن ما في الصندوق ليس مجرد إمدادات أو أي شيء آخر؟

فأجابه تشاك ببساطة:

- صافرات الإنذار لا تدوي عندما يحدث ذلك. تصل الإمدادات في نفس الوقت من كل أسبوع. مهلًا، انظر إلى هذا.

توقف تشاك وأشار إلى أحد الأشخاص من بين الحشد. لقد كان جالي، الذي كان واقفًا يحدق إليهما بشدة.

قال تشاك:

- قَشرًا. يبدو أنه لا يحبك يا رجل.

فتمتم توماس قائلًا:

- آه، لقد لاحظت ذلك بالفعل.

وكان ذلك الشعور متبادلًا.

دفع تشاك توماس بمرفقه وواصل كلا الفَتَيَين السير حتى وصلا إلى حافة الحشد، ثم وقفا ينتظران في صمت. نسي توماس الأسئلة التي كانت تدور في رأسه، وفقد الرغبة في التحدث بعد رؤية جالي، ولكن يبدو أن تشاك لم يفعل، إذ سأله في محاولة لأن يبدو صارمًا وقال:

- لماذا لا تذهب وتسأله ما خطبه معك؟

أراد توماس أن يبدو شجاعًا بما يكفي لفعل لذلك، إلا أن تلك الفكرة بدت وكأنها الأسوأ على الإطلاق في تلك اللحظة.

- حسنًا، إن لديه حلفاء أكثر مني بكثير. لا يبدو التشاجر معه خيارًا صائبًا أبدًا.

- أجل، ولكنك أذكى. وأراهن أنك أسرع. يمكنك أن تتغلب عليه هو وجميع أصدقائه.

التفت إليهما أحد الفتيان الواقفين أمامهما وبدا متجهمًا للغاية.

قال توماس في قرارة نفسه: *لا بد أن يكون أحد أصدقاء جالي.*

همس إلى تشاك قائلًا:

- هلَّا أغلقت فمك؟

ثم استدار توماس ليرى آلبي ونيوت قادمَين من بيت المزرعة بعد أن أغلقا الباب خلفهما، وبدا كلاهما منهكًا.

وعند رؤيتهما عاد بِن إلى ذهنه وصورته المروعة وهو يتلوى في السرير.

- تشاك، يا صاح، عليك أن تخبرني ما حكاية التَحوُّل تلك برمتها. ماذا كانا يفعلان هناك مع ذلك الفتى المسكين بِن؟

هَزَّ تشاك كتفيه وقال:

- لا أعرف التفاصيل. إن الهوام قادرة على أن تؤذيك بطريقة ما، تجعل جسدك بأكمله يمر بشيء أشبه بالجحيم. وعندما ينتهي الأمر، ستصبح... مختلفًا.

شعر توماس أنه كان أخيرًا بصدد فرصة للحصول على إجابة واضحة.

- مختلفًا؟ ماذا تقصد؟ وما علاقة ذلك بالهوام؟ هل هذا ما كان يقصده جالي بقوله «تعرض للدغ»؟

وضع تشاك إصبعه على فمه وقال:

- صه.

كاد توماس أن يصرخ من شدة إحباطه، لكنه التزم الصمت، وقرر أنه سيجعل تشاك يخبره بذلك الأمر في وقت لاحق، سواءً أراد ذلك أم لا.

وصل آلبي ونيوت إلى الحشد وأخذا يشقان طريقهما إلى الأمام، حتى وقفا مباشرة فوق زوج الأبواب التي تؤدي إلى الصندوق. هدأ الجميع، وللمرة الأولى، انتبه توماس إلى صوت صرير المصعد الذي ذكَّره برحلته الكابوسية

فيه في اليوم السابق. غمره الحزن، وكأنه كان يعيش ثانيةً تلك الدقائق القليلة التي تلت استيقاظه فاقدًا الذاكرة والظلام يحيط به. لقد شعر بالأسى تجاه أيٍّ من كان ذلك الشخص الجديد الذي يمر الآن بنفس ما مرَّ به.

أعلن صوت دَوِيٍّ مكتوم أن المصعد العجيب قد وصل. وقف توماس يراقب في حذر عندما اتخذ نيوت وآلبي موقعَيهما على الجانبين المقابلين من البابين اللذين يفصل بينهما صدع يقسم المربع المعدني من المنتصف تمامًا. ومعًا قاما بشد المقبضين الخطافيين البسيطين الموجودين على كلا الجانبين. ومع صوت صرير معدني، فُتح البابان، وارتفعت سحابة من الغبار في الهواء.

ساد صمت تام على جميع أفراد الجلايد. وعندما انحنى نيوت لإلقاء نظرة على الصندوق، تردد صدى صوت ثغاء خافت لماعز بعيد عبر الساحة. انحنى توماس إلى الأمام بقدر ما استطاع، على أمل إلقاء نظرة على الوافد الجديد. ومع رعشة مفاجئة، استقام نيوت مرة أخرى، واعترى وجهه تجهم ناتج عن ارتباك شديد، وأخذ نفسًا وهو ينظر حوله غير مصدق ما رأى، وقال:

- يا إلهي...

وفي ذلك الوقت، كان آلبي قد ألقى نظرة هو الآخر وأبدى ردة فعل مماثلة، ثم غمغم في ذهول قائلًا:

- مستحيل.

امتلأت الأجواء بجوقة من الأسئلة، إذ بدأ الجميع يتدافعون من أجل إلقاء نظرة.

تساءل توماس في نفسه: *ما الذي يرونه هناك بالأسفل؟ ما الذي يرونه بحق السماء؟!*

شعر بشيء من الخوف الصامت على غرار ذلك الذي انتابه في صباح ذلك اليوم عندما خطا نحو النافذة ليرى الهامة.

صاح آلبي:

- انتظروا! انتظروا جميعًا!

فصاح أحدهم وسأله قائلًا:

- حسنًا، ما المشكلة؟

نهض آلبي وقال وهو يهمس تقريبًا:

- وافدان جديدان في يومين. والآن يحدث هذا. خلال عامين كاملين، لم يحدث أي شيء مختلف، والآن يحدث هذا.

ثم، لسبب ما، نظر مباشرة إلى توماس وسأله قائلًا:

- ما الذي يحدث هنا أيها العود الأخضر؟

حدَّق إليه توماس مرتبكًا، وقد بدأ وجهه يَحمرُّ وأحشاؤه تنقبض. أجابه قائلًا:

- وكيف يُفترض بي أن أعرف؟

صاح جالي قائلًا:

- لما لا تخبرنا فحسب ما الموجود بالأسفل يا آلبي؟

ثم تعالت الهمهمات وزاد التدافع إلى الأمام.

صاح بهم آلبي قائلًا:

- أنتم أيها العراقيب، اخرسوا! أخبرهم يا نيوت.

نظر نيوت إلى الأسفل ثم نظر إلى الحشد مرة أخرى بوجه يغشاه الفزع وقال:

- إنها فتاة.

بدأ الجميع يتكلمون في وقت واحد، ولم يتمكن توماس إلا من سماع بضع كلمات من هنا وهناك.

- فتاة؟

- يا إلهي! أنت تمزح!

- كيف تبدو؟

- كم عمرها؟

وجد توماس نفسه غارقًا في بحر من الارتباك. *فتاة؟* إنه لم يفكر حتى من قبل لماذا كل من في الجلايد من الفتيان، وليس الفتيات. لم تسنح له الفرصة حتى لكي يلاحظ الأمر. تساءل توماس قائلًا: *من تكون؟ لماذا...*

أسكتهم نيوت مرة أخرى، ثم قال:

- هذا ليس كل ما في الأمر.

ثم أشار إلى الصندوق وأردف:

- أعتقد أنها ميتة.

أمسك فَتَيان ببعض الحبال المصنوعة من اللبلاب وأنزلا آلبي ونيوت إلى الصندوق حتى يتمكنا من إخراج جسد الفتاة. سادت حالة من الصدمة على معظم أفراد الجلايد، الذين أخذوا يطوفون بوجوه متجهمة ويركلون الحجارة دون أن ينبسوا ببنت شفة. أحدهم لم يجرؤ على الاعتراف بأنهم لا يستطيعون الانتظار لرؤية الفتاة، ولكن توماس افترض أنهم جميعًا كان يساورهم الفضول مثله.

كان جالي أحد الفَتَيين الممسكين بالحبال، على استعداد لرفع الفتاة، وآلبي، ونيوت من الصندوق. أخذ توماس يراقبه من كثب. كانت عيناه مليئتين بشيء خبيث، شيء أشبه بافتتان مريض، بريق جعل توماس يخافه أكثر من ذي قبل.

ومن الأسفل صاح آلبي معلنًا أنهما جاهزان، فبدأ جالي واثنان آخران في سحب الحبل، وبعد لحظات قليلة والمزيد من الهمهمات كانت جثة الفتاة الهامدة قد سُحِبَت للخارج عبر حافة الصندوق ثم وُضِعَت فوق إحدى الكتل الصخرية التي كانت تشكل أرضية الساحة. ركض الجميع إلى الأمام فورًا، مُشَكلين حشدًا مكتظًّا من حولها، وبدا وكأن هناك غيمة من الإثارة تحوم فوقهم في الهواء، إلا أن توماس بقي في الخلف، فقد أصابه ذلك الصمت المهيب بالخوف الشديد، كما لو أنهم قد فتحوا للتو قبرًا محفورًا حديثًا.

وعلى الرغم من فضوله، لم يكلف توماس نفسه عناء محاولة شق طريقه من أجل إلقاء نظرة. كان التزاحم شديدًا، ولكنه تمكن من إلقاء نظرة خاطفة عليها من بعيد قبل أن يحجبوا عنه الرؤية. كانت نحيفة، ولكن جسدها لم يكن ضئيلًا جدًّا. ومما وسعه قوله، ربما كان يبلغ طولها خمسة أقدام ونصفًا. بدت وكأنها في الخامسة عشرة أو السادسة عشرةٍ من عمرها، وكان شعرها حالك السواد، ولكن الشيء الذي كان لافتًا للنظر حقًّا هو بشرتها: شاحبة، بيضاء كاللؤلؤ.

اندفع نيوت وآلبي من الصندوق بعدها، ثم شقَّا طريقهما إلى جثة الفتاة الهامدة، وأغلق الحشد مجال الرؤية من خلفهما مرة أخرى ليمنعوا توماس من مشاهدة ما يحدث. ولم تمضِ سوى ثوانٍ قليلة حتى انشق الحشد مرة أخرى، وإذا بنيوت يشير مباشرة إلى توماس وقال بفظاظة:

- أيها العود الأخضر، تعال إلى هنا.

انخلع قلب توماس من مكانه، وبدأت يداه تتعرقان. ما الذي يريدونه منه؟ إن الأمور تزداد سوءًا أكثر فأكثر وحسب. أجبر نفسه أن يخطو نحو الأمام، محاولًا أن يبدو بريئًا دون التصرف كشخص مذنب يدَّعي البراءة. قال لنفسه: *أوه، هدئ من روعك. أنت لم ترتكب أي خطأ.* ولكن كان لديه شعور غريب بأنه ربما قد ارتكب شيئًا ما دون أن يدرك ذلك.

اصطف الفِتيان في الطريق المؤدي إلى نيوت والفتاة ووقفوا يحدقون إلى وجهه وهو يمر من أمامهم، كما لو كان هو المسؤول عن وجود المتاهة والهوام وكل تلك الفوضى التي تحدث داخل الجلايد. أبى توماس النظر في عيني أي منهم، خوفًا من أن يرى في أعينهم نظرات اتهام.

اقترب من نيوت وآلبي، اللذَين كانا راكعين بجانب الفتاة ويحدقان إليه. ركز توماس -الذي لم يرغب في مواجهة نظراتهما- نظره على الفتاة التي بدت -على الرغم من شحوبها- جميلة بحق، بل أكثر من جميلة، كانت فاتنة؛ شعر حريري، بشرة خالية من العيوب، شفتان مثاليتان، وساقان طويلتان. لقد اشمأز من كونه يفكر بهذا الشكل في فتاة ميتة، ولكنه لم يستطع أن يشيح بنظره بعيدًا. فكَّر توماس بينه وبين نفسه وقد شعر باضطراب في معدته: *هذا لن يدوم طويلًا، فسوف يبدأ جسدها في التعفن قريبًا*. لقد فوجئ بورود مثل هذه الفكرة السيئة إلى ذهنه.

سأل آلبي وقد بدا على وشك أن ينفجر غضبًا:

- أتعرف هذه الفتاة أيها العرقوب؟

صُدِمَ توماس من السؤال.

- أعرفها؟ بالطبع لا أعرفها. لا أعرف أحدًا... باستثنائكم أنتم يا رفاق.

قال آلبي:

- هذا ليس...

قَطَعَ كلامه وتنهد في إحباط، ثم أردف قائلًا:

- أعني، هل تبدو مألوفة بالنسبة إليك بأي شكل من الأشكال؟ هل يراودك أي إحساس بأنك قد رأيتها من قبل؟

- لا، لا شيء من هذا القبيل.

ترنح توماس وهو ينظر إلى قدميه، ثم عاد ينظر إلى الفتاة مجددًا.

تجعدت جبهة آلبي وقال:

- أنت متأكد؟

بدا وكأنه لا يصدق أي كلمة مما قاله توماس، كان على حافة الغضب.

فكر توماس بينه وبين نفسه: *لماذا يعتقد أن لي عالقة بذلك؟*

حدَّقَ إلى وجه آلبي بتحدٍّ وأجابه بالإجابة الوحيدة التي يعرفها:

- أجل، لماذا؟

تمتم آلبي قائلًا وهو ينظر إلى الفتاة:

- قَشْرًا، لا يمكن أن يكون ذلك من قبيل الصدفة. وافدان جديدان في يومين متتاليين، واحد حي، وواحد ميت.

ثم بدأت كلمات آلبي تبدو منطقية واندلع الذعر داخل توماس.

- أنت لا تعتقد أنني...

لم يستطع حتى أن ينهي جملته، إذ قاطعه نيوت قائلًا:

- اهدأ أيها العود الأخضر، إننا لا نقول إنك قد قتلت الفتاة.

أخذ رأس توماس يدور، فقد كان واثقًا من أنه لم يرها من قبل، ولكن من ثم تسلل إلى ذهنه طيف طفيف من الشك، وعلى الرغم من ذلك قال:

- أقسم أنها لا تبدو مألوفة بالنسبة إليَّ على الإطلاق.

فقد كان لديه ما يكفي من الاتهامات.

- هل أنت...

وقبل أن ينهي نيوت سؤاله، استيقظت الفتاة فجأة واتخذت وضعية الجلوس. وبينما كانت تأخذ نَفَسًا عميقًا، أخذت عيناها ترمشان وهي تنظر حولها على الحشد المحيط بها. صاح آلبي وتراجع إلى الوراء، وشهق نيوت وقفز ليسقط متعثرًا بعيدًا عنها، أمَّا توماس فلم يتحرك قط، كانت نظراته مثبتة على الفتاة، وقد تجمَّدَ خوفًا.

أخذت عينا الفتاة الزرقاوان اللامعتان تجوبان المكان من حولها يمينًا ويسارًا وهي تتنفس بعمق. بينما كانت شفتاها الورديتان ترتجفان وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة مرارًا وتكرارًا، ثم نطقت بجملة واحدة، بصوت أجوف ومرتعش ولكنه واضح:

- سيتغير كل شيء.

وقف توماس يحدق إليها في ذهول عندما ارتفعت عيناها نحو السماء وهي تسقط على الأرض من جديد، وعندها ارتفعت قبضة يدها اليمنى في الهواء وظلت مثبتة مشيرة نحو السماء. كانت تمسك في يدها قطعة ورق مجعدة.

حاول توماس أن يبتلع ريقه لكن فمه كان جافًّا تمامًا. ركض نيوت مسرعًا إليها وأبعد أصابعها عن بعض، وأمسك بالورقة، وبأيدٍ مرتعشة، فتحها، ثم انحنى على ركبتيه، وفرد الورقة على الأرض. اقترب منه توماس من أجل إلقاء نظرة، رأى سبع كلمات مكتوبة على الورقة بخط أسود عريض:

إنها الأخيرة.

لن يكون هناك المزيد.

مطلقًا.

الفصل التاسع

سادت لحظة غريبة من الصمت التام على أرجاء الجلايد. كان الأمر كما لو أن ريحًا خارقة للطبيعة قد اجتاحت المكان وشفطت كل الأصوات. قرأ نيوت المكتوب في الورقة بصوت عالٍ لأولئك الذين لم يتمكنوا من رؤيتها بأنفسهم، ولكن بدلًا من أن تندلع بينهم حالة من الارتباك، وقف كل أفراد الجلايد في ذهول. كان توماس يتوقع سماع الصيحات والأسئلة والنقاشات، ولكن أحدًا لم ينطق بأي كلمة؛ كل الأعين مثبتة على الفتاة، التي ظلت في تلك اللحظة مستلقية كما لو كانت تغط في نوم عميق، صدرها يرتفع وينخفض مع كل نفس من أنفاسها، وعلى عكس ما كانوا يعتقدون مسبقًا؛ كانت حيَّة تمامًا.

وقف نيوت، وأملَ توماس في سماع تفسير هادئ ومطمئن، ولكن ما كان منه إلا أن غَضَّنَ الورقة في قبضته وضغطها بشدة حتى برزت العروق من تحت جلده، واعتصرَ قلب توماس خوفًا، لم يكن متأكدًا من سببه، لكن الموقف جعله غير مرتاح بشكل كبير.

وضع آلبي يديه حول فمه ونادى قائلًا:

- الطبيبجية!

تساءل توماس عما تعنيه هذه الكلمة، كان يعرف أنه قد سمعها من قبل، ولكن في تلك اللحظة طُرِحَ جانبًا فجأة عندما كان يحاول فَتَيان أكبر سنًا شَقَّ طريقهما عبر الحشد. كان أحدهما طويل القامة له شعر قصير وأنف بحجم ليمونة كبيرة، أمَّا الآخر فكان قصير القامة له شعر رمادي يغالب شعره الأسود على جانبي رأسه. لم يكن توماس يأمل في شيء سوى أن يستطيعا فهم أي شيء مما حدث.

سأل الأطول قائلًا:

- إذن، ماذا سنفعل بها؟

كان صوته أعلى كثيرًا مما توقعه توماس.

- وكيف لي أن أعرف؟ أنتما هما الطبيبجية هنا أيها العرقوبان. تصرفا.

طبيجية، كرر توماس الكلمة داخل رأسه، ومن ثم أضاء في ذهنه شيء ما. *لا بد أنها المهنة الأقرب للأطباء هنا.*

كان الفتى القصير على الأرض بالفعل، راكعًا بجانب الفتاة، يتحقق من نبضها ويضع أذنه فوق صدرها من أجل سماع دقات قلبها.

صاح أحدهم من الحشد قائلًا:

- مهلًا! من أعطى لكلينت الإذن ليكون أول من يلمسها؟

ثم تعالت الضحكات.

- أنا التالي!

حدَّثَ توماس نفسه قائلًا: *كيف يمكنهم المزاح في موقف كهذا؟ إن الفتاة بين الحياة والموت.* كان مستاءً حيال ما يحدث وأصيب بالغثيان.

ضاقت عينا آلبي، وارتسمت على فمه ابتسامة خفيفة لم يكن يبدو أن لها أي علاقة بالدعابة أو المزاح، ثم قال:

- لو تجرأ أي منكم على لمس هذه الفتاة، فسوف يقضي الليل في المتاهة نائمًا في أحضان الهوام، منفيًا، بلا جدال.

ثم سكت لبرهة ودار ببطء كما لو أنه يريد أن يرى كل شخص وجهه، وأردف قائلًا:

- من الأفضل لكم ألا يتجرأ أحد على لمسها! أي أحد!

كانت هذه هي المرة الأولى التي يحب فيها توماس سماع شيء ما يخرج من فم آلبي.

كان الفتى القصير الذي قد تمت الإشارة إليه على أنه الطبيجي كلينت قد انتهى من فحصه ووقف قائلًا:

- إنها تبدو على ما يرام، تتنفس جيدًا ونبضات القلب في المعدل الطبيعي، على الرغم من كونها بطيئة بعض الشيء. لا أعرف ما المشكلة بالضبط، ولكنني أعتقد أنها في غيبوبة. جيف، فلنأخذها إلى بيت المزرعة.

تقدم زميله جيف ليحملها ممسكًا بذراعيها بينما أمسك كلينت من قدميها. وتمنى توماس لو أن بإمكانه فعل شيء ما أكثر من مجرد المشاهدة... ومع كل ثانية تمر، كان شكه يزداد أكثر فأكثر بشأن صحة ما قاله مسبقًا، فقد بدت مألوفة بالفعل بالنسبة إليه، شعر بأن هناك شيئًا ما يربطه بها، على

الرغم من أنه كان المستحيل تذكر ماهية هذا الشيء. أصابته هذه الفكرة بالتوتر، وأخذ ينظر حوله، كما لو أن الناس من حوله يمكنهم سماع أفكاره.

- عند العد إلى ثلاثة.

قال جيف، الطبيبجي الأطول، وقد بدا هيكله الفارع مضحكًا وهو ينحني كحشرة فرس النبي[1]:

- واحد... اثنان... ثلاثة!

ثم رفعاها بحركة واحدة سريعة، كادت أن تُطيح بها في الهواء، فمن الواضح أنها كانت أخف كثيرًا مما كانا يتصوران، وكاد توماس أن يصرخ فيهما ليكونا أكثر حرصًا.

قال جيف:

- أعتقد أننا يجب أن نضعها تحت الملاحظة. يمكننا إطعامها بعض الحساء إذا لم تستيقظ قريبًا.

قال نيوت:

- فقط أبقِ عينيك عليها، لا بد أن هناك شيئًا مميزًا حيالها وإلا لما أرسلوها إلى هنا.

انقبضت أحشاء توماس، كان يعلم أن له علاقة بهذه الفتاة بشكل ما، لقد وصلا في يومين متتاليين، وتبدو مألوفة بالنسبة إليه، ولديه رغبة ملحة في أن يصبح عَدَّاءً على الرغم من كل الأشياء المروعة التي عرفها عن المتاهة وما يكمن بداخلها... ما الذي يعنيه كل هذا؟

انحنى آلبي لينظر إلى وجهها مرة أخرى قبل أن يأخذوها بعيدًا وقال:

- ضعاها في الغرفة المجاورة لغرفة بِن، وأبقيا أعينكما عليها ليلًا ونهارًا. من الأفضل لكما ألا يحدث أي شيء دون علمي، حتى لو وصل الأمر لأن تخبراني بأنها كانت تتحدث في أثناء نومها أو أنها ذهبت للتبول، تعالا وأخبراني بكل شيء.

تمتم جيف قائلًا:

- حاضر.

---

(1) فرس النبي أو العرسوف، هي حشرة طويلة نسبيًا، تنتمي إلى فصيلة العرسوفيات، شكلها أسطواني متطاول.

ثم ذهب هو وكلينت متجهَين إلى بيت المزرعة، وأخذَ جسد الفتاة يترجرج في أثناء سيرهما، وبدأ باقي أفراد الجلايد أخيرًا في الحديث حول الأمر، وبدأت النظريات تُطرَح وتتعالى الأصوات في الهواء.

وقف توماس يتأمل كل هذا في صمت، ولم يكن هو وحده من يشعر أن هنالك شيئًا غريبًا يربطه بالفتاة. فالاتهامات غير المستترة تمامًا التي أُلقيَت عليه قبل دقائق قليلة أثبتت أن الآخرين اشتبهوا في أمر ما أيضًا، ولكن ما هو؟ لقد كان بالفعل مرتبكًا ومشوشًا تمامًا، إذ إن وضعه في موضع الاتهام وإلقاء اللوم عليه جعله يشعر بالسوء أكثر وأكثر. وفجأة، جاء إليه آلبي وكأنه كان يقرأ أفكاره، وأمسك به من كتفه وسأله قائلًا:

- ألم ترها من قبل؟

تردد توماس قليلًا قبل أن يجيبه متلعثمًا:

- لا... لا، ليس حسبما أذكر.

كان يأمل ألا يكشف صوته المرتعش شكوكه، فماذا لو كان يعرفها بطريقة أو بأخرى؟ وما الذي يعنيه ذلك؟

فقال نيوت الذي كان يقف خلف آلبي مباشرة في تلك اللحظة:

- أأنت متأكد؟

- أنا... لا، لا أعتقد أنني قد رأيتها من قبل. ثم لماذا تستجوبانَني بهذا الشكل؟

كل ما أراده توماس في ذلك الوقت هو أن يحل الليل، حتى يكون بمفرده، ويغط في النوم.

هزَّ آلبي رأسه، ثم التفت إلى نيوت وقد رفع يده عن كتف توماس وقال:

- ثمة شيء مريب في الأمر. فلنعقد تجمعًا.

قالها بهدوء شديد لدرجة أن توماس لم يعتقد أن ثمة أي شخص آخر قد سمعها، لكن ما قاله بدا مشؤومًا. ثم غادر القائد ومعه نيوت، وارتاح توماس لرؤيته تشاك يقترب.

- تشاك، ما الذي يقصده بالتجمع؟

أجابه تشاك وقد بدا فخورًا بمعرفة الجواب:

- يُقصَدُ به تجمع كل الأمناء. إنهم لا يجتمعون إلا عندما يحدث شيء غريب أو رهيب.

- حسنًا، أعتقد أن ما حدث اليوم يلائم كلا الوصفين جيدًا.

قرقرت معدة توماس قاطعةً حبل أفكاره.

- إنني لم أنهِ إفطاري. هل يمكننا الحصول على بعض الطعام في مكان ما؟ أنا أتضور جوعًا.

نظر تشاك إليه ورفع حاجبيه وقال:

- هل رؤيتك لتلك الكتكوتة في حالة من الذعر جعلتك تشعر بالجوع؟ يبدو أنك أكثر سيكوباتية مما كنت أتصور.

فتنهد توماس قائلًا:

- أحضِر لي بعض الطعام وحسب.

***

كان المطبخ صغيرًا ولكنه كان يحتوي على كل ما قد يحتاج إليه المرء لإعداد وجبة دسمة؛ فرن كبير وميكروويف وغسالة أطباق وطاولتان. بدا المكان قديمًا ومتهالكًا ولكنه كان نظيفًا. وعند رؤيته للأجهزة والأدوات المنزلية التي بدا شكلها وتصاميمها مألوفة بالنسبة إليه، شعر كما لو أن الذكريات -ذكريات حقيقية، كامنة في غياهب عقله- كانت على وشك أن تُستَرد من جديد وكأنها أصبحت الآن تطفو على سطح عقله مباشرة. ولكن مجددًا، كانت الأجزاء الأساسية مفقودة... الأسماء، والوجوه، والأماكن، والأحداث. كان الأمر جنونيًا.

قال تشاك:

- اتخذ مقعدًا. سأحضر لك شيئًا ما، ولكن أقسم لك أنها ستكون المرة الأخيرة. أنت محظوظ لأن السيد طاسة ليس هنا فهو يكره أن ينقض أحدنا على ثلاجته.

شعر توماس بالارتياح لأنهما بمفردهما. وبينما كان تشاك يتخبط حاملًا الأطباق والأشياء من الثلاجة، سحب توماس كرسيًا خشبيًا من أمام طاولة بلاستيكيّة صغيرة وجلس.

- هذا جنون. كيف يمكن لهذا أن يكون حقيقيًا؟ لقد أرسلَنَا شخص ما إلى هنا، شخص ذو نيات شريرة.

فالتفت إليه تشاك وقال:

- كُفَّ عن الشكوى، فقط تقبل الأمر ولا تفكر فيه.

- حسنًا إذن.

ثم نظر توماس من النافذة، وقد بدا هذا الوقت مناسبًا لطرح واحد من ملايين الأسئلة التي تحوم في رأسه.

- إذن من أين تأتي الكهرباء؟

- ومن يهتم؟! المهم أنها موجودة.

فكَّر توماس في قرارة نفسه: *يا لها من مفاجأة، لا توجد إجابة.*

أحضر تشاك طبقين من الشطائر والجزر ووضعهما فوق الطاولة. كان الخبز ثخينًا وأبيض، والجزر برتقاليًا زاهيًا ولامعًا. توسلت معدة توماس إليه ليسرع في تناول الطعام، فالتقط شطيرته وبدأ في التهامها، وتمتم بفم ممتلئ:

- آوه، على الأقل الطعام جيد يا رجل.

تمكن توماس من تناول ما تبقى من وجبته دون أن يتفوه تشاك بكلمة. وكان محظوظًا لأن الفتى لم يكن يشعر برغبة في التحدث، لأنه على الرغم من الغرابة المطلقة لكل ما حدث في نطاق ما يتذكره توماس، شعر بالهدوء مرة أخرى. امتلأت معدته، وأُعيد شحن طاقته، ونعم عقله ببعض لحظات من الصمت، وقرر أنه من الآن فصاعدًا سيتوقف عن النحيب وسيبدأ في التعامل مع الأمور.

وبعد آخر قضمة، أسند توماس ظهره إلى الوراء في كرسيه وسأل قائلًا وهو يمسح فمه بمنديل:

- إذن يا تشاك، ماذا عليَّ أن أفعل لكي أصبح عدَّاءً؟

فنظر إليه تشاك بعدما كان ينظر في طبقه يلتقط منه الفتات وقال:

- لا، ليس هذا الموضوع مجددًا.

ثم أطلق تجشؤًا جعل توماس يقشعر اشمئزازًا.

- قال آلبي إنني سأبدأ تدريباتي مع مختلف الأمناء قريبًا. إذن، متى سأحصل على فرصة مع العدائين؟

انتظر توماس بصبر من أجل الحصول على أي معلومة مفيدة من تشاك، ولكن تشاك نظر إليه شزرًا في ضجر، موحيًا بمدى غباء الفكرة بالنسبة إليه، ثم أجابه قائلًا:

- سيعودون في غضون ساعات قليلة. لماذا لا تسألهم؟

تجاهل توماس نبرة السخرية في كلام تشاك وتابع طرح أسئلته:

- ماذا يفعلون عندما يعودون كل ليلة؟ وما خطب ذلك المبنى الخرساني؟

- يرسمون خرائط. يجتمعون فور عودتهم، قبل أن ينسوا أي شيء.

- خرائط؟

وقع توماس في حيرة. ثم أردف قائلًا:

- ولكن إذا كانوا يحاولون رسم خريطة، أليس لديهم ورق للكتابة عليه في أثناء وجودهم في المتاهة؟

خرائط. أثارت تلك الكلمة اهتمامه أكثر من أي شيء آخر سمعه منذ فترة. كانت تمثل أول شيء يقترح حلًّا محتملًا للخروج من مأزقهم.

- بالطبع يفعلون ذلك، ولكن ما تزال هناك أشياء يحتاجون إلى التحدث عنها ومناقشتها وتحليلها وما إلى ذلك. بالإضافة إلى...

ثم ارتفع بؤبؤا عينيه لأعلى في ضجر وأردف:

- أنهم يقضون معظم وقتهم في العَدْو وليس في الكتابة، لهذا السبب يُطلَق عليهم العداؤون.

أخذ توماس يفكر في العدائين والخرائط. أيُعقَل أن تكون المتاهة ضخمة جدًّا لدرجة أنهم حتى بعد عامين من المحاولة ما زالوا غير قادرين على إيجاد مخرج؟ بدا الأمر مستحيلًا. ولكن من ثم، تذكر ما قاله آلبي بشأن الجدران المتحركة. ماذا لو كانوا محكومًا عليهم جميعًا بالعيش هنا حتى الموت؟

محكومًا. أصابته تلك الكلمة بموجة من الذعر، وأطفأت على الفور شرارة الأمل التي اشتعلت بداخله منذ قليل.

- تشاك، ماذا لو كان جميعنا مجرمين؟ أعني... ماذا لو كنا قتلة أو شيئًا من هذا القبيل؟

نظر تشاك إليه شزرًا كما لو كان مجنونًا وأجابه قائلًا:

- هاه؟ من أين أتيت بهذه الفكرة السعيدة؟

- فَكِّر في الأمر. ذاكرتنا ممحوة، ونعيش داخل مكان يبدو ألَّا مخرج منه، ومحاطون بوحوش مخيفة متعطشة للدماء. ألا يبدو ذلك سجنًا بالنسبة إليك؟

ولما أفصح عن أفكاره بصوت عالٍ، بدت له أكثر احتمالًا لأن تصبح حقيقية. شعر بالغثيان يتسرب إلى صدره.

قال تشاك مشيرًا إلى صدره:

- ربما أبلغ من العمر اثني عشر عامًا يا صاح، على الأكثر ثلاثة عشر. هل تعتقد حقًا أنني قد فعلت شيئًا من شأنه أن يرسلني إلى السجن لبقية حياتي؟
- لا يهمني ما فعلته أو ما لم تفعله. في كلتا الحالتين، قد تم إرسالك إلى السجن، أم أن هذا يبدو كعطلة بالنسبة إليك؟

قال توماس في قرارة نفسه: *آه يا رجل، أرجوك قل لي إنني مخطئ.*

فكَّر تشاك للحظة ثم قال:

- لا أعرف. إنه أفضل من...
- أجل، أعرف، أفضل من العيش في كومة من الرَّطْم.

نهض توماس وأعاد كرسيه إلى الطاولة. لقد أحب تشاك، ولكن محاولة إجراء محادثة ذكية معه كانت أمرًا مستحيلًا، ناهيك بمدى الإحباط والإزعاج الذي يتسبب فيه.

- اذهب واصنع لنفسك شطيرة أخرى، أنا ذاهب لاستكشاف المكان. أراك الليلة.

خرج من المطبخ إلى الساحة قبل أن يعرض تشاك أن ينضم إليه. كانت الحياة العملية قد عادت إلى مسارها الطبيعي في أرجاء الجلايد كالمعتاد: الفتيان يزاولون وظائفهم المختلفة، وأبواب الصندوق مغلقة، والشمس ساطعة في السماء، ولم يكن هناك أي أثر للفتاة المخبولة ذات الورقة المشؤومة.

ولأن جولته صباحًا كانت قصيرة، قرر أن يتجول في أرجاء الجلايد بمفرده من أجل إلقاء نظرة أفضل على المكان. توجه إلى الركن الشمالي الشرقي، حيث توجد صفوف كبيرة من سيقان الذرة الخضراء الطويلة التي بدت جاهزة للحصاد، كما رأى الكثير من المحاصيل الأخرى كالطماطم، والخس، والبازلاء، والعديد من المحاصيل الأخرى التي لم يتعرف عليها توماس. أخذ نفسًا عميقًا، منتشيًّا بالرائحة المنعشة للتربة والنباتات النامية. كان شبه واثق من أن الرائحة ستعيد إليه بعضًا من الذكريات السارة، لكنها لم تفعل. ولما اقترب أكثر، رأى العديد من الفتيان يقومون بقطف المحاصيل وإزالة الأعشاب الضارة في الحقول الصغيرة. لوَّحَ له أحدهم مبتسمًا، ابتسامة حقيقية.

حدَّثَ توماس نفسه قائلًا: *ربما المكان ليس بهذا السوء على الرغم من كل شيء. لا يمكن أن يكون جميع مَن هنا أوغاد.* استنشق نَفَسًا عميقًا آخر من

الهواء المنعش وانتشل نفسه من أفكاره، فقد كان ما يزال أمامه الكثير مما يود رؤيته.

ذهب بعد ذلك إلى الركن الجنوبي الشرقي، حيث السياج الخشبية الرثة تحيط بالعديد من الأبقار والماعز والأغنام والخنازير، غير أنه لم تكن هناك أي خيول.

قال توماس في قرارة نفسه: *هذا مؤسف، فمن المؤكد أن ممتطي الأحصنة سيكونون أسرع من العدائين.*

وعندما اقترب، أدرك أنه لا بد أنه كان يتعامل مع الحيوانات في حياته قبل مجيئه إلى الجلايد، فقد بدت رائحتهم وأصواتهم مألوفة جدًّا بالنسبة إليه.

لم تكن الرائحة طيبة كرائحة المزروعات، فإنه تخيل أنها من الممكن أن تكون أسوأ من ذلك كثيرًا. وفي أثناء ما كان يتفقد المنطقة، أدرك أكثر فأكثر مدى اعتناء أفراد الجلايد بالمكان، ومدى حفاظهم على نظافته. كان مبهورًا من مدى التنظيم الذي كانوا عليه، وكيف كان عليهم جميعًا أن يعملوا بجد، وتخيل كيف كان سيصبح هذا المكان مروعًا بحق لو أن جميع من فيه كانوا كسالى وأغبياء.

وأخيرًا، وصل إلى الركن الجنوبي الغربي، بالقرب من الغابة.

وعندما اقترب من الأشجار النحيفة العارية المتناثرة أمام الغابة ذات الأشجار الأكثر كثافة فوجئ بشيء يتحرك عند قدميه، وسمع أصوات طقطقة ونقرات سريعة. نظر إلى الأسفل في الوقت المناسب تمامًا ليرى أشعة الشمس تنعكس على شيء معدني -فأر لعبة- يجري أمامه متجهًا نحو الغابة الصغيرة، وقد أصبح هذا الشيء بالفعل على بعد عشرة أقدام عندما أدرك أنه لم يكن فأرًا على الإطلاق، لقد كان أشبه بسحلية، لها على الأقل ست أرجل منبثقة من جذعها الفضي الطويل.

خنفساء معدنية. *إنها الطريقة التي يراقبوننا بها.* هذا ما قاله آلبي. لاحظ وميضًا من الضوء الأحمر يجتاح الأرض أمام هذا المخلوق وكأنه يخرج من عينيه. أخبره المنطق أن عقله يخدعه بلا شك، لكنه أقسم أنه قد رأى كلمة وِكِد محفورة على ظهره بأحرف خضراء كبيرة. كان ثمة شيء غريب لا بد من استقصائه.

انطلق توماس مسرعًا خلف الجاسوس السريع، وفي غضون ثوانٍ وجد نفسه داخل المنطقة ذات الأشجار الكثيفة، وأصبح العالم من حوله مظلمًا.

الفصل العاشر

لم يستطع توماس أن يصدق كيف اختفى الضوء بهذه السرعة، فمن الخارج لا تبدو الغابة بهذا الكبر، ربما تبدو على مساحة نحو فدانين. ومع ذلك، كانت الأشجار طويلة ولها جذوع عتيدة، ومتقاربة جدًّا، حتى إن أوراقها شكَّلت حاجزًا حجب السماء. خيم الصمت على المكان وامتلأت الأجواء بأضواء خافتة ذات صبغة خضراء، وكأنه لم يعد يتبقى سوى بضع دقائق على الغروب. بطريقة ما، كانت الأجواء جميلة ومخيفة في آنٍ واحد.

تحرك توماس بأقصى ما استطاع من سرعة، وشق طريقه مصطدمًا بالأوراق الكثيفة، والغُصَيْنات الرفيعة تصفع وجهه. انحنى لتجنب اصطدامه بأحد الأغصان المنخفضة وكاد أن يسقط، ولكنه أمسك بأحد الفروع وأرجح نفسه إلى الأمام ليستعيد توازنه. سمع صوت تهشم أوراق الشجر الجافة والأغصان المتساقطة أسفل قدميه.

وطوال ذلك الوقت، ظلت عيناه مثبتتين على الخنفساء المعدنية التي تجري عبر أرضية الغابة، وضوؤها الأحمر يزداد توهجًا كلما ابتعدت أكثر وازداد محيطها ظلامًا.

كان توماس قد قطع مسافة نحو ثلاثين أو أربعين قدمًا في عمق الغابة، وقد راوغ وتعثر وفقد توازنه مع مرور كل ثانية، قفزت الخنفساء المعدنية على شجرة ضخمة بشكل ملحوظ وبدأت تتسلق جذعها، وبحلول الوقت الذي وصل فيه توماس إلى الشجرة، لم يجد أي أثر لتلك المخلوقة، اختفت بين الأوراق وكأنها لم تكن موجودة من الأساس.

لقد فقد هذه المخلوقة اللعينة.

همس توماس قائلًا:

- قَشرًا.

والغريب أن الكلمة خرجت من فمه بشكل طبيعي تمامًا، وكأنه قد تحوَّل بالفعل لواحد من أفراد الجلايد.

سمع صوت غصن يُكسَر في مكان ما على يمينه، فأدار رأسه في هذا الاتجاه، وحبس أنفاسه وأنصت جيدًا.

سمع الصوت نفسه مرة أخرى، ولكنه كان أعلى هذه المرة، صوت أشبه بشخص يكسر عصا على ركبته.

نادى توماس قائلًا وقد سرت رعشة من الخوف في قلبه:

- من هناك؟

ارتد صوته من مظلة الأوراق التي تعلوه، وأخذ صداه يتردد في الهواء. ظل متجمدًا في مكانه والصمت المطبق يحيط به، باستثناء أصوات بعض الطيور المغردة من مسافة بعيدة في الأفق. لكن أحدًا لم يجب نداءه، ولم يسمع أي أصوات أخرى من هذا الاتجاه.

ودون أن يفكر مليًّا، سار توماس باتجاه الصوت الذي سمعه، ولم يكلف نفسه حتى عناء التخفي، فقد كان يدفع الأغصان جانبًا في أثناء سيره، ويتركها تهتز عائدة إلى وضعها الطبيعي في أثناء مروره. حدَّق بعينيه، على أمل أن يستطيع الرؤية في هذا الظلام، متمنيًا لو أن معه مصباحًا يدويًّا. فكَّرَ في المصابيح اليدوية وفي ذاكرته المفقودة، ومرة أخرى، ها قد استطاع تذكُّرَ شيئًا ملموسًا من ماضيه، ولكنه لم يتمكن من ربطه بأي وقت أو مكان معين، ولم يُذَكِّرهُ بأي شخص أو أي حدث آخر. كان الأمر مُحبِطًا.

سأل مرة أخرى:

- هل من أحد هناك؟

وكان قد هدأ قليلًا لأن الصوت لم يتكرر. ربما كان مجرد حيوان، أو ربما خنفساء معدنية أخرى، ولكن تحسبًا لأي شيء، صاح قائلًا:

- أنا توماس، الوافد الجديد. حسنًا، كنت كذلك حتى وصول الفتاة.

جفل وهزَّ رأسه، آملًا ألا يكون هناك أحد. بدا وكأنه أحمق تمامًا.

ومرة أخرى، لم يكن هناك رد.

خطا بالقرب من شجرة بلوط كبيرة، ثم توقف لبرهة وسرت قشعريرة جليدية في جسده عندما أدرك أنه قد وصل إلى المقبرة.

كانت مساحتها صغيرة، ربما ثلاثون قدمًا مربعة، ومغطاة بطبقة كثيفة من الحشائش الضارة المورقة. استطاع توماس أن يرى عدة صلبان خشبية مصنوعة بطريقة خرقاء مثبتة في الأرض، وقد تم ربط الأجزاء الأفقية والألواح

الرأسية بدوبارة مهترئة. شواهد القبور كانت مطلية باللون الأبيض، ولكن من قِبَل شخص من الواضح أنه كان في عجلة من أمره، فقد كان مليئًا بالكتل الجيلاتينية، وهناك بعض المساحات غير مدهونة. كانت الأسماء محفورة على الخشب.

اقترب توماس في تردد من أقرب شاهد وركع أمامه ليلقي نظرة. كان الضوء ضعيفًا للغاية حتى إنه شعر وكأنه ينظر عبر ضباب أسود. حتى الطيور هدأت أصواتها، وكأنها ذهبت للنوم لهذه الليلة، وحتى صوت الحشرات كان بالكاد ملحوظًا، أو على الأقل كان أهدأ كثيرًا من المعتاد. ولأول مرة، أدرك توماس مدى رطوبة الجو في الغابة، فقد تصببت قطرات من العرق بالفعل على جبهته وعلى ظهر يديه بفعل الهواء الرطب.

انحنى توماس مقتربًا من الشاهد الأول، بدا جديدًا ومحفور عليه اسم ستيفن وكان حرف الـ «ن» صغيرًا جدًّا وعند الحافة مباشرة لأن من نحته لم يتمكن من تقدير المساحة التي سيحتاج إليها بشكل صحيح.

قال توماس في قرارة نفسه وقد انتابه شعور غير متوقع بالحزن:

ستيفن، ما هي قصتك يا ترى؟ هل ظل تشاك يزعجك حتى الموت؟

ثم نهض واتجه نحو صليب آخر، صليب يكاد يكون مغطى كليًّا بالحشائش، والأرض مستوية عند قاعدته. مهما كان، لا بد أنه من أوائل الذين ماتوا هنا، لأن قبره بدا الأقدم من بين القبور، وكان محفورًا عليه اسم جورج.

نظر توماس حوله ورأى أن هناك الكثير من القبور الأخرى. بدا أن اثنين منهم كانا حديثين تمامًا مثل أول صليب تفحصه. لفت بريق فضي انتباهه، ولكنه كان مختلفًا عن بريق الخنفساء المعدنية التي قادته إلى الغابة، ولكنه كان على نفس المستوى من الغرابة. أخذ يتنقل بين شواهد القبور حتى وصل إلى قبر مغطى بلوح من البلاستيك أو الزجاج المتسخ، وحوافه مملوءة بالقذارة. ضيّق جفنيه محدقًا، في محاولة لرؤية ماذا يوجد على الجانب الآخر منه، ثم شهق عندما تمكن من الرؤية؛ كان نافذة تطل على قبر آخر، به بقايا مغبرة لجثة متعفنة.

وبخوف تام واشمئزاز شديد، اقترب توماس من أجل إلقاء نظرةٍ أفضل مدفوعًا بالفضول. كان القبر أصغر من المعتاد، فقد كان يحتوي في داخله على النصف العلوي فقط من جسد الشخص المتوفَّى. تذكر ما قاله تشاك عن الفتى الذي حاول النزول في فتحة الصندوق المظلمة بعد هبوطه، فقط

ليتم قطع جسده إلى نصفين بفعل شيء ما حاد يلوح في الهواء. كانت هناك كلمات محفورة على الزجاج، بالكاد استطاع توماس قراءتها:

فليبقَ نصف جسد هذا العرقوب عِبرة للجميع:

لن تتمكن من الهرب من خلال حفرة الصندوق.

شعر توماس برغبة غريبة في الضحك، فقد بدا الأمر سخيفًا جدًّا لدرجة يصعب تصديقها، لكنه كان أيضًا مستاءً من نفسه لكونه بهذه السطحية والتفاهة. هزَّ رأسه، وتنحى جانبًا ليقرأ المزيد من أسماء الموتى، وفي تلك اللحظة سمع صوت كسر غُصَين آخر، أتى الصوت من أمامه مباشرة هذه المرة، من خلف الأشجار مباشرة على الجانب الآخر من المقبرة.

ثم تكرر الصوت، ثم تكرر مرة أخرى، أخذ يقترب أكثر فأكثر، وكان الظلام ما يزال كثيفًا.مكتبة سُر مَن قرأ

صاح قائلًا بصوت أجوف مرتعش وكأنه كان يتحدث داخل أنبوب مغلق:

- من هناك؟ بجدية، هذا غباء.

كان يكره أن يعترف لنفسه بمدى خوفه.

وبدلًا من الإجابة عليه، تخلى ذلك الشخص عن كل محاولات التخفي وبدأ في الركض، متخبطًا بين الأغصان متجهًا إلى حيث يقف توماس. تجمَّدَ في مكانه وقد اجتاحه الذعر، فقد أصبح الآن على بعد أمتار قليلة منه فقط، ظل صوت ذلك الشخص يرتفع أكثر فأكثر حتى لمح توماس ظل فتى هزيل يجري وهو يعرج بشكل غريب.

- مَن هناك بحق الـ...

ظهر الفتى من بين الأشجار قبل أن يتمكن توماس من إنهاء سؤاله. لم يرَ سوى بشرة شاحبة وعينين منتفختين، بدا وكأنه شبح مخيف. صرخ توماس وحاول أن يفر راكضًا، ولكن كان الأوان قد فات، فقد قفز ذلك المخلوق في الهواء وسقط فوقه منقضًا عليه، وأمسك به من كتفيه، أخذ يضربه بعنف بيديه القويتين. سقط توماس على الأرض، وشعر بأحد شواهد القبور يحفر في ظهره حَفرًا قبل أن ينكسر الشاهد إلى قسمين تاركًا على ظهره جرحًا عميقًا متأججًا.

دَفَعَ مهاجمه وضربه ضربة مبرحة، ولكن ما لبث أن نهض مهاجمه الذي بدا وكأنه كومة من الجلد والعظام لينقض عليه مرة أخرى محاولًا الإمساك به. بدا وكأنه وحش كاسر هارب من كابوس مرعب، لكن توماس كان يعلم

أنه لا بد أن يكون واحدًا من أفراد الجلايد، شخص قد فقد عقله تمامًا. سمع صوت طقطقة أسنان، فقد كان مهاجمه يفتح فكه ويغلقه مصدرًا صوت طقطقة مروع، كلاك، كلاك، كلاك، ثم شعر بألم طاعن عندما وجد أسنان الفتى مغروسة في كتفه.

صرخ توماس، وكان الألم كانفجار للأدرينالين في دمه. ثَبَّتَ يديه على صدر مهاجمه وأخذ يحاول دفعه بعيدًا، ظلت ذراعاه صامدتين ضد الشخص الذي يقاتل فوقه. وأخيرًا، سقط الفتى، وسمع صوت طقطقة حادة ملأت الهواء وكأن هناك شاهد قبر آخر قد تهشم أسفله.

ابتعد توماس زاحفًا على يديه ورجليه وهو يلهث، وتمكن من إلقاء أول نظرة على مهاجمه المجنون.

كان هو؛ الفتى المريض.

كان بِن.

الفصل الحادي عشر

بدا بِن كما لو أنه لم يتعافَ إلا قليلًا فقط منذ أن رآه توماس في بيت المزرعة. لم يكن يرتدي شيئًا سوى سروال قصير، وكان جلده الأشد بياضًا من الثلج مشدودًا فوق عظامه كورقة ملفوفة بإحكام حول حزمة من العصي. عروقه المتخضمة الأشبه بالحبال بارزة على طول جسده، نابضة وخضراء اللون، ولكنها أقل بروزًا من اليوم السابق. حدَّقت عيناه المحتقنتان بالدماء إلى توماس كما لو كان يرى وجبته التالية.

جثم بِن، على استعداد لينقض مجددًا ويشن هجومًا آخر، ولوهلة ظهر سكين في يده اليمنى، امتلأ توماس بخوف مغثي، غير مصدق أيًا مما يحدث على الإطلاق.

- بِن!

نظر توماس تجاه الصوت، وتفاجأ برؤية آلبي واقفًا على حافة المقبرة، وقد بدا كمجرد شبح في الضوء الخافت. غمرت الطمأنينة قلب توماس، فقد رأى آلبي ممسكًا بقوس كبير، وسهم موجه مباشرة نحو بِن.

كرر آلبي قائلًا:

- بِن، توقف الآن، وإلا فلن ترى شمس الغد.

نظر توماس إلى بِن، الذي كان يحدق إلى آلبي بشراسة، ولسانه يتحرك بين شفتيه ليبللهما.

فكَّرَ توماس في قرارة نفسه: *ما خطب ذلك الفتى بالضبط؟ لقد تحول إلى وحش. لماذا؟*

صاح بِن والبصاق يتطاير من فمه:

- إذا قتلتني، فستكون قد قتلت الشخص الخطأ.

ثم وجَّه نظره إلى توماس مرة أخرى وأردف قائلًا بصوت يملؤه الجنون:

- إنه هو العرقوب الذي يتوجب عليك قتله.

فقال آلبي بصوت هادئ وهو ما يزال مصوبًا سهمه:

- كفى غباءً يا بِن. توماس قد وصل للتو إلى هنا؛ لا داعي للقلق. أنت ما تزال تعاني من آثار التحوُّل. كان ينبغي لك ألا تترك سريرك.

صرخ بِن قائلًا:

- إنه ليس واحدًا منا! لقد رأيته، إنه... إنه سيئ. علينا أن نقتله! دعني أنال منه!

تراجع توماس لا إراديًا خطوة للوراء، مرعوبًا مما قاله بِن. ما الذي يقصده بقوله أنه قد رآه؟ لماذا يعتقد أن توماس شخص سيئ؟

لم يحرك آلبي سلاحه شبرًا واحدًا، كان ما يزال موجَّهًا نحو بِن.

- اترك لي وللأمناء التحقق من هذا الأمر أيها المقشور.

كانت يداه ثابتتين تمامًا وهو ممسك بالقوس، كما لو كان يتكئ على أحد الفروع لكي يكون بهذا الثبات.

- فورًا، أعد مؤخرتك الهزيلة إلى بيت المزرعة.

قال بِن:

- سيرغب في إعادتنا إلى منازلنا، سيرغب في إخراجنا من المتاهة. من الأفضل لنا أن نقفز جميعًا من أعلى الجرف! من الأفضل لنا لو مزقنا أشلاء بعضنا بعضًا!

قال توماس:

- ما الذي تتحدث...

فصرخ بِن قائلًا:

- اخرس! اخرس أيها الخائن القذر!

قال آلبي بهدوء:

- بِن، سأعد إلى ثلاثة.

- إنه سيئ، إنه سيئ، إنه سيئ.

كان بِن يهمس في تلك اللحظة، أو يدندن على الأغلب ويتمايل للأمام والخلف وهو يؤرجح السكين من يد إلى يد، بينما كانت عيناه مثبتتين على توماس.

- واحد.

ابتسم بِن وبدت أسنانه ناصعة، ومخضرَّة في خضم هذا الضوء الباهت، وأخذ يردد قائلًا:

- سيئ، سيئ، سيئ، سيئ، سيئ...

أراد توماس أن يشيح بنظره بعيدًا، أن يخرج من هذا المكان، لكنه لم يستطع الحراك. كان مذهولًا جدًّا، وخائفًا جدًّا.

- اثنان.

قالها آلبي بصوت أعلى هذه المرَّة، وبنبرة مليئة بالتحذير.

قال توماس محاولًا فهم أي شيء مما يحدث:

- بِن، أنا لست... أنا لا أعرف حتى ما...

صرخ بن صرخة مليئة بالجنون وقفز في الهواء ملوحًا بسكينه.

صاح آلبي قائلًا:

- ثلاثة!

انطلق صوت أزيز مفاجئ لشيء يخترق الهواء، وتبعه صوت مثير للاشمئزاز يوحي بأنه قد اخترق شيئًا رطبًا. مال رأسه إلى اليسار بعنف، والتوى جسده حتى سقط بطنه، وكانت قدماه ممددتين نحو توماس، ولم يصدر منه أي صوت.

قفز توماس واندفع إلى الأمام متعثرًا. رأى السهم الطويل عالقًا في خد بِن، وتفاجأ بأن الدم المتدفق كان أقل مما توقعه بكثير، لكنه كان يسيل على أي حال، بدا أسود في خضم الظلام، كما النفط. والحركة الوحيدة التي بدرت منه كانت رعشة خنصره اليمنى. حارب توماس رغبته الملحَّة في التقيؤ. هل مات بِن بسببه؟ هل كان هذا ذنبه؟

قال آلبي:

- هيا بنا. سيتولى الشوالجية أمره غدًا.

فكَّر توماس في قرارة نفسه وقد شعر أن العالم يتمايل من حوله وهو يحدق إلى الجثة الهامدة: *ما الذي حدث هنا للتو؟ ماذا فعلتُ لهذا الفتى؟*

نظر إلى أعلى طالبًا إجابات، ولكن آلبي كان قد غادر بالفعل، وكان الغصن المهتز هو العلامة الوحيدة على أنه كان هناك منذ قليل.

***

ضيق جفنيه عند خروجه من الغابة في مواجهة ضوء الشمس الساطع. كان يعرج في مشيته، وكاد كاحله يصرخ من شدة الألم، على الرغم من أنه لا يتذكر أنه قد أصاب كاحله. كان يضع إحدى يديه بحذر حيث عضَّهُ بِن، وأمسك بطنه باليد الأخرى كما لو أن ذلك من شأنه أن يمنعه من التقيؤ. كانت صورة رأس بِن عالقة في ذهنه، وهو مائل على عنقه بزاوية غير طبيعية، والدم يسيل على السهم حتى يتجمع في آخره، يتقطر، وتتناثر قطراته على الأرض...

كانت تلك الصورة هي القشة التي كسرت ظهر البعير.

سقط على ركبتيه بالقرب من إحدى الأشجار على حافة الغابة وتقيأ، وأخذ يسعل وهو يلفظ كل ما في معدته حتى آخر قطرة من عصارته الصفراوية. كان جسده بالكامل يرتجف، وبدا أن القيء لن يتوقف أبدًا.

ومن ثم، وكأن دماغه كان يسخر منه، محاولًا جعل الوضع يزداد سوءًا، خطرت بباله فكرة.

لم يمضِ على وجوده في الجلايد سوى ما يقرب من أربع وعشرين ساعة فقط، يوم واحد كامل، يوم واحد لا أكثر. وانظر إلى كل تلك الأشياء الفظيعة التي حدثت.

لا بد أن الأمور ستتحسن، فلا يمكن أن تكون أسوأ من كل ما حدث.

***

في تلك الليلة، استلقى توماس يحدق إلى السماء المتلألئة بنجومها، متسائلًا عما إذا كان سيتمكن من النوم مرة أخرى في حياته، فكلما أغلق عينيه، كانت تتراءى له صورة بِن الوحشية وهو ينقض عليه. كان وجه الفتى المختل لا يفارق ذهنه، وسواء فتح عينيه أم لا، كان بإمكانه أن يقسم أنه ظل يسمع صوت السهم وهو يخترق خد بِن.

عرف توماس أنه لن ينسى أبدًا تلك الدقائق القليلة المروعة التي قضاها في المقبرة.

كرر تشاك للمرة الخامسة منذ أن فرشوا أكياس نومهم قائلًا:

- قل شيئًا.

وأجابه توماس بنفس الإجابة في كل مرة:

- لا.

- الجميع يعرف ما حدث. لقد حدث ذلك مرة أو مرتين من قبل؛ أن جُنَّ أحد المصابين بلدغات الهوام وهاجم شخصًا ما، فلا تحسب نفسك مميزًا.

ولأول مرة، بدأ توماس يعتقد أن شخصية تشاك قد تحولت من كونها مزعجة إلى حد ما إلى شخصية لا تُطاق. قال له:

- تشاك، أنت محظوظ لأن قوس آلبي ليس بين يدي الآن.

- أنا فقط...

- أغلق فمك ونَم يا تشاك.

لم يكن توماس يحتمل مزاح تشاك وأسلوبه في تلك اللحظة.

وفي نهاية المطاف، غفا صديقه بالفعل، واستنادًا إلى سيمفونية الشخير التي ترددت عبر الجلايد، قد غفا الآخرون كذلك. وبعد ساعات، في عمق الليل، كان توماس هو الوحيد الذي ما يزال مستيقظًا. أراد البكاء، ولكنه لم يفعل. أراد أن يجد آلبي وأن يضربه، بلا أي سبب على الإطلاق، ولكنه لم يفعل. أراد أن يصرخ ويركل ويبصق وأن يفتح الصندوق ويرمي بنفسه في حفرته المظلمة، ولكنه لم يفعل.

أغمض عينيه وأجبر الصور والأفكار السوداوية على الابتعاد عن ذهنه، وفي لحظة ما غفا هو الآخر.

***

في الصباح، اضطر تشاك إلى سحب توماس من كيس نومه، والذهاب به إلى الحمامات، ثم إلى غرفة تبديل الملابس. وطوال ذلك الوقت، كان توماس كئيبًا مُحبَطًا وغير مبالٍ، رأسه يؤلمه وجسده يرغب في المزيد من النوم. مرَّ الإفطار ضبابيًّا وكأنه أشبه بالحلم، وبعد ساعة من انتهائه، لم يستطع تذكر ما أكله. كان متعبًا للغاية، شعر كما لو أن هناك شخصًا ما كان يضربه على دماغه، وشعر بالحموضة ترتفع حتى كادت تحرق صدره وتخربه. لكن مما استطاع فهمه، أن القيلولة كانت شيئًا مستهجَنًا في الجلايد بأكمله، حيث كان الجميع يعملون بجد.

وقف مع نيوت أمام حظيرة بيت الدم، استعدادًا لبدء جلسته التدريبية الأولى مع أحد الأمناء، وعلى الرغم من ذلك الصباح العصيب، كان متحمسًا بالفعل لمعرفة وتعلم المزيد، وللحصول على فرصة لإبعاد بِن وما حدث في المقبرة عن ذهنه. خارت الأبقار، وثغت الأغنام، وخنخنت الخنازير من حوله.

وفي مكان ما بالجوار، نبح كلب، مما جعل توماس يأمل ألا يكون السيد طاسة قد أعطى لكلمة (هوت دوج- hot dog) معنى جديدًا.

فكَّر توماس في قرارة نفسه: هوت دوج. *متى كانت آخر مرة تناولت فيها الهوت دوج؟ ومع من؟*

- تومي، هل تصغي إليَّ؟

استفاق توماس من دوامة تساؤلاته وانتبه إلى نيوت، الذي لم يعلم منذ متى وهو يتحدث، ولم يسمع توماس أي كلمة مما قاله.

- أجل، آسف. لم أستطع النوم الليلة الماضية.

ابتسم نيوت ابتسامة شفقة وقال:

- لا يمكنني أن ألومك؛ لقد عشتَ كابوسًا حقيقيًا بالأمس. على الأرجح أنك تحسبني عرقوبًا أحمق لجعلك تكدح في العمل اليوم بعد كل ما مررت به بالأمس.

هزَّ توماس كتفيه قائلًا:

- ربما العمل هو أفضل ما يمكنني القيام به في الوقت الحالي، على الأقل من شأنه أن يصرف ذهني عن التفكير فيما حدث.

أومأ نيوت برأسه وابتسم ابتسامة من القلب هذه المرة وقال:

- إنك ذكي حقًا كما تبدو يا توماس. هذا هو أحد الأسباب التي تجعلنا جميعًا نعمل بجد هنا، فلو كنت كسولًا ستستسلم للحزن بسهولة. الحسبة واضحة وبسيطة.

أومأ توماس برأسه وهو يركل صخرة صغيرة فوق أرضية الجلايد الحجرية المتصدعة المتربة. وقال:

- إذن، ما أخبار فتاة الأمس تلك؟

فلو كان هناك شيء قد اخترق أفكاره الضبابية طوال صباحه الطويل هذا فهو تفكيره في الفتاة. أراد معرفة المزيد عنها، وفهم ذلك الشيء الغريب الذي شعر بأنه يربطه بها.

- ما زالت في غيبوبة، نائمة، يطعمها الطبيجية بأنواع من الحساء الذي يحضِّره السيد طاسة، وكذلك يتحققون من تنفسها ومعدل نبضها ودرجة حرارتها وما إلى ذلك. إنها تبدو بخير، فقط غائبة عن عالمنا في الوقت الحالي قليلًا.

- هذا في غاية الغرابة.

لولا حادثة بِن في المقبرة تلك، كان توماس واثقًا من أنه كان سيقضي الليلة الماضية بأكملها يفكر فيها، وربما لم يكن ليستطيع النوم لسبب مختلف. أراد أن يعرف من تكون وما إذا كان يعرفها بطريقة أو بأخرى.

قال نيوت:

- أجل، أعتقد أن كلمة غرابة أصبحت كأي كلمة عادية أخرى بالنسبة إلينا هنا.

نظر توماس من فوق كتف نيوت إلى الحظيرة الكبيرة ذات اللون الأحمر الباهت، وقال في محاولة لدفع أفكاره عن الفتاة جانبًا:

- إذن بماذا سأبدأ أولًا؟ بحلب الأبقار أم بذبح بعض الخنازير الصغيرة المسكينة؟

ضحك نيوت. وهو صوتٌ أدرك توماس أنه لم يسمعه كثيرًا منذ وصوله.

- دائمًا ما نجعل الوافدين الجدد يبدؤون بأعمال الجزارة اللعينة. لا تقلق، فتقطيع اللحوم كي يعدها للسيد طاسة ليس كل ما في الأمر. الجزَّارون يهتمون بأي شيء وكل شيء له علاقة بالماشية.

- من المؤسف أنني لا أستطيع تذكر أي شيء عن حياتي، فربما كنتُ أحب الحيوانات.

كان يمزح فحسب، لكن على ما يبدو أن نيوت لم يفهم المزحة، إذ أومأ برأسه نحو الحظيرة قائلًا:

- أوه، ستكتشف ذلك حالما تغرب شمس اليوم. دعنا نذهب لمقابلة وِنستون... إنه الأمين.

كان وِنستون فتى قصير القامة لكن جسده مفتول، وبشرته مغطاة بحَب الشباب، وبدا لتوماس أن هذا الأمين يحب وظيفته كثيرًا، وفكَّر قائلًا في قرارة نفسه: *ربما قد أُرسِلَ إلى هنا لكونه قاتلًا متسلسلًا*.

اصطحبه وِنستون في جولة على مدار الساعة الأولى، ليريه حظائر الحيوانات، وأماكن أقفاص الدجاج والديكة الرومية، وكل شيء آخر قد يحتاج إلى معرفته داخل الحظيرة. وأخذ الكلب، وهو كلب أسود شقي من فصيلة لابرادور يُدعى النَبَّاح، يلاحق توماس بسرعة ملتصقًا بقدميه طوال الجولة.

تساءل توماس من أين جاء الكلب، وسأل وِنستون، الذي قال إن النَبَّاح كان هنا منذ البداية. ولحسن الحظ، يبدو أنه قد حصل على اسمه على سبيل المزاح، لأنه كان ساكتًا تمامًا ونادرًا ما ينبح.

أما الساعة الثانية فأُمضيَتْ في العمل مع حيوانات المزرعة: إطعام، تنظيف، إصلاح السياج، إزالة الرَّطْم. *الرَّطْم*. وجد توماس نفسه قد بدأ يستخدم مصطلحات أفراد الجلايد أكثر فأكثر.

أمَّا الساعة الثالثة فكانت هي الأصعب بالنسبة إلى توماس، إذ كان عليه أن يشاهد وِنستون وهو يذبح خنزيرًا، ويقطِّعهُ إلى أجزاء ليكون جاهزًا للطبخ في المستقبل. وأقسم توماس على شيئين عندما ابتعد من أجل استراحة الغداء. أولًا، أن وظيفته لن تكون متعلقة بأمور الحيوانات أبدًا؛ ثانيًا، أنه لن يأكل أي شيء قد خرج من خنزير مرة أخرى.

كان وِنستون قد أخبره بأن يذهب لاستراحة الغداء بمفرده، وأنه سيتسكع قليلًا حول بيت الدم، وكان هذا أمرًا جيدًا بالنسبة إلى توماس. وبينما كان يسير باتجاه الباب الشرقي، لم يستطع التوقف عن تخيل وِنستون واقفًا في زاوية مظلمة من الحظيرة يقضم أقدام الخنازير النيئة. أصابه هذا الفتى بالاشمئزاز.

كان توماس يمر من أمام الصندوق عندما فوجئ برؤية شخص ما يدخل إلى الجلايد من المتاهة، عبر الباب الغربي، على يساره... فتى آسيوي ذو ذراعين قويتين وشعر أسود قصير، وقد بدا أكبر سنًا قليلًا من توماس. توقف العدَّاء بعد أول ثلاث خطوات من دخوله الجلايد، ثم انحنى ووضع يديه على ركبتيه، وأخذ يلهث. لقد بدا وكأنه قد جرى للتو مسافة عشرين ميلًا، بوجه محمرٍّ، وبشرة مغطاة بالعرق، وملابس مبللة بالكامل.

حدَّق إليه توماس، بدافع الفضول، فمنذ قدومه إلى هنا لم تُتَح له فرصة مقابلة أو التحدث إلى أي من العدائين، بالإضافة إلى أنه استنادًا إلى اليومين الماضيين، فإن هذا العدَّاء قد عاد من المتاهة بضع ساعات مبكرًا. تقدم توماس إلى الأمام، متلهفًا للتحدث معه وطرح بعض الأسئلة عليه، ولكن قبل أن يتمكن من صياغة جملة واحدة، انهار الفتى على الأرض.

الفصل الثاني عشر

تسمَّرَ توماس في مكانه لبضع ثوانٍ، بينما كان الفتى مكوَّمًا على الأرض، بالكاد يتحرك. ظل توماس مرتبكًا، خائفًا من التورط، فماذا لو حدث مكروه لهذا الفتى؟ ماذا لو كان قد... لُدِغَ؟ ماذا لو...

استفاق توماس من أفكاره، فمن الواضح أن العدَّاء كان بحاجة إلى المساعدة.

صرخ قائلًا:

- آلبي! نيوت! فليناهِدهما أحد!

ركض توماس نحو الفتى الأكبر وركع بجانبه وقال:

- هل أنت بخير؟

أسند العدَّاء رأسه فوق ذراعيه الممدودتين بينما ظل يلهث، وصدره يرفرف. كان في وعيه، لكن توماس لم يسبق له أن رأى شخصًا على هذه الدرجة من الإنهاك من قبل.

قال لاهثًا:

- أنا... بخير.

ثم نظر إلى أعلى وأردف قائلًا:

- من أنت أيها الأخرق؟

- أنا جديد هنا.

ثم أدرك توماس في تلك اللحظة أن العدائين قد قضوا النهار بأكمله في المتاهة بالخارج ولم يشهدوا أيًا من الأحداث الأخيرة. هل يعلم هذا الفتى حتى بأمر الفتاة؟ ربما... لا بد أن أحدهم قد أخبره.

- اسمي توماس، وأنا هنا منذ يومين فقط.

دفع العدَّاء نفسه إلى وضعية الجلوس، وكان شعره الأسود ملبدًا في رأسه من العرق، وزَفَرَ قائلًا:

- أوه، أجل، توماس، الوافد الجديد. أنت والفتاة.

في تلك اللحظة هروَل آلبي إليهما، وكان واضحًا عليه الاستياء. قال:

- لماذا عدتَ يا مينهو؟ ماذا حدث؟

أجابه العدَّاء الذي بدا وكأنه يستعيد قوته شيئًا فشيئًا مع مرور كل ثانية:

- هدئ أعصابك يا آلبي، واجعل من وجودك شيئًا مفيدًا وأحضر لي بعض الماء، فقد أسقطتُ حقيبة ظهري في مكان ما داخل المتاهة.

لكن آلبي لم يتحرك من مكانه، وإنما ركل مينهو بقوة في ساقه، وكان من الصعب عدُّ هذا مزاحًا. وقال:

- ما الذي حدث؟

فصاح فيه مينهو بصوته الأجش قائلًا:

- بالكاد أستطيع التحدث أيها المقشور. اذهب وأحضر لي بعض الماء!

نظر آلبي إلى توماس، الذي صُدم لرؤية ابتسامة خفيفة على وجهه قبل أن تختفي وتتحول إلى نظرة صارمة.

- مينهو هو العرقوب الوحيد الذي يمكنه التحدث معي بهذه الطريقة دون أن يتم قذفه من أعلى الجرف.

ومن ثم فوجئ توماس أكثر وأكثر عندما استدار آلبي وركض على الأرجح لكي يحضر لمينهو بعض الماء.

التفت توماس إلى مينهو وقال:

- هل يدعك تعطيه الأوامر؟

هزَّ مينهو كتفيه، ثم مسح قطرات العرق فوق جبينه وقال:

- هل تخاف من هذا الحشرة؟ بحقك، ما زال لديك الكثير لتتعلمه أيها الوافد الجديد الأخرق.

انزعج توماس من التوبيخ أكثر مما ينبغي، مع الأخذ في الحسبان أنه التقى هذا الفتى منذ ثلاث دقائق فقط.

- أليس هو القائد؟

ضحك مينهو ساخرًا وهو يفرك عينيه وقال:

- قائد؟ أجل يمكنك أن تسميه قائدًا كيفما أردت. ربما علينا أن ندعوه سيادة الرئيس. لا، لا، الأدميرال آلبي. هكذا أفضل.

لم يكن توماس يعرف ماذا يستنتج من تلك المحادثة، فقد كان من الصعب معرفة ما إذا كان مينهو جادًا أم لا.

- إذن من هو القائد إن لم يكن هو؟

- أيها العود الأخضر، فقط أغلق فمك قبل أن تربك نفسك أكثر وتزداد حيرتك.

تنهد مينهو في ضجر، كما لو كان قد سئم من تلك المحادثة، ثم تمتم قائلًا:

- لماذا يأتي العراقيب إلى هنا دائمًا لطرح أسئلة غبية؟ إنه أمر مزعج حقًا.

- ما الذي تتوقع منًا فعله؟

شعر توماس بالغضب يشتعل في داخله. أراد أن يقول له: وكأنك كنت تتصرف بشكل مختلف *عندما* جئت *إلى هنا لأول* مرة.

- أن تفعل ما قيل لك، أبقِ فمك مغلقًا. هذا ما أتوقعه.

نظر مينهو في وجهه مباشرة بعد هذه الجملة الأخيرة، وتراجع توماس بضع بوصات إلى الخلف قبل أن يتمكن من إيقاف نفسه، فقد أدرك على الفور أنه قد ارتكب خطأً للتو... لم يكن يستطيع أن يسمح لهذا الفتى أن يعتقد أنه يمكنه التحدث معه بهذه الطريقة.

جثا على ركبتيه مرة أخرى ونظر إلى أسفل إلى الفتى الأكبر قائلًا:

- أنا واثق من أنك كنت تتصرف هكذا بالضبط عندما كنتَ وافدًا جديدًا.

حدَّق مينهو إلى عينَي توماس وقال:

- لقد كنتُ من أوائل الذين وصلوا إلى الجلايد أيها الأخرق. أبقِ فمك مغلقًا حتى تعرف ما الذي تتحدث عنه.

هَمَّ توماس بالنهوض، وكان في تلك اللحظة خائفًا بعض الشيء من الفتى، ولكنه قد سئم من أسلوبه، وبينما كان ينهض أمسكه مينهو من ذراعه وقال:

- اجلس يا صاح، إنني أمزح معك فحسب. إنه لشيء ممتع للغاية، ستكتشف ذلك بنفسك عندما يصل وافد جديد آخر...

ثم سكت لبرهة وعقد حاجبيه وامتلأت نظراته بالحيرة. وأردف:

- أعتقد أنه لن يكون هناك وافدون جدد آخرون، صحيح؟

هدأ غضب توماس، وجلس مرة أخرى، متفاجئًا من مدى السرعة والبساطة التي هدأ بها. فكَّرَ في الفتاة وفي الورقة المكتوب فيها أنها الأخيرة على الإطلاق.

- نعم، أظن ذلك.

حدَّق مينهو إلى توماس قليلًا، كما لو كان يدرسه، ثم قال:

- لقد رأيت تلك الحلوة، أليس كذلك؟ يقول الجميع إنك ربما تعرفها أو شيء من هذا القبيل.

هرع توماس للدفاع عن نفسه قائلًا:

- لقد رأيتها. لا تبدو مألوفة بالنسبة إلي على الإطلاق.

وعلى الفور شعر بالذنب بسبب الكذب، حتى لو كانت مجرد كذبة صغيرة.

- أهي مثيرة؟

صمتَ توماس لثوانٍ، فهو لم يفكر فيها بهذه الطريقة منذ أن رآها وهي في حالة من الفزع ممسكة بالورقة ولا تنطق سوى بجملة واحدة: «سيتغير كل شيء». ولكنه تذكر كم كانت جميلة.

- أجل، أعتقد أنها مثيرة.

مال مينهو بظهره للخلف حتى استلقى على الأرض، وأغمض عينيه، وقال:

- أجل، لا بد أنك تعتقدُ ذلك. إذا كانت تثيرك الحسناوات فاقدات الوعي. صحيح؟

ثم ضحك مرة أخرى.

- صحيح.

واجه توماس صعوبة في تحديد ما إذا كان يستلطف مينهو أم لا، فقد بدا أن شخصيته كانت تتغير كل دقيقة. وبعد فترة من الصمت، قرر توماس أن يغتنم الفرصة، وسأله بحذر قائلًا:

- إذن... هل وجدت أي شيء اليوم؟

اتسعت عينا مينهو عن آخرهما، وركَّزَ على توماس وقال:

- أتعرف أيها العود الأخضر؟ هذا عادة ما يكون أغبى سؤال من الممكن أن تسأله لعدَّاء.

ثم أغلق عينيه مرة أخرى وأردف:

- لكنه ليس كذلك اليوم.

- ماذا تقصد؟

تجرَّأ توماس على الأمل في الحصول على معلومات.

قال في قرارة نفسه: *إجابة. أرجوك أعطني إجابة!*

- فقط انتظر حتى يعود سيادة الأدميرال، فلا أحب قول الأشياء مرتين. هذا إلى جانب أنه قد لا يريدك أن تسمع ما سأقوله على أي حال.

تنهد توماس. على الأقل لم يكن متفاجئًا من عدم الحصول على إجابة. قال:

- حسنًا، على الأقل أخبرني لماذا تبدو متعبًا لهذه الدرجة. ألا تعدو هناك كل يوم؟

تأوه مينهو وهو يعتدل في جلسته ويربع قدميه من تحته، ثم قال:

- أجل أيها العود الأخضر، إنني أعدو هناك كل يوم. دعنا نقول إنني متحمس قليلًا فحسب، فعدوت بسرعة أكبر لكي أعود إلى هنا.

- لماذا؟

كان توماس متلهفًا لسماع ما حدث في المتاهة.

رفع مينهو يديه قائلًا:

- الصبر يا صديقي، الصبر. أخبرتك؛ انتظر عودة الجنرال آلبي.

شيء ما في نبرة صوته خفف من خيبة أمله، واتخذ توماس قراره. نعم، لقد استلطف مينهو.

- حسنًا، سألتزم الصمت. فقط تأكد من أن آلبي سيسمح لي بسماع الأخبار.

حدَّق مينهو إليه لثانية ثم قال:

- حسنًا أيها العود الأخضر. وهو كذلك.

ثم جاء آلبي بعد لحظة ومعه كوب بلاستيكي مليء بالماء وأعطاه إلى مينهو، الذي تجرع الكوب كله على مرة واحدة.

قال آلبي:

- حسنًا، أفصح عما لديك. ما الذي حدث؟

رفع مينهو حاجبيه وأومأ برأسه نحو توماس.

فقال آلبي:

- لا بأس، لا يهمني ما سيسمعه هذا العرقوب. تكلم فحسب!

جلس توماس في هدوء مترقبًا بينما كان مينهو يكافح محاولًا الوقوف، كاد يصرخ مع كل حركة من شدة التعب.

وازن العدَّاء نفسه متكئًا على الحائط ورمقهما بنظرة باردة وقال:

- وجدتُ هامة ميتة.

- هاه؟ وجدتَ ماذا؟

ابتسم مينهو قائلًا:

- هامة ميتة.

الفصل الثالث عشر

ذُهِلَ توماس لما سمعه عن الهامة، فقد كانت تلك المخلوقات المقرفة مرعبة عند التفكير فيها، لكنه تساءل لماذا يعَد العثور على هامة ميتة أمرًا بالغ الأهمية لتلك الدرجة. ألم يحدث هذا من قبل؟

بدا آلبي كما لو أن شخصًا ما أخبره للتو بأنه قد أصبحت له أجنحة ويستطيع الطيران. قال:

- هذا ليس الوقت المناسب للمزاح.

أجابه مينهو قائلًا:

- انظر، أنا أيضًا لم أكن لأصدقني لو كنت مكانك. لكن ثق بي، لقد رأيتها، هامة سمينة قذرة.

فقال توماس في قرارة نفسه: *من المؤكد أن هذا لم يحدث من قبل.*

كرر آلبي قائلًا:

- وجدت هامة ميتة؟!

قال مينهو وقد بدا على صوته الانزعاج:

- أجل يا آلبي، على بعد ميلين من هنا، بالقرب من الجرف.

نظر آلبي نحو المتاهة ثم عاد ينظر إلى مينهو مرة أخرى قائلًا:

- حسنًا، لماذا لم تحضرها معك؟

ضحك مينهو مرة أخرى مقهقهًا وقال:

- هل شربت الكثير من صلصة السيد طاسة أم ماذا؟ لا بد أنها تزن نحو نصف طن يا صاح. هذا بالإضافة إلى أنني لن أتطرق إلى لمس أيٍّ منها حتى لو عرضتَ عليَّ تذكرة مجانية للخروج من هنا.

استمر آلبي في طرح الأسئلة قائلًا:

- كيف تبدو عن قرب؟ هل كانت مخالبها المعدنية داخل جسمها أم خارجه؟ هل صدر منها أي حركة... هل كان جلدها ما يزال رطبًا؟

امتلأ رأس توماس بالأسئلة: *مخالب معدنية؟ جلد رطب؟ ما هذا بحق السماء؟*

ولكنه أمسك لسانه، فلم يكن يُريد تذكيرهما بأنه كان هناك، وأنه ربما كان عليهما التحدث على انفراد.

قال مينهو:

- اهدأ يا رجل. عليك أن تراها بنفسك. إن منظرها... عجيب.

- عجيب؟

بدا آلبي مرتبكًا.

- يا صاح، أنا منهك، وأتضور جوعًا، وأشعر أنني قد أُصِبت بضربة شمس. ولكن إذا كنت تريد نقلها الآن، فعلينا أن نكون قادرين على الوصول إلى هناك والعودة قبل أن تغلق الجدران.

نظر آلبي إلى ساعته وقال:

- من الأفضل أن ننتظر حتى صباح الغد.

استقام مينهو بعد أن ابتعد عن الحائط الذي كان يتكئ عليه وضرب آلبي على ذراعه قائلًا:

- هذا أذكى شيء قلتَه منذ أسبوع.

ثم بدأ السير في اتجاه بيت المزرعة وهو يعرج قليلًا في مشيته، وما كاد يبتعد في طريقه حتى التفت إليهما -وقد بدا عليه أن جسده بأكمله كاد يصرخ من شدة الألم- قائلًا:

- من المفترض أن عليَّ العودة إلى المتاهة، ولكن سحقًا لذلك. سأذهب لتناول طبق من حساء السيد طاسة الكريه.

شعر توماس بخيبة أمل كبيرة. كان عليه أن يعترف أنه لا شك في أن مينهو كان يستحق بالفعل أن يرتاح قليلًا وأن يتناول بعض الطعام، ولكنه أراد معرفة المزيد.

ثم التفت آلبي إلى توماس وقال له فجأة:

- إن كنت تعرف شيئًا ولم تخبرني به...

كان توماس قد سئم من اتهامه بمعرفة الأشياء. أليست هذه هي المشكلة بالأساس؟ أنه بالفعل لا يعرف أي شيء! نظر في وجه الفتى وسأله ببساطة:

- لماذا تكرهني إلى هذا الحد؟

كانت تعابير وجه آلبي لا توصف في تلك اللحظة: خليط من الارتباك والغضب والصدمة.

- أكرهك! أكرهك أنت؟ آه يا فتى، إنك لم تتعلم أي شيء منذ خروجك من الصندوق. كل ما نفعله هنا ليس له أي علاقة بالكره أو الحب أو الصداقة أو أي شيء. كل ما يهمنا هو البقاء على قيد الحياة، لذا كُفَّ عن هذا الغباء وابدأ باستخدام دماغك اللعين هذا قليلًا إن كان لديك دماغ.

شعر توماس كما لو كان قد صُفِعَ على وجهه للتو.

- ولكن... لماذا تستمرون في اتهامي؟

- لأن الأمر لا يمكن أن يكون محض مصادفة أيها المقشور! أنت تصل إلى هنا، ثم تصل فتاة في اليوم التالي، ومعها ملاحظة جنونية، ومن ثم يحاول بِن مهاجمتك، وبعدها نجد هوامًا ميتة. ثمة شيء ما يحدث، ولن أرتاح حتى أكتشف ما هو.

- لا أعرف أي شيء يا آلبي. أنا لا أعرف حتى أين كنتُ قبل ثلاثة أيام، ناهيك بسبب عثور مينهو هذا على تلك المخلوقة الغريبة ميتة. لذا كُفَّ عن هذا!

كان من الجيد أن يضيف توماس شيئًا من العاطفة في كلماته.

مال آلبي قليلًا إلى الوراء وحدَّقَ إلى توماس بشرود لعدة ثوانٍ، ثم قال:

- هدئ أعصابك أيها العود الأخضر، وابدأ بالتفكير كشخص كبير. لا أحد يتهمك بأي شيء، ولكن إذا تذكرت أي شيء، أو أن لديك أدنى انطباع بأن هناك أي شيء يبدو مألوفًا بالنسبة إليك، فمن الأفضل أن تخبرني به. عدني.

فقال توماس في قرارة نفسه: *ليس قبل أن أستعيد ذاكرتي، وليس إلا إذا أردتُ إخبارك.*

- حسنًا، ولكن...

- عِدني فحسب!

سكت توماس لبرهة، وقد سئم من آلبي وأسلوبه. ثم قال أخيرًا:

- على أي حال، أعدك.

وعندها استدار آلبي ومشى بعيدًا دون أن ينبس ببنت شفة.

***

وجد توماس في منطقة الموتى، واحدة من أكثر تلك الأشجار الموجودة على حافة الغابة ظِلًّا. كان خائفًا من العودة للعمل مع وِنستون الجزّار وكان يعلم أنه بحاجة إلى تناول الغداء، لكنه أراد البقاء بمفرده لأطول فترة ممكنة. فظَلَّ متكئًا على جذع الشجرة الغليظ، متمنيًا أن تداعبه بعض نسمات الهواء، ولكن هذا لم يحدث.

كان قد بدأ يشعر بجفنيه يثقلان عندما أتى تشاك وأفسد عليه سلامه وهدوءه.

صرخ الفتى وهو يركض نحوه ملوحًا بذراعيه ووجهه مفعم بالحماس:

- توماس! توماس!

فرك توماس عينيه وتأوّه، فهو لم يكن يريد أي شيء في العالم أكثر من أخذ قيلولة لنصف ساعة لا غير، وعلى الفور وجد تشاك يقف أمامه مباشرة، وهو يلهث لالتقاط أنفاسه.

- ماذا هناك؟

خرجت الكلمات ببطء من فم تشاك، بين شهقاته لالتقاط أنفاسه.

- بِن... بِن... إنه لم... يمت.

تلاشت كل آثار التعب من جسد توماس، وهب واقفًا أمام تشاك أنفًا لأنف.

- ماذا؟

- بِن... لم يمت. ذهب الشوالجية لحمله... لم يصب السهم دماغه... أخذه الطبيجية لتضميده.

استدار توماس وحدق إلى الغابة حيث هاجمه الفتى المريض في الليلة السابقة.

- لا بد أنك تمزح. لقد رأيته... لم يمت؟

لم يستطع توماس تحديد أي من هذه المشاعر كانت تسيطر عليه في تلك اللحظة: الارتباك، الارتياح، أم الخوف من أن يتعرض لهجوم آخر...

قال تشاك:

- حسنًا، وأنا رأيته كذلك. إنه محتجز في الزنزانة، ونصف رأسه مغطى بضمادة ضخمة.

التفت توماس لمواجهة تشاك مرة أخرى قائلًا:

- الزنزانة؟ ماذا تقصد؟

- الزنزانة. إنها السجن الخاص بنا، وتوجد على الجانب الشمالي من بيت المزرعة.

أشار تشاك في ذلك الاتجاه وأردف:

- لقد ألقوا به فيها بسرعة كبيرة حتى إن الأطباء اضطروا إلى تضميده هناك.

فرك توماس عينيه. استهلكه الشعور بالذنب عندما أدرك ماهية شعوره الحقيقي... لقد كان يشعر بالارتياح حيال فكرة موت بِن. لأنه لم يكن مضطرًّا للقلق بشأن مواجهته مرة أخرى.

- إذن ماذا سيفعلون به؟

- لقد عُقِدَ بالفعل تجمع للأمناء هذا الصباح، وقد كان القرار بالإجماع. ويبدو أن بِن سيتمنى لو أن السهم قد أصاب دماغه اللعين في نهاية المطاف.

قطَّب توماس جبينه، مرتبكًا من كلام تشاك.

- عن ماذا تتحدث؟

- سيتم نفيه، الليلة، لمحاولته قتلك.

- نفيه؟ ماذا يعني ذلك؟

كان يجب على توماس أن يسأل، على الرغم من أنه كان يعلم أنه ليس من الممكن أن يكون أمرًا جيدًا بما أن تشاك يعتقد أنه أسوأ من الموت.

ومن ثم رأى توماس ربما الشيء الأكثر إزعاجًا على الإطلاق منذ وصوله إلى الجلايد.

لم يجبه تشاك؛ ابتسم فحسب. ابتسم، على الرغم من كل شيء، على الرغم من أن ما قاله للتو قد بدا كشيء مشؤوم، ثم استدار وركض بعيدًا، ربما ليخبر شخصًا آخر بتلك الأخبار المثيرة.

وفي تلك الليلة، جمَّعَ نيوت وآلبي كل أفراد الجلايد عند الباب الشرقي قبل نحو نصف ساعة من إغلاقه، وكانت أولى لمحات ظلال حمرة الشفق قد بدأت تزحف عبر السماء، وقد عاد العداؤون لتوِّهم ودخلوا إلى غرفة الخرائط الغامضة، وأغلقوا الباب الحديدي خلفهم، وكان مينهو قد سبقهم إلى الغرفة بالفعل. أخبر آلبي العدائين بأن يسرعوا بشأن أعمالهم، أرادهم أن يعودوا في غضون عشرين دقيقة.

كان توماس ما يزال منزعجًا من الطريقة التي ابتسم بها تشاك وهو ينقل خبر نفي بِن، على الرغم من أنه لم يكن يعرف بالضبط ما يعنيه ذلك، فإنه من المؤكد أنه لم يكن يبدو شيئًا جيدًا، وبخاصة أنهم كانوا جميعًا يقفون بالقرب من المتاهة. تساءل توماس في نفسه: *هل سيخرجونه من هناك؟ مع الهوام؟*

كان أفراد الجلايد الآخرون يتهامسون بعضهم مع بعض، وخيَّم عليهم شعور شديد بالترقب المرعب مثل بقعة من الضباب الكثيف معلقة فوق رؤوسهم. ولكن توماس لم يقل شيئًا، ظل واقفًا، طاويًا ذراعيه، في انتظار العرض. وقف بهدوء حتى خرج العداؤون أخيرًا من مبناهم، وقد بدا كل منهم منهكًا، وبدا على وجوههم حيرة شديدة. كان مينهو أول من خرج، مما جعل توماس يتساءل ما إذا كان هو أمين العدائين.

صاح آلبي قاطعًا حبل أفكار توماس:

- أحضروه!

سقطت يداه على جانبيه عندما استدار حول نفسه مفتشًا في الجلايد من حوله على أي علامة على وجود بِن، أخذ الخوف يزداد في داخله وهو يتساءل ماذا قد يفعل الفتى حين يراه. ومن خلف بيت المزرعة، ظهر ثلاثة من الفتيان الأكبر، وهم حرفيًّا يجرُّون بِن على الأرض. كانت ملابسه ممزقة وبالكاد تغطي جسده، وثمة ضمادة سميكة مبقعة بالدم تغطي نصف رأسه ونصف وجهه. وسواء برفضه السير على قدميه أو المساعدة في التقدم بأي شكل من الأشكال، فقد بدا ميتًا مثل آخر مرة رآه فيها توماس. باستثناء شيء واحد.

كانت عيناه جاحظتين، ومليئتين بالرعب.

قال آلبي بصوت أهدأ، لم يكن توماس ليسمعه لو لم يكن واقفًا على بعد بضعة أقدام فقط:

- نيوت، أحضِر العمود.

أومأ نيوت برأسه وسار على الفور نحو كوخ خشبي صغير يُخَزَّن فيه أدوات البستنة، كما لو كان في انتظار أن يؤمَر.

أعاد توماس تركيزه إلى بِن والأمناء. لم يبذل الفتى الشاحب البائس أي جهد للمقاومة، سامحًا لهما بجرِّه عبر الحجر المُتَرَّب لأرضية الساحة. وعندما وصلوا إلى الحشد، دفعوا بِن أمام آلبي، قائدهم، وخفض بِن رأسه رافضًا النظر في عيني أي أحد.

قال آلبي:

- أنت الذي جلبت هذا على نفسك يا بِن.

ثم هزَّ رأسه ونظر نحو الكوخ الذي ذهب إليه نيوت.

تتبع توماس نظرته في الوقت المناسب تمامًا ليرى نيوت يخرج عبر الباب المائل، حاملًا عدة أعمدة من الألومنيوم، ووصَّل نهاياتها بعضها ببعض مكوِّنًا عمودًا واحدًا بطول نحو عشرين قدمًا. وعندما انتهى، سحب شيئًا غريب الشكل على أحد الطرفين، ثم جر العمود الطويل عائدًا نحو الحشد. سرت قشعريرة في جسد توماس عند سماعه صوت الصرير المعدني لحكة العمود على الأرض الحجرية في أثناء سير نيوت في طريقه عائدًا.

أُصيب توماس بالرعب من الأمر برمته، لم يستطع مقاومة الشعور بالذنب وأنه المسؤول عن كل ما يحدث، على الرغم من أنه لم يفعل أي شيء لاستفزاز بِن بأي شكل من الأشكال. كيف يمكن أن يكون هذا خطأه؟ ما ذنبه في كل هذا؟ لم يتوصل لأي إجابة، لكن لم يستطع منع شعوره بالذنب، الذي كان مثل المرض في دمه. وأخيرًا، اقترب نيوت من آلبي وسلَّمه نهاية العمود الذي يحمله. أصبح توماس قادرًا على رؤية الشيء الغريب المرفَق به في تلك اللحظة. حلقة من الجلد الخشن، مثبتة على المعدن ببِرشام[1] ضخم، وكشف إبزيم كبير أن الحلقة يمكن فتحها وإغلاقها، وأصبح الغرض منها واضحًا.

لقد كان طوقًا.

(1) بِرشام: نوع من المسامير يُثَنَّى، يستعمل للوصل والتثبيت.

الفصل الرابع عشر

شاهد توماس آلبي وهو يفتح إبزيم الطوق، ثم يلفه حول عنق بِن، ونظر بِن أخيرًا إلى أعلى بمجرد أن أغلقت الحلقة الجلدية مع صوت نقرة عالية. تلألأت الدموع في عينيه، وسالت قطرات من المخاط من أنفه، ووقف جميع أفراد الجلايد ينظرون إليه، ولم ينطق أحدهم بأي كلمة.

تَوسَّلَ بِن قائلًا:

- أرجوك يا آلبي.

كان صوته مرتعشًا ومثيرًا جدًّا للشفقة لدرجة أن توماس لم يستطع أن يصدق أنه هو نفس الشخص الذي حاول عضَّ رقبته في اليوم السابق.

- أقسم أنني لم أكن في وعيي من أثر التحوُّل. لم أكن لأقتله قط، لقد فقدت عقلي للحظة فقط. أرجوك يا آلبي، أرجوك.

كانت كل كلمة من كلمات الفتى تُعَد لكمة في أحشاء توماس، تزيد من إحساسه بالذنب والارتباك.

لم يرُد آلبي على بِن، وإنما قام بسحب الطوق للتأكد من أنه مقفل بإحكام ومثبَّت جيدًا في العمود الطويل. ثم مشى متجاوزًا بِن على طول العمود، ملتقطًا إياه من على الأرض، وأمسك بنهايته بحزم واستدار لمواجهة الحشد بعينين محتقنتين بالدم، ووجه مجعد من شدة الغضب، وأنفاس ثقيلة.. وبدا لتوماس، وكأنه أصبح شريرًا على حين غرة.

وعلى الجانب الآخر، كان المشهد غريبًا: بِن يرتجف، يبكي، والطوق المصنوع من الجلد القديم الخشن ملفوف حول عنقه الشاحب الهزيل ومثبت بعمود طويل يمتد على مسافة عشرين قدمًا بينه وبين آلبي. كان العمود مقوسًا من المنتصف، ولكنه تقوُّس طفيف فحسب، إذ إنه حتى من حيث كان يقف توماس، قد بدا متينًا وقويًّا بشكلٍ مدهش.

تحدَّثَ آلبي بصوت عالٍ، وكأنه يلقي خطبة، نظراته موزَّعة بين الجميع ولا ينظر إلى أحد على وجه الخصوص:

- بِن البَنَّاء، لقد حُكِمَ عليك بالنفي بتهمة الشروع في قتل توماس، الوافد الجديد. لقد تشاوَرَ الأمناء، وكلمتهم لن تتغير، وأنت لن تعود، إلى الأبد.

ثم سكت لعدة ثوانٍ وأردف قائلًا:

- أيها الأمناء، خذوا أماكنكم على عمود النفي.

كره توماس أنه قد تم ربط اسمه بما يحدث لبِن علانية، كره شعوره بأنه هو المسؤول عما يحدث الآن، فأن يصبح مركز الاهتمام مرة أخرى لا يمكن إلا أن يؤدي إلى إثارة مزيد من الشكوك حوله. تحوَّلَ شعوره بالذنب إلى غضب ولوم. وأكثر من أي شيء آخر في هذا العالم، أراد فقط أن يذهب بِن، أن ينتهي كل هذا.

واحدًا تلو الآخر، كان الفتيان يخرجون من الحشد ويمشون إلى العمود الطويل. أمسكه كلٌّ منهم بكلتا يديه، كما لو كانوا يستعدون لمباراة شد الحبل. كان نيوت واحدًا منهم، وكذلك كان مينهو، مؤكِّدًا تخمين توماس بأنه أمين العدائين، كما اتخذ وِنستون الجزَّار مكانه من بينهم أيضًا.

وبمجرد أن أصبحوا جميعًا في أماكنهم -عشرة أمناء متباعدين بعضهم عن بعض بالتساوي بين آلبي وبِن- ساد الهدوء والصمت على المكان، وكان الصوت المسموع الوحيد هو نحيب بِن، الذي ظل يمسح أنفه وعينيه. أخذ ينظر حوله يمينًا ويسارًا، لكن الطوق الملفوف حول عنقه منعه من رؤية العمود والأمناء من خلفه.

تغيرت مشاعر توماس مرة أخرى، كان من الواضح أن ثمة خطأً ما بشأن بِن. لماذا استحق هذا المصير؟ وهل حقًّا لا يوجد شيء يمكن فعله من أجله؟ هل سيقضي توماس بقية حياته يشعر بالذنب؟

صرخ توماس داخل رأسه: *أنهِ الأمر فحسب! فلينته كل هذا!*

توسل بِن في يأس:

- أرجوكم، أرررررجووووووكم! فليساعدني أحد! لا يمكنكم أن تفعلوا هذا بي!

زأر آلبي من الخلف قائلًا:

- اخرس!

لكن بِن تجاهله وظل يستغيث عندما بدأ آلبي في شد الطوق الملتف حول رقبته قائلًا:

- فليوقفهم أحد! ساعدوني! أرجوكم!

أخذ ينظر للفتيان من حوله واحدًا تلو الآخر، متوسلًا بنظراته، ولكن الجميع أشاحوا بنظرهم بعيدًا، أما توماس، فخطا سريعًا خلف فتى طويل القامة لتجنب مواجهة بِن.

قال لنفسه: لا *يمكنني النظر إلى تلك العينين مرة أخرى.*

قال آلبي:

- إذا تركنا أمثالك من العراقيب يفلتون بأفعال كهذه، لم نكن لننجوا قط لهذه المدة الطويلة. أيها الأمناء، استعدوا.

تمتم بِن قائلًا:

- لا، لا، لا، لا، أقسم أنني سأفعل أي شيء تريدونه! أقسم أنني لن أكرر فعلتي ثانية! أرررررجوووووووو...

غطى الصوت الهادر لانزلاق جدار الباب الشرقي الذي قد بدأ في الانغلاق على صوت نحيب بِن. تطاير الشرر حيث انزلق الجدار الأيمن الضخم نحو اليسار، مصدرًا قعقعة مدوية وهو يشق طريقه لفصل الجلايد عن المتاهة ليلًا. اهتزت الأرض من تحتهم، ولم يكن توماس متأكدًا ما إذا كان قادرًا على مشاهدة ما كان يعرف أنه سيحدث بعد ذلك أم لا.

صاح آلبي قائلًا:

- أيها الأمناء، الآن!

حاول بِن أن يدير رأسه، بينما كان الأمناء يدفعون العمود نحو المتاهة إلى خارج الجلايد. خرجت صرخة مدوية من حلق بِن، بصوت أعلى من جعجعة إغلاق الباب، وسقط على ركبتيه، ولكن ما لبث أن رفعه الأمين الموجود في المقدمة -هو فتى ممتلئ الجسم بعض الشيء، شعره أسود وكثيف، ووجهه عابس- على قدميه مرة أخرى.

صرخ بِن والبصاق يتطاير من فمه وهو يتلوَّى بعنف ويحاول تمزيق الطوق بيديه:

- لااااااااااا!!!

ولكن قوَّة الأمناء جميعًا معًا كانت أكبر بكثير، مُجبِرَةً الفتى المدان على الاقتراب أكثر فأكثر من حافة الجلايد بينما كان الجدار الأيمن على وشك أن يُغلَق.

صرخ بِن مرارًا وتكرارًا:

- لاااا لاااا!

حاول غرس قدميه عند عتبة الباب، لكنها لم تصمد سوى لجزء من الثانية، دفعه العمود إلى المتاهة بلا هوادة مترنحًا، وسرعان ما أصبح على بعد أربعة أقدام خارج الجلايد، وهو يهز جسده بقوة محاولًا الفرار وتحرير نفسه من طوقه. وكانت جدران الباب على بعد ثوانٍ فقط من أن تُغلَق تمامًا.

وبمحاولة عنيفة أخيرة، تمكَّن بِن أخيرًا من لفِّ رقبته داخل الدائرة الجلدية بحيث أصبح جسده بالكامل في مواجهة أفراد الجلايد. لم يستطع توماس أن يصدق أنه كان يرى أمامه إنسانًا. فالجنون في عيني بِن، والبصاق المتطاير من فمه، وجلده الشاحب المشدود فوق عروقه وعظامه البارزة، جعله يبدو أغرب من أي شيء يمكن لتوماس تخيله.

صاح آلبي قائلًا:

- تمسكوا! اثبتوا!

ثم أخذ بِن يصرخ، دون توقف، بصوت ثاقب للغاية لدرجة أن توماس غطى أذنيه. لقد كانت صرخة جنونية وحشية، بالتأكيد قد مزقت حبال الفتى الصوتية إلى أشلاء. وفي الثانية الأخيرة، فكَّ الأمين الأمامي بطريقة ما العمود الأكبر من الجزء المرتبط ببِن، وسحبه مرة أخرى إلى الجلايد، تاركًا الفتى في منفاه. وانقطعت صرخات بِن الأخيرة عندما أُغلِقَت الجدران مُصدِرَةً دويًا رهيبًا.

أغمض توماس عينيه وفوجئ بشعوره بالدموع تنهمر على خديه.

الفصل الخامس عشر

للَّيلة الثانية على التوالي، ذهب توماس للنوم وصورة بِن المشؤومة محفورة في ذهنه، تعذِّبه. كيف كانت ستختلف الأمور الآن لو لم يلتقِ بهذا الفتى فقط؟ فقد كان توماس على وشك أن يستطيع إقناع نفسه بأنه سيكون راضيًا، وسعيدًا، ومتحمسًا لتعلم شؤون حياته الجديدة، وأنه سيسعى للوصول إلى هدفه بأن يصبح عدَّاءً. لقد كان على وشك إقناع نفسه بذلك، تقريبًا، إلا أنه في أعماقه، كان يعلم أن بِن لم يكن إلا جزءًا فقط من مشكلاته العديدة.

ولكنه الآن قد رحل، نُفِي إلى عالم الهوام، وأُخِذَ إلى حيثما يأخذون فرائسهم. وعلى الرغم من أنه كان لديه كثير من الأسباب لكره بِن، فإنه شعر بالأسف تجاهه أكثر من أي شيء آخر.

لم يكن توماس يتخيل ماذا سيحدث لو خرجَ إلى المتاهة، ولكن استنادًا إلى اللحظات الأخيرة لبِن، كيف كان يحتدم ويتصرف كالمجنون ويبصق ويصرخ، لم يعد يشك في أهمية قاعدة الجلايد التي تقضي بأنه لا أحد ينبغي أن يدخل المتاهة باستثناء العدَّائين، وخلال فترة النهار فقط. بطريقة ما، لقد تعرض بِن للدغ مرَّةً بالفعل، وبالتأكيد كان يعرف أكثر من أي شخص آخر ما الذي كان ينتظره هناك.

قال في قرارة نفسه: مسكين. *يا له من فتى مسكين!*

جفل توماس وتقلب على جانبه، فكلما فكَّرَ في الأمر أكثر، بدت فكرة أن يصبح عدَّاءً أسوأ بكثير. لكن، لسبب ما غير مفهوم، كانت ما تزال تستحوذ عليه.

***

في صباح اليوم التالي، كان نور الفجر بالكاد قد لامس السماء قبل أن توقظ أصوات حركة العمل في أرجاء الجلايد توماس من أعمق نومة ذاقها منذ وصوله. نهض، وجلس يفرك عينيه، محاولًا التخلص من خدره الثقيل. ولكنه استسلم واستلقى على ظهره ثانية، على أمل ألا يزعجه أحد.

لم يدم هذا أكثر من دقيقة واحدة، إذ شعر بأحدهم ينقر على كتفه، ففتح عينيه ليرى نيوت يحدق إليه.

قال توماس في قرارة نفسه: *ماذا الآن؟*

- انهض أيها اللوح.

- نعم، وصباح الخير لك أيضًا. كم الساعة الآن؟

قال نيوت بابتسامة ساخرة:

- الساعة السابعة أيها العود الأخضر. هل تصورت أنني سأتركك تنام في وقت العمل لأنك مررت بيومين عصيبين؟ هاه؟

نهض توماس، كارهًا كونه لا يستطيع الاستلقاء هناك لساعات قليلة أخرى. وقال:

- أنام في وقت العمل؟ من أنتم يا رفاق؟ لستم إلا حفنة من المزارعين!

مزارعين... كيف تذكر الكثير عن المزارعين؟ مرة أخرى حيرته ذاكرته الممحوة.

- أوه... أجل، بما أنك ذكرت هذا الآن...

جلس نيوت بجانب توماس وطوى ساقيه تحته، ظل ساكتًا لبضع لحظات، يتأمل كل الصخب الذي بدأ يعج في أرجاء الجلايد. ثم أردف قائلًا:

- سأضعك مع الجَرَّافجية اليوم أيها العود الأخضر، لنرى ما إذا كان ذلك سيناسب معاليك أكثر من تقطيع الخنازير اللعينة وما شابه.

كان توماس قد سئم من أن يُعَامَل كطفل رضيع.

- ألا يُفترض بك أن تكف عن مناداتي بهذا؟

- بماذا؟ الخنازير اللعينة؟

افتعل توماس ضحكة وهزَّ رأسه قائلًا:

- لا، العود الأخضر. أنا لم أعد أجدد شخص هنا الآن. صحيح؟ هل تتذكر فتاة الغيبوبة؟ نادِها بالعود الأخضر، أما أنا فاسمي توماس.

بدأ يفكر في الفتاة مجددًا، وتذكر كيف شعر بأن ثمة شيئًا ما يربطه بها. غمره الحزن وكأنه اشتاق إليها، وكأنه أراد رؤيتها.

هذا غير منطقي، أنا لا أعرف اسمها حتى.

اتكأ نيوت إلى الخلف، ورفع حاجبيه قائلًا:

- أراهنك أنك كنت تفكر فيها طوال الليل. أليس كذلك؟

تجاهله توماس وغيَّر الموضوع قائلًا:

- ماذا تقصد بالجَرَّافجية؟

- إنه الاسم الذي نطلقه على الفتيان الذين يعملون في البساتين، يحرثون الأرض، ويزيلون الأعشاب الضارة، ويغرسون الحبوب وما إلى ذلك.

أومأ توماس في هذا الاتجاه وقال:

- ومن هو أمينهم؟

- زارت. فتى لطيف، ما دمتَ لا تهرب من العمل ولم تكن كسولًا في تأديته، هذا كل شيء. إنه الفتى الضخم الذي وقف في المقدمة ليلة أمس.

لم يُعقِّب توماس بقول أي شيء بشأن هذا، على أمل أن يستطيع بطريقة ما أن يقضي يومه دون التحدث عن بِن والنفي، فمجرد ذكر الموضوع يشعِره بالذنب وعدم الراحة، لذا غَيَّر الموضوع ثانية.

- إذن لماذا أتيت لتوقظني؟

- ماذا؟ ألا تعجبك رؤية وجهي أول شيء بعد الاستيقاظ مباشرة؟

- ليس بالتحديد. لذا...

وقبل أن يتمكن من إنهاء جملته، قاطعته قعقعة الجدران التي بدأت تُفتَح لهذا اليوم. نظر نحو الباب الشرقي، وكأنه يتوقع رؤية بِن يقف هناك على الجانب الآخر، ولكنه بدلًا من ذلك رأى مينهو يقوم ببعض تمارين الإحماء. ثم راقبه توماس وهو يمضي قدمًا ويلتقط شيئًا ما من الأرض، لقد كان جزءًا من العمود متصلًا به الطوق الجلدي. بدا أن مينهو لم يبالِ بأمره كثيرًا، إذ رماه إلى أحد العدَّائين الآخرين الذي ذهب وأعاده إلى الكوخ الخاص بالأدوات بالقرب من البساتين.

التفت توماس إلى نيوت مرة أخرى مرتبكًا وقال:

- كيف يمكن لمينهو أن يتصرف بهذه اللامبالاة حيال كل ذلك؟ كيف هذا بحق الجحيم؟

- لقد رأيتُ فقط ثلاثة أشخاص يُنفَون يا تومي، وكان المشهد صعبًا ومروعًا في كل مرة، تمامًا كالمشهد الذي رأيتَه بالأمس. ومع ذلك، كل مرة لعينة تترك فيها الهوام الطوق على عتبتنا كانت تصيبني بالرعب أكثر من أي شيء في العالم.

لم يستطع توماس مخالفته.

- ماذا يفعلون بمن يمسكون بهم؟

هل أراد حقًّا أن يعرف؟ هزَّ نيوت كتفيه فحسب، ولم تكن لا مبالاته مقنعة للغاية. على الأرجح أنه لم يكن يرغب في التحدث عن الأمر.

ثم قال توماس فجأة:

- فلتخبرني عن العدَّائين إذن.

بدت الكلمات وكأنها قد خرجت من العدم، ولكنه ظل صامتًا في انتظار إجابة نيوت على الرغم من رغبته الغريبة المُلحة في الاعتذار وتغيير الموضوع، فقد أراد أن يعرف كل شيء عنهم، حتى بعد كل ما رآه بالأمس، حتى بعد رؤيته للهامة بأم عينيه عبر النافذة، أراد أن يعرف. كانت رغبته في المعرفة قوية جدًّا، ولم يكن يفهم تمامًا السبب وراء ذلك. شعر وكأنه قد وُلِدَ ليصبح عدَّاءً.

ظلَّ نيوت ساكتًا للحظات وبدا عليه الارتباك، ثم قال أخيرًا:

- العدَّاؤون؟ لماذا؟

- أتساءل فحسب.

رمقه نيوت بنظرة مريبة وقال:

- هؤلاء الفتيان هم صفوة الصفوة، الأفضل من بيننا جميعًا، عليهم أن يكونوا كذلك، فكل شيء يعتمد عليهم.

ثم التقط حجرًا صغيرًا ورماه بعيدًا وأخذ يراقبه وهو يرتد ويتدحرج عبر الأرضية حتى توقف.

- لماذا لستَ واحدًا منهم؟

التفت له نيوت ونظر إليه بحدة قائلًا:

- كنت واحدًا منهم حتى أصبت قدمي قبل بضعة أشهر، ولم تعد كما كانت منذ ذلك الحين.

ثم مدَّ يده إلى أسفل وفرك كاحله الأيمن وهو شارد الذهن، وظهرت نظرة ألم في عينيه، نظرة جعلت توماس يشعر أنه كان ألمًا من الذاكرة وليس ألمًا جسديًّا حقيقيًّا ما يزال يشعر به.

سأل توماس ظنًّا منه أنه كلما استطاع أن يجعل نيوت يتكلم أكثر، تمكَّن من معرفة المزيد من الأشياء:

- كيف أصبت قدمك؟

- كنت أهرب من هامة لعينة، وماذا عساها أن تكون؟ لقد كادت أن تنال مني.

ثم سكت لبرهة وأردف قائلًا:

- ما زال يقشعر بدني كلما تذكرت أنني لربما كنت سأمر بالتحوُّل.

التحوُّل. كان هذا هو الموضوع الذي اعتقد توماس أنه قد يقوده للوصول لإجابات أكثر من أي شيء آخر.

- وما التحوُّل بالمناسبة؟ ما الذي يتحوَّل؟ وهل يمر الجميع بتلك الحالة الجنونية التي كان عليها بِن ويحاولون قتل الناس؟

- كانت حالة بِن أسوأ من معظمهم. لكنني اعتقدت أنك كنت تود التحدث عن العدَّائين.

أوحت نبرة نيوت بتحذير بأن الحديث عن التحوُّل قد انتهى عند هذا الحد، وهو ما جعل توماس أكثر فضولًا، على الرغم من أنه لم يكن يمانع العودة للحديث عن العدَّائين.

- حسنًا، أنا أستمع.

- كما أخبرتك، هم نخبة النخبة.

- وكيف تعرفون ذلك؟ أتختبرون الجميع لمعرفة مدى سرعتهم؟

نظر نيوت إلى توماس باشمئزاز، ثم تأوَّه وقال:

- شغِّل عقلك هذا قليلًا أيها العود الأخضر، أقصد تومي، أيًّا ما تريد. إن مدى سرعتك اللعينة ليست سوى جزء فقط من الأمر، جزء صغير جدًّا في الواقع.

أثار هذا اهتمام توماس، فسأل قائلًا:

- ماذا تقصد؟

- عندما أقول نخبة النخبة، أعني الأفضل في كل شيء، لكي تستطيع النجاة من تلك المتاهة اللعينة، يجب أن تكون ذكيًّا، وسريعًا، وقويًّا. عليك أن تكون صانع قرار، وأن تعرف إلى أي مدى يمكنك المخاطرة. لا يمكنك أن تكون متهورًا ولا جبانًا أيضًا.

مدد نيوت ساقيه واتكأ للخلف على يديه وأردف:

- إن الأمر مروع بالخارج، أتعرف؟ أنا لا أفتقد كوني عدَّاءً أبدًا.

- اعتقدتُ أن الهوام لا يخرجون إلا في أثناء الليل.

لم يكن توماس يريد أن يصادف أحد هذه المخلوقات بأي شكل من الأشكال.

- أجل، عادةً.

- إذن لماذا الأمر مروع لهذه الدرجة بالخارج هناك؟

ما الذي كان ما يزال يجهله؟

تنهد نيوت وقال:

- ضغط عصبي، توتر. المتاهة تتغير كل يوم، محاولة تذكر كل التفاصيل، ومحاولة إخراجنا من هنا، والقلق بشأن الخرائط اللعينة، والأسوأ من ذلك كله، الخوف الدائم من أنك قد لا تستطيع العودة. إن محاولة الخروج من متاهة عادية لهو أمر صعب بما فيه الكفاية، ولكن عندما تكون متاهة تتغير كل ليلة، فإن أي خطأ قد يجعلك تقضي الليلة مع الوحوش الضارية، لا مجال ولا وقت للحمقى أو المدللين أو الأغبياء.

عبس توماس، لم يكن يفهم سبب هذا الدافع بداخله، الذي يحثه على ذلك، وبخاصة بعد ما رآه الليلة الماضية. لكنه ما زال يشعر أنه يريد أن يصبح عدَّاءً، أراد ذلك بكل كيانه.

سأل نيوت قائلًا:

- ولكن لماذا كل هذا الاهتمام؟

تردد توماس، وأخذ يفكر، خائفًا من قول ذلك بصوتٍ عالٍ مرة أخرى.

- أريد أن أصبح عدَّاءً.

التفت إليه نيوت وحدَّقَ إلى وجهه قائلًا:

- لم يمضِ أسبوع على وجودك هنا أيها العرقوب. ألا تعتقد أن الوقت مبكر قليلًا على تمني الموت؟

- أنا جاد.

بالكاد كان الأمر منطقيًا، حتى بالنسبة إلى توماس نفسه، ولكنه شعر بذلك من أعماق قلبه. في الواقع، كانت رغبته في أن يصبح عدَّاءً هي الشيء الوحيد الذي يسيطر على تفكيره، ويساعده على تقبل مأزقه.

لم يرفع نيوت عينيه من عليه، وقال:

- وأنا جاد كذلك. انس الأمر، لا أحد يصبح عدَّاءً في شهره الأول، فما بالك بأسبوعه الأول؟ لديك الكثير لتثبته قبل أن نرشحك للأمين.

نهض توماس وبدأ في طي حقيبة نومه قائلًا:

- نيوت، أنا أعني ذلك. لا أستطيع قضاء اليوم كله أقتلع الأعشاب الضارة؛ سأصاب بالجنون. ليس لدي أدنى فكرة عما كنت أفعله في حياتي قبل أن يشحنوني إلى هنا في ذلك الصندوق المعدني، ولكن حدسي يخبرني بأنني قد جئت إلى هنا لكي أصبح عدَّاءً. أستطيع فعل ذلك.

كان نيوت ما يزال جالسًا، يحدق إلى توماس.

- لم يقل أحد إنك لا تستطيع، ولكن ليس في الوقت الحالي.

قال توماس بنفاد صبر:

- ولكن...

- اسمع، ثق بي في هذا الأمر يا تومي، إذا بدأت تتجول في المكان متفاخرًا تقول للجميع إنك أفضل بكثير من أن تعمل كمزارع، وكيف أنك مستعد تمامًا لأن تصبح عدَّاءً، ستخلق الكثير من الأعداء، لذا اترك هذا الأمر في الوقت الحالي.

كان خلق الأعداء هو آخر شيء يريده توماس، ولكنه لم يَكِل، وقرر أن يحاول بشكل آخر، فقال:

- حسنًا، سأتحدث مع مينهو حيال ذلك.

- محاولة جيدة أيها العرقوب اللعين. يُختار العداؤون في أثناء التجمُّع... تجمُّع الأمناء، وإن كنت تعتقد أنني قاسٍ، فهم سوف يضحكون عليك.

- ولكن لعلمكم يا رفاق، يمكنني أن أكون جيدًا حقًّا في ذلك. وإنه لمضيعة للوقت أن تجعلوني أنتظر.

وقف نيوت ولوَّحَ بإصبعه في وجه توماس قائلًا:

- اسمعني أيها العود الأخضر، افتح أذنيك تلك جيدًا!

والغريب أن توماس لم يخف، وإنما التفت إليه ثم أومأ برأسه.

- من الأفضل أن تتوقف عن هذا الهراء، قبل أن يسمعك الآخرون، فالأمور هنا لا تسير على هذا النحو، وبقاؤنا على قيد الحياة كله يعتمد على حسن سير النظام.

ثم سكت لبرهة، لكن توماس لم يقل شيئًا، خوفًا من المحاضرة التي كان يعلم بأنها ستبدأ بعد ثوانٍ.

أردف نيوت قائلًا:

- النظام، النظام. عليك أن تكرر هذه الكلمة اللعينة مرارًا وتكرارًا في رأسك الأخرق هذا. السبب في أننا جميعًا لم نفقد عقولنا حتى الآن والذي يمنعنا من الضياع هو أننا نعمل بكد ونحافظ على النظام. النظام هو السبب الذي جعلنا نقصي بِن، فلا يمكننا أن ندع المجانين يتجولون في الأرجاء يحاولون قتل الناس. صحيح؟ أم أنك لديك رأي آخر؟ النظام! هذا هو آخر شيء قد نحتاج إليك لتفسده.

سيطر العناد على توماس. كان يعلم أن الوقت قد حان ليصمت.

- حسنًا.

كان هذا كل ما قاله، قبل أن يربت نيوت على ظهره قائلًا:

- فلنعقد اتفاقًا.

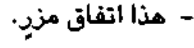
فقال توماس وقد بدأت آماله ترتفع:

- ماذا؟

- أبقِ فمك مغلقًا بشأن هذا الأمر، وأنا سأضعك على قائمة المتدربين المرشَّحين بمجرد أن تثبت نفسك بعض الشيء وتُظهِرَ بعض التفوق. وإن لم تُبقِ فمك هذا مغلقًا، فسأحرص على ألا يحدث ذلك مطلقًا. اتفقنا؟

كره توماس فكرة الانتظار، ولم يكن يعرف كم من الوقت قد يستغرق تنفيذ هذا. فأجابه قائلًا:

- هذا اتفاق مزرٍ.



رفع نيوت حاجبيه.

فأومأ توماس أخيرًا وقال:

- حسنًا، اتفقنا.

- هيًا، دعنا نذهب لنحضر لنا بعض الطعام من السيد طاسة، ولنأمل ألا نغص به.

***

وفي ذلك الصباح، التقى توماس -وإن كان من على بعد- بالسيد طاسة السيئ السمعة. كان الفتى مشغولًا جدًا بمحاولة إفطار جيش من أفراد الجلايد

الجياع. لم يبدُ أنه جاوز السادسة عشرة من عمره، إلا أن لحيته كاملة، والشعر يبرز فوق جميع أنحاء جسده، كما لو أن كل بصيلة كانت تحاول الهروب من حدود ملابسه الملطخة بالطعام. لم يعتقد توماس أنه يبدو كأنظف رجل في العالم لكي يشرف على جميع عمليات تحضير الطعام. وسجَّل ملاحظة في عقله بأن يحذر من الشعر الأسود المقرف في أثناء تناول وجباته.

كان هو ونيوت قد انضمَّا إلى تشاك للتو من أجل تناول الإفطار على طاولة رحلات خارج المطبخ مباشرة عندما نهضت مجموعة كبيرة من أفراد الجلايد وركضوا نحو الباب الشرقي، وهم يتحدثون بحماس حول شيء ما.

سأل توماس قائلًا:

- ماذا يحدث؟

وفوجئ كيف وجد نفسه يقولها بلا مبالاة، فقد أصبحت التطورات الجديدة داخل الجلايد جزءًا من حياته.

هزَّ نيوت كتفيه وقال وهو يأكل البيض:

- راحوا يودعون مينهو وآلبي، فهما ذاهبان لإلقاء نظرة على الهامة الميتة اللعينة.

قال تشاك وقد تطايرت قطعة صغيرة من لحم الخنزير المقدد من فمه وهو يتكلم:

- مهلًا، لدي سؤال بخصوص ذلك.

سأله نيوت بنبرة ساخرة نوعًا ما:

- نعم يا تشاكي، وما هو سؤالك اللعين؟

فقال تشاك الذي بدا منغمسًا في تفكير عميق:

- حسنًا، لقد وجدوا هامة ميتة، أليس كذلك؟

أجاب نيوت قائلًا:

- بلى. شكرًا لك على ذلك الخبر المهم.

أخذ تشاك ينقر بشوكته على الطاولة لثوانٍ قليلة وهو شارد الذهن، ثم قال:

- حسنًا، ومن الذي قتل تلك المخلوقة الغبية إذن؟

قال توماس في قرارة نفسه: *سؤال ممتاز*. وانتظر أن يجيب نيوت، ولكنه لم ينبس ببنت شفة. من الواضح أنه لم يكن لديه أي فكرة.

الفصل السادس عشر

قضى توماس الصباح مع أمين البساتين، «يكدح في العمل» كما قال نيوت. كان زارت هو الفتى الطويل القامة ذو الشعر الأسود الذي يقف في مقدمة العمود في أثناء نفي بِن، والذي كانت رائحته -لسبب غريب- أشبه برائحة اللبن الرائب. لم يقل الكثير، ولكنه أعطى لتوماس توجيهات حتى يتمكن من البدء في العمل بمفرده. إزالة الأعشاب الضارة، ثم تقليم شجرة المشمش، ثم زرع بذور القرع والكوسة، وقطف الخضراوات. لم يرُقه كثيرًا، وفي أغلب الوقت كان يتجاهل الفتيان الآخرين الذين يعملون معه، لكنه لم يكرهه بقدر ما كره العمل مع وِنستون في بيت الدم.

كان توماس وزارت يقومان بإزالة الأعشاب الضارة من صف طويل من الذرة الصغيرة عندما قرر توماس أن الوقت مناسب لكي يبدأ في طرح الأسئلة، فقد بدا هذا الأمين أكثر وِدًّا ويسهل الحديث معه.

قال:

- إذن يا زارت...

فنظر إليه الأمين، ثم واصل عمله. كان للفتى عينان ناعستان ووجه طويل، ولسبب ما بدا أنه أكثر الناس مللًا على وجه الأرض.

- نعم أيها العود الأخضر، ماذا تريد؟

سأل توماس محاولًا ألا يظهِر اهتمامًا كبيرًا:

- كم عدد الأمناء هنا؟ وما هي خيارات العمل؟

- حسنًا، هناك البناؤون، والخُثَّل، والشوالجية، والطباخون، ورسَّامو الخرائط، والطبيجية، والجرَّافجية، والجزَّارون، والعداؤون بالطبع. وربما هناك قلة آخرون، لا أعرف، فأنا إلى حد كبير أضع تركيزي كله في مهامي وشؤوني الخاصة.

كانت معظم الكلمات تشرح نفسها بنفسها، لكن توماس تساءل حول اثنين منهم.

- من هم الخُثَّل؟ وماذا يفعلون؟

كان يعلم أن تلك كانت وظيفة تشاك، لكنه لم يرغب قط في الحديث عن ذلك، لقد رفض الحديث عن الأمر.

- تلك وظيفة العراقيب الذين لا يفلحون في فعل أي شيء آخر، فينظفون المراحيض، وينظفون الحمامات، وينظفون المطبخ، وينظفون بيت الدم بعد الذبح... كل شيء. اقضِ يومًا واحدًا مع هؤلاء الجرذان الفشلة، وسيكون هذا كافيًا لإبعاد أي فكرة قد تأتي في ذهنك للانضمام إليهم، أؤكد لك هذا.

شعر توماس بالذنب تجاه تشاك، شعر بأسف كبير تجاهه. لقد حاول الفتى جاهدًا أن يكون صديقًا للجميع، لكن أحدًا لم يحبه أو يعطِه اهتمامًا حتى. أي نعم كان سريع الانفعال قليلًا وكثير الثرثرة، لكن توماس كان سعيدًا برفقته.

ثم سأل توماس وهو ينتزع عشبة ضخمة كانت تتأرجح على جذورها كتل من الوحل:

- وماذا عن الجَرَّافجية؟

تنحنح زارت واستمر في عمله وهو يجيب قائلًا:

- هم الذين يعتنون بكل ما يخص البساتين من أمور ثقيلة؛ أعمال الحفر وما إلى ذلك. وخلال أوقات الراحة يقومون بأعمال أخرى في باقي أرجاء الجلايد. في الواقع، الكثير من أفراد الجلايد لديهم أكثر من وظيفة واحدة. هل أخبرك أحد بذلك؟

تجاهل توماس سؤال زارت واستمر في طرح أسئلته، مصممًا على الحصول على أكبر عدد ممكن من الإجابات.

- وماذا عن الشوالجية؟ أعلم أنهم يتولون أمور الموتى، ولكن لا بد أن هذا لا يحدث يوميًّا! أليس كذلك؟

- هؤلاء الرفاق مخيفون، إنهم في منزلة الحراس والشرطة أيضًا، ولكن الجميع يحبون مناداتهم بالشوالجية فقط. ستحظى بيوم ممتع برفقتهم يا صديقي.

ثم ضحك، وكانت تلك المرة الأولى التي يسمعه فيها توماس يضحك، وكان ثمة شيء محبب وخفيف الروح للغاية حيال ذلك.

كان ما يزال لدى توماس مزيد من الأسئلة، الكثير والكثير. لم يرغب تشاك ولا أي من أفراد الجلايد في إعطائه إجابات على أي شيء. وها قد وجد زارت، الذي بدا على أتم استعداد لإرضاء فضوله، إلا أن توماس قد فقد رغبته في مواصلة الحديث. ولسبب ما، عادت الفتاة إلى ذهنه مرة أخرى، فجأة من العدم، ثم عاد يفكر في بِن، والهامة الميتة، والتي كان من المفترض أن يكون موتها شيئًا جيدًا، إلا أن الجميع قد عدَّه كما لو كان العكس، وكأنه نذير شؤم.

كانت حياته الجديدة مزرية.

أخذ نفسًا عميقًا وقال لنفسه: *واصل عملك فحسب*. وهذا ما فعله.

***

بحلول منتصف النهار، كان توماس على وشك الإغماء من شدة الإرهاق، فقد قضى كل ذلك الوقت وظهره منحنٍ، والأسوأ من ذلك كان الزحف على ركبتيه في الوحل. بيت الدم، والبساتين... كلاهما كابوس حقيقي.

حدَّثَ نفسه في أثناء الاستراحة قائلًا: *عدَّاء، فقط اسمحوا لي أن أكون عدَّاءً*. ثم فكَّرَ مرة أخرى في مدى سخف رغبته الشديدة في ذلك. وعلى الرغم من أنه لم يكن يفهم رغبته تلك، ولا من أين أتت، فإنه لم يتمكن من إنكارها. وكذلك كانت أفكاره عن الفتاة، كانت قوية بنفس القدر، لكنه كان يدفعها جانبًا بقدر المستطاع.

توجه إلى المطبخ وهو متعَب ومتألم من أجل الحصول على وجبة خفيفة وبعض الماء. كان يشعر أن بإمكانه تناول وجبة كاملة على الرغم من أنه قد تناول غداءه بالفعل قبل ساعتين فقط. حتى الخنازير بدت له لذيذة مرة أخرى.

قضم تفاحة، ثم سقط على الأرض بجانب تشاك. نيوت كان هناك أيضًا، لكنه جلس وحيدًا، متجاهلًا الجميع. كانت عيناه محتقنتين بالدم وجبينه متجعد بشدة ووجهه مثقل بالهموم. أخذ توماس يراقب نيوت وهو يقضم أظفاره، وهو شيء لم يرَ الفتى الأكبر يفعله من قبل. لاحظ تشاك السؤال الذي كان يدور في ذهن توماس فهمس له قائلًا:

- ما خطبه؟ إنه يشبهك عندما خرجت من الصندوق.

أجاب توماس:

- لا أعرف. لماذا لا تذهب وتسأله بنفسك؟

فقال نيوت بصوت عالٍ:

- يمكنني سماع كل كلمة لعينة تقولانها يا رفاق. لا عجب أن يكره الناس النوم بجانبكما أيها العرقوبان.

شعر توماس وكأنه قد أُمسِكَ مُتَلَبسًا وهو يسرق، لكنه كان قلقًا جديًا، فقد كان نيوت أحد الأشخاص القلائل في الجلايد الذين أحبهم حقًا.

سأل تشاك:

- ماذا بك؟ لا أقصد الإساءة، ولكنك تبدو مثل كومة من الرطم.

فأجاب قائلًا:

- كل شيء على خير ما يرام.

ثم سكت وأخذ يحدق إلى الفضاء للحظات طويلة. كان توماس على وشك أن يُصرَّ عليه بطرح سؤال آخر، ولكن نيوت أردف أخيرًا:

- الفتاة. إنها تُخرِّف بقول العديد من الأشياء الغريبة، ولكنها لم تستيقظ بعد. بذل الطبيجية قصارى جهدهم لإطعامها، لكنها تأكل في كل مرة أقل فأقل. إني أؤكد لكما، ثمة شيء سيئ للغاية حول هذا الأمر اللعين برمته.

نظر توماس إلى تفاحته، ثم أخذ قضمة. أصبح مذاقها لاذعًا الآن... أدرك أنه كان قلقًا على الفتاة، ومعنيًا بشأن صحتها، كما لو كان يعرفها.

أطلق نيوت تنهيدة طويلة وقال:

- قَشرًا. ولكن ذلك ليس ما أثار جنوني حقًا.

فسأل تشاك قائلًا:

- ماذا إذن؟

انحنى توماس للأمام بفضول كبير لدرجة أنه تمكن أخيرًا من إخراج الفتاة من عقله للحظة.

ضيَّقَ نيوت عينيه وهو ينظر إلى الخارج باتجاه أحد مداخل المتاهة وتمتم قائلًا:

- آلبي ومينهو، كان يجب أن يعودا منذ ساعات.

***

سرعان ما عاد توماس إلى عمله، يقتلع الأعشاب الضارة مرة أخرى، ويعد الدقائق حتى يفرغ من العمل في البساتين. أخذ ينظر باستمرار إلى الباب

الغربي، على أمل رؤية أيٍّ من آلبي أو مينهو. وكأن نيوت قد نقل إليه عدوى توتره.

قال نيوت إنهما من المفترض أن يعودا بحلول الظهيرة، لقد مرَّ ما يكفي من الوقت ليصلا للهامة الميتة، وتَفَحُّصها لمدة ساعة أو ساعتين، ثم العودة. لا عجب أنه بدا قلقًا إلى تلك الدرجة. وعندما قال تشاك مخمنًا أنهما لربما كانا يتسكعان قليلًا ويحظيان ببعض المرح فحسب، رمقه نيوت بنظرة نارية جعلت توماس يشعر كما لو أن تشاك كاد يشتعل تلقائيًا في لحظتها.

وكان من المستحيل أن ينسى النظرة التالية التي ارتسمت على وجه نيوت عندما سأل توماس لماذا لم يخرج نيوت وبعض أفراد الجلايد الآخرين إلى المتاهة للبحث عن أصدقائهم، فقد ارتسمت ملامح من الرعب المطلق على وجه نيوت... فقد غرق خداه في وجهه واصفر لونه فجأة، ثم عاد وجهه إلى طبيعته تدريجيًا، وأوضح أن إرسال فرق البحث كان أمرًا ممنوعًا، حتى لا يضيع مزيد من الأشخاص. ولكن لا شك في أن الخوف قد عبر وجهه.

كان نيوت مرعوبًا من المتاهة.

أيًا كان ما حدث له هناك -وربما كان الأمر مرتبطًا بإصابة كاحله- فمن الواضح أنه كان مروعًا حقًّا.

حاول توماس ألا يفكر في الأمر وأعاد تركيزه إلى انتزاع الأعشاب الضارة.

***

ثبت أن العشاء في تلك الليلة كان كئيبًا، ولم يكن للأمر علاقة بالطعام، فقد قدَّم السيد طاسة وطباخوه وليمة كبيرة من شرائح اللحم والبطاطس المهروسة والفاصوليا الخضراء والفطائر الساخنة. وسرعان ما أدرك توماس أن النكات التي كانت تُلقى حول طبخ السيد طاسة كانت مجرد نكات لا أكثر، فقد كان الجميع يلتهمون طعامهم وعادة ما يتوسلون من أجل المزيد. لكن الليلة، أكل أفراد الجلايد طعامهم كالأموات الذين بُعِثوا من أجل تناول وجبة أخيرة قبل أن يتم إرسالهم للعيش مع الشيطان.

عاد العداؤون في وقتهم المعتاد، وازداد قلق توماس أكثر وأكثر عندما رأى نيوت يركض من باب إلى باب في أثناء دخولهم إلى الجلايد، دون أن يكلف نفسه عناء إخفاء ذعره. ولكن آلبي ومينهو لم يظهرا قط. أجبر نيوت فتيان الجلايد على الاستمرار في تناول عشائهم بعد يوم طويل من العمل الشاق، بينما أصر هو على الوقوف مراقبًا في انتظار عودة الثنائي المفقود.

لم يقلها له أحد، ولكن توماس كان يعلم أنه لم يعد يبقى الكثير من الوقت حتى تغلق الأبواب.

اتبع توماس أوامر نيوت على مضض كبقية الفتيان، وتشارك إحدى الطاولات على الجانب الجنوبي من بيت المزرعة مع تشاك ووِنستون. ولم يلبث أن تناول بضع قضمات حتى أدرك أنه لم يعد يستطيع أن يتحمل أكثر، فقال وقد ألقى شوكته على الطبق:

- لا أستطيع أن أظل جالسًا هنا بينما هما مفقودان بالخارج. أنا ذاهب لمراقبة الأبواب مع نيوت.

نهض وتوجه إلى نيوت، ولا عجب أن تشاك قد تبعه على الفور.

وجدا نيوت عند الباب الغربي، يمشي جيئة وذهابًا وهو يمرر يديه في شعره. ولما اقتربا، نظر نيوت إلى السماء وقال بصوت ضعيف ومتوتر:

- أين هما؟

تأثَّرَ توماس لأن نيوت كان قلقًا جدًّا بشأن آلبي ومينهو، كما لو كانا من أقاربه. طرح توماس اقتراحه مرة أخرى قائلًا:

- لماذا لا نرسل فريقًا للبحث؟

فقد بدا أنه من الغباء أن يجلسوا هنا ويقلِقوا أنفسهم حد الموت بينما بإمكانهم الخروج والعثور عليهما.

قال نيوت وهو يشتعل غضبًا:

- بحق الجح...

ولكنه تمكن من احتواء نفسه... أغمض عينيه لبرهة وأخذ نفسًا عميقًا ثم أردف قائلًا:

- لا يمكننا الذهاب. مفهوم؟ لذا لا تقل ذلك مرة أخرى. هذا يخالف القواعد مائة بالمائة، وبخاصة أن الأبواب اللعينة على وشك الإغلاق.

سأل توماس غير مصدق مدى تعنت نيوت:

- ولكن لماذا؟ ألن تنال منهما الهوام إذا بقيا هناك؟ ألا يجب أن نفعل شيئًا؟

التفت إليه نيوت وقد احمر وجهه واشتعلت عيناه بالغضب وصاح به قائلًا:

- أغلق فمك أيها العود الأخضر! لم يمضِ سوى أسبوع لعين على وجودك هنا! أتعتقد أنني سأتردد ثانية في المخاطرة بحياتي لإنقاذ هذين العرقوبين!

- لا... أنا... آسف. لم أقصد...

لم يكن توماس يعرف ماذا يقول، كان يحاول المساعدة فحسب.

هدأ وجه نيوت وقال:

- أنت لا تفهم بعد يا تومي. الخروج ليلًا إلى هناك هو استجداء للموت. سنقوم فقط بإهدار مزيد من الأرواح. إن لم يتمكن هذان العرقوبان من العودة...

ثم سكت فجأة وبدا مترددًا في قول ما كان الجميع يفكر فيه، ولكنه سرعان ما أردف قائلًا:

- لقد أقسم كلاهما اليمين، مثلما فعلت أنا. مثلما فعلنا جميعًا. وكذلك ستفعل أنت، عندما تذهب إلى أول تَجَمُّع لك وتُختار من قبل أمين. لن تخرج في الليل، مهما حدث، أبدًا.

نظر توماس إلى تشاك الذي بدا وجهه شاحبًا تمامًا مثل نيوت.

قال الفتى:

- نيوت لن يقولها، لذا سأقولها أنا. إذا لم يعودا، فهذا يعني أنهما قد ماتا. مينهو أذكى من أن يتوه. مستحيل. لقد ماتا.

لم ينبس نيوت ببنت شفة، واستدار تشاك وعاد نحو بيت المزرعة. خفض توماس رأسه وقال في قرارة نفسه: *ماتا؟* بدا الوضع في غاية الخطورة لدرجة أنه لم يكن يعرف كيف يتصرف، وشعر بفجوة من الخواء تتسع في قلبه.

قال نيوت بجدية:

- هذا العرقوب محق، لهذا السبب لا يمكننا الخروج. لا يمكننا أن نزيد الأمور سوءًا.

ثم ربت على كتف توماس وعيناه مغرورقتان بالدموع، وكان توماس واثقًا من أنه حتى في داخل عتمة ذاكرته المفقودة لم يرَ شخصًا حزينًا إلى هذه الدرجة من قبل. وكان لون السماء الذي قد ازداد قتامة مع آخر لحظات الغروب مناسبًا تمامًا لمدى كآبة شعور توماس في تلك اللحظة.

قال نيوت:

- ستغلق الأبواب خلال دقيقتين.

كانت عبارته مقتضبة للغاية ونهائية، وبدت وكأنها معلقة في الهواء ككفن يتطاير مع الرياح أمام عينيه. ثم غادر منحنيَ الظهر في هدوء.

هزَّ توماس رأسه ونظر إلى المتاهة. بالكاد كان يعرف آلبي ومينهو ولكن صدره كان يؤلمه عند التفكير في وجودهما بالخارج هناك، مقتولَين من قبل تلك المخلوقة الرهيبة التي رآها عبر النافذة في أول صباح له في الجلايد.

دوى صوت قوي من جميع الاتجاهات والذي قد فجع توماس وقطعه عن أفكاره، ثم تبعه صوت الصرير الناتج عن احتكاك الحجر ببعضه. كانت الأبواب تغلق لتلك الليلة.

كان الجدار الأيمن ينزلق على الأرض، وتناثرت الأتربة والحجارة من حوله وهو يتحرك، وانزلقت قضبان التوصيل -التي قد بدا الكثير منها وكأنه أوشك أن يبلغ عنان السماء- نحو الثقوب المقابلة لها في الجدار الأيسر، جاهزة لإغلاقها حتى الصباح. ومرة أخرى، راقب توماس في رهبة الجدار المتحرك الضخم... إنه يتحدى أي منطق فيزيائي. بدا الأمر مستحيلًا.

ثم لفت انتباهه شيء يتحرك ناحية اليسار، كان ثمة شيء ما يتحرك داخل المتاهة، في نهاية الممر الطويل الموجود أمامه مباشرة.

في البداية، انتابه الذعر، وتراجع للخلف خوفًا من أن تكون هامة، ولكن بعد ذلك، تبين أنهما جسمان، يترنحان على طول الممر باتجاه الباب. وعندما رُفِعَ حجاب الخوف عن عينيه أخيرًا، أدرك أنه كان مينهو، وكان إحدى ذراعي آلبي ملفوفًا حول كتفيه، عمليًا يجر الفتى خلفه. رفع مينهو رأسه، ورأى توماس، الذي جحظت عيناه حتى كادت تسقط من تجويفَيهما.

صاح مينهو بصوت مختنق وضعيف من شدة الإرهاق:

- لقد لدغنه!

بدت كل خطوة يخطوها وكأنها قد تكون الأخيرة. ذهل توماس لهذا التحول المفاجئ في مجرى الأحداث، واستغرق لحظات حتى أصبح قادرًا على إبداء أي ردة فعل.

صرخ أخيرًا مناديًا:

- نيوت!

ثم أجبر عينيه على تحويل نظره بعيدًا عن آلبي ومينهو للاتجاه الآخر وأردف:

- إنهما قادمان! أستطيع رؤيتهما!

كان يعلم أنه عليه الدخول إلى المتاهة ومساعدتهما، ولكن قاعدة عدم مغادرة الجلايد كانت محفورةً في ذهنه.

كان نيوت قد عاد بالفعل إلى بيت المزرعة، ولكن بمجرد سماعه صرخة توماس، استدار على الفور واندفع راكضًا باتجاه الباب.

التفت توماس لينظر إلى داخل المتاهة مرة أخرى وقد غمره الخوف، فقد انزلق آلبي من قبضة مينهو وسقط على الأرض، ورأى توماس مينهو وهو يحاول يائسًا جعله يقف على قدميه مرة أخرى، ثم استسلم أخيرًا، وبدأ يجر الفتى من ذراعيه فوق الأرضية الحجرية.

ولكنهما كانا ما يزالان على بعد مائة قدم.

كان الجدار الأيمن يغلق بسرعة، وكأنه كان يسرع من وتيرته كلما أراده توماس أن يبطئ. لم يتبقَ سوى ثوانٍ فقط حتى يغلق تمامًا. ليس ثمة فرصة لوصولهما قبل أن يغلق الباب. بدا الأمر مستحيلًا.

التفت توماس لينظر إلى نيوت، والذي كان يعرج قدر استطاعته في منتصف الطريق محاولًا الوصول بأسرع ما يمكن. نظر إلى المتاهة مرة أخرى، إلى الجدار الذي كان على وشك الإغلاق. كان على بعد بضعة أقدام فقط على انتهاء كل شيء.

تعثر مينهو وسقط على الأرض. لن ينجحا. نفد الوقت. انتهى الأمر.

سمع توماس نيوت يصرخ من خلفه قائلًا:

- إياك أن تفعل ذلك يا تومي! إياااااك!

بدت القضبان الموجودة في الحائط الأيمن وكأنها أشبه بالأذرع الممدودة تتوق لكي تتشبث بتلك الثقوب الصغيرة التي هي ستكون كالمنزل والمثوى لهم طوال الليل. امتلأ الهواء بصوت هزيم الأبواب الذي يصم الآذان.

خمسة أقدام، أربعة أقدام، ثلاثة، اثنان.

عرف توماس أنه ليس لديه خيار آخر؛ تحرك بالفعل! إلى الأمام. عبر متجاوزًا قضبان التوصيل في الثانية الأخيرة ودخل إلى المتاهة. أُغلِقَت الجدران خلفه، وكان صدى دويها يرتد في الحجر المغطى باللبلاب كالضحكات الجنونية.

الفصل السابع عشر

لعدة ثوانٍ، شعر توماس وكأن العالم قد تجمد من حوله. ساد صمت تام بعد الدوي الهائل لإغلاق الباب، وبدأ ستار الظلام يكسو السماء، وكأن حتى الشمس بدت خائفة مما يكمن في داخل المتاهة. أرخى الشفق سدائله، وبدت الجدران العملاقة مثل شواهد قبور ضخمة في مقبرة مليئة بالأعشاب الضارة. أسند توماس ظهره إلى الصخر الوعر، وقد اجتاحته حالة من عدم التصديق لما فعله للتو.

وامتلأ قلبه بالرعب مما قد تكون عليه العواقب.

ثم انتبه إلى صرخة حادة خرجت من آلبي، وكان مينهو يئن. دفع توماس نفسه بعيدًا عن الحائط وركض إليهما.

تمكن مينهو من النهوض والوقوف على قدميه مرة أخرى، ولكن منظره كان رهيبًا، حتى في خضم هذا الضوء الباهت الذي كان ما يزال متاحًا... بدا غارقًا في العرق، وثيابه متسخة، وجسده مليء بالخدوش. أما آلبي، فكان ممددًا على الأرض، وبدا أسوأ حالًا، فقد كانت ملابسه ممزقة، وذراعاه مغطاة بالجروح والكدمات. ارتعد توماس. هل تعرض آلبي لهجوم من قبل هامة يا ترى؟

قال مينهو:

- أيها العود الأخضر، إن كنت تعتقد أنك قد فعلت شيئًا شجاعًا بخروجك إلى هنا، فاسمع، هذا أغبى شيء قد يمكنك فعله على الإطلاق. وأنت الآن في تعداد الموتى، مثلنا تمامًا.

شعر توماس بوجهه يشتعل غضبًا؛ كان يتوقع إظهار بعض الامتنان على الأقل.

- لم أستطع الجلوس هناك وترككما يا رفاق.

- وما فائدة وجودك معنا الآن؟ أيًّا كان يا صديقي. اكسر القاعدة الأولى، أو اقتل نفسك، أيًّا كان... كلاهما سيان.

شعر توماس وكأنه قد لُكِمَ في وجهه. وقال:

- على الرحب والسعة. أنا فقط كنت أحاول المساعدة.

ضحك مينهو بمرارة، ثم جثا على ركبتيه بجانب آلبي. نظر توماس من كثب إلى الفتى المنهار وأدرك مدى سوء الوضع. لقد بدا آلبي على حافة الموت. بشرته الداكنة قد بدأت تشحب بسرعة، وكانت أنفاسه سريعة وقصيرة.

غمر اليأس توماس.

سأل محاولًا تنحية غضبه جانبًا:

- ماذا حدث؟

قال مينهو وهو يفحص نبض آلبي وقد انحنى للاستماع إلى صدره:

- لا أريد التحدث عن الأمر دعنا نقول فقط إن الهوام تعرف تمامًا كيف تتظاهر بأنها ميتة.

فاجأ هذا البيان توماس.

- أهذا يعني أنه... عُضَّ، لُدِغَ، أيًّا ما يكون؟ هل سيمر بالتحوُّل؟

وكان كل ما قاله مينهو هو:

- ما زال لديك الكثير لتتعلمه.

أراد توماس أن يصرخ. كان يعلم أنه ما يزال لديه الكثير ليتعلمه، ولهذا كان يطرح الأسئلة.

- هل سيموت؟

أجبر نفسه على قول ذلك، وقد استاء من مدى سطحية وسخافة سؤاله.

- بما أننا لم نستطع العودة قبل الغروب، فنعم على الأرجح. ربما يموت في غضون ساعة من الآن... لا أعرف كم من الوقت سيستغرق الأمر إن لم يحصل على المصل. وبالطبع سنموت نحن أيضًا، لذا لا تبكِ عليه كثيرًا! سنموت ثلاثتنا قريبًا جدًّا.

قال ذلك وكأنه أمر واقع، وبالكاد استطاع توماس فهم ما كان يقصده بكلماته، ولكن سرعان ما بدأ توماس يستوعب حقيقة الوضع الرهيب، وشعر كما لو أن أحشاءه قد انقلبت رأسًا على عقب.

سأل في حالة من عدم التصديق:

- سنموت حقًّا؟ أتقول لي إننا ليس لدينا أي فرصة للنجاة؟

- لا فرصة، على الإطلاق.

سئم توماس من سلبية مينهو المستمرة.

- أوه، بحقك... لا بد أن هناك شيئًا يمكننا القيام به. كم عدد الهوام التي ستنقض علينا برأيك؟

ثم نظر إلى الممر الذي يؤدي إلى عمق المتاهة وكأنه يتوقع ظهور تلك المخلوقات فور سماع اسمها.

- لا أعرف.

خطرت فكرة في ذهن توماس بعثت فيه شيئًا من الأمل.

- لكن... ماذا عن بِن؟ وجالي وغيرهما ممن تعرضوا للدغ ونجوا؟

رمقه مينهو بنظرة تخبره بأنه أغبى من رَطم البقر.

- ألم تسمعني؟ هؤلاء قد تمكنوا من العودة قبل غروب الشمس أيها الأحمق. لقد عادوا وحصلوا على المصل، جميعهم.

تساءل توماس في قرارة نفسه عن هذا المصل، ولكن كان لديه الكثير من الأسئلة الأخرى ليطرحها أولًا.

- لكنني اعتقدت أن الهوام تخرج في الليل فقط.

- إذن فقد كنت مخطئًا أيها العرقوب. كونها دائمًا تخرج في الليل لا يعني أنها لا تظهر أبدًا خلال النهار.

لم يكن توماس ليسمح لنفسه بالاستسلام ليأس مينهو... لم يرغب في الاستسلام والموت بعد.

- هل حدث أن علق أي أحد في المتاهة ليلًا ونجا؟

- مطلقًا.

عبس توماس، تمنى أن يجد بصيصًا صغيرًا من الأمل.

- كم عدد الذين ماتوا إذن؟

حدَّق مينهو إلى الأرض، وهو جاثم وقد أسند أحد ساعديه على ركبته. كان من الواضح أنه كان منهَكًا، وكأنه كان على وشك أن يفقد وعيه.

أجابه قائلًا:

- اثنا عشر على الأقل. ألم تذهب إلى المقبرة؟

- بلى.

ثم حدَّث نفسه قائلًا: *هكذا ماتوا إذن.*

- حسنًا، هؤلاء هم فقط من وجدناهم. هناك المزيد ممن لم نجد جثثهم.

ثم أشار مينهو تجاه الجلايد المغلق وأردف بذهن شارد قائلًا:

- تلك المقبرة اللعينة موضوعة في مؤخرة الغابة لسبب ما. فلا شيء يقتل الأوقات السعيدة أكثر من تذكر أصدقائك الموتى كل يوم.

وقف مينهو وأمسك بذراعي آلبي، ثم أومأ برأسه نحو قدميه قائلًا:

- احمل هاتين الساقين كريهتي الرائحة، يجب أن نحمله إلى الباب، فلنعطهم جثة يسهل العثور عليها في الصباح.

وقف توماس مذهولًا بعد سماع هذا التعليق المروع، ثم أخذ يدور وهو يصيح قائلًا:

- كيف لهذا أن يحدث؟!

شعر أنه كان على وشك أن يفقد عقله إلى الأبد.

- كُف عن النحيب. كان يجب عليك اتباع القواعد والبقاء في الداخل منذ البداية. والآن هيا تعال واحمل ساقيه.

مشى توماس نحو آلبي وقد جفل من التقلصات المتزايدة في معدته ورفع قدميه كما قيل له. بالكاد رفعا الجسد شبه الهامد بضعة إنشات عن الأرض وسارا به مسافة مائة قدم أو نحو ذلك، حتى وصلا إلى الشق الرأسي للباب، حيث قام مينهو بإسناد ظهر آلبي إلى الجدار في وضع شبه جالس. كان صدر آلبي يرتفع وينخفض وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة، لكن بشرته كانت تتصبب عرقًا، بدا وكأنه لن يصمد طويلًا.

سأل توماس قائلًا:

- أين لُدِغ؟ أيمكنك رؤية أي أثر للدغة؟

طوى مينهو ذراعيه وأسند ظهره إلى الحائط وقال:

- تلك المخلوقات اللعينة لا تعضك. إن لدغاتها أشبه بوخز الإبر. ولا، لا يمكنك رؤية أثر لها. من الممكن أن يكون هناك العشرات في جميع أنحاء جسده.

ولسبب ما، اعتقد توماس أن كلمة وخز تبدو أسوأ بكثير من العض. سأل قائلًا:

- وخز الإبر؟ ماذا يعني ذلك؟

- يا صاح، عليك رؤيتهم فقط لتعرف ما أتحدث عنه.

أشار توماس إلى ذراعي مينهو، ثم إلى ساقيه وقال:

- حسنًا، لماذا لم توخزك تلك المخلوقة؟

رفع مينهو يديه قائلًا:

- ربما قد فعلَت... ربما سأنهار في أي لحظة.

فقال توماس:

- أكان عدد الهوام...

ولكنه لم يعرف كيف ينهي جملته. لم يستطع معرفة ما إذا كان مينهو جادًا أم لا.

- عدد؟ لا، ليس «عدد»، فلم يكن هناك سوى تلك التي اعتقدنا أنها ميتة، لقد استيقظت فجأة ولدغت آلبي، ولكنها هربت بعد ذلك.

ثم أردف مينهو وهو ينظر إلى المتاهة التي كادت تكون مظلمة تمامًا في هذه اللحظة من الليل:

- لكنني متأكد من أنها ستعود قريبًا ومعها حشد كامل منهن ليقضين علينا بإبرهن.

- إبر؟

ظل توتر توماس يزداد أكثر فأكثر.

- نعم، إبر.

لم يخض في تفاصيل، ولم يبد على وجهه أنه كان ينوي ذلك.

نظر توماس إلى الجدران العملاقة المغطاة بطبقة سميكة من فروع اللبلاب، وقد دفعه اليأس أخيرًا إلى تفعيل وضع «اختلاق الحلول»، فسأل مينهو:

- ألا يمكننا تسلق هذا الشيء؟

ولكن مينهو لم ينطق بحرف.

- فروع اللبلاب... ألا يمكننا تسلقها؟

تنهد مينهو في إحباط وقال:

- بحقك أيها العود الأخضر، أتعتقد أننا مجموعة من الحمقى؟ أتظن حقًا أننا لم نفكر من قبل في تسلق هذه الجدران اللعينة؟

ولأول مرة، شعر توماس بالغضب يتسلل إلى داخله ليتنافس مع خوفه وذعره.

- أنا فقط أحاول المساعدة يا رجل. لماذا لا تتوقف عن التذمر مع كل كلمة أقولها وتتحدَّث معي؟

اندفع مينهو فجأة نحو توماس وأمسك به من قميصه وقال:

- أنت لا تفهم شيئًا أيها المقشور! أنت لا تعرف أي شيء، وإنك تزيد الأمر سوءًا بمحاولتك التحلِّي بالأمل! نحن في تعداد الموتى، أتسمعني؟ في تعداد الموتى!

لم يعرف توماس أي الشعورين كان الأقوى في داخله في تلك اللحظة؛ غضبه من مينهو أم شفقته عليه. لقد كان يستسلم بسهولة شديدة.

نظر مينهو إلى أسفل، إلى يديه المتشبثتين بقميص توماس وكسا الخجل وجهه، فتركه وتراجع ببطء. سوَّى توماس ملابسه بتحدٍّ.

همس مينهو قائلًا:

- آه يا رجل، آه يا رجل.

ثم تكوَّم على الأرض، ودفن وجهه في قبضتيه المضمومتين وقال:

- لم يسبق لي قط أن كنت خائفًا إلى هذه الدرجة من قبل يا صاح. ليس إلى هذه الدرجة.

أراد توماس أن يقول شيئًا، أن يخبره بأن يتصرف كشخص كبير، بأن يفكر، بأن يخبره بكل ما يعرفه. أي شيء!

فتح فمه ليتكلم، لكنه عاد وأغلقه على الفور عندما سمع الضجيج. رفع مينهو رأسه، ونظر نحو أحد الممرات الحجرية المظلمة، في حين شعر توماس بأن أنفاسه تتسارع.

لقد خرج الصوت من أعماق المتاهة، صوت منخفض مخيف، طنين متواصل يصحبه رنين معدني كل بضع ثوان، كسكاكين حادة تشحذ بعضها بعضًا. كان الصوت يعلو أكثر فأكثر مع مرور كل ثانية، وسرعان ما تبعته سلسلة من النقرات المخيفة. فكر توماس في مخالبه المعدنية الطويلة التي كانت تنقر فوق الزجاج. امتلأ الهواء بصوت عويل أجوف، ثم شيء أشبه بقعقعة السلاسل.

كل هذا معًا، كان مرعبًا، وبدأ القدر الضئيل الذي استجمعه توماس من الشجاعة في التلاشي.

وقف مينهو، ووجهه كان بالكاد مرئيًا في خضم الضوء الخافت، ولكن لما تحدث، تخيل توماس أن عينيه كانتا مفتوحتين عن آخرهما من شدة الرعب.

- علينا أن نفترق... إنها فرصتنا الوحيدة. فقط لا تتوقف عن الحركة! لا تتوقف أبدًا!

ومن ثم استدار وركض، اختفى في ثوانٍ، ابتلعته المتاهة وظلامها.

الفصل الثامن عشر

حدَّق توماس إلى المكان الذي اختفى فيه مينهو.

وفجأة تضخم حجم الكراهية بداخله تجاه الفتى. كان مينهو أحد المخضرمين في المكان، كان عدَّاءً، بينما لم يكن توماس إلا مبتدئًا، ولم يمض على وصوله للجلايد سوى بضعة أيام، ولم يمر على وجوده في المتاهة سوى بضع دقائق، ومع ذلك، من بين الاثنين، كان مينهو هو من أُصيب بالذعر مع أول بادرة للمتاعب.

حدَّث توماس نفسه قائلًا: *كيف يمكنه أن يتركني هنا؟ كيف يمكنه فعل هذا؟!*

تعالت الأصوات أكثر. هدير الصوت الأشبه بالمحركات التي تخللتها أصوات كأصوات السلاسل والمتاريس لآلات الرفع المكسوة بالسخام في مصنع قديم، ثم هبت الرائحة؛ رائحة شيء أشبه بشيء يحترق، شيء مُزَيَّت. لم يتمكن توماس من تخمين ما يخبئه له كل هذا، لقد سبق له أن رأى هامة، ولكنها كانت مجرد لمحة، ومن خلال نافذة قذرة. ماذا سيفعلن به؟ وكم سيستغرق هذا من وقت؟

أمر توماس نفسه قائلًا: توقف.

كان عليه أن يتوقف عن إضاعة الوقت في انتظار قدومهن ليقضين عليه.

استدار في مواجهة آلبي، الذي كان ما يزال مستندًا إلى الجدار الحجري، والذي بدا كمجرد كومة داكنة اللون في وسط الظلام، ثم جثا توماس على ركبتيه، ومد يده إلى رقبة آلبي مستشعرًا نبضه، وكان ثمة شيء ما هناك. انحنى ليستمع إلى صدره كما فعل مينهو.

بوم-بام، بوم-بام، بوم-بام...

ما يزال حيًّا.

انتفض توماس واقفًا على قدميه مرة أخرى، ومرر ذراعه على جبينه ليمسح العرق، وفي غضون بضع ثوان فقط، وفي تلك اللحظة بالذات تعلم الكثير عن نفسه.

لم يستطع أن يترك صديقه ليموت، حتى ولو كان شخصًا شكسًا حاد الطباع مثل آلبي.

مدَّ يده إلى أسفل ثم جلس القرفصاء وأمسك بذراعي آلبي ولفهما حول رقبته من الخلف، سحب جسده الهامد على ظهره وبدأ يدفع نفسه ليمشي للأمام، وهو يئن من شدة الجهد الذي يبذله.

ولكن الأمر كان يتطلب جهدًا يفوق قدرته. انهار توماس على الأرض على وجهه، وسقط آلبي على جانبه مصدرًا ارتطامه صوتًا عاليًا.

أخذت أصوات الهوام المخيفة تقترب أكثر فأكثر مع مرور كل ثانية، صداها يتردد عبر الجدران الحجرية للمتاهة. اعتقد توماس أنه قد رأى ومضات من الضوء على بعد مسافة بعيدة، مخترقة سماء الليل. لم يُرِد أن يلتقي بمصدر تلك الأضواء، وتلك الأصوات.

وفي محاولة جديدة له، أمسك بذراعي آلبي ثانية وبدأ في جره على الأرض. لم يستطع تصديق مدى ثقل الفتى، ولم يستغرق الأمر أكثر من عشرة أقدام أو نحو ذلك حتى أدرك توماس أنه لن ينجح في ذلك. إلى أين كان سيأخذه على أي حال؟

أخذ يدفع آلبي ويسحبه مرة أخرى إلى الصدع الذي ميَّزَ مدخل الجلايد، وأسند ظهره مرة أخرى في وضعية الجلوس إلى الجدار الحجري. وجلس توماس كذلك بجانبه، يلهث من شدة الجهد وكثرة التفكير. وبينما كان يجول بنظره في أعماق المتاهة المظلمة، كان يعتصر ذهنه بحثًا عن حل. بالكاد استطاع رؤية أي شيء، وكان يعلم، على الرغم مما قاله مينهو، أنه لمن الغباء أن يفر راكضًا حتى لو كان بإمكانه حمل آلبي. فعلاوة على أن ثمة احتمالًا لأن يتوه، فقد وجد نفسه في الواقع يركض نحو الهوام بدلًا من الابتعاد عنها. فكر في الجدار، في اللبلاب الذي يكسوه. لم يوضح مينهو الأمر، ولكنه جعله يبدو وكأنه من المستحيل تسلق تلك الجدران. ولكن...

تشكلت خطة في ذهنه. وكان الأمر يتوقف كليًا على القدرات المجهولة للهوام، ولكن هذا كان أفضل ما توصل إليه.

مشى توماس مسافة بضعة أقدام على طول الجدار حتى وجد بعض فروع اللبلاب السميكة والتي كانت تغطي معظم الجدار. مد يده إلى الأسفل وأمسك بأحد فروع اللبلاب التي امتدت إلى الأرض ولفه حول يده. شعر بأنه أكثر سمكًا ومتانة مما كان يتخيل، ربما يبلغ قطره نحو نصف بوصة. وعندما شدَّه، سمع

صوتًا أشبه بصوت ورق سميك يتمزق، وبدأ الفرع ينفصل عن الجدار أكثر فأكثر كلما ابتعد توماس عن الجدار. وعندما تراجع عشرة أقدام إلى الوراء، لم يعد قادرًا على رؤية نهاية الفرع أعلاه، اختفى في الظلام، ولكن الفرع لم يسقط بعد، لذلك عرف توماس أنه كان ما يزال معلقًا في مكان ما بالأعلى. وفي تردد من المحاولة، ثبَّت توماس نفسه وسحب فرع اللبلاب بكل قوته.

لم ينقطع.

شدَّه بقوة مرة أخرى، ثم مرة أخرى، يشد ويرخي بكلتا يديه مرارًا وتكرارًا، ثم رفع رجليه وتعلق بفرع اللبلاب، وأرجح جسده للأمام، والفرع لم ينقطع.

وبسرعة، سحب توماس المزيد من الفروع، منتزعًا إياها بعيدًا عن الجدار، مكونًا مجموعة من حبال التسلق. لقد اختبر كل واحد منهم، وقد أثبتوا جميعًا أنهم أقوياء كالفرع الأول. شجعه ذلك، فعاد إلى آلبي وسحبه إلى اللبلاب.

تردد صدى صوت نقر حاد من داخل المتاهة، وتبعه صوت رهيب لجسم معدني يرتطم بالأرض. التفت توماس ينظر حوله في ذعر، ركز ذهنه على فروع اللبلاب لدرجة أنه نسي الهوام للحظة. بحث في جميع الاتجاهات الثلاثة للمتاهة، لم يستطع رؤية أي شيء قادم، لكن الأصوات كانت تتعالى... أزيز، وعواء، ونقر.

كلما لمعت ومضات الضوء في السماء، تمكن من رؤية تفاصيل المتاهة أكثر مما كان قادرًا على رؤيته منذ دقائق فقط.

لقد تذكر الأضواء الغريبة التي رآها من خلال نافذة الجلايد مع نيوت. كانت الهوام قريبة جدًّا. لا بد أنها كانت كذلك.

دفع توماس ذعره المتزايد جانبًا وأعاد تركيزه مرة أخرى إلى ما كان يفعله. أمسك بأحد الفروع ولفه حول ذراع آلبي اليمنى. لن يصل الفرع إلا إلى هذا الحد، لذا كان عليه أن يرفع آلبي بقدر استطاعته لكي ينجح الأمر. وبعد عدة لفات، كان قد أحكم ربط الفرع حول يده، ثم أخذ فرعًا آخر وربطه حول ذراع آلبي اليسرى، ثم كلتا ساقيه، محاولًا ربط كل منها بإحكام.

كان قلقًا من أن يؤثر ذلك على سريان الدورة الدموية في جسد آلبي، ولكنه قرر أن الأمر يستحق المخاطرة.

وفي محاولة لتجنب الشك الذي كان يتسرب إلى ذهنه بشأن الخطة، واصل توماس تنفيذ خطته. لقد حان دوره الآن.

شدَّ فرعًا بكلتا يديه وبدأ في التسلق، فوق البقعة التي ربط فيها آلبي للتو مباشرة. كانت أوراق اللبلاب السميكة كمقابض لليد، وطار توماس فرحًا عندما اكتشف أن الشقوق العديدة في الجدار الحجري كانت بمنزلة دعائم مثالية لقدميه في أثناء صعوده. وبدأ يفكر كم كان سيكون الأمر سهلًا دون...

رفض استكمال الفكرة، لم يستطع ترك آلبي وراءه، وبمجرد أن وصل إلى نقطة على ارتفاع قدمين فوق صديقه، لفَّ توماس أحد فروع اللبلاب حول صدره عدة لفات محكمة، وثبتها تحت إبطيه جيدًا. وببطء، بدأ ينحني، مفلتًا يديه مع إبقاء قدميه مغروستين بقوة في شق كبير في الجدار. اطمأن عندما وجد أن الفرع لم ينقطع.

والآن جاء دور الجزء الأصعب بحق.

كانت فروع اللبلاب الأربعة المربوط بها آلبي مشدودة من حوله. أمسك توماس بالفرع المربوط بساق آلبي اليسرى وسحبه. لم يتمكن سوى من رفعه بضع بوصات فقط قبل أن يضطر إلى إفلاته... كان وزنه ثقيلًا؛ لم يستطع فعل ذلك.

نزل مرة أخرى إلى أرضية المتاهة، وقرر أن يحاول الدفع من الأسفل بدلًا من السحب من الأعلى. ولاختبار ذلك، حاول رفع آلبي مسافة قدمين فقط، طرفًا تلو الآخر. أولًا، دفع الرِجل اليسرى لأعلى، ثم ربط فرع جديد حولها، ومن ثم الرجل اليمنى. وعندما أمَّنَ كليهما، كرر توماس الشيء نفسه مع ذراعي آلبي... يمينًا ثم يسارًا.

تراجع خطوة للوراء لاهثًا ليلقي نظرة.

كان آلبي معلقًا بالأعلى -وقد بدا وكأنه جثة هامدة- وهو الآن أعلى بثلاثة أقدام مما كان عليه قبل خمس دقائق.

تعالت الأصوات أكثر في المتاهة: القرقعة، الأزيز، الطنين، والعواء. واعتقد توماس أنه رأى بضع ومضات حمراء على يساره. كانت الهوام تقترب، وأصبح من الواضح الآن أن هناك أكثر من واحدة.

عاد إلى العمل وواصل تنفيذ خطته.

واستخدم نفس الطريقة لرفع كلٍّ من ذراعي آلبي وساقيه لأعلى بمقدار قدمين أو ثلاثة أقدام في كل مرة. ثم شق توماس طريقه ببطء متسلقًا الجدار الحجري. صعد حتى أصبح أسفل جسد آلبي مباشرة، ولف فرعًا حول صدره

من أجل الحصول على الدعم، ثم دفع آلبي لأعلى قدر استطاعته، طرفًا تلو الآخر، وربطهم باللبلاب، ثم كرر العملية برمتها مع نفسه.

يتسلق، يلف نفسه باللبلاب، ثم يدفع آلبي لأعلى، ويربطه باللبلاب.

يتسلق، يلف نفسه باللبلاب، ثم يدفع آلبي لأعلى، ويربطه باللبلاب. وبدت الهوام أنها على الأقل كانت تتحرك ببطء عبر المتاهة، مما منحه الوقت.

ومرة بعد مرة، شيئًا فشيئًا، شقًا طريقهما إلى الأعلى. كان الأمر مُنهِكًا. وتوماس يشهق كما الغريق الذي يصارع الماء، وشعر بالعرق يغطي كل ذرة من بشرته. بدأت يداه تنزلقان من فوق الفروع، وبدأت قدماه المضغوطتان داخل الشقوق الحجرية تؤلمانه. ارتفعت الأصوات أكثر... تلك الأصوات الفظيعة المروعة. ولكن توماس واصل المحاولة.

عندما وصلا إلى بقعة على ارتفاع نحو ثلاثين قدمًا من الأرض، توقف توماس، وتأرجح على الفرع الذي ربطه حول صدره، مستخدمًا ذراعيه المرنتين المنهكتين، استدار ليواجه المتاهة. كادت كل عضلة في جسمه تصرخ من شدة التعب، تعب لم يكن يعرف أنه موجود من قبل. لم يقدر على دفع آلبي شبرًا واحدًا؛ لقد استنزفه التعب تمامًا.

سيبقيان هنا، حيث سيختبئان، أو يقاتلان في معركتهما الأخيرة.

كان يعلم أن تلك المخلوقات لا تستطيع الوصول إلى القمة، أو كان يأمل فقط أن تكون كذلك، أو ألا تنظر فوقها، أو في أسوأ الأحوال، أملَ توماس فقط أن يتمكن من محاربتهن من أعلى، واحدة تلو الأخرى، بدلًا من أن يُسحقا على الأرض. لم يكن لديه أدنى فكرة عما يمكن توقعه، لم يكن يعرف ما إذا كان سيعيش للغد أم لا. ولكن هنا، وهما معلقان في وسط اللبلاب، سيواجه توماس وآلبي مصيرهما أيًا كان.

مرَّت بضع دقائق قبل أن يرى توماس أول بصيص من الضوء يسطع من وسط جدران المتاهة أمامه. أما الأصوات المرعبة التي سمعها تتعالى على مدار الساعة الماضية فقد تحولت لتصبح أشبه بصرخة آلية عالية النبرة، وكأنها صرخة موت روبوتية.

لفت انتباهه ضوء أحمر على يساره، فوق الجدار. استدار وكاد يصرخ بعلو الصوت... لقد كانت خنفساء معدنية على بعد بضع بوصات منه فقط، كانت أرجلها الطويلة النحيفة بارزة من خلال اللبلاب، ومتشبثة بشكل ما بالجدار الحجري. بدا ضوء عينيها الأحمر وكأنه شمس صغيرة، شديد السطوع بحيث

لا يمكن النظر إليه مباشرة. أغمض توماس عينيه نصف غمضة وحاول التركيز على جسم الخنفساء. كان الجسم عبارة عن أسطوانة فضية، ربما يبلغ قطرها نحو ثلاث بوصات وطولها نحو عشر بوصات. وبرزت اثنتا عشرة ساقًا على طول جسمها، مما جعلها تبدو وكأنها سحلية نائمة. كان من المستحيل رؤية الرأس بسبب شعاع الضوء الأحمر الذي يسطع منه. وعلى الرغم من أنها بدت صغيرة، فإنها على الأغلب كانت تقوم بهدفها في المراقبة. ولكن بعد ذلك رأى توماس الجزء الأكثر مدعاة للفزع. كان يعتقد أنه قد رآه من قبل، هناك في الجلايد، عندما ظهرت أمامه خنفساء معدنية وأخذ يلاحقها وصولًا إلى الغابة. والآن أصبح الأمر مؤكَّدًا، فقد ألقى الضوء الأحمر في عينيها توهجًا زاحفًا على كلمة كبيرة ملطخة وكأنها قد كُتِبَت بالدم: **وِكِد**[1]

لم يستطع توماس تخيل سبب نقش تلك الكلمة الواحدة بالذات على ظهر الخنفساء المعدنية، ما لم يكن الغرض منها أن تُظهِرَ لأفراد الجلايد أنها شيء خبيث، شيء شرير.

كان يعلم أنها يجب أن تكون جاسوسة لمن أرسلوها إلى هنا، قد سبق وأخبره آلبي بالشيء نفسه، قائلًا إن الخنافس هي الطريقة التي يراقبهم بها المؤسسون. تجمد توماس في مكانه، وحبس أنفاسه، على أمل أن تكون الخنفساء لا تستشعر سوى الحركة فقط. مرت ثوانٍ طويلة، ورئتاه تتوسلان من أجل الهواء.

ومع صوت نقرة ثم طقطقة، استدارت الخنفساء وانطلقت بعيدًا، ثم اختفت في اللبلاب. أخذ توماس نفسًا عميقًا وأشبع رئتيه بجرعة كبيرة من الهواء، ثم نفسًا آخر، وقد شعر بفروع اللبلاب تخنق صدره.

أُطلِقت صرخة آلية أخرى عبر المتاهة، ولكنها بدت أقرب الآن، وتبعها صوت أشبه بصوت آلات ميكانيكية تتحرك. حاول توماس أن يقلد آلبي ليبدو وكأنه جثة هامدة معلَّقة في فروع اللبلاب. ومن ثم ظهر شيء ما من الزاوية، وأخذ يتقدم للأمام، متجهًا نحوهما...

شيء ما قد سبق له أن رآه من قبل، ولكن من خلف زجاج سميك.

شيء لا يوصَف.

هامة.

---

(1) وردت الكلمة في النص الأصلي بهذا الشكل: «WICKED» مما جعل توماس يعتقد أنها كلمة «Wicked» بمعنى شرير أو خبيث.

الفصل التاسع عشر

حدَّق توماس في رعب إلى تلك المخلوقة المتوحشة التي تشق طريقها عبر ممر المتاهة الطويل. بدت وكأنها مسخ، وكأنها نتاج تجربة قد سرت بشكل خاطئ... وكأنها قد خرجت للتو من كابوس مخيف. تدحرجت الهامة التي بدت أشبه بمزيج من حيوان وآلة على طول الممر الحجري مصدرة صوت طقطقة عالٍ. جسمها يشبه بُزَاقًا عملاقًا[1]، يغطيه قليل من الشعر، وتكسوه مادة لزجة لامعة. وجسمها يتضخم وينكمش بشكل غريب مع كل نفس تتنفسه. لم يكن لجسمها ملامح تميز رأسه من ذيله، ولكن المسافة من مقدمة جسمها إلى آخره كانت تبلغ نحو ستة أقدام على الأقل، وبلغ عرضها نحو أربعة أقدام.

وبين كل عشر إلى خمس عشرة ثانية، كانت تبرز مخالب معدنية حادة من جسمها المنتفخ، وتتحول تلك المخلوقة بأكملها إلى كرة تتدحرج إلى الأمام، ثم تتوقف، وكأنها تعيد توجيه نفسها، وتغرق مخالبها المعدنية مرة أخرى إلى داخل جلدها الرطب، مصدرة صوت امتصاص مقرف. تكرر ذلك مرارًا وتكرارًا، إذ كانت تتحرك مسافة بضعة أقدام فقط في كل مرة. إلا أن الشعر والمخالب لم تكن الأشياء الوحيدة التي برزت من جسم الهامة، إذ كان هناك عدة أذرع آلية موضوعة بشكل عشوائي هنا وهناك، ولكل واحدة منها غرض مختلف، وقلة منها كان مصحوبًا بأضواء ساطعة. وكان ملحقًا بالبقية إبر طويلة خطرة. كان لدى إحدى الأذرع ثلاثة مخالب والتي كانت تُفتَحُ وتُغلَق دون سبب واضح. وعند تدحرج تلك المخلوقة، كانت تلك الأذرع تُطوى وتناور لتجنب التعرض للسحق. تساءل توماس ماذا -أو مَن- من الممكن له أن يصنع مثل هذه المخلوقات المخيفة والمثيرة للاشمئزاز.

---

(1) البُزَاق هو حلزون عديم القوقعة، جسمه رخو، يحوي الكثير من الماء ولا يحميه غطاء خارجي.

أصبح مصدر الأصوات التي كان يسمعها مفهومًا الآن، فعندما تدحرجت الهامة أصدرت صوت طنين معدني أشبه بصوت شفرة المنشار الدوارة. وأوضحت المخالب المعدنية والأذرع أصوات النقر المخيفة من المعدن فوق الحجر، ولكن لا شيء جعل القشعريرة تسري في جسد توماس بأكمله سوى صوت العواء المخيف الذي كان يتسرب بطريقة ما من تلك المخلوقة عندما تكون ساكنة في مكانها. صوت كصوت الرجال الذين يحتضرون في ساحة المعركة.

والآن، وبعد أن شهد كل شيء -المخلوقة المتوحشة والأصوات التي تصدرها- لم يستطع توماس التفكير في أي كابوس من الممكن أن يساوي هذا الشيء البشع الذي يقترب منه رعبًا. حارب الخوف، وأجبر جسده على البقاء ثابتًا تمامًا، معلَّقًا في الأعلى وسط فروع اللبلاب. لقد كان على يقين من أن ذلك هو أملهما الوحيد في تجنب ملاحظتهما.

قال توماس في قرارة نفسه: *أعتقد أنها ربما لن ترانا. ربما فحسب.*

ولكن حقيقة الوضع سرعان ما أثبتت عكس ذلك، كانت أشبه بلكمة في أحشائه، فقد كشفت الخنفساء المعدنية بالفعل عن موقعه بالضبط.

أخذت الهامة تقترب أكثر فأكثر، تتعرج وهي تشق طريقها، تعوي وتطن. وفي كل مرة تتوقف، كانت تفتح أذرعها المعدنية وتحركها في كل الاتجاهات، كما لو كانت إنسانًا آليًا هائمًا على كوكب غريب يبحث عن أي أثر للحياة. ألقت الأضواء بظلال غريبة ومخيفة في جميع أنحاء المتاهة. حاولت ذكرى ضعيفة أن تهرب من ذلك الصندوق المقفَل داخل عقله: عندما كان طفلًا، كانت الظلال على الجدران... تخيفه. كان يتوق للعودة إلى أي ما كان المكان الذي أتى منه، لأن يركض إلى أمه وأبيه اللذَين كان يأمل أنهما ما يزالان على قيد الحياة، في مكان ما، يفتقدانه، يبحثان عنه. لسعت منخاره نفحة قوية من رائحة شيء يحترق، مزيج بشع من المحركات المحمومة واللحم المتفحم. لم يستطع تصديق أن هناك أناسًا من الممكن أن يخلقوا شيئًا بهذه البشاعة ويرسلوه لمطاردة أطفال.

وفي محاولة لعدم التفكير في الأمر، أغلق توماس عينيه للحظة وركز على البقاء ساكنًا وهادئًا، بينما استمرت تلك المخلوقة في التقدم.

ووورررررررررررررررررر

كليك-كليك-كليك

وووررررررررررررررر

كليك-كليك-كليك

ألقى توماس نظرة خاطفة إلى أسفل دون أن يحرك رأسه... لقد وصلت الهامة أخيرًا إلى الجدار المعلَّق فيه هو وآلبي. توقفت عند الباب المغلق الذي يؤدي إلى الجلايد، على بعد بضع ياردات فقط من يمين توماس.

توسَّل توماس في قرارة نفسه: *أرجوكِ اذهبي في الاتجاه الآخر.*

لُفي.

ابتعدي.

امشي من ذلك الطريق.

أرجوكِ!

أخرجت الهامة مخالبها المعدنية وأخذت تدحرج جسمها نحو توماس وآلبي.

وووررررررررررررررر

كليك-كليك-كليك

توقفت، ثم تدحرجت مرة أخرى حتى وصلت إلى الجدار.

حبس توماس أنفاسه ولم يجرؤ على إصدار أدنى صوت. أصبحت الهامة الآن تحتهما مباشرة. أراد توماس بشدة أن ينظر إلى الأسفل، ولكنه كان يعلم أن أي حركة كانت ستُعَد مخاطرة كبيرة. كانت أشعة الضوء التي تخرج من تلك المخلوقة تسطع في كل مكان، بشكل عشوائي تمامًا، ولا تَرْكَز في مكان واحد.

ثم، ودون سابق إنذار، أطفئت.

وعلى الفور ساد الظلام والصمت في المكان بأكمله. كان الأمر كما لو أن تلك المخلوقة قد عُطِّلت، لم تتحرك، ولم يصدر منها أي صوت... حتى عواؤها المخيف قد توقف تمامًا. وبما أن الأضواء قد انطفأت هي الأخرى، لم يستطع توماس رؤية أي شيء.

وكأنه قد عُمِيَ.

بدأ يأخذ أنفاسًا صغيرة من أنفه، فقلبه الذي قد تسارعت نبضاته كان يتوسل من أجل الأكسجين. هل يمكنها سماعه؟ أو شمه؟ بلل العرق شعره

ويديه وملابسه وكل شيء، وملأ قلبَه خوفٌ لم يعرفه من قبل قط... خوف كاد يدفعه للجنون.

ما زال لم يحدث شيء. لا حركة، ولا ضوء، ولا صوت...

مرت ثوانٍ، ثم دقائق. حزَّ النبات الخشن في جلد توماس، وشعر بأن صدره قد خُدِّر. أراد أن يصرخ على المخلوقة المتوحشة الموجودة بالأسفل قائلًا: *اقتليني أو عودي إلى الحفرة التي تختبئين فيها!*

ثم، ومع اندفاع مفاجئ للصوت والضوء، عادت الهامة إلى الحياة، وبدأت تطن وتنقر من جديد.

ومن ثم شرعت في تسلق الجدار.

الفصل العشرون

اخترقت مخالبها المعدنية الحجر، وبدأت شظايا اللبلاب الممزّق وفتات الحجر تتناثر في كل الاتجاهات. كانت أذرعها تتحرك مثل أرجل الخنفساء المعدنية، بعضها بمعاول حادة تخترق حجر الجدار لتُثبّت الهامة نفسها. وكان ثمة ضوء ساطع في نهاية إحدى الأذرع موجه مباشرة نحو توماس، وفي تلك المرة فقط، لم يتحرك الشعاع بعيدًا.

شعر توماس بآخر بصيص أمل يتلاشى أمام عينيه.

كان يعلم أن الخيار الوحيد المتبقي هو الهروب.

حدَّث نفسه قائلًا وهو يكسر فرع اللبلاب السميك الملفوف حول صدره: *أنا آسف يا آلبي.*

وباستخدام يده اليسرى في التشبث جيدًا بأوراق اللبلاب المتشابكة فوقه، انتهى من فك نفسه وكان على استعداد للحركة. كان يعلم بأنه لا يمكنه التسلق لأعلى، فهذا من شأنه أن يجلب الهامة في طريق آلبي. وكان السقوط، بالطبع، يعد خيارًا فقط إذا أراد أن يموت بأسرع ما يمكن.

كان عليه أن يتحرك إلى الجانب.

مدَّ توماس يده وأمسك بفرع على بعد قدمين على يسار المكان المعلّق فيه. لفه حول يده، وشده بقوة. لم ينقطع، تمامًا كبقية الفروع الأخرى. كشفت له نظرة سريعة للأسفل أن الهامة قد قطعت بالفعل نصف المسافة بينهما، وأنها أصبحت تتحرك بشكل أسرع الآن، ولم تعد تتوقف بعد كل بضع خطوات.

ألقى توماس بعيدًا بالفرع الذي كان ملتفًا حول صدره ودفع نفسه إلى اليسار، وأخذ جسده يحتك بالجدار على طول الطريق. وقبل أن تعيده أرجوحة البندول خاصته نحو آلبي ثانية، مد يده بحثًا عن فرع آخر، فوجد فرعًا متينًا وسميكًا. أمسكه بكلتا يديه هذه المرة، واستدار في مواجهة الجدار ليغرس قدميه فيه. مال بجسده إلى اليمين بقدر ما يسمح له النبات، ثم تركه وأمسك

بآخر، ثم آخر، تمامًا كالقرد الذي يتسلق ويتأرجح بين الأشجار، ووجد أنه يستطيع التحرك بسرعة أكبر مما كان يأمل.

استمرت أصوات مطاردته بلا هوادة، بل وزاد عليها أيضًا أصوات تكسير الحجر وسحقه. تأرجح توماس ناحية اليمين عدة مرات قبل أن يجرؤ على النظر إلى الوراء.

غيَّرت الهامة مسارها، وبدلًا من التوجه لألبي توجهت إلى توماس مباشرة.

فقال توماس محدِّثًا نفسه: *وأخيرًا، سار شيء ما على النحو الصحيح.*

دفع نفسه بقدميه بأقصى قوة ممكنة، وأخذ يتأرجح بين الفروع حتى تمكن من الهرب من تلك المخلوقة البغيضة.

لم يكن توماس بحاجة إلى النظر وراءه ليعرف أن الهامة كانت تقترب منه أكثر مع مرور كل ثانية، فقد كشفت الأصوات ذلك. وبطريقة أو بأخرى، كان عليه العودة إلى الأسفل، وإلا سينتهي أمره بسرعة، فترك يده تنزلق قليلًا قبل أن يحكم قبضته على الفرع التالي. أحرق فرع اللبلاب كفه، لكنه انزلق عدة أقدام بالقرب إلى أسفل، وفعل الشيء نفسه مع الفرع الذي يليه، والذي بعده. وبعد قليل، كان قد شق طريقه إلى منتصف المسافة لأرضية المتاهة. اشتعل ألم جهنمي في كلتا ذراعيه، وشعر وكأن كفيه قد سُلِختا، إلا أن الأدرينالين المتدفق عبر سائر جسده ساعده في التخلص من خوفه وواصل التأرجح بين الفروع على أي حال.

وفي تأرجحه التالي، منع الظلام توماس من رؤية جدار جديد يلوح في الأفق حتى كان الأوان قد فات، إذ كان الممر قد انتهى وانعطف يمينًا.

ارتطم بالحجر الذي أمامه، وأفلت الفرع من قبضته. أخذ يرفرف بيديه محاولًا التشبث بأي شيء يمنعه من السقوط على الأرضية الحجرية الصلبة أسفله. وفي نفس اللحظة، رأى الهامة بطرف عينه اليسرى، لقد غيرت مسارها وكانت على وشك الوصول إليه بمخلبها المخيف.

وجد توماس فرعًا في منتصف الطريق إلى الأرض وأمسك به، كادت ذراعاه تنخلعان من كتفيه بهذا التوقف المفاجئ. دفع نفسه عن الجدار بكلتا قدميه بأقصى ما يستطيع، مأرجِحًا جسده بعيدًا عنه، في نفس اللحظة التي بدأت فيها الهامة تهاجم بمخلبها وإبرها. أخذ توماس يركل بساقه اليمنى في الذراع التي تحتوي على المخلب، وكشف صدع حاد عن انتصار صغير، ولكن نشوته الصغيرة سرعان ما انتهت عندما أدرك أن زخم أرجوحته قد بدأ يسحبه

الآن إلى أسفل مرة أخرى ليصبح فوق تلك المخلوقة مباشرة، فشد ساقيه معًا بقوة على صدره، وبمجرد أن لمس جسم الهامة غاص بضع بوصات بشكل مثير للاشمئزاز في جلدها اللزج الثخين. أخذ يركل بكلتا قدميه محاولًا دفع وتجنب وابل الإبر والمخالب المنهمرة عليه من جميع الاتجاهات. أرجح جسده إلى اليسار، ثم قفز باتجاه جدار المتاهة محاولًا انتزاع فرع آخر، وكانت الأدوات الوحشية للهامة تنبش عنه من الخلف، وسرعان ما شعر بجرح عميق في ظهره.

تمكن توماس مجددًا من العثور على فرع آخر وأمسكه بكلتا يديه، تشبث بالنبات بما يكفي لإبطاء انزلاقه على الأرض، متجاهلًا إحساسه المروع بكفَّيه اللتين تحترقان. وحالما وطئت قدماه الأرض الحجرية، انطلق راكضًا على الرغم من أن جسده كان يصرخ من فرط التعب والإرهاق.

سمع صوت اصطدام مدوٍّ من خلفه، تبعته دحرجة وطقطقة وطنين الهامة، لكن توماس رفض النظر إلى الوراء، مدركًا أهمية كل ثانية. انعطف مع إحدى زوايا المتاهة، ثم زاوية أخرى، ضرب الحجر بقدميه وهرب بأسرع ما يمكنه. وبشكل ما كان ذهنه يحاول تسجيل مسار حركته، على أمل أن يتمكن من النجاة واستخدام تلك المعلومات للعودة إلى الباب مجددًا. يمينًا، ثم يسارًا، ثم قطع ممرًا طويلًا، ثم إلى اليمين ثانية. يسار. يمين. يسار في يسار. ممر طويل آخر. أصوات مطاردته في الخلف لم تهدأ أو تتلاشَ، لكنه لم يفقد قوته هو الآخر. استمر في العدو لأميال وأميال، قلبه على وشك أن يشق طريقه للخروج من صدره. كان يلهث محاولًا مد رئتيه بالأكسجين الكافي، لكنه كان يعلم أنه لن يصمد طويلًا. تساءل عما إذا كان من الأسهل أن يواجه ويقاتل، لكي ينتهي من هذا الأمر.

وعند انعطافه مع الزاوية التالية، توقف لا إراديًا لكي يلتقط أنفاسه، وعندما نظر أمامه، رأى ثلاثًا من الهوام يتدحرجن وهن ينقرن بمخالبهن في طريقهن نحوه مباشرة.

الفصل الحادي والعشرون

استدار توماس ليرى أن مطاردته الأولى ما تزال تتقدم نحوه، على الرغم من أنها قد تباطأت بعض الشيء. تلوِّح بمخالبها المعدنية في الهواء وكأنها تسخر منه.

قال توماس في قرارة نفسه: *إنها تعلم أنني قد انتهيت.*

وبعد كل هذا الجهد، ها هو الآن محاصرًا بالهوام. لقد انتهى أمره. بعد أقل من أسبوع في ذلك المكان العجيب، كانت حياته على وشك أن تنتهي. غمره الأسى، واتخذ قراره مغلوبًا على أمره: سوف يقاتل.

ولأن مواجهة واحدة أفضل من مواجهة ثلاث، بدأ يعدو مباشرة نحو الهامة التي كانت تطارده منذ البداية. تراجعت تلك المخلوقة القبيحة شبرًا إلى الوراء، وتوقفت عن تحريك مخالبها وكأنها مصدومة من جرأته.

أكسب ترددها الطفيف توماس الجرأة، فأطلق صرخة واندفع في مواجهة عدوه. عادت الهامة إلى صوابها، وبدأت تتدحرج نحو الأمام وقد أبرزت مخالبها المعدنية استعدادًا للتصادم وجهًا لوجه مع عدوها. كادت حركتها المفاجئة أن تجعل توماس يتراجع، وتلاشت تلك اللحظة الجنونية من الشجاعة المتهورة، إلا أنه واصل العدو.

وقبل الاصطدام بثانية واحدة، وبمجرد أن ألقى نظرة عن قرب على المعدن والشعر والهلام، أخذ توماس يتراجع إلى الوراء شيئًا فشيئًا، ولكن الهامة استمرت في التقدم نحوه مباشرة قبل أن تهتز وتتوقف لبرهة... ثم لاحظ توماس أنها بدأت تتحرك بسرعة أكبر الآن. ومع صوت صرير معدني، استدارت واستعدت للانقضاض على ضحيتها، ولكن بما أن توماس لم يعد الآن محاصَرًا، أصبح الهدف أمامه واضحًا: الهرب من حيث أتى. فهرع مسرعًا في الهروب، ولكن الأصوات استمرت في ملاحقته، نابعة من الهوام الأربع جميعهن هذه المرة. بَدَوْنَ قريبات جدًّا. من المؤكد أنه كان يدفع جسده لبذل

جهد يفوق قدرته الجسدية، استمر في العدو، محاولًا تخليص نفسه من الشعور باليأس من أن الأمر ما هو إلا مسألة وقت قبل أن يقع في قبضتهن.

ومن ثم، وبعد أن قطع ثلاثة ممرات عَدْوًا، فوجئ بيدَين تسحبانه فجأة إلى ممر مجاور. قفز قلب توماس في حلقه وهو يكافح لتحرير نفسه، ولكنه توقف عندما أدرك أنه مينهو.

- ماذا...

صاح مينهو وهو يجر توماس بعيدًا بالفعل قائلًا:

- اخرس واتبعني!

ودون تفكير ولو لحظة واحدة، استعاد توماس رباطة جأشه وانطلقا يعدوان معًا عبر ممرات المتاهة المتداخلة، ينعطفان مع منعطف تلو الآخر. بدا أن مينهو كان يعرف بالضبط ما الذي يفعله، وإلى أين هو ذاهب، ولم يتوقف قط للتفكير في أي من الطرق يجب عليهما أن يسلكاه.

وبعد الانعطاف التالي، حاول مينهو التحدث وهو يلتقط أنفاسه. قال لاهثًا:

- لقد رأيت... ما فعلتَه للتو... هناك... وخطرت لي فكرة... علينا فقط أن نصمد... قليلًا بعد.

لم يكلف توماس نفسه عناء تضييع وقت التقاط أنفاسه على الأسئلة؛ واصل العَدْو فحسب، ملاحقًا مينهو، دون الحاجة إلى النظر خلفه، فقد كان يعلم أن الهوام كانت تقترب بمعدل سرعة ينذر بالخطر. كان كل موضع من جسده يؤلمه، توسلت إليه أطرافه لكي يتوقف، لكنه واصل العَدْو آملًا ألا يتوقف قلبه عن الخفقان.

وبعد عدة منعطفات، رأى توماس شيئًا ما أمامهما، ولكن دماغه لم يتمكن من التعرف عليه. بدا وكأن هناك شيئًا... خاطئًا. والضوء الخافت المنبعث من مطارداتهما جعل غرابة ما أمامهما تزداد وضوحًا.

لم ينتهِ الممر بجدار حجري آخر.

انتهى بظلام دامس.

ضيَّق توماس جفنيه وهما يعدوان نحو الجدار المعتم، يحاولان فهم ما الذي كانا يقتربان منه. بدا وكأن الجدارين المغطيَين باللبلاب على جانبيهما

لا يتقاطعان مع شيء سوى السماء من أمامهما. كان بإمكانه رؤية النجوم. وعندما اقتربا، أدرك أخيرًا أنه كان مخرجًا... انتهت المتاهة.

تعجب توماس في قرارة نفسه: *كيف؟ بعد سنوات من البحث، كيف أجده أنا ومينهو بهذه السهولة؟*

بدا أن مينهو قد قرأ أفكاره فقال وهو بالكاد قادر على إخراج الكلمات من فمه:

- لا تتحمس كثيرًا.

وقبل بضعة أقدام من نهاية الممر، توقف مينهو، ومد يده أمام صدر توماس للتأكد من أنه قد توقف هو الآخر. تباطأ توماس، ثم مشى إلى حيث انفتحت المتاهة على السماء الواسعة. كانت أصوات الهوام تقترب أكثر فأكثر، ولكن كان عليه أن يرى.

لقد توصلا بالفعل إلى طريق للخروج من المتاهة، ولكن كما قال مينهو، لم يكن هناك شيء يثير الحماس، فكل ما كان بوسع توماس رؤيته في كل الاتجاهات، أعلى وأسفل، وعلى كلا الجانبين، هي مساحة من الهواء الفارغ ونجوم خافتة. كان مشهدًا غريبًا ومقلقًا، وكأنه يقف على حافة الكون، ولوهلة قصيرة غلبه الدوار، وضعفت ركبتاه قبل أن يتمكن من استعادة توازنه.

كان بصيص الفجر قد بدأ يتجلى، يبدو أن السماء قد أضيئت بصورة ملحوظة خلال الدقائق القليلة الماضية. ووقف توماس يحدق في حالة من الذهول التام، لا يفهم كيف يمكن لكل ذلك أن يكون ممكنًا. كان الأمر كما لو أن شخصًا ما قد بنى المتاهة ومن ثم جعلها تطفو في السماء لكي تبقى هكذا، تحلق في العدم إلى الأبد.

همس توماس دون أن يعرف حتى ما إذا كان مينهو يسمعه أم لا:

- أنا لا أفهم.

أجاب العدَّاء قائلًا:

- كن حذرًا، فلن تكون أول عرقوب يسقط من أعلى الجرف.

ثم أمسك بكتف توماس وأردف وهو يشير برأسه نحو المتاهة:

- هل نسيت شيئًا؟

تذكر توماس سماعه كلمة «الجرف» من قبل، ولكنه لا يتذكر متى ولا أين قد سمعها في الوقت الحالي. لقد جعلته رؤية السماء على مساحة مفتوحة شاسعة أمامه وأسفله في حالة ذهول تام، كان أشبه بالمنوَّم مغناطيسيًّا،

ولكنه سرعان ما استعاد وعيه واستدار لمواجهة الهوام القادمة. أصبحت الآن على بعد عشرات الأقدام فقط، في طابور واحد، مشحونات بالغضب، يتحركن بسرعة غير متوقَّعة.

أصبح كل شيء واضحًا في تلك اللحظة، حتى قبل أن يخبره مينهو بما يجب عليهما فعله.

قال مينهو:

- قد تكون تلك الخلوقات شريرة ووحشية، ولكنها أغبى مما تتخيل. قف هنا، بالقرب مني، في مواجهتها...

قاطعه توماس قائلًا:

- أعرف. أنا مستعد.

أخذا يجران أقدامهما في ارتباك حتى أصبحا في منتصف عرض الممر بالضبط، واقفان وجهًا لوجه أمام الهوام. كانت كعوبهما على بعد بوصات قليلة فقط من حافة الجرف خلفهما، ولا شيء سوى الهواء بعد ذلك، لا يملكان خيارًا سوى الشجاعة.

صاح مينهو عاليًا بصوت كاد أن يغرق في خضم أصوات الهوام التي تصم الآذان:

- يجب أن نكون متزامنَين! فلنتحرك عند إشارتي!

كان السبب وراء اصطفاف الهوام في طابور واحد غامضًا، ربما كانت ممرات المتاهة ضيقة لدرجة تجعل من تحركها جنبًا إلى جنب أمرًا صعبًا. لكنهن تدحرجن واحدة تلو الأخرى فوق الممر الحجري تنقر وتعوي ومستعدة تمامًا للقتل. انكمشت المسافة التي تفصلهما عن الهوام، وأصبحت تلك المخلوقات المتوحشة على بعد ثوانٍ فقط من الاصطدام بالفتيين المنتظِرَين.

قال مينهو بحزم:

- جاهز؟ ليس الآن... ليس الآن...

كره توماس كل ثانية من الانتظار. أراد فقط أن يغلق عينيه وألا يرى الهوام مرة أخرى.

صرخ مينهو:

- الآن!

وفي اللحظة التي امتدت فيها ذراع الهامة الأولى لتقرضهما، افترق مينهو وتوماس فورًا في اتجاهين متعاكسين، كل واحد باتجاه أحد جداري الممر الجانبيَّين. قد سبق ونجح هذا التكتيك مع توماس من قبل، واستنادًا إلى صوت العواء المروع الذي صدر من الهامة الأولى فإنه قد نجح مجددًا. سقطت المخلوقة المتوحشة من أعلى حافة الجرف، والغريب أن عواءها الحاد انقطع فجأة بدلًا من أن يتلاشى شيئًا فشيئًا وهي تهوي إلى الأعماق بالأسفل.

نهض توماس واتكأ على الحائط والتفت في الوقت المناسب تمامًا ليرى المخلوقة الثانية تتعثر وتسقط من فوق الحافة، غير قادرة على إيقاف نفسها. أما الثالثة فزرعت أحد مخالبها بقوة في الحجر، ولكن زخمها كان كبيرًا جدًّا.

أصاب الصريرُ المثير للأعصاب للأشواك التي تنحت الحجر توماس بقشعريرة في سائر جسده، على الرغم من أنه لم يدُم إلا ثانية واحدة قبل سقوط الهامة إلى الهاوية. ومجددًا، لم تصدر أيٌّ من الهوام صوتًا وهي تسقط... كما لو كانت تختفي بدلًا من أن تسقط.

تمكنت الهامة الرابعة والأخيرة من إيقاف نفسها في الوقت المناسب، تترنح على أقصى حافة الجرف، بالكاد تثبِّت نفسها في مكانها باستخدام مخالبها وأشواكها.

وتلقائيًّا، عرف توماس ماذا كان عليه فعله، نظر إلى مينهو، وأومأ إليه برأسه، ثم استدار. اندفع كلا الفتيَين نحو الهامة ودفعاها بأقدامهما بأقصى ما أوتيَا من قوة حتى استطاعا معًا إسقاط آخر تلك الوحوش إلى موتها المحتم.

وبسرعة زحف توماس إلى حافة الهاوية، وأنْتَأ رأسه ليرى الهوام الساقطة. ولكن، ولدهشته الكبيرة، لم يرَ لهن أي أثر في الفراغ الممتد أدناه، لا أثر على الإطلاق.

لم يستطع عقله فهم إلى أين يؤدي ذلك الجرف أو ما الذي حدث لتلك المخلوقات المروعة. اختفت آخر ذرة مما يملك من قوة، وتكوَّرَ توماس على الأرض.

ومن ثم، أخيرًا، انهمرت دموعه.

الفصل الثاني والعشرون

مرَّت نصف ساعة...

ولم يتحرك أيٌّ من توماس أو مينهو من مكانهما ولو شبرًا واحدًا.

توقف توماس أخيرًا عن البكاء، ولم يسعه إلا أن يتساءل عما يدور في ذهن مينهو عنه، أو ما إذا كان سيخبر الآخرين بما حدث، واصفًا إياه بالفتى الجبان. ولكنه لم يكن ليستطيع تمالك نفسه أكثر، لم يكن بإمكانه كبح دموعه، لا بد أنه يعلم ذلك جيدًا. وعلى الرغم من فقدانه لذاكرته، كان توماس متأكدًا من أنه قد مرَّ للتو بأصعب ليلة في حياته. وزادت يداه المحترقتان وإنهاكه الشديد الأمر سوءًا.

زحف إلى حافة الجرف مرة أخرى، وأنْتَأ رأسه مرة أخرى من أجل إلقاء نظرة أفضل الآن بعد أن أشرق نور الفجر بكامل قوته. كان لون السماء الواسعة أمامه يتحول ببطء من الأرجواني الداكن إلى زرقة الصباح الزاهية، مع مسحات برتقالية خفيفة من الشمس التي تلوح في أفق مسطح بعيد.

حدَّق إلى الأسفل مباشرة، ليرى أن جدار المتاهة الحجري يمتد إلى أسفل في شكل جرف شديد الانحدار، حتى اختفى عند نقطة ما شديدة البعد بالأسفل. وحتى مع الضوء الذي كان يزداد سطوعًا، كان ما يزال غير قادر على معرفة ماذا كان هناك بالأسفل. بدا الأمر كما لو أن المتاهة كانت قابعة فوق بناء يبلغ ارتفاعه أميالًا عديدة فوق سطح الأرض.

فكَّرَ توماس في قرارة نفسه: *ولكن هذا مستحيل. لا يمكن لهذا أن يكون حقيقيًا، لا بد أنني أتوهم.*

تقلَّبَ توماس على ظهره، وهو يتأوه مع كل حركة من شدة الألم، ولكن على الأقل سيتم فتح الأبواب قريبًا، ويمكنهما العودة إلى الجلايد. نظر إلى مينهو الذي كان متكومًا على الأرض في وسط الممر وقال:

- لا أصدق أننا ما زلنا على قيد الحياة.

لم يقل مينهو شيئًا، أومأ برأسه فقط، بوجه خالٍ من أي تعبير.

- هل يوجد المزيد منهن؟ أم أننا قد قتلناهن جميعًا للتو؟

أخذ مينهو نفسًا عميقًا وقال:

- لحسن الحظ أننا استطعنا الصمود حتى شروق الشمس، وإلا فلم يكن ليمضي وقت طويل قبل أن نجد عشرة أُخَر في أعقابنا.

ثم غيَّر وضعية جسده وهو يئن ويتأوه وأردف قائلًا:

- لا أستطيع تصديق ذلك، حقًّا، لقد نجحنا في الصمود لليلة كاملة... لم يفعل أحد هذا من قبل.

كان توماس يعلم أن عليه أن يفخر بنفسه وبشجاعته وما إلى ذلك، ولكن كل ما شعر به هو أن جسده كان متعَبًا وأن قلبه قد اطمأن.

- ما المختلف فيما فعلناه؟

- لا أعرف. من الصعب نوعًا ما أن نسأل فتى ميتًا ما الخطأ الذي ارتكبه.

لم يستطع توماس أن يكف نفسه عن التساؤل عن كيفية اختفاء عواء الهوام المشحون بالغضب فور سقوطها من الجرف، وكيف لم يستطع رؤيتها وهي تتهاوى حتى الموت. كان ثمة شيء غريب للغاية ومثير للقلق بشأن ذلك.

- يبدو وكأن الهوام قد اختفت أو ما شابه بعد سقوطها من الحافة.

- أجل، كان هذا جنونيًّا نوعًا ما. كان لدى اثنين من فتيان الجلايد نظرية تقول بأن الأشياء تختفي في هذا المكان، ولكننا أثبتنا أنهما مخطئان. انظر.

شاهد توماس مينهو وهو يقذف بصخرة من فوق الجرف، ثم تتبع مسارها بعينيه. أخذت تتهاوى لأسفل دون أن تغيب عن بصره، حتى أصبحت أصغر بكثير من أن تراها عيناه، فالتفت نحو مينهو قائلًا:

- كيف لذلك أن يثبت أنهما على خطأ؟

هزَّ مينهو كتفيه وقال:

- حسنًا، إن الصخرة لم تختفِ، أليس كذلك؟

- إذن ما الذي حدث برأيك؟

كان هناك شيء مهم بخصوص هذا الأمر. كان باستطاعة توماس أن يشعر بذلك.

هزَّ مينهو كتفيه مرة أخرى قائلًا:

- ربما هي مخلوقات سحرية. يؤلمني رأسي بشدة كلما فكرت في الأمر.

وفجأة، نسي توماس كل أفكاره عن الجرف، وتذكر آلبي.

قال توماس وقد أجبر نفسه بصعوبة على الوقوف على قدميه:

- علينا أن نعود. عليَّ أن أُنزِلَ آلبي، لقد تركته معلَّقًا على الجدار.

وعندما رأى ملامح الارتباك على وجه مينهو، سرعان ما شرح له ما فعله بحبال اللبلاب.

نظر مينهو إلى أسفل بعينين حزينتين وقال:

- يستحيل أنه ما يزال على قيد الحياة.

رفض توماس تصديق ذلك.

- كيف علمت بذلك؟ هيا تعال معي!

وبدأ يعرج على طول الممر في طريقه للعودة.

- لأنه لم يسبق قط أن نجا أحد...

تباطأ في مشيته، وعرف توماس ما الذي كان يفكر فيه.

- هذا لأنهم كانوا دائمًا ما يُقتَلون على أيدي الهوام حالما تجدهم. أما آلبي فقد لدغته واحدة من تلك الإبر فحسب، صحيح؟

نهض مينهو وانضم إلى توماس في مسيرته البطيئة في طريق العودة نحو الجلايد وقال:

- لا أعرف، أعتقد أن هذا لم يحدث من قبل. لقد سبق أن لُدِغَ بعض الفتيان بالإبر خلال النهار. وهؤلاء هم الذين حصلوا على المصل وخاضوا بالتحوُّل. أما العراقيب المساكين الذين علقوا في المتاهة طوال الليل فلم يتم العثور عليهم إلا في وقت لاحق... بعدها بأيام، أحيانًا، هذا إذا عُثِرَ عليهم من الأساس. وجميعهم قد قُتِلوا بطرق لن تود سماعها.

اقشعر بدن توماس لمجرد الفكرة، وقال:

- بعد كل ما مررنا به للتو، أظن أنني بإمكاني أن أتخيل.

نظر مينهو إلى أعلى، وقد بدَّلت الدهشة ملامح وجهه، وقال:

- أعتقد أنني قد فهمت الأمر للتو. لقد كنا مخطئَين... أو بالأحرى، آمل أننا كنا مخطئَين. بما أنه لم ينجُ أي شخص قد تعرض للدغ ولم يتمكن من

العودة قبل غروب الشمس، فقد افترضنا أن السبب في ذلك هو فوات الأوان على حصولهم على المصل.

بدا متحمسًا لطريقة تفكيره.

انعطفا مع منعطف آخر، وبدأ مينهو فجأة يسرع في خطواته متخذًا زمام المبادرة، بينما بقي توماس وراءه مباشرة، متفاجئًا كيف تبدو الاتجاهات مألوفة بالنسبة إليه، وغالبًا ما كان يتجه نحو المنعطفات حتى قبل أن يشير مينهو إلى الاتجاه الذي يجب عليهما أن يسلكاه.

قال توماس:

- حسنًا... بشأن هذا المصل، لقد سمعتهم يتكلمون عنه عدة مرات. ما هذا؟ ومن أين يأتي؟

- الكلمة تشرح نفسها أيها العرقوب. إنه مصل، مصل الهوام.

افتعل توماس ضحكة كئيبة وقال:

- أقصد لماذا يسمى بهذا الاسم؟ ولماذا تسمى الهوام هوامًا؟

شرح له مينهو وهما يمرَّان عبر المنعطفات اللانهائية للمتاهة وقد أصبح كلاهما متحاذيَين في تلك اللحظة، قال:

- لا أعرف من أين حصلنا على الأسماء، لكن المصل يأتينا من المُؤسِّسين... أو على الأقل نحن نسميهم المُؤسِّسين. يأتينا مع الإمدادات التي تصل في الصندوق كل أسبوع، لطالما كان هذا ما يحدث. إنه دواء أو ترياق أو شيء من هذا القبيل، ويأتينا معبأً بالفعل داخل حقن طبية، جاهزًا للاستعمال.

أشار مينهو لذراعه ومثَّل وكأنه يأخذ حقنة، ثم أردف قائلًا:

- بمجرد أن تحقن الشخص الذي تعرض للدغ بهذا المصل فقد أنقذت حياته. سيمر بالتحوُّل -وهو ليس بالأمر الهين، إنه شيء بشع- ولكنهم يُشفَون بعد ذلك.

مرت دقيقة أو دقيقتان في صمت حاول فيهما توماس استيعاب ما سمعه من معلومات، وكانا قد انعطفا مرتين أخريين في تلك الأثناء. تساءل توماس حول التحوُّل وماذا يعني. ولسبب ما، ظل يفكر في الفتاة.

ثم أردف مينهو أخيرًا مرة أخرى قائلًا:

- ولكن غريب، إننا لم نتحدث حول هذا من قبل. إذا كان ما يزال على قيد الحياة، فلا يوجد سبب حقيقي للاعتقاد بأنه لا يمكن إنقاذ آلبي عن طريق المصل. لقد ثبت الاعتقاد بطريقة ما في أدمغتنا البلهاء أنه بمجرد إغلاق الأبواب يكون الأمر قد انتهى... هذا كل شيء. عليَّ أن أرى بنفسي كيف علقته على الجدار. أظنك تمزح معي!

واصل الفَتَيان المشي، وبدا مينهو سعيدًا بعض الشيء، بينما ظلت فكرة ما تقلق توماس، كان يتجنب التفكير فيها، ويحاول إنكارها لنفسه.

- ماذا لو أن هامة أخرى قد نالت من آلبي بعد أن صرفتُ الهامة التي كانت تطاردني؟

نظر إليه مينهو بوجه خالٍ من التعبيرات.

فأردف توماس آملًا ألا يضيع كل هذا الجهد لإنقاذ آلبي هباءً:

- دعنا نسرع فحسب، هذا كل ما أقصده.

حاولا أن يزيدا من سرعتهما، لكن شدة الألم في جسديهما منعتهما، فعادا مرة أخرى إلى وتيرتهما البطيئة في السير على الرغم من الضرورة الملحة. وعندما اقتربا من المنعطف التالي، تعثَّر توماس، وكاد قلبه أن ينخلع من مكانه عندما رأى حركة أمامه، ولكن ما لبث أن غمرته الطمأنينة عندما أدرك أنه كان نيوت ومعه مجموعة من أفراد الجلايد. كان الباب الغربي المؤدي للجلايد يعلو فوق رؤوسهما وكان مفتوحًا، لقد نجحا في العودة.

عندما ظهر كلا الفَتَيين، اندفع إليهما نيوت وهو يعرج وقد بدا غاضبًا بعض الشيء وسألهما قائلًا:

- ماذا حدث؟ كيف بحق الجحيـ...

فقاطعه توماس قائلًا:

- سنخبرك لاحقًا. علينا أن ننقذ آلبي.

شحب وجه نيوت وقال:

- ماذا تقصد؟ أنه حي؟

- فقط تعال إلى هنا.

توجه توماس نحو اليمين، ورفع رأسه لينظر عاليًا على الجدار، باحثًا على طول فروع اللبلاب السميكة حتى وجد البقعة المُعَلَّق فيها آلبي من ذراعيه وساقيه من فوقهم. ودون أن ينطق بأي كلمة، أشار توماس لأعلى، ولم يجرؤ

على الشعور بالارتياح بعد. كان ما يزال بالأعلى، وبدا جسده سليمًا، ولكن لم تبدر منه أي حركة.

رأى نيوت أخيرًا صديقه معلقًا في اللبلاب، ثم عاد ينظر إلى توماس مرة أخرى. ولو كان مصدومًا منذ قليل لرؤية توماس ومينهو فقد أصبح الآن في ذهول تام وحيرة من أمره.

- أهو... حي؟

قال توماس في قرارة نفسه: *أرجو أن يكون كذلك.*

- لا أعرف. لقد كان عندما تركته هناك.

هزَّ نيوت رأسه قائلًا:

- عندما تركته؟! فلتعد أنت ومينهو إلى الداخل فورًا، فلتجعلا الطبيبجية يفحصانكما؛ تبدوان في حالة مزرية، ومن ثم أريد سماع كل القصة كاملة عندما تنتهيان وتستريحان.

أراد توماس الانتظار ليرى ما إذا كان آلبي بخير. كان سيبدأ بالتحدث ولكن مينهو شده من ذراعه وأجبره على السير باتجاه الجلايد قائلًا:

- نحن بحاجة إلى النوم، وإلى ضمادات، حالًا!

وكان توماس يعلم أنه على حق. رضخ له وهو ينظر إلى آلبي المُعَلَّق في الأعلى، ثم تبع مينهو إلى خارج المتاهة.

***

بدا طريق العودة إلى الجلايد ومن ثم الوصول إلى بيت المزرعة وكأنه بلا نهاية، فقد اصطف أفراد الجلايد على كلا الجانبين يحدقون إليهما وقد بدا على وجوههم ذهول ورهبة شديدان، كما لو كانوا يشاهدون شبحَين يتجولان في مقبرة. كان توماس يعرف أن السبب في ذلك هو أنهما قد فعلا شيئًا لم يفعله أحد من قبل، لكنه شعر بالحرج من تسليط الانتباه عليه. كاد يتسمر في مكانه عندما رأى جالي يتقدم نحوهما طاويًا ذراعيه ويحدق إليهما بغضب، إلا أنه واصل المسير. كلفه الأمر كل ما يملك من شجاعة وإرادة، ولكنه نظر مباشرة في عيني جالي، ولم يزِح عينيه للحظة، وبعد أن قطع مسافة نحو خمسة أقدام، أحنى الفتى الآخر رأسه إلى الأرض، وكاد توماس يكون منزعجًا من مدى شعوره بالرضا بشأن ذلك، تقريبًا.

كانت الدقائق القليلة التالية أشبه بحلم ضبابي. تم اصطحابه إلى بيت المزرعة بواسطة اثنين من الطبيجية. وفي الطابق العلوي، لمح من خلال باب موارب شخصًا يطعم الفتاة فاقدة الوعي في سريرها. شعر برغبة قوية بشكل لا يُصدق في الذهاب لرؤيتها، للاطمئنان عليها، للتحقق من راحتها في غرفتها، في سريرها، من طعامها، وشرابها، وضماداتها، وإذا ما كانت تتألم.

وأخيرًا، تُرِكَ وحيدًا، ووضع رأسه ليستريح على أنعم وسادة يمكنه تذكرها في ذاكرته المحدودة تلك. ولكن بينما كان يغلبه النعاس، كان ثمة شيئان لم يفارقا ذهنه: الأول، هي الكلمة التي رآها مكتوبة على جذع كلتا الخنفستين المعدنيتين -وِكِد- فقد أخذت تدور في ذهنه مرارًا وتكرارًا.

والشيء الثاني هو.. الفتاة.

***

وبعد مرور ساعات -أو ربما أيام- كان تشاك يهزه ليوقظه. استغرق الأمر عدة ثوانٍ من توماس ليستطيع رؤية تشاك بوضوح وليستوعب ما يحدث. ثم نظر إلى تشاك وتذمَّر قائلًا:

- دعني أنام أيها العرقوب.

- اعتقدتُ أنك تود أن تعرف.

فرك توماس عينيه وتثاءب ثم سأله قائلًا:

- أود أن أعرف ماذا؟

حدَّقَ إلى تشاك متحيرًا من ابتسامته العريضة المرسومة على وجهه.

قال تشاك:

- إنه حي. آلبي بخير... المصل آتى مفعوله.

اختفى خمول توماس على الفور وشعر بقلبه وقد غمره الاطمئنان. فوجئ من مدى الفرحة التي جلبها له هذا الخبر. إلا أن كلمات تشاك التالية جعلته يعيد النظر.

- لقد بدأ يمر بالتحوُّل للتو.

ومن ثم، وكأنها آتية لتأكيد كلامه، انطلقت صرخة تقشعر لها الأبدان، من إحدى الغرف في نهاية الممر.

الفصل الثالث والعشرون

تعبَ عقل توماس لكثرة تفكيره وتساؤله عن حالة آلبي. لقد بدا الأمر مثل انتصار فقط لأنه تمكن من إنقاذ حياته وإعادته إلى الجلايد بعد قضاء ليلة في المتاهة، ولكن هل كان الأمر يستحق كل ذلك؟ فها هو الفتى الآن في ألم شديد، يمر بنفس ما مر به بِن. وماذا لو أصبح مجنونًا مثل بِن؟ أحاطته الأفكار المقلقة من كل مكان.

أرخى الشفق سدائله على الجلايد، وما زالت صرخات آلبي تملأ الهواء. كان من المستحيل الهرب من هذا الصوت الرهيب، حتى بعد أن تحدث توماس أخيرًا مع الطبيبجية لكي يسمحوا له بالرحيل... منهكًا، متألمًا، ومُضمَّدًا، ولكنه لم يعد يحتمل سماع الصوت الجهنمي الثاقب لصرخات قائدهم. ورفض نيوت بشدة طلب توماس في رؤية الشخص الذي خاطر بحياته من أجله قائلًا إن ذلك لن يزيد الأمور إلا سوءًا، وأنه ليس ثمة مجال لأن يتراجع في كلمته. كان توماس متعَبًا جدًّا لدرجة أنه لم يكن قادرًا على الجدال. لم تكن لديه أدنى فكرة أنه من الممكن أن يكون منهَكًا لتلك الدرجة حتى بعد حصوله على بضع ساعات من النوم. جسده يؤلمه كثيرًا لدرجة أنه لم يكن قادرًا على فعل أي شيء، وقضى معظم اليوم على مقعد على أطراف المقبرة، غارقًا في اليأس، فقد تلاشت فرحته بهروبه سريعًا، تاركة له الألم وعناء التفكير بشأن حياته الجديدة في الجلايد. كانت كل عضلة في جسده تؤلمه، وقد غطته الجروح والكدمات من الرأس إلى أخمص القدم. ولكن ذلك لم يكن بنفس سوء العبء النفسي الذي عاناه في الليلة السابقة. بدا استيعابه أخيرًا لحقيقة العيش هناك، مثل سماع التشخيص النهائي لسرطان في مرحلة متأخرة.

حدَّثَ نفسه قائلًا: *كيف يمكن لأي شخص أن يكون سعيدًا في حياة كهذه؟ ثم كيف يمكن لأي شخص أن يكون شريرًا للدرجة التي تجعله يفعل هذا بنا؟*

لقد فهم الآن أكثر من أي وقت مضى سبب التعطش الشديد لأفراد الجلايد من أجل إيجاد طريقة للخروج من المتاهة. لم تكن المسألة مسألة هروب فحسب. ولأول مرة، شعر بتعطش للانتقام من المسؤولين عن إرساله إلى

هذا المكان، ولكن تلك الأفكار قادته في نهاية الأمر إلى اليأس الذي قد سبق وملأه مرات عديدة بالفعل منذ وصوله. إذا لم يتمكن نيوت والآخرون من حل المتاهة بعد عامين من المحاولات والبحث، فيبدو أنه من المستحيل أن يكون هناك حل من الأساس. ولكن حقيقة أن أفراد الجلايد لم يستسلموا إلى الآن من شأنها أن تقول الكثير عن هؤلاء الناس أكثر من أي شيء آخر.

والآن هو واحد منهم.

قال في قرارة نفسه: هذه هي حياتي. *العيش في متاهة عملاقة تملؤها مخلوقات متوحشة شنيعة.* اجتاحه الحزن مثل سُمٍّ قوي. وصرخات آلبي، التي ما تزال تصله على الرغم من أنها أصبحت بعيدة الآن، زادت الطين بلَّة. كان عليه أن يضغط بيديه على أذنيه كلما سمعها.

وفي نهاية المطاف، انتهى اليوم، وجلب غروب الشمس صوت إغلاق الأبواب الأربعة معه. لم يكن لدى توماس أي ذكرى عن حياته قبل اللحظة التي وجد نفسه فيها داخل ذلك الصندوق، لكنه كان على يقين من أن الأربع والعشرين ساعة الماضية هي الأسوأ في حياته على الإطلاق.

وبعد أن خيَّم الظلام مباشرة، أحضر له تشاك العشاء وكوبًا كبيرًا من الماء البارد.

قال توماس وقد غمرته موجة من الدفء من تصرف الفتى:

- شكرًا.

تناول اللحم البقري والمعكرونة من الطبق بأقصى سرعة تمكن بها من تحريك ذراعيه الموجوعتين.

قال وهو يمضغ قضمة كبيرة:

- كنت أحتاج إلى هذا كثيرًا.

ثم أخذ رشفة كبيرة من الماء وعاد للهجوم على طبقه مرة أخرى. لم يكن يدرك مدى جوعه حقًا حتى بدأ في تناول الطعام.

قال تشاك الجالس على المقعد المجاور له:

- إنك تأكل بطريقة مثيرة للاشمئزاز. الأمر أشبه بمشاهدة خنزير جائع يلتهم رطمه.

قال توماس بنبرة ساخرة:

- هذا مضحك. يجب عليك أن تذهب للترفيه عن الهوام، لترى إذا كانت ستضحك.

امتعض وجه تشاك لثوانٍ، مما جعل توماس يشعر بالسوء من نفسه، ولكن شعوره سرعان ما اختفى.

- بالمناسبة... أنت حديث المدينة الآن.

اعتدل توماس في جلسته، غير واثق من طبيعة شعوره تجاه ما سمعه للتو.

- ما الذي من المفترض أن يعنيه هذا؟

- أوه، دعني أفكر. أولًا، تخرج إلى المتاهة حين لا يكون من المفترض لك أن تفعل ذلك؛ في أثناء الليل. وبعدها تتحول إلى فتى غريب الأطوار يجيد تسلق اللبلاب وتعليق الناس على الجدران. ومن ثم، تصبح أول شخص على الإطلاق يستطيع النجاة من ليلة كاملة خارج الجلايد. وفوق كل ذلك، تقتل أربع هوام. حقًّا لا أستطيع أن أفهم لماذا يتحدث عنك هؤلاء العراقيب.

غمرت توماس موجة من الفخر، ثم سرعان ما تلاشت. لقد اشمأز من السعادة التي شعر بها للتو، فآلبي ما يزال طريح الفراش، يصرخ من شدة الألم حتى كاد رأسه ينفجر... ربما يتمنى الموت في هذه اللحظة.

- خداع الهوام لكي تسقط من أعلى الجرف كانت فكرة مينهو وليست فكرتي.

- ليس على حد قوله. لقد رآك تنتظر في هدوء تام ثم تتنحى عن طريقها بسرعة في الوقت المناسب تمامًا، فجاءته الفكرة بأن يفعل الشيء نفسه عند الجرف.

فقال توماس مستنكرًا:

- أنتظِر ثم أتنحى بسرعة عن طريقها؟ أي أبله على وجه الأرض كان ليفعل ذلك؟!

- لا تلعب دور المتواضع الخَجِل علينا. ما فعلته هو أمر مذهل لا يُصَدِّقه عقل. أنت ومينهو، كلاكما.

ألقى توماس بالطبق الفارغ على الأرض وقال بغضب مفاجئ:

- إذن لماذا أشعر بالسوء الشديد تجاه نفسي يا تشاك؟ هلا أجبتني عن ذلك؟

حدَّق توماس إلى وجه تشاك باحثًا عن إجابة، ولكن من الواضح أنها لم تكن لديه. ربت الفتى على كفيه وانحنى على ركبتيه ونظر إليه قائلًا:

- للسبب ذاته الذي جعلنا جميعًا نشعر بالسوء.

جلسا في صمت حتى أتى نيوت -بعد بضع دقائق- وهو في غاية الإرهاق وجلس على الأرض أمامهما وقد بدا وكأنه أكثر الناس حزنًا وقلقًا على وجه الأرض. ومع ذلك، كان توماس سعيدًا بوجوده بالجوار.

قال نيوت:

- أعتقد أن الجزء الأصعب قد انتهى. يجب أن ينام لبضعة أيام، وعندما يستيقظ سيكون على ما يرام. ربما نتوقع القليل من الصراخ بين الحين والآخر.

لم يستطع توماس تخيل مدى سوء الأمر، ولكن عملية التحوُّل برمتها كانت ما تزال لغزًا بالنسبة إليه. التفت إلى الفتى الأكبر، وحاول بذل قصارى جهده لكي يبدو سؤاله عرضيًّا بقدر الإمكان:

- نيوت، ما الذي يمر به آلبي هناك؟ جديًّا، إنني لا أفهم ما هذا الشيء الذي تسمونه التحوُّل.

أذهلت إجابة نيوت توماس.

- وهل تعتقد أننا نفهم؟

ثم بصق، ورفع ذراعيه لأعلى ثم رطمهما بركبتيه وأردف قائلًا:

- كل ما نعرفه أنه عندما تلدغك الهوام اللعينة بإبرها المقززة، يجب أن تُحقَن بالمصل وإلا فستموت. وإذا حصلت على المصل، فإن جسدك سينتفض ويرتجف، وسيلتهب جلدك وينتفخ ويتحول إلى لون أخضر غريب وتبدأ في التقيؤ حتى تكاد تتقيأ أحشاءك نفسها. هل كان هذا توضيحًا كافيًا لك يا تومي؟

عبس وجه توماس، ولم يكن يريد أن يزعج نيوت أكثر، ولكنه كان بحاجة إلى إجابات.

- مهلًا، أعرف أنه من الصعب أن ترى صديقك يمر بذلك، لكنني أريد فقط أن أعرف ما الذي يحدث هناك حقًّا. لماذا تسمونه التحوُّل؟

استرخى نيوت قليلًا ثم تنهد وقال:

- إنه يعيد الذكريات. مقتطفات صغيرة فحسب، ولكنها ذكريات واضحة عن الحياة قبل مجيئنا إلى هذا المكان المروع. وأي شخص يمر بذلك يبدأ بالتصرف كما المجنون فور انتهائه... على الرغم من أن الأمر لا يكون عادة بنفس سوء الحالة التي كان عليها بِن المسكين. على أي حال، يكون الأمر كما لو أنك قد استعدت حياتك القديمة، فقط لكي تُسلَب منك مجددًا في لمح البصر.

تَشَوَّشَتِ الأَفْكَارُ فِي ذِهْنِ توماس، فسأل قائلًا:

- أأنت متأكد؟

فقال نيوت وقد بدا عليه الارتباك:

- ماذا تقصد؟ متأكد من ماذا؟

- هل يصبحون في تلك الحالة لأنهم يريدون العودة إلى حياتهم القديمة، أم لأنهم يكونون في إحباط بالغ لإدراكهم أن حياتهم القديمة لم تكن أفضل مما لدينا الآن؟

حدَّق نيوت إلى وجهه لثوانٍ ثم أشاح بنظره بعيدًا، وبدا أنه قد استغرق في تفكير عميق.

- العراقيب الذين يمرون بذلك لا يتحدثون عنه أبدًا. يصبحون... مختلفين، عِدائيين... حالتهم لا تَسُر. هناك عدد قليل منهم في الجلايد ولكنني لا أحتمل أن أكون حولهم.

كان صوته خافتًا وعيناه شاردتان إلى بقعة معينة فارغة في الغابة. عرف توماس أنه كان يفكر في آلبي وكيف أنه قد لا يعود كما كان ثانية.

قال تشاك:

- دعني أخبرك بهذا... جالي هو الأسوأ من بينهم جمعيًا.

سأل توماس في محاولة لتغيير الموضوع:

- هل من جديد عن الفتاة؟ لقد رأيت الطبيجية يطعمونها في الطابق العلوي.

لم يكن في مزاج يسمح بالتحدث عن جالي، وبالإضافة إلى ذلك، كان تفكيره ما يلبث أن يعود إليها.

أجابه نيوت قائلًا:

- لا. ما زالت في غيبوبتها اللعينة، أو أيًا ما كان بها. وبين الحين والآخر تغمغم بشيء ما، هذيان، وكأنها تحلم.

- إنها تتقبل الطعام حين يطعمونها وتبدو صحتها على ما يرام. الأمر غريب نوعًا ما.

ثم سادت فترة طويلة من الصمت، كما لو أن ثلاثتهم يحاولون إيجاد تفسير لحالة الفتاة. وتساءل توماس مجددًا عن شعوره غير المبرر بأن ثمة شيئًا يربطه بها، على الرغم من أن شعوره هذا قد خَفَتَ قليلًا... ولكن ربما كان ذلك بسبب أن هناك العديد من الأشياء الأخرى تشغل تفكيره.

وأخيرًا، كسر نيوت الصمت قائلًا:

- على كلٍّ، مهمتنا الآن هي معرفة ما الذي سنفعله مع تومي هنا.

ارتبك توماس لسماعه تلك الجملة.

- تفعلونه معي؟ ما الذي تتحدث عنه؟

وقف نيوت وأخذ يمدد ذراعيه، ثم قال:

- لقد قلبت هذا المكان رأسًا على عقب أيها العرقوب اللعين. يعتقد نصف أفراد الجلايد أنك إله منزَّل من السماء، والنصف الآخر يريدون أن يرموا مؤخرتك في حفرة الصندوق. هناك الكثير من الأشياء يجب التحدث عنها.

- مثل ماذا؟

لم يكن توماس يعرف أيهما أكثر إثارة للقلق؛ أن يعتقد الناس أنه بطل أو ما شابه، أم أن البعض يتمنى أن يُمحى وجوده من على الأرض.

قال نيوت:

- الصبر، ستعرف غدًا في الصباح.

- غدًا؟ لماذا؟

لم يعجب توماس ما سمعه للتو.

- لقد دعوت إلى عقد تجمُّع، وستكون هناك، وسيكون تحديد مصيرك هو الموضوع الوحيد على قائمة موضوعات هذا التجمُّع.

وبقوله هذا استدار وغادر، تاركًا توماس يتساءل لماذا بحق السماء قد يحتاجون إلى عقد تجمع فقط ليناقشوا أمره.

الفصل الرابع والعشرون

في الصباح التالي، وجد توماس نفسه جالسًا على كرسي، قلقًا ومتوترًا، يتصبب عرقًا، في مواجهة أحد عشر فتى آخر، كانوا يجلسون على كراسي مصطفة على شكل نصف دائرة من حوله، وبمجرد أن استقروا في أماكنهم، أدرك أنهم الأمناء، ومما أثار استياءه أن جالي كان بينهم. وكان الكرسي الموجود أمام توماس مباشرة خاليًا، ولم يكن بحاجة إلى أن يتم إخباره بأنه كان كرسي آلبي. جلسوا في غرفة كبيرة داخل بيت المزرعة، لم يسبق لتوماس أن دخلها من قبل. وإلى جانب الكراسي، لم تكن الغرفة تحتوي على أي أثاث آخر باستثناء طاولة صغيرة في الزاوية. كانت الجدران مصنوعة من الخشب، كذلك الأرضية، ولا يبدو أن هنالك أي شخص حاول أن يجعل المكان يظهر جذابًا بأي طريقة. لم تكن هناك نوافذ، تفوح من الغرفة رائحة العفن الفطري والكتب القديمة. لم يكن توماس يشعر بالبرد، إلا أنه ارتجف على الرغم من ذلك، ولكنه على الأقل كان مطمئنًا بعض الشيء لوجود نيوت هناك، جالسًا على الكرسي الموجود على يمين كرسي آلبي الفارغ.

قال وقد بدا ضجِرًا من هذه الرسميات الشكلية:

- نيابة عن قائدنا، المريض طريح الفراش، أعلن بدء هذا التجمع. كما تعلمون جميعًا، لقد كانت الأيام القليلة الماضية مليئة بالأحداث الجنونية، وعلى ما يبدو فإن كل تلك الأحداث تتمحور حول تومي، العود الأخضر، الجالس أمامنا.

احمر وجه توماس حَرَجًا.

قال جالي:

- إنه لم يعد عودًا أخضر بعد الآن، إنه مجرد منتهك للقواعد.

كان صوته المبحوح منخفِضًا ومليئًا بالقسوة لدرجة كادت تبدو كوميدية.

أثار ذلك الكلام السابق الأحاديث الجانبية والهمهمات بين الفتيان، ولكن نيوت أسكتهم. أراد توماس فجأة لو أن الأرض تنشق وتبتلعه.

قال نيوت:

- جالي، حاول المحافظة على النظام قليلًا، إذا كنت ستفتح فمك المقزز هذا وتثرثر في كل مرة أقول فيها شيئًا، فيمكنك المغادرة حالًا، لأنني لست في مزاج جيد.

أراد توماس أن يقف ويهتف تشجيعًا لما قاله نيوت.

طوى جالي ذراعيه وأسند ظهره إلى الخلف في كرسيه وعلى وجهه عبوس شديد لدرجة كادت تدفع توماس للضحك بصوت عالٍ. لقد قضى وقتًا عصيبًا في محاولة استيعاب أنه كان مرعوبًا من هذا الفتى قبل يوم واحد فقط، فقد بدا الآن ساذجًا، بل مثيرًا للشفقة حتى.

رمق نيوت جالي بنظرة حادة، ثم أردف قائلًا:

- سعيد لأننا انتهينا من ذلك. والآن، إن سبب وجودنا هنا هو أنه تقريبًا كل فتى من فتيان الجلايد في خلال اليومين الأخيرين قد جاء إليَّ إما ليصرخ في وجهي غاضبًا من توماس وكأنه يريد قتله وإما ليمدحه وكأنه على وشك أن يطلب مني يده اللعينة للزواج. نحن بحاجة إلى أن نقرر ما الذي سنفعله به.

انحنى جالي للأمام قليلًا، ولكن نيوت قطع الطريق عليه قبل أن يتمكن من قول أي شيء.

- سيحين دورك في الحديث يا جالي. واحدًا واحدًا. وأنت يا تومي، غير مسموح لك أن تنطق بأي كلمة حتى نطلب منك ذلك. مفهوم؟

انتظر إيماءة موافقة من توماس -الذي فعلها على مضض- ثم أشار إلى الفتى الجالس على الكرسي في أقصى اليمين، وقال:

- زارت يا فتى الضراط، فلتبدأ أنت.

اندلعت بعض الضحكات حين بدأ زارت -الفتى الضخم الهادئ المسؤول عن شؤون البساتين- يتحرك في مقعده وهو يرمق توماس بنظرات غريبة كما لو كان يرى أمامه شيئًا أغرب من جزرة قد نبتت على نبتة طماطم.

قال زارت وهو يجوب بعينيه أرجاء الغرفة كما لو كان ينتظر شخصًا آخر ليخبره بما يجب عليه قوله:

- حسنًا، أنا لا أعرف. لقد كسر أحدهم واحدة من أهم قواعدنا، ولا يمكننا أن ندع الناس يعتقدون أن هذا أمر لا بأس به.

ثم سكت لبرهة ونظر إلى أسفل إلى يديه وفركهما معًا. ثم أردف:

- ولكن من ناحية أخرى، لقد تمكن من... تغيير بعض الأشياء. وبتنا نعلم الآن أنه يمكننا النجاة من المتاهة، وأنه بإمكاننا هزيمة الهوام.

اطمأن قلب توماس، فقد أصبح لديه شخص آخر في صفِّه. ووعد نفسه بأنه من هذه اللحظة فصاعدًا سيتعامل مع زارت بلطف بالغ.

قال جالي محتدًّا:

- أوه، أعطوني فرصة. أراهنكم على أن مينهو كان هو في واقع الأمر من تخلص من تلك المخلوقات الغبية.

فصاح فيه نيوت الذي هبَّ واقفًا من كرسيه من أجل تأثير أفضل هذه المرَّة:

- جالي، أغلق فمك! أنا رئيس هذا المجلس اللعين الآن، وإذا سمعتك تنطق بكلمة واحدة لعينة أخرى في غير دورك فسأقوم بالتحضير لنفيك في الحال.

همس جالي ساخرًا وقد عاد العبوس المثير للسخرية إلى وجهه وهو يسند ظهره إلى الخلف في كرسيه مرة أخرى:

- هيا إذن!

جلس نيوت وأشار إلى زارت قائلًا:

- أهذا كل شيء؟ هل لديك أي اقتراحات أو توصيات رسمية؟

هزَّ زارت رأسه.

- حسنًا إذن. السيد طاسة، أنت التالي.

ابتسم الطباخ وداعبَ لحيته واعتدل في جلسته ثم قال:

- إن هذا العرقوب لديه قدر من الشجاعة أكبر من قدر كل الخنازير والأبقار التي قليتها في العام الماضي.

سكت لبرهة، كما لو كان يتوقع أن يسمع ضحكات تتعالى، لكنه لم يسمع ولو ضحكة واحدة.

- يا له من غباء! لقد أنقذ حياة آلبي، وقتل اثنتين من الهوام، ونحن نجلس هنا نثرثر عما يجب أن نفعله به. وكما يقول تشاك: هذه كومة من الرظم.

أراد توماس أن يذهب ويصافح يد السيد طاسة؛ لقد قال للتو بالضبط ما كان توماس نفسه يفكر فيه طوال ذلك الوقت.

سأل نيوت قائلًا:

- إذن ما الذي توصي به؟

طوى السيد طاسة ذراعيه وقال:

- فلتجعله أحد أعضاء هذا المجلس وكلفه بتدريبنا على كل الأشياء التي فعلها هناك.

تعالت الأصوات من كل اتجاه، واستغرق الأمر نصف دقيقة من نيوت لكي يتمكن من تهدئة الجميع.

جفل توماس، فقد تمادى السيد طاسة كثيرًا في هذه التوصية، وكاد أن يبطِل رأيه الجيد الذي قاله في بداية كلامه.

قال نيوت وهو يدوِّن ما سمعه في دفتر ملاحظاته:

- حسنًا، فلنكتبها. والآن فليلتزم الجميع الصمت، إنني أعني ما أقول. وأنتم تعرفون القواعد -ليس ثمة أفكار غير مقبولة- سنستمع إلى جميع الآراء ونصوِّت عليها.

انتهى من الكتابة وأشار إلى العضو الثالث من أعضاء المجلس، وهو فتى لم يكن توماس قد قابله من قبل، له شعر أسود ووجه مُنَمَّش.

قال:

- في الحقيقة، ليس لدي رأي بشأن ذلك.

فسأل نيوت بغضب قائلًا:

- ماذا؟ وما الفائدة من اختيارك لتكون بيننا في المجلس إذًا!

هزَّ كتفيه قائلًا:

- آسف، ولكنني ليس لدي حقًّا... عمومًا، إذا كان لا بد لي أن أقول شيئًا، فأنا أتفق مع السيد طاسة، على ما أعتقد. لماذا قد نعاقب فتى فقط لأنه أنقذ حياة شخص ما؟

- إذن اتضح أنك لديك رأي. أهذا كل ما عندك؟

أومأ الفتى برأسه فدوَّن نيوت ما قاله. شعر توماس أن قلبه قد اطمأن أكثر وأكثر، فمن الواضح أن معظم الأمناء كانوا في صفه، وليسوا ضده. ولكنه كان

يقضي وقتًا عصيبًا بجلوسه هناك، ولم يكن يستطيع الانتظار حتى يتحدث بالأصالة عن نفسه، لكنه أجبر نفسه على اتباع أوامر نيوت والتزم الصمت.

المتحدث التالي كان وِنستون ذا الوجه المغطى بحب الشباب، أمين بيت الدم.

- أعتقد أنه يجب أن يُعاقَب. لا أقصد الإساءة أيها العود الأخضر، ولكنك يا نيوت لطالما كنتَ الشخص الذي يحرص على اتباع القواعد أكثر منا جميعًا. إذا لم نعاقبه، سنضرب مثالًا سيئًا لبقية الفتيان؛ لقد كسر قاعدتنا الأولى.

قال نيوت وهو يدوِّن في دفتر ملاحظاته:

- حسنًا، إذن فأنت توصي بالعقاب. أي نوع؟

- أعتقد أن علينا وضعه في الزنزانة لمدة أسبوع ولا نعطيه سوى خبز وماء فقط، ونحتاج إلى التأكد من أن الجميع يعرفون بهذا، حتى لا يفكر أحد في كسر القواعد مرة أخرى.

صَفَّقَ جالي، وتلقى نظرات شديدة العبوس من نيوت. وقع قلب توماس في قدميه. تحدث اثنان من الأمناء بعد ذلك، أحدهما أيد رأي السيد طاسة، والآخر أيد رأي وِنستون.

ومن ثم جاء دور نيوت.

- وأنا أتفق معكم بشكل كبير. يجب أن يُعَاقَب، ولكن من ثم علينا أن نعرف كيف نستفيد منه. سأحتفظ بتوصيتي حتى أستمع إلى كل منكم. التالي.

كره توماس سماع سيرة العقاب، وكره أكثر الاضطرار إلى إبقاء فمه مغلقًا، ولكن في أعماقه لم يستطع إلا أن يكون متفقًا معهم، وعلى الرغم من الإنجاز الغريب الذي حققه، فإنه قد كسر بالفعل إحدى قواعدهم الأساسية. استمروا هكذا، واحدًا تلو الآخر، البعض يقول إنه قد قام بفعل بطولي، والبعض يقول إنه يجب أن يُعاقَب. أو كلاهما. بالكاد استطاع توماس أن يصبر أكثر، فقد كان يتوقع تعليقات الأمينين الأخيرين؛ جالي ومينهو. فالأخير لم يقل كلمة واحدة منذ أن دخل توماس إلى الغرفة، بقيَ جالسًا هناك، ملقى على كرسيه، وقد بدا عليه الإرهاق وكأنه لم ينم منذ أسبوع.

تحدث جالي أولًا:

- أعتقد أنني قد أوضحت رأيي بالفعل.

فقال توماس في قرارة نفسه: عظيم، *فلتلتزم الصمت إذن.*

قال نيوت في ضجر:

- حسنًا، هيا، التالي، مينهو.

فصاح جالي وقد جعل اثنين من الأمناء ينتفضان من كرسييهما فزعًا:

- لا! ما زلت أريد أن أقول شيئًا.

أجاب نيوت:

- إذن فلتقل ذلك الشيء اللعين.

لقد جعل توماس يشعر بالتحسن قليلًا كون الرئيس المؤقت للمجلس كان يحتقر جالي بنفس القدر الذي يحتقره هو به تقريبًا. وعلى الرغم من أن توماس لم يعد يخاف منه بعد الآن، فإنه كان ما يزال يكره شجاعة الفتى وفجاجته.

قال جالي:

- فكروا في الأمر فحسب، كيف كان هذا الأخرق يتصرف بارتباك وخوف شديدين فور وصوله في الصندوق، وبعد بضعة أيام أصبح يعدو في المتاهة مع الهوام، ويتصرف كما لو كان يملك المكان!

انكمش توماس في كرسيه، آملًا ألا يبدأ الجميع في تحويل تفكيرهم إلى هذا الاتجاه.

تابع جالي حديثه الصاخب:

- أعتقد أن كل ذلك كان مجرد تمثيل، فكيف يمكن أن يفعل كل ما فعله بعد أيام قليلة فقط؟ لا يبدو هذا مقنعًا بالنسبة إلي.

سأله نيوت قائلًا:

- ما الذي تحاول قوله يا جالي؟ هلا أخبرتني ما المغزى من كلامك بحق الجحيم؟

- أعتقد أنه جاسوس من الأشخاص الذين وضعونا هنا.

وبتلك الجملة، أُثيرت الضجة مرة أخرى في الغرفة، ولم يستطع توماس فعل شيء سوى أن يهز رأسه نافيًا. لم يستوعب كيف تمكن جالي من أن يأتي بكل هذه الأفكار. استطاع نيوت أخيرًا أن يهدئ الجميع مجددًا، لكن جالي لم يكن قد انتهى بعد، إذ تابع قائلًا:

- لا يمكننا الوثوق في هذا العرقوب، فبعد يوم واحد من ظهوره، تأتينا فتاة مجنونة، تثرثر بأن الأمور ستتغير وهي تمسك بتلك الورقة العجيبة، وبعد ذلك نجد هامة ميتة، ويجد توماس نفسه يقضي ليلة في المتاهة وينجو ببساطة، ومن ثم يحاول إقناع الجميع بأنه بطل. حسنًا، لم يرَه مينهو أو أي شخص آخر يفعل أي شيء بفروع اللبلاب. فكيف نعرف أن هذا العود الأخضر هو الذي قيَّد آلبي هناك؟

سكت جالي لبرهة، ولم ينطق أحد بأي كلمة لعدة ثوانٍ، وبدأ الذعر يتصاعد داخل صدر توماس. هل فعلًا يمكنهم تصديق ما قالَه جالي؟ كان متوترًا للغاية، أراد أن يدافع عن نفسه، وكان على وشك أن يكسر صمته للمرة الأولى... ولكن قبل أن يتمكن من نطق كلمة واحدة، عاد جالي يتحدث مرة أخرى.

- هناك الكثير من الأشياء الغريبة تحدث، وكلها بدأت منذ ظهور هذا المقشور إلى هنا. ويصادف أن يكون أول من ينجو من قضاء ليلة في المتاهة. ثمة خطب ما، وحتى أكتشفه، أوصي رسميًّا بحبسه في الزنزانة... لمدة شهر، ومن ثم نعود لمناقشة الأمر مرة أخرى.

اندلعت الثرثرة من جديد، وكتب نيوت شيئًا ما في دفتره وأخذ يهز رأسه في أثناء ذلك، مما أعطى توماس نفحة من الأمل.

سأل نيوت قائلًا:

- هل انتهيت يا كابتن جالي؟

قال جالي وقد احمر وجهه:

- توقف عن لعب دور الفتى الذكي يا نيوت. أنا جاد جدًّا. كيف يمكننا الوثوق بهذا العرقوب بعد أقل من أسبوع؟ توقف عن مهاجمة ما أقوله قبل حتى أن تفكر فيه.

ولأول مرة، شعر توماس ببعض التعاطف مع جالي، كان معه حق حول طريقة معاملة نيوت له، فقد كان جالي أحد الأمناء على الرغم من كل شيء.

قال توماس في قرارة نفسه: *ولكنني ما زلت أكرهه.*

قال نيوت:

- حسنًا يا جالي، أنا آسف. لقد استمعنا لك، وسنضع جميعًا توصيتك اللعينة في الحسبان. هل انتهيت؟

- أجل، انتهيت. وأنا على حق.

وبما أن جالي قد أنهى كلامه، أشار نيوت إلى مينهو قائلًا:

- تفضل.

كان توماس مبتهجًا لأن دور مينهو قد حان أخيرًا، فقد كان واثقًا من أنه سيدافع عنه حتى النهاية.

وقف مينهو بسرعة، آخذًا الجميع على حين غرة وقال:

- لقد كنتُ هناك، ورأيت ما فعله هذا الفتى... لقد ظل قويًّا وصامدًا بينما تحولت أنا إلى دجاجة جبانة. لن أطيل الثرثرة مثل جالي. أريد أن أدلي بتوصيتي وأنتهي من الأمر.

حبس توماس أنفاسه متسائلًا عما سيقوله.

قال نيوت:

- عظيم، أخبرنا إذن.

نظر مينهو إلى توماس وقال:

- أرشح هذا العرقوب لأن يحل محلي كأمين للعدَّائين.

الفصل الخامس والعشرون

ساد الصمت التام في الغرفة، وكأن العالم قد تجمد، وحدَّق جميع أعضاء المجلس إلى مينهو. ظل توماس جالسًا في ذهول، في انتظار أن يقول العدَّاء إنه كان يمزح.

وأخيرًا، كسر جالي التعويذة، ووقف قائلًا:

- هذا سُخف!

ثم نظر إلى مينهو الذي قد عاد إلى كرسيه وأردف:

- يجب أن يُطرَد من المجلس لقوله شيئًا بهذا الغباء.

كل تعاطف قد شعر به توماس تجاه جالي، مهما كان ضئيلًا، تلاشى فورًا بمجرد سماعه لذلك القول.

بدا أن بعض الأمناء كانوا يوافقون بالفعل على اقتراح مينهو، مثل السيد طاسة، الذي صفَّق لكي يشوِّش على كلام جالي وصاح من أجل بدء التصويت. وآخرون لم يفعلوا. هز وِنستون رأسه وبدا معارضًا بشدة وتمتم بشيء لم يستطع توماس سماعه. وعندما بدأ الجميع يتكلمون في وقت واحد، وضع توماس رأسه بين يديه في انتظار معرفة كيف سينتهي به الأمر، يملؤه الرعب والرهبة في الوقت ذاته. لماذا قال مينهو ذلك؟ لا بد أنها مزحة! جال في خاطره قول نيوت إن الأمر يتطلب الكثير والكثير من الوقت لكي يصبح المرء عدَّاءً فحسب، فما بالك بالأمين؟ ثم نظر إلى أعلى مجددًا، متمنيًا لو كان على بعد آلاف الأميال من هذا المكان.

وأخيرًا، وضع نيوت دفتر ملاحظاته جانبًا، ووقف يصرخ في الآخرين بأن يصمتوا، وأخذ توماس يراقب ما يحدث من حوله بينما لم يبدُ أن أحدًا قد سمع نيوت أو لاحظه من الأساس. ولكن بشكل تدريجي، تمت استعادة النظام وهدأ الجميع.

قال نيوت:

- قشرًا، ما لكم تتصرفون كما الأطفال الصغار؟! ربما نبدو صغارًا، ولكن ما دمنا في هذا المكان فعلينا أن نتصرف كما الراشدين، وإلا فدعونا نحل هذا المجلس اللعين ونبدأ من الصفر.

سار من أول كرسي من كراسي الأمناء إلى آخر كرسي على طول الخط المنحني، ينظر إلى كل واحد منهم في عينيه وهو يتكلم قائلًا:

- هل هذا واضح؟

خيم الهدوء على جميع الحاضرين. توقع توماس المزيد من الجعجعة، ولكنه تفاجأ بأن الجميع قد أومؤوا برؤوسهم موافقين، حتى جالي.

- عظيم.

عاد نيوت إلى كرسيه وجلس ووضع دفتره على حجره وقام بتدوين بضعة أسطر على الورق، ثم نظر إلى مينهو وقال:

- هذا كلام خطير جدًّا يا أخي. آسف، ولكن عليك أن تعطيَنا بعض الحجج حتى نمضي به قدمًا.

لم يستطع توماس كبح حماسه لسماع الرد.

بدا مينهو منهَكًا، ولكنه بدأ في الدفاع عن اقتراحه. قال:

- لا شك أنه من السهل عليكم أيها العراقيب الجلوس هنا والتحدث عن شيء ليس لديكم أدنى فكرة عنه. أنا العدَّاء الوحيد بينكم، والشخص الوحيد الآخر هنا الذي سبق له الخروج إلى المتاهة هو نيوت.

قاطعه جالي قائلًا:

- ليس إذا وضعتَ في حسبانك المرة التي كنتُ...

صاح مينهو قائلًا:

- هذا لا يُحتَسب. وصدقني، لا أنت ولا أي شخص آخر لديه أدنى فكرة عما يعنيه الوجود هناك. والسبب الوحيد في أنك قد لُدِغت هو أنك قد كسرت القاعدة نفسها التي تلوم توماس على كسرها الآن. هذا يُسمى نفاقًا أيها المقشور.

قال نيوت:

- كفى، دافع عن اقتراحك فحسب.

كان التوتر ملحوظًا، شعر توماس وكأن الهواء في الغرفة قد تحول إلى زجاج من الممكن أن يتهشم في أيِّ لحظة. حدَّق كلٌّ من جالي ومينهو

بعضهما إلى بعض وقد بدا وجه كلٍّ منهما مشدودًا ومحمرًّا كما لو كان على وشك الانفجار، لكنهما توقفا أخيرًا عن التحديق إلى وجوه بعضهما بعضًا.

تابع مينهو حديثه وهو يعود للجلوس في كرسيه قائلًا:

- على أي حال، أصغوا إلي. ما فعله توماس لم أرَ مثيله من قبل. لم يُصَب بالذعر، لم ينتحب ويبكِ، لم يبدُ عليه الخوف مطلقًا. يا رفاق، لم يمضِ على وصوله إلى هنا سوى بضعة أيام فقط. فكروا كيفَ كنَّا جميعًا في أيامنا الأولى هنا، كيف كنا نختبئ في الزوايا، مشوَّشين ومرتبكين، نبكي بالساعات، ولا نثق بأي أحد، ونرفض أن نفعل أي شيء. جميعًا كنا على هذا النحو، لأسابيع أو شهور، حتى لم يعد لدينا خيار سوى تقبل الواقع والبدء في العيش.

ثم وقف مينهو من جديد وأشار إلى توماس وأردف قائلًا:

- بعد أيام قليلة فقط من ظهور هذا الفتى، خرج إلى المتاهة لينقذ عرقوبَين بالكاد يعرفهما. كل الكلام عن كسره لتلك القاعدة هو مجرد غباء وهراء فارغ. إنه لم يكن يعرف القواعد بعد، ولكن الكثير من الناس قد أخبروه عن كيف هو الحال في المتاهة وحذروه منها، وبخاصة في أثناء الليل، ومع ذلك خرج إلى هناك، في الوقت الذي كان الباب فيه على وشك أن يُغلَق، فقط لأنه رأى شخصين بحاجة إلى المساعدة.

ثم أخذ نفسًا عميقًا وقد بدا أنه كان يكتسب القوة كلما تحدث أكثر.

وأردف قائلًا:

- ولكن لم تكن تلك سوى البداية، فبعد ذلك، رآني وأنا أتخلى عن آلبي وأتركه للموت، وكنت أنا الشخص المخضرَم صاحب كل الخبرة والمعرفة، لذا كان من المنطقي أنه عندما يراني أستسلم، ما كان عليه أن يتشكك في الأمر، ولكنه فعل. فكروا في القوة والعزيمة اللذَين يتطلبهما رفع آلبي على طول ذلك الجدار، شبرًا شبرًا. إنه أمر جنوني. لا يُصدَّق! ولكن هذا ليس كل شيء، فمن ثم ظهرت الهوام، وأخبرت توماس بأننا يجب أن ننفصل وبدأتُ في تنفيذ مناورات المراوغة وفقًا للأنماط، وعندما كان يجب على توماس أن يبلل سرواله، تولى زمام الأمور، متحديًا كل قوانين الفيزياء والجاذبية ليصعد بآلبي ذلك الجدار، واستطاع تشتيت الهوام عنه، واستطاع أن يهزم واحدة منهن، ووجد...

فانفجر جالي غاضبًا:

- لقد فهمنا، تومي الجالس أمامنا الآن فتى محظوظ ذو قدرات خارقة.

فاقترب منه مينهو قائلًا:

- لا أيها العرقوب التافه عديم القيمة، أنت لا تفهم شيئًا! لقد كنتُ هنا منذ عامين، ولم أرَ مثيلًا لما فعله من قبل. ولكي تقول أي شيء...

سكت مينهو فجأة وفرك عينيه وتأوَّه في إحباط. وأدرك توماس أن فمه هو نفسه كان مفتوحًا على مصراعيه، وكانت مشاعره مشوشة: ما بين شعوره بالتقدير تجاه مينهو من أجل وقوفه أمام الجميع نيابة عنه، وبين عدم تصديق عدوانية جالي المستمرة تجاهه، والخوف من ماذا قد يكون القرار النهائي.

أردف مينهو بصوت أهدأ:

- جالي، أنت لست سوى جبان لم يطلب قط، ولو مرة واحدة، أن يصبح عدَّاءً، ولم يجرب ما الذي يعنيه ذلك. ليس لديك الحق في التحدث عن أشياء لا تفهمها، لذا أغلق فمك.

نهض جالي مرة أخرى، يتقد غضبًا وقال:

- قل شيئًا آخر كهذا مرة أخرى، وسأكسر رقبتك، هنا أمام الجميع.

كان البصاق يتطاير من فمه وهو يتكلم.

ضحك مينهو، ثم رفع كف يده ودفع جالي في وجهه، فهب توماس واقفًا ليرى الفتى يسقط بكرسيه على الأرض، مقلوبًا للخلف، وقد تكسر تحته إلى نصفين. تمدد جالي على الأرض، ثم حاول الوقوف من جديد، مجاهدًا لاستعادة توازنه، فاقترب مينهو وداس بقدمه على ظهر جالي، وقد ساوى جسده بالأرض مرة أخرى.

عاد توماس إلى مقعده في حالة من الذهول.

قال مينهو بنبرة ساخرة:

- أقسم لك يا جالي، لو فكرت في أن تهددني مرة أخرى، فسأكسر رقبتك اللعينة تلك، مباشرة بعد أن أنتهي من كسر ذراعيك ورجليك.

هبَّ نيوت ووِنستون واقفَين لإمساك مينهو قبل أن يتمكن توماس من استيعاب ما الذي كان يحدث. أبعداه عن جالي، الذي قفز وقد أصبح وجهه أشبه بقناع الغضب أحمر اللون، ولكنه لم يخطُ أي خطوة نحو مينهو، وإنما وقف مكانه فحسب، يلتقط أنفاسه المتحشرجة في غضب.

وأخيرًا، تراجع جالي للخلف وهو يتعثر باتجاه المخرج الموجود وراءه. كانت عيناه تجوبان الغرفة، ترمقان الجميع بنظرات تتقد بالكراهية. بدا جالي في نظر توماس وكأنه شخص على وشك ارتكاب جريمة قتل. أخذ يتراجع نحو الباب، ومد يده خلفه ليمسك بالمقبض. وقال وهو يبصق على الأرض:

- الأمور اختلفت الآن. ما كان عليك أن تفعل ذلك يا مينهو. ما كان عليك أن تفعل ذلك.

ثم تحولت نظراته الجنونية إلى نيوت وقال:

- أعلم أنك تكرهني، لطالما كنت تكرهني. يجب أن تُنفى لعدم قدرتك المخزية على قيادة تلك المجموعة الخرقاء اللعينة. أنت وصمة عار، وكلكم مثله. الأمور ستتغير. أعدكم بهذا.

سقط قلب توماس في قدميه، وكأن الأمور لم تكن بالفعل غريبة ومعقدة بما فيه الكفاية.

فتح جالي الباب وخرج من الغرفة، ولكن قبل أن يتمكن أي شخص من الرد، دفع رأسه إلى داخل الغرفة مجددًا ونظر إلى توماس قائلًا:

- وأنت! أيها العود الأخضر الذي يعتقدون أنه إله منزَّل من السماء. لا تنسَ أنني قد رأيتك من قبل... فقد خُضتُ التحوُّل. وما سيقرره أولئك الفتيان لا يعني أي شيء على الإطلاق.

سكت لثوانٍ وأخذ ينظر إلى كل شخص في الغرفة، ثم عاد يوجه نظراته الخبيثة إلى توماس مرة أخرى، وكان لديه شيء واحد أخير ليقوله:

- أيًّا كان السبب الذي قد أتيت إلى هنا من أجله... أقسم بحياتي أنني سأعرف كيف أوقفك. وسأقتلك إن لزم الأمر.

ثم استدار مغادرًا الغرفة، وأغلق الباب خلفه.

الفصل السادس والعشرون

تجمَّد توماس على كرسيه، آلمه بطنه وكأن مرضًا قد غزا أحشاءه. لقد مرَّ بسلسلة كاملة من جميع المشاعر في وقت قصير منذ وصوله إلى الجلايد؛ الخوف، الوحدة، اليأس، الحزن، وحتى مسحة بسيطة من الفرح. ولكن ما شعر به في تلك اللحظة كان شيئًا جديدًا، فلا شعور يشبه سماع شخص يقول إنه يكرهك لدرجة أنه يريد قتلك.

حدَّث نفسه قائلًا: *جالي مجنون. إنه مجنون تمامًا.*

ولكن هذه الفكرة زادت من خوفه وقلقه فحسب، فالأشخاص المجانين يكونون بالفعل قادرين على فعل أي شيء. كان بعض أعضاء المجلس واقفين وبعضهم قد جلسوا ولكن الصمت كان مخيمًا عليهم جميعًا، فقد بدوا مصدومين تمامًا مثل توماس لما شاهدوه للتو. ترك نيوت ووِنستون مينهو أخيرًا، وعاد ثلاثتهم إلى كراسيهم بوجوه متجهمة.

قال مينهو بصوت بالكاد يكون مسموعًا:

- لقد استحق الضرب. ضربتُه من أجل الصالح العام.

لم يكن توماس متأكدًا ما إذا كان يقصد أن يسمعه الآخرون.

قال نيوت:

- حسنًا، لا تبدأ في لعب دور القديس الآن. في ماذا كنت تفكر؟ ألا تعتقد أن ما فعلته كان مبالَغًا فيه قليلًا؟ هاه؟

ضَيَّقَ مينهو جفنيه وأرجع رأسه للخلف، كما لو كان متحيرًا من سؤال نيوت. ثم أجابه قائلًا:

- لا ترمِني بمثل هذا الكلام الفارغ، فكل واحد منكم كان مستمتعًا برؤية ذلك المعتوه ينال ما يستحقه، وأنت تعرف ذلك. لقد حان الوقت لأن يقف شخص ما في وجهه.

قال نيوت:

- ثمة سبب لكونه عضوًا من أعضاء المجلس.

- يا صاح، لقد هدد بأن يكسر رقبتي وأن يقتل توماس! الفتى مصاب في عقله، ومن الأفضل أن ترسل شخصًا في الحال ليلقي به في الزنزانة؛ إنه خطر.

كان توماس متفقًا مع كلام مينهو مئة بالمئة، ومرة أخرى كاد أن يخالف أمره بأن يلتزم الصمت، ولكنه منع نفسه، فلم يكن يريد أن يتورط في أي مشكلة أكثر مما قد تورط فيه بالفعل... لم يكن يعرف كم من الوقت سيتمكن من الصمود أكثر.

قال وِنستون بهدوء شديد:

- ربما كان لديه وجهة نظر وجيهة.

سأل مينهو وكأنه يعكس أفكار توماس بالضبط:

- ماذا؟

بدا وِنستون مدهوشًا وكأنه لم يقل شيئًا منذ ثوانٍ. أخذت عيناه تحومان في الغرفة قبل أن يشرح قائلًا:

- حسنًا... لقد مرَّ بالتحوُّل... لقد لدغته هامة في منتصف النهار خارج الباب الغربي ببضع خطوات فقط. هذا يعني أن لديه ذكريات، وقال إن هذا العود الأخضر يبدو مألوفًا بالنسبة إليه. لماذا قد يختلق ذلك؟

فكر توماس في التحول وفي حقيقة أنه يعيد الذكريات. لم تخطر بباله الفكرة من قبل، ولكن هل يستحق الأمر التعرض للدغات الهوام، والمرور بتلك العملية الرهيبة، فقط من أجل تذكر شيء ما؟ لقد تذكر بِن وهو يتلوى في سريره من الألم، وتذكر صرخات آلبي.

قال في قرارة نفسه: *هذا مستحيل.*

سأل السيد طاسة وقد بدا متشككًا:

- وِنستون، هل رأيت ما حدث للتو؟ جالي مجنون. لا يمكنك أن تثق كثيرًا في الهراء الذي يقوله. أتظن توماس هامة مقنَّعة أم ماذا؟

غير آبه بقواعد المجلس أو غيرها، فقدَ توماس صبره أخيرًا. لم يعد يحتمل أن يظل ساكتًا لثانية أخرى.

سأل وقد رفع إحساسه بالسأم من نبرة صوته:

- هل يمكنني أن أقول شيئًا الآن؟ لقد سئمت من حديثكم عني يا رفاق وكأنني لست هنا.

نظر نيوت إليه وأومأ برأسه قائلًا:

- أكمل، هات ما عندك، فلا يمكن لهذا الاجتماع اللعين أن يخرب أكثر من ذلك على أي حال.

جمع توماس شتات أفكاره بسرعة، محاولًا إيجاد الكلمات المناسبة داخل سحابة الإحباط والارتباك والغضب الموجودة في ذهنه.

- لا أعرف لماذا يكرهني جالي. لا يهمني. يبدو لي مختلًّا عقليًّا. أما بالنسبة إلى من أكون حقًّا، فأنا لا أعرف عن نفسي أكثر مما تعرفون. ولكن إن كنت أتذكر جيدًا، فنحن مجتمعون الآن بسبب ما فعلته في المتاهة، وليس لأن هناك شخصًا أحمق يعتقد بأنني شرير.

ضحك أحدهم وتوقف توماس عن الحديث، آملًا أن يكون قد استطاع إيصال وجهة نظره.

أومأ نيوت برأسه وبدا راضيًا، وقال:

- حلو الكلام فلننهِ هذا الاجتماع، ولندَع القلق بشأن جالي لوقت لاحق.

فاعترض وِنستون قائلًا:

- لا يمكننا التصويت دون أن يكون جميع الأعضاء حاضرين هنا، إلا إذا كانوا مرضى مثل آلبي.

أجابه نيوت قائلًا:

- أوه، بحق السماء يا وِنستون. أود أن أقول إن جالي اليوم مريض بعض الشيء، لذلك سنكمل دونه. وأنت يا توماس، لديك الحق في الدفاع عن نفسك، ومن ثم سنجري تصويتًا على ما الذي يجب أن نفعله معك.

أدرك توماس أن يديه كانتا منقبضتين ومشدودتين فوق حجره. أرخى يديه ومسح كفيه المتعرقتين في سرواله، ومن ثم بدأ في الحديث، غير واثق مما يجب عليه قوله قبل أن تخرج هذه الكلمات من فمه:

- إنني لم أرتكب أي خطأ. كل ما أعرفه هو أنني رأيت شخصين يصارعان لكي يعبرا من هذه الجدران إلى الجلايد ولم يفلحا. وأن أتجاهل ذلك بسبب بعض القواعد الغبية بدا شيئًا أنانيًّا وجبانًا و... حسنًا، وغبيًّا أيضًا. إذا كنتم تريدون أن تلقوا بي في السجن لأنني حاولت إنقاذ حياة

شخص ما، فتفضلوا إذن، وأعدكم أنني في المرة القادمة سأشير إليهما وأضحك، ثم أذهب لتناول وجبة من وجبات السيد طاسة.

لم يكن توماس يحاول أن يكون مضحكًا، لقد كان مدهوشًا فحسب من أن الأمر برمته كان يسبِّب مشكلة.

قال نيوت:

- إليك توصيتي. لقد كسرت القاعدة اللعينة رقم واحد خاصتنا، لذا فستقضي ليلة واحدة في الزنزانة، ذلك هو عقابك. وأوصي أيضًا بأن ننتخبك كعدَّاء، اعتبارًا من الثانية التي ينتهي فيها هذا الاجتماع، ففي ليلة واحدة أثبتَّ أنك قادر على فعل ما لا يفعله معظم المتدربين في أسابيع. أما أن تكون أنت الأمين، فانسَ الأمر.

ثم نظر إلى مينهو وأردف:

- لقد كان جالي محقًّا بشأن ذلك؛ إنها فكرة غبية.

جرح تعليقه مشاعر توماس، على الرغم من أنه لا يستطيع الرفض. نظر إلى مينهو ليرى ردة فعله، ولم يبدُ الأمين أنه كان متفاجئًا ولكنه مع ذلك جادل قائلًا:

- لماذا؟ إنه أفضل مَن لدينا... أقسم بذلك. والأفضل هو من يجب أن يكون الأمين.

أجاب نيوت قائلًا:

- حسنًا، إذا كان هذا صحيحًا، فسنجري تغييرًا في وقت لاحق. أمهله شهرًا وشاهد ما إذا كان سيثبت نفسه.

هزَّ مينهو كتفيه وقال:

- حلو الكلام.

تنفس توماس الصعداء وقد هدأت أعصابه، فهو ما يزال يرغب في أن يكون عدَّاءً -وهو ما فاجأه، فرغبته في أن يكون عدَّاءً بعد كل ما عاشه ورآه داخل المتاهة كانت شيئًا غريبًا- ولكن أن يصبح أمينًا مرة واحدة بدا سُخفًا.

جال نيوت بنظره في أرجاء الغرفة قائلًا:

- حسنًا، كان لدينا العديد من التوصيات، لذا دعونا نذكرها مرة أخرى سريعًا.

قال السيد طاسة:

- أوه، بحق السماء. فلنصوِّت فحسب. أعطي صوتي لتوصيتك.

قال مينهو:

- وأنا أيضًا.

وأعرب جميع الآخرين عن موافقتهم أيضًا، فملأ توماس الشعور بالاطمئنان والفخر، وكان وِنستون الوحيد الذي رفض.

نظر إليه نيوت قائلًا:

- لسنا بحاجة إلى صوتك، ولكن أخبرنا ما السبب الخارق لرفضك؟

حدَّق وِنستون إلى توماس بإمعان، ثم عاد ينظر إلى نيوت قائلًا:

- في الواقع، لا بأس بالنسبة إلي، ولكن لا ينبغي أن نتجاهل ما قاله جالي تمامًا... لا أعتقد أنه قد اختلق كل ما قاله للتو. وصحيح أنه منذ وصول توماس إلى هنا أصبح كل شيء يسير على نحو جنونيٌّ.

قال نيوت:

- هذا عادل بما فيه الكفاية. سنفكر جميعًا في ذلك وسنضعه في الحسبان، وربما في وقت لاحق عندما تهدأ الأمور ولا نجد شيئًا لنفعله سنعقد تجمعًا آخر للتحدث عن الأمر. حلو الكلام؟

أومأ وِنستون برأسه.

تأوَّه توماس من سأمه من تعامل الآخرين وكأنه غير مرئي وقال:

- يعجبني كيف تتحدثون عني يا رفاق وكأنني لست هنا.

قال نيوت:

- انظر يا توماس. لقد انتخبناك للتو لتصبح عدَّاءً لعينًا. لذا كفَّ عن التذمر والشكوى واخرج من هنا، فلدى مينهو الكثير من الأشياء التي يجب أن يدربك عليها.

لم يكن توماس قد استوعب الأمر حتى ذلك الحين. سيصبح عدَّاءً، وسيستكشف المتاهة. وعلى الرغم من كل ما حدث، شعر بالكثير من الإثارة والحماس. كان على يقين من أنه يمكنهم تجنب أن يَعْلَقوا هناك في أثناء الليل مرة أخرى. ربما كان حظه سيئًا في المرة السابقة ليس إلا.

- وماذا عن عِقابي؟

أجاب نيوت:

- غدًا، منذ الاستيقاظ وحتى غروب الشمس.

قال توماس في قرارة نفسه: *يوم واحد، هذا ليس سيئًا جدًا.*

فُضّ الاجتماع وغادر الجميع الغرفة على عجل باستثناء نيوت ومينهو. لم يتحرك نيوت من كرسيه حيث جلس يدوّن الملاحظات وغمغم قائلًا:

- حسنًا، لقد كان وقتًا ممتعًا.

اقترب مينهو من توماس ولكمه في ذراعه مازحًا وقال:

- كل هذا بسببك أنت أيها العرقوب.

فلكمه توماس هو الآخر وقال له:

- أمين؟ أتريدني أن أصبح الأمين؟ من الواضح أنك أجنٌّ من جالي بكثير.

افتعل مينهو ابتسامة شريرة وقال:

- لقد نجحتُ، أليس كذلك؟ ابذل كل ما في وسعك لكي تثبت نفسك، وستشكرني لاحقًا.

لم يستطع توماس أن يمنع نفسه من الابتسام أمام حِيَل الأمين الذكية. ثم لفت انتباهه سماع أحدهم يطرق على الباب المفتوح، فالتفت ليرى من يكون. وجد تشاك يقف هناك، وقد بدا وكأنه قد هرب من هامة كانت تطارده للتو. شعر توماس بالابتسامة تتلاشى من على وجهه.

هبَّ نيوت واقفًا وسأله قائلًا:

- ماذا هناك؟

وقد زادت نبرة صوته من قلق توماس.

فأجاب تشاك وهو يفرك يديه:

- أرسلني الطبيبجية إليكم.

- لماذا؟

- أعتقد أن آلبي بدأ يتصرف كالمجنون، إنه يخبرهم بأنه بحاجة إلى التحدث مع شخص ما.

هرع نيوت نحو الباب، ولكن تشاك رفع يده قائلًا:

- إمم... إنه لا يريدك.

- ماذا تقصد؟

فأشار تشاك إلى توماس وقال:

- إنه يسأل عنه باستمرار.

الفصل السابع والعشرون

وللمرة الثانية في ذلك اليوم، يُصدَم توماس لدرجة تجعله عاجزًا عن الكلام.

قال نيوت لتوماس وهو يشده من ذراعه:

- حسنًا، هيا، يستحيل ألا أذهب معك بأي حال من الأحوال.

تبعه توماس، وكان تشاك خلفه مباشرة. غادروا غرفة المجلس ومشوا على طول الممر متجهين نحو دَرَج لولبي ضيق لم يكن توماس قد لاحظ وجوده من قبل. اتخذ نيوت الخطوة الأولى، ومن ثم رمق تشاك بنظرة باردة وقال:

- فلتبقَ أنت.

ولأول مرة، أومأ تشاك فقط ولم يقل شيئًا. حسِبَ توماس أن شيئًا ما في سلوك آلبي قد تسبب في توتر أعصاب الفتى الصغير.

قال توماس لتشاك بينما كان نيوت يصعد الدرج:

- هَوِّن عليك، لقد انتخبوني للتو عدَّاءً، إذن فقد أصبح لديك أصدقاء مرموقون الآن.

كان يحاول أن يمزح، لينكر أنه كان مرعوبًا من رؤية آلبي. فماذا لو وجَّه له اتهامات كالتي وجهها له بِن؟ أو أسوأ؟

همس تشاك وهو يحدق إلى درجات السلم الخشبي في حالة ذهول:

- أجل، صحيح.

هزَّ توماس كتفيه وبدأ في صعود الدرج. كان العرق قد بلل راحتيه، وشعر بقطرة من العرق تسيل على صدغه. لم يكن يريد الصعود للأعلى.

وقف نيوت متجهمًا ومهيبًا في انتظار توماس عند قمة الدرج. كانا واقفَين في الطرف الآخر من الممر الطويل المظلم الذي يؤدي إليه الدرج الرئيسي، وهو الدرج الذي صعده توماس في أول يوم له ليرى بِن. جعلته الذكرى

مضطربًا، تمنى أن يكون آلبي قد تعافى تمامًا من محنته لكيلا يكون عليه أن يشهد شيئًا كهذا مرة ثانية... الجلد الشاحب، والعروق البارزة، والتشنجات. ولكنه توقع الأسوأ، لذا استَعَدَّ.

تبع نيوت إلى الباب الثاني على اليمين وشاهد الفتى الأكبر يطرق الباب برفق، سمعا أنينًا يجيبهما، دفع نيوت الباب فاتحًا، وذكَّر الصرير الخفيف للباب توماس مجددًا ببعض الذكريات الضبابية الغامضة من ذكريات الطفولة لأفلام البيوت المسكونة... وها قد عبرت مرة أخرى في ذاكرته لمحة صغيرة عن ماضيه. كان يتذكر الأفلام، ولكن ليس وجوه الممثلين أو أي من الأشخاص الذين شاهد معهم تلك الأفلام. كان يتذكر دور العرض، ولكنه لم يكن يتذكر شكل أي دار عرض بعينها. كان من المستحيل شرح كيف يبدو ذلك الشعور، حتى لنفسه.

كان نيوت قد دخل إلى الغرفة وأشار لتوماس ليتبعه، وأخذ توماس يعد نفسه وهو يدخل إلى الغرفة للرعب الذي قد ينتظره، ولكن عندما رفع عينيه كان كل ما رآه هو فتى مراهق يبدو في منتهى الوهن، يرقد في سريره وعيناه مغمضتان.

همس توماس قائلًا:

- أهو نائم؟

وكانت تلك محاولة لتجنب السؤال الحقيقي الذي كان يدور في ذهنه في تلك اللحظة: *إنه ليس ميتًا، أليس كذلك؟*

أجاب نيوت بصوت هادئ قائلًا:

- لا أعرف.

ثم ذهب وجلس على كرسي خشبي بجانب السرير، وجلس توماس على الجانب الآخر.

همس نيوت بنبرة أعلى بعض الشيء هذه المرة:

- آلبي، آلبي! تشاك قال إنك ترغب في التحدث إلى تومي.

تفتحت عينا آلبي... وكانتا محتقنتين بالدماء وتتلألآن في الضوء. نظر إلى نيوت في البداية ثم ثبَّت نظراته على توماس، ثم بدأ يتحرك في سريره وهو يتأوَّه لكي يجلس مسندًا ظهره إلى لوح السرير.

ثم تمتم بصوت مبحوح قائلًا:

- آه. آجل.

- قال تشاك إنك قد تعرضت لتشنجات عنيفة وأخذت تتجول في الجوار وتتصرف كما المجنون.

ثم انحنى نيوت ناحيته وأردف:

- ماذا جرى؟ أما زلت مريضًا؟

خرجت كلمات آلبي التالية ببطء شديد وبصوت يشبه الأزيز، وكأن كل كلمة كادت تكلفه أسبوعًا من حياته.

- سيتغير... كل... شيء. الفتاة... توماس... رأيتهما...

ثم أغمض عينيه وفتحهما مرة ثانية وقد عاد متسطِّحًا على السرير، يحدق إلى السقف وأردف قائلًا:

- لا أشعر أنني بخير.

فقال نيوت:

- ماذا تقصد؟! رأيت...

فصاح آلبي فجأة مقاطعًا إياه:

- قلت إنني أريد توماس!

بدا وكأنه قد مُنِحَ شحنة مفاجئة من الطاقة لم يكن ليصدقها توماس قبل ثوانٍ قليلة.

- لم أطلب التحدث معك يا نيوت! أريد توماس! توماس اللعين!

نظر نيوت إلى توماس رافعًا حاجبيه، فهزَّ توماس كتفيه وأعصابه تزداد توترًا مع كل ثانية. ما الذي أراده آلبي من أجله؟

قال نيوت:

- حسنًا أيها العرقوب الحانق. إنه هنا... تحدث إليه.

قال آلبي وقد أغمض عينيه وثقلت أنفاسه:

- اخرج من هنا.

- مستحيل، أريد أن أسمع.

- نيوت.... غادر... حالًا.

كان توماس محرَجًا بشكل لا يُصدَّق، وقَلِقًا مما يفكر فيه نيوت، خائفًا مما يريد آلبي قوله له.

احتج نيوت قائلًا:

- لكن...

- اخرج!

انتصب آلبي وهو يصرخ وقد تهدج صوته من الانفعال، ثم عاد بسرعة إلى الوراء لكي يتكئ على لوح السرير مرة أخرى.

- اخرج!

بدا على وجه نيوت أن مشاعره قد جُرِحَت بشكل كبير، وتفاجأ توماس بأنه لم يرَ عليه أي ملمح من ملامح الغضب. ثم، وبعد مرور لحظة طويلة من التوتر، قام نيوت من كرسيه وتوجه نحو الباب وفتحه.

فكر توماس في قرارة نفسه: *هل سيغادر حقًا؟*

قال نيوت قبل أن يخطو إلى خارج الغرفة مباشرة:

- لا تتوقع مني أن أقبِّل مؤخرتك عندما تأتي لتتأسف إليَّ.

صرخ آلبي بعنف قائلًا:

- أغلق الباب!

فأطاعه نيوت، وأغلقه بقوة.

تسارعت نبضات قلب توماس، فقد أصبح الآن بمفرده مع الفتى الذي كان حاد الطباع حتى من قبل التعرض لهجوم الهوام أو المرور بالتحول. كان يأمل أن يخبره آلبي بما يريده، وينتهي من الأمر. امتدت فترة الصمت الطويلة إلى عدة دقائق، وكانت يدا توماس ترتجفان من الخوف.

قال آلبي أخيرًا كاسرًا جدار الصمت:

- أعرف مَن تكون.

لم يتمكن توماس من العثور على كلمات يتمكن بها من الرد عليه. حاول، ولكن شيئًا لم يخرج من فمه سوى غمغمة غير مترابطة. كان مرتبكًا تمامًا، وخائفًا.

كرر آلبي ببطء:

- أعرف مَن تكون. لقد رأيتك. رأيت كل شيء. من أين أتينا، ومن تكون، ومن تكون الفتاة. أتذكر الوَهَج.

الوَهَج؟

أجبر توماس نفسه على الحديث قائلًا:

- أنا لا أعرف ما الذي تتحدث عنه. ماذا رأيت؟ أود أن أعرف من أنا.

أجابه آلبي قائلًا:

- إنه ليس بالشيء الجميل.

وللمرة الأولى منذ أن خرج نيوت، رفع آلبي وجهه، ونظر إلى توماس مباشرة. بدت عيناه أشبه بجيبين يملؤهما حزن كبير، غائرتان ويحيط بهما السواد.

- الأمر مروع، كما تعلم. لماذا يريدنا أولئك الأوغاد أن نتذكر؟ لماذا لا يمكننا العيش هنا فحسب ونكون سعداء؟

تمنى توماس لو أن باستطاعته إلقاء نظرة خاطفة عما يدور في عقل الفتى، ليعرف ما الذي قد رآه.

- آلبي... ما الذي حدث لك في أثناء التحوُّل، ماذا رأيت؟ أنا لا أفهم أي شيء مما تقوله.

قال آلبي:

- أنت.

ثم أمسك فجأة بحلقه، وأخذ يصدر أصواتًا غريبة أشبه بغرغرة خانقة، ويركل برجليه، ويتقلب على جانبيه متشنجًا كما لو أن ثمة شخصًا آخر كان يحاول خنقه. خرج لسانه من فمه وظل يعضه مرارًا وتكرارًا.

نهض توماس سريعًا، وتعثر وهو يرجع للخلف، في رعب شديد... كان آلبي يتلوى كما لو كان يعاني نوبة صرع، وكان يركل برجليه في كل اتجاه. تحولت بشرة وجهه الداكنة -التي كانت شاحبة بشكل شديد الغرابة قبل دقيقة واحدة فقط- إلى اللون الأرجواني، وقد ارتفع بؤبؤا عينيه إلى تجويفَيهما حتى بدت عيناه وكأنهما كرتان لامعتان من الرخام الأبيض.

صاح توماس قائلًا:

- آلبي!

ولكنه لم يجرؤ على الاقتراب منه أو الإمساك به، ثم صاح مرة أخرى وقد وضع يديه حول فمه:

- نيوت، ادخل إلى هنا!

فُتِحَ الباب قبل حتى أن ينهي جملته الأخيرة. ركض نيوت إلى آلبي وأمسكه من كتفيه، محاولًا تثبيت جسد الفتى المتشنج في السرير.

- أمسِك برجليه!

تقدم توماس للأمام، ولكن رجلَي آلبي استمرتا في الركل بقوة لدرجة أنه كان من المستحيل الاقتراب منهما. ضربت قدمه في فكِّ توماس، فشعر بألم شديد يخترق جمجمته، وتعثَّر وهو يأخذ خطوة للوراء مجددًا بينما كان يفرك مكان الألم.

صاح نيوت قائلًا:

- فقط أمسكه بحق الجحيم.

استجمع توماس قواه، ثم قفز فوق جسد آلبي، وأمسك برجليه وثبتهما في السرير، ثم لف ذراعيه حول فخذي الفتى بإحكام بينما وضع نيوت ركبته على إحدى كتفي آلبي، ثم أمسك بيدي آلبي، اللتين كانتا ما تزالان تخنقان رقبته.

صاح نيوت وهو يشد يدَي آلبي قائلًا:

- اترك رقبتك! إنك تقتل نفسك أيها الغبي اللعين!

استطاع توماس رؤية عضلات ذراعي نيوت تنتفخ وعروقه تبرز وهو يشد يدَي آلبي، حتى تمكن أخيرًا، شيئًا فشيئًا، من إبعادهما عن رقبته. وأنزلهما بالقوة فوق صدر الفتى المقاوِم. انتفض جسد آلبي وارتجف عدة مرات، وارتفع خصره عن السرير. ثم بدأ يهدأ رويدًا رويدًا، وبعد ثوانٍ استلقى ساكنًا وهدأت أنفاسه، ولمعت عيناه.

ظل توماس متمسكًا بقوة بساقي آلبي، خوفًا من أن يتحرك الفتى مرة أخرى ويبدأ في نوبة جديدة. انتظر نيوت دقيقة كاملة قبل أن يبدأ في ترك يدَي آلبي ببطء، ودقيقة أخرى قبل أن يسحب ركبته من فوق كتف الفتى ويقف من جديد. عدَّ توماس ذلك إشارة لفعل الشيء نفسه، على أمل أن تكون هذه النوبة قد انتهت بالفعل.

نظر آلبي إلى أعلى، بعينين ناعستين، وكأنه على وشك أن يغط في نوم عميق. وهمس قائلًا:

- أنا آسف يا نيوت. لا أعرف ما الذي حدث. كان الأمر وكأنه... وكأن ثمة شيئًا ما يتحكم في جسدي. أنا آسف...

أخذ توماس نفسًا عميقًا، وهدأت أعصابه أخيرًا، وتمنى ألا يعيش موقفًا كهذا مرة أخرى أبدًا.

أجاب نيوت قائلًا:

- آسف على ماذا؟! كنت تحاول قتل نفسك أيها الأخرق اللعين.

تمتم آلبي قائلًا:

- لم أكن أنا، أقسم لك.

رفع نيوت يديه وسأله قائلًا:

- ماذا تقصد بأنه ليس أنت؟

- لا أعرف... إنه... ليس أنا.

بدا آلبي مرتبكًا تمامًا بنفس القدر الذي شعر به توماس، ولكن يبدو أن نيوت كان يعتقد أن الأمر لم يكن يستحق محاولة فهمه، على الأقل في الوقت الراهن، فلم يفعل شيئًا سوى أن التقط البطانيات التي قد سقطت من السرير نتيجة حركات آلبي العنيفة وغطى الفتى بها، وقال:

- فلتحظَ بقسط من النوم الآن، وسنتحدث عن ذلك لاحقًا.

ثم ربت على رأسه وأضاف:

- إن حالتك يُرثَى لها أيها العرقوب.

لكن آلبي كان يستسلم للنوم بالفعل، فأومأ برأسه قليلًا بينما كانت عيناه تغمضان. نظر نيوت إلى توماس وأشار إلى الباب. لم يكن لدى توماس أي مشكلة مع الخروج من البيت الأشبه بمصحة المجانين هذا، فتبع نيوت إلى الخارج، ثم وبمجرد أن خطَوَا خارج الباب، سمعا آلبي يغمغم بشيء ما من سريره.

توقف كلا الفتيَين مكانهما، وسأل نيوت قائلًا:

- ماذا؟

فتح آلبي عينيه لبرهة، ثم كرر ما قاله بصوت أعلى قليلًا. قال:

- احذروا من الفتاة.

ثم أغُمِضَت عيناه.

الفتاة... الفتاة مرة أخرى. بطريقة ما، كانت الأشياء دائمًا ما تعود إلى الفتاة. رمق نيوت توماس بنظرة استجواب، ولكن توماس لم يتمكن من الإجابة عنها إلا بهز كتفيه، فلم يكن لديه أي فكرة عما يجري.

همس نيوت قائلًا:

- فلنذهب.

- و... نيوت؟

نادى آلبي مرة أخرى من سريره، ولم يكلف نفسه عناء فتح عينيه هذه المرة.

- نعم؟

- احمِ الخرائط.

ثم انقلب آلبي على جنبه وقد أدار ظهره لهما كعلامة على أنه قد انتهى أخيرًا من حديثه. لم يعتقد توماس أن ذلك يبدو بالشيء الجيد. ليس جيدًا على الإطلاق. غادر هو ونيوت الغرفة وأغلقا الباب برفق.



الفصل الثامن والعشرون

تبع توماس نيوت وهو يسارع في نزول الدرج ثم خرج من بيت المزرعة إلى ضوء منتصف النهار الساطع. لم ينطق أيٌّ منهما بكلمة لفترة. بالنسبة إلى توماس، بدت الأمور وكأنها تزداد سوءًا أكثر فأكثر.

سأل نيوت عندما كانا في الخارج:

- أجائع أنت يا تومي؟

لم يصدق توماس السؤال.

- جائع؟ إنني أشعر برغبة في التقيؤ بعد ما رأيته للتو. لا لست جائعًا.

ابتسم نيوت فحسب. ثم قال:

- حسنًا، أنا جائع إذن أيها العرقوب، فلنذهب للبحث عن بقايا طعام الغداء. علينا أن نتحدث.

- بطريقة ما عرفت أنك ستقول شيئًا كهذا.

بغض النظر عما كان يفعله، أصبح توماس أكثر دراية واندماجًا في التعاملات داخل الجلايد، وبدأ يعتادها، وكان قادرًا على توقعها أكثر فأكثر مع مرور الوقت.

شقَّا طريقهما مباشرة إلى المطبخ، حيث تمكنا، على الرغم من تذمر السيد طاسة، من إيجاد شطائر الجبن والخضراوات النيئة. لم يستطع توماس تجاهل الطريقة التي استمر بها أمين الطباخين في رمقه بنظرات غريبة، وكان يشيح بنظره بعيدًا كلما نظر إليه توماس.

أخبره شيءٌ ما أن تلك الطريقة في معاملة الآخرين له أصبحت الآن شيئًا عاديًا، فهو لسبب ما، كان مختلفًا عن أي شخص آخر في الجلايد. شعر وكأنه قد عاش عمرًا كاملًا منذ استيقاظه بعد محو ذاكرته، ولكن كل ما قضاه هناك كان أسبوعًا واحدًا فقط. قرر الفتَيان أن يأخذا غداءهما لتناول الطعام في الخارج، وبعد بضع دقائق وجدا نفسيهما عند الجدار الغربي،

ينظران إلى الأنشطة والأعمال المتعددة التي تجري في جميع أنحاء الجلايد. أسندا ظهريهما إلى بقعة من اللبلاب السميك. أجبر توماس نفسه على تناول الطعام، فبالطريقة التي تسير بها الأمور هنا، كان بحاجة إلى التأكد من أن لديه القوة للتعامل مع أي شيء جنوني قد يقع في طريقه بعد ذلك، والطعام شيء لا بد منه لاكتساب هذه القوة.

سأله توماس بعد مرور دقيقة أو نحو ذلك:

- هل رأيت ذلك يحدث من قبل؟

نظر نيوت إليه، وقد ارتسمت فجأة ملامح الحزن على وجهه وقال:

- أتقصد ما فعله آلبي للتو؟ لا. قط. ولكن مجددًا، لم يحاول أحد قط أن يخبرنا بما تذكره في أثناء التحوُّل، دائمًا ما كانوا يرفضون، ولكن آلبي قد حاول... لا بد أنه لهذا جن جنونه فترة من الوقت.

توقف توماس عن المضغ لبرهة. هل يمكن للأشخاص الموجودين خارج المتاهة أن يسيطروا عليهم بطريقة ما؟ يا لها من فكرة مرعبة!

قال نيوت وهو يقضم قطعة من الجزر محاولًا تغيير الموضوع:

- علينا أن نجد جالي. لقد ذهب هذا الوقح واختبأ في مكان ما. بمجرد أن ننتهي من تناول طعامنا، أحتاج إلى أن أجده وألقي بمؤخرته في السجن.

- حقًّا؟

لم يستطع توماس أن يمنع نفسه من الشعور بالابتهاج لسماعه تلك الفكرة. سيكون من دواعي سروره أن يغلِق الباب ويرمي بالمفتاح بنفسه.

- لقد هدد ذلك العرقوب بقتلك، وعلينا التأكد أن ذلك لن يتكرر مرة أخرى. سيدفع هذا المقشور ثمنًا باهظًا لتصرفه بتلك الطريقة. إنه محظوظ لأننا لن ننفيه. أتتذكر ما قلته لك عن أهمية النظام في الجلايد؟

- أجل.

كان قلق توماس الوحيد هو أن جالي سيكرهه أكثر إذا انتهى به المطاف في السجن بسببه.

قال توماس في قرارة نفسه: *لا يهمني. لم أعد أخاف من ذلك الفتى بعد الآن.*

قال نيوت:

- إليك كيف ستسير الأمور يا تومي، ستبقى معي لبقية اليوم، فنحن بحاجة إلى التحدث عن بعض الأشياء. وغدًا، ستكون في الزنزانة، ومن ثم سيتولى مينهو أمرك، وأريدك أن تبتعد عن بقية العراقيب الأخرى لفترة. مفهوم؟

كان توماس في غاية السرور للالتزام بتلك الأوامر، فبقاؤه وحيدًا لمعظم الوقت بدت فكرة عظيمة.

- حسنًا، يبدو هذا رائعًا. إذن سيتولى مينهو تدريبي؟

- هذا صحيح. أنت عدَّاء الآن. مينهو سوف يعلمك؛ المتاهة، والخرائط، وكل شيء. أمامك الكثير لتتعلمه. أتوقع منك أن تبذل كل ما في وسعك.

صُدِمَ توماس لأن فكرة دخول المتاهة مرة أخرى لم تخِفه كثيرًا. لقد عقد العزم على فعل ما قاله نيوت، على أمل أن يبعد ذلك ذهنه عن كثرة التفكير. في أعماقه، كان يأمل في الخروج من الجلايد بأسرع ما يمكن، وكان تجنب الأشخاص الآخرين هو هدفه الجديد.

جلس الفَتَيان في صمت، وانتهيا من تناول غدائهما، حتى وصل نيوت أخيرًا إلى ما أراد التحدث عنه فعلًا. قام بتكوير قمامته في يديه ثم التفت لينظر إلى توماس مباشرة، وقال:

- توماس، أحتاجك لأن تقبل بشيء ما. لقد سمعنا ذلك مرات عديدة حتى أصبح من الصعب إنكاره الآن، وقد حان الوقت لمناقشته.

عرف توماس ما كان نيوت ينوي التحدث عنه، ولكنه كان خائفًا، خائفًا من سماعه على هيئة كلمات.

- قالها جالي، وقالها آلبي، وقالها بِن.

ثم أردف نيوت:

- وحتى الفتاة بعد أن أخرجناها من الصندوق قالت الشيء نفسه.

ثم سكت لبرهة، ربما متوقِعًا أن يسأله توماس عما يعنيه، لكن توماس كان يعرف بالفعل.

- جميعهم قالوا إن الأمور ستتغير.

أشاح نيوت بنظره بعيدًا للحظة ثم عاد ينظر إلى توماس قائلًا:

- هذه حقيقة. وزعم جالي وآلبي وبِن أنهم رأوك في ذكرياتهم بعد التحوُّل، ومما أتذكره، أنهم لم يروك في ذكرياتهم تزرع الزهور

وتساعد السيدات المسنات في عبور الشارع. فوفقًا لكلام جالي ثمة شيء خطير قد فعلته لدرجة أنه يريد قتلك.

فبدأ توماس يدافع عن نفسه قائلًا:

- نيوت، أنا لا أعرف...

ولكن نيوت لم يدعه ينهي ما أراد قوله.

- أعلم أنك لا تتذكر أي شيء يا توماس! كف عن قول ذلك. لا تقل هذا مرة أخرى. لا أحد منا يتذكر أي شيء، وقد سئمنا من أن تُذَكِّرنا بهذا مرارًا وتكرارًا. المغزى هو أن ثمة شيئًا مختلفًا بشأنك، وقد حان الوقت لاكتشاف ما هو.

اجتاحت توماس موجة من الغضب، وقال:

- حسنًا إذن، كيف سنفعل ذلك؟ أنا أيضًا أريد أن أعرف مَن أنا مثلما يريد أي شخص آخر. هذا شيء لا شك فيه.

- أريدك أن تفتح عقلك. كن صريحًا، إذا شعرت بأن أي شيء -أي شيء على الإطلاق- يبدو مألوفًا بالنسبة إليك...

قاطعه توماس قائلًا:

- لا شيء...

ولكنه سكت فجأة...

فالكثير من الأشياء قد حدثت منذ وصوله، وكاد أن ينسى إلى أي مدى كان يشعر بأن الجلايد مألوف بالنسبة إليه في ليلته الأولى، عندما كان نائمًا بجوار تشاك، وكيف كان يشعر بالراحة وكأنه في منزله، وهو شعور بعيد كل البعد عن الرعب الذي كان ينبغي أن يشعر به في ذلك الحين.

قال نيوت بهدوء:

- أستطيع أن أرى تروس دماغك بدأت تدور. تكلَّم.

تردد توماس، خائفًا من عواقب ما كان على وشك أن يقوله، لكنه قد سئم من الاحتفاظ بالأسرار.

ثم بدأ يتحدث ببطء وحذر قائلًا:

- حسنًا... لا يمكنني أن أشير إلى أي شيء محدد، ولكنني شعرت بالفعل وكأنني كنت هنا من قبل عندما أتيت إلى هنا في البداية.

نظر إلى نيوت، على أمل أن يرى أي شرارة في عينيه توحي بأنه قد شعر بالشيء نفسه، وأردف قائلًا:

- ألم يشعر أي شخص آخر بذلك؟

ولكن وجه نيوت كان خاليًا من أي تعبير. نظر إلى السماء فحسب وأجابه قائلًا:

- أوه، لا يا تومي. لقد قضى معظمنا أسبوعًا كاملًا يبلل سرواله ويبكي ليلًا ونهارًا.

- أها، حسنًا.

ثم سكت توماس لبرهة، وشعر بالضيق والحرج فجأة. ما الذي يعنيه كل هذا؟ أهو مختلف عن أي شخص آخر بطريقة ما؟ هل ثمة خطب ما بشأنه؟

- بدا الأمر برمته مألوفًا بالنسبة إلي، وعرفت من البداية أنني أريد أن أصبح عدَّاءً.

- هذا حقًّا مثير للاهتمام.

حدَّق نيوت إليه لثانية، ولم يكلف نفسه عناء إخفاء نظرات شكوكه الواضحة، ثم أردف قائلًا:

- حسنًا، استمر في التفكير في الأمر وحاول استنتاج شيء ما. أجهِد عقلك، واقضِ وقت فراغك في تحليل أفكارك والتفكير في هذا المكان، وما إذا كان عقلك يخبئ أي معلومة عنه. حاول، من أجلنا جميعًا.

- سأفعل.

أغمض توماس عينيه، وبدأ يبحث في ظلمة عقله.

قال نيوت ضاحكًا:

- ليس الآن أيها العرقوب الغبي. قصدت أن تبدأ في فعل ذلك من اليوم فصاعدًا، في وقت الفراغ، الوجبات، وقت الذهاب للنوم ليلًا، وأنت تتجول في الجوار، وأنت تتدرب. وأخبرني بأي شيء يبدو مألوفًا حتى ولو من بعيد. مفهوم؟

- أجل، مفهوم.

لم يستطع توماس أن يكبح شعوره بالقلق بشأن ما رماه أمام نيوت من إشارات الخطر، وأن الفتى الأكبر كان يخفي قلقه فحسب.

قال نيوت بلطف غريب:

- حلو الكلام. بدايةً، من الأفضل أن نذهب لرؤية شخص ما.

سأل توماس:

- مَن؟

ولكنه ما لبث أن عرف الإجابة فور نطقه بالسؤال. ملأه الخوف مرة أخرى.

- الفتاة. أريدك أن تنظر إليها حتى تنزف عيناك، لترى ما إذا كان هذا سيحفز ذاكرتك لتذكُّر أي شيء.

جمَّع نيوت قمامة طعام الغداء ووقف، ثم أردف قائلًا:

- ومن ثم أريد منك أن تخبرني بكل كلمة قالها لك آلبي.

تنهد توماس، ثم وقف وقال:

- حسنًا.

لم يكن يعرف ما إذا كان بإمكانه إقناع نفسه بقول الحقيقة كاملة حول اتهامات آلبي له، ناهيك بشعوره تجاه الفتاة. يبدو أنه لن يكف عن الاحتفاظ بالأسرار.

سار الفَتَيان عائدَين نحو بيت المزرعة، حيث كانت الفتاة ما تزال في غيبوبتها. لم يستطع توماس إخماد قلقه بشأن ما يفكر فيه نيوت، لذا قرر أن يبوح بما لديه. لقد كان يحب نيوت حقًّا، وأراد أن يكون صريحًا معه، ولكن إذا انقلب نيوت عليه الآن، لم يكن توماس يعرف ما إذا كان سيقدر على تحمل هذا.

قال نيوت مقاطعًا أفكار توماس:

- إذا فشلت كل الطرق والمحاولات، سنرسلك إلى الهوام... لكي تُلدَغ وتمر بالتحوُّل؛ نحن بحاجة إلى ذكرياتك.

ضحك توماس ساخرًا من الفكرة، لكن نيوت لم يكن يبتسم.

***

بدت الفتاة نائمة في سلام، وكأنها قد تستيقظ في أي لحظة. كان توماس يتوقع أن يجد بقايا هيكل عظمي لشخص ما، أو يرى شخصًا على شفا الموت، ولكن صدرها كان يرتفع وينخفض مع أنفاسها المنتظمة، وبشرتها مفعمة بالحيوية.

أحد الطبيجية كان هناك، الفتى الأقصر -لم يتذكر توماس اسمه- يسكب بضع قطرات من الماء في فم الفتاة الغائبة عن الوعي، وثمة طبق وسلطانية

على الطاولة الموجودة بجانب السرير يحتويان على ما تبقى من غدائها؛ البطاطس المهروسة والحساء. كانوا يفعلون كل ما في وسعهم لإبقائها على قيد الحياة وبصحة جيدة.

قال نيوت بأريحية وكأنه قد أتى لزيارتها عدة مرات من قبل:

- مرحبًا يا كلينت. أهي بخير؟

أجابه كلينت قائلًا:

- أجل، إنها بخير، على الرغم من أنها تتحدث في أثناء نومها طوال الوقت. نعتقد أنها ستفيق قريبًا.

شعر توماس بالغضب ينمو بداخله، فلسبب ما، لم يفكر قط في احتمال أن تستيقظ الفتاة وتكون بخير، وأنها قد تتحدث مع الناس. لم يكن لديه فكرة عن سبب توتره المفاجئ.

سأل نيوت قائلًا:

- هل كتبت كل كلمة تقولها؟

أومأ كلينت وقال:

- معظم كلامها يستحيل فهمه. ولكن نعم، نفعل ذلك عندما نستطيع.

أشار نيوت إلى مفكرة موضوعة على المنضدة وقال:

- فلتعطِني مثالًا.

- حسنًا، نفس الشيء الذي قالته عندما أخرجناها من الصندوق، أن الأمور ستتغير، وأشياء أخرى عن المؤسسين، وأنه «سينتهي كل شيء» و... آوه...

نظر كلينت إلى توماس وكأنه لا يريده أن يسمع ما سيقوله.

فأكد له نيوت قائلًا:

- لا بأس، يمكنه سماع ما سأسمعه.

- حسنًا. لم أستطع فهم كل شيء، ولكنها...

نظر كلينت إلى توماس مرة أخرى ثم أردف:

- تردد اسمه باستمرار.

كاد توماس أن يسقط على الأرض فور سماعه هذا. ألن تنتهي الإشارات إليه أبدًا؟ كيف عرف هذه الفتاة؟ أخذت تلك التساؤلات تحوم بشكل جنوني داخل جمجمته.

قال نيوت بنبرة بدت لتوماس وكأنها تنطوي على تصريح واضح لكلينت:

- أشكرك يا كلينت. أحضر لنا تقريرًا بكل ذلك. حسنًا؟

فأومأ الطبيبجي قائلًا:

- سأفعل.

ثم غادر الغرفة.

قال نيوت وهو ذاهب للجلوس على حافة السرير:

- اسحب كرسيًا واجلس.

هدأ خفقان قلب توماس المتسارع قليلًا لأن نيوت لم ينفجر بإلقاء الاتهامات عليه، وسحب الكرسي الموجود أمام المكتب ووضعه بجوار البقعة حيث تضع الفتاة رأسها، وجلس مائلًا إلى الأمام لينظر إلى وجهها.

سأل نيوت قائلًا:

- هل تذكرت شيئًا؟ أي شيء؟

ولكن توماس لم يجبه، ظل يحدق إليها فحسب، محاولًا كسر حاجز الذاكرة، والبحث عن هذه الفتاة في ماضيه. فكر مرة أخرى في تلك اللحظات القصيرة عندما فتحت عينيها فور إخراجها من الصندوق. كانت عيناها شديدتي الزرقة، لم يكن قد رأى مثيلًا لزرقتهما من قبل. تخيل صورة عينيها، وهو ينظر الآن إلى وجهها النائم، محاولًا دمج الصورتين معًا في ذهنه. شعرها الأسود، بشرتها البيضاء المثالية، وشفتاها الممتلئتان... وفي أثناء ما كان يحدق إليها، أدرك مرة أخرى كم كانت جميلة بحق، ولوهلة قصيرة، تعرفت ذاكرته عليها، ولكن ما لبثت أن تلاشت من ذاكرته مجددًا، ولكنه شعر بشيء ما.

همس توماس وقد أرجع ظهره للخلف ليتكئ على كرسيه:

- إنني أعرفها.

إنه لشعور جيد أن يعترف بذلك أخيرًا بصوت عالٍ.

فهبَّ نيوت واقفًا وقال:

- ماذا؟ مَن تكون؟

- ليس لدي فكرة، ولكنني شعرت بشيء ما، شعرت أنني أعرفها بطريقة ما.

فرك توماس عينيه، محبَطًا من عدم قدرته على تذكر أي تفاصيل.

- حسنًا، استمر في التفكير أيها الأخرق. حاول مجددًا. رَكِّز.

- إنني أحاول، لذا أغلق فمك.

أغمض توماس عينيه، وفتَّش في ظلمة أفكاره، باحثًا عن وجهها في ذلك الفراغ. من تكون؟ ويا له من سؤال مثير للسخرية! فهو نفسه لم يكن يعرف من يكون.

انحنى للأمام في كرسيه مرة أخرى وأخذ نفسًا عميقًا، ثم نظر إلى نيوت وهو يهز رأسه في استسلام وقال:

- أنا فقط لا...

- *تيريسا*.

انتفض توماس واقفًا، ودفع كرسيه إلى الخلف، وأخذ يدور حول نفسه، مفتشًا، لقد سمع...

سأل نيوت قائلًا:

- ماذا هناك؟ هل تذكرت شيئًا ما؟

تجاهله توماس، وظل ينظر في أرجاء الغرفة من حوله في حيرة، واثقًا من أنه قد سمع صوتًا، ثم عاد ينظر إلى الفتاة مجددًا. جلس وانحنى إلى الأمام واستمر في التحديق إلى وجه الفتاة وقال:

- أنا... نيوت، هل قلت شيئًا للتو قبل أن أقف؟

- لا. بالطبع لا.

- أوه. لقد ظننت أنني سمعت شيئًا... لا أعرف. ربما كان في رأسي. هل... قالت هي أي شيء؟

سأل نيوت وعيناه تلمعان:

- هي؟ لا. لماذا؟ ماذا سمعت؟

كان توماس خائفًا من الاعتراف بذلك.

- أنا... أنا... أقسم إنني قد سمعت اسمًا: تيريسا.

- تيريسا؟ لا، لم أسمع ذلك. يجب أن يكون قد خرج من ذاكرتك اللعينة! هذا اسمها يا تومي؛ تيريسا، لا بد أنه كذلك.

أحس توماس بشعور... غريب... شعور غير مريح، وكأن شيئًا خارقًا للطبيعة قد حدث للتو.

- لقد كان... أقسم أنني قد سمعته، ولكن داخل عقلي. لا يمكنني شرح ذلك.

- *توماس.*

هذه المرة قفز توماس من الكرسي، وابتعد عن السرير بأقصى ما يمكنه، وتسبب في سقوط المصباح الموضوع على الطاولة، فتحطم مُصدِرًا صوتًا عاليًا. صوت، صوت فتاة، هامس، حلو، واثق. لقد سمعه. كان يعلم أنه قد سمعه.

سأل نيوت قائلًا:

- ما خطبك بحق الجحيم؟

كانت نبضات قلب توماس تتسارع. شعر بخفقان في جمجمته، وحمض يغلي في معدته.

- إنها... إنها تتحدث إليَّ، داخل رأسي. لقد قالت اسمي للتو!

- ماذا؟

- أقسم لك!

شعر بالعالم يدور من حوله، يضغط عليه، ويسحق عقله.

- إنني... أسمع صوتها في رأسي... أو شيئًا كهذا... إنه ليس صوتًا بحق... في الواقع...

- تومي، دع مؤخرتك تجلس قليلًا. ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم؟

- نيوت، أنا جاد. إنه... ليس صوتًا بحق... ولكن هذا ما حدث.

- *توم، نحن الآخِرون. سينتهي كل هذا قريبًا. لا بد أن ينتهي.*

تردد صدى الكلمات في عقله، لامس طبلتَي أذنيه... كان قادرًا على سماعها، ومع ذلك لم يبدُ وكأنه قادم من الغرفة، لم يبدُ أنه صوت آتٍ من خارج جسده. لقد كان حرفيًا، بكل معنى الكلمة، داخل رأسه.

- توم، لا تجعلني أُجَنُّ.

وضع يديه على أذنيه، وأغمض عينيه بشدة. كان شيئًا في غاية الغرابة. لم يستطع إقناع عقله بأن يقبل بأن ما حدث كان شيئًا منطقيًّا.

- *ذاكرتي تتلاشى بالفعل يا توم. لن أتذكر الكثير حين أستيقظ. يمكننا اجتياز التجارب. لا بد لهذا أن ينتهي. لقد أرسلوني كمحفِّز.*

لم يستطع توماس أن يتحمل هذا أكثر، واندفع نحو الباب وفتحه متجاهلًا أسئلة نيوت، وركض إلى الخارج، نزولًا للدرج، وحتى خرج من الباب الرئيسي. فرَّ هاربًا، ولكن ذلك لم يسكِتها.

قالت:

- *سيتغير كل شيء.*

أراد أن يصرخ، أن يعدو حتى تنقطع أنفاسه. وصل إلى الباب الشرقي، واندفع عابرًا إياه، إلى خارج الجلايد. استمر في العدو، قاطعًا ممرًّا بعد ممر، في أعماق قلب المتاهة، غير آبه بأي قواعد، ولكنه كان ما يزال غير قادر على الهروب من الصوت.

- *أنا وأنت يا توم. نحن مَن فعلنا هذا بهم. نحن مَن فعلنا هذا بنا.*

الفصل التاسع والعشرون

لم يستطع توماس التوقف حتى اختفى الصوت تمامًا. لقد صُدِمَ عندما أدرك أنه ظل يعدو لمدة ساعة تقريبًا. كانت ظلال الجدران قد امتدت باتجاه الشرق، وقريبًا ستغرب الشمس وتُغلَق الأبواب. كان عليه أن يعود. لم يستغرق الأمر منه كثيرًا من التفكير، ففي ثوانٍ معدودة تمكن من إدراك الوقت وتحديد الاتجاهات.

كان يثق في إحساسه.

كان عليه أن يعود.

لكنه لم يكن يعرف ما إذا كان سيستطيع مواجهتها مرة أخرى، والصوت الذي كان في رأسه، والأشياء الغريبة التي قالتها.

لم يكن لديه خيار، إنكار الحقيقة لن يحل شيئًا، ومهما كان غزو تلك الكلمات لعقله سيئًا -وغريبًا- فإنه لم يكن يستحق موعدًا آخر مع الهوام بأي شكل من الأشكال.

وبينما كان يعدو في طريقه نحو الجلايد، تعلم الكثير عن نفسه، فدون أن يقصد أو يدرك ذلك، قد تمكن ذهنه من حفظ وتصور الطريق الذي سلكه عبر المتاهة حينما كان يحاول الهروب من الصوت. لم يخطئ في طريق عودته ولو لمرة واحدة، انعطف يسارًا ويمينًا وأخذ يعدو عبر الممرات الطويلة في الاتجاه المعاكس من الطريق الذي أتى منه. كان يعلم ما يعنيه ذلك.

كان مينهو محقًا، فقريبًا سيكون توماس أفضل العدّائين.

أما الشيء الثاني الذي تعلمه عن نفسه -وهو ما أثبتته الليلة التي قضاها في المتاهة بالفعل- أن جسمه كان في حالة بدنية ممتازة واستثنائية، فقبل يوم واحد فقط، كان قد استنزف كل قوته، ويتألم من رأسه إلى أخمص قدميه، ولكنه تعافى بسرعة، وها هو يعدو الآن دون عناء تقريبًا، على الرغم من اقتراب نهاية ساعته الثانية منذ بداية العدو. لم يكن عليه أن يكون عبقريًّا في الرياضيات لكي يحسب أن بمجرد وصوله إلى الجلايد سيكون قد عدا لما

يقرب من نصف ماراثون. لم يكن يدرك قط في السابق مدى ضخامة المتاهة، أميال وأميال وأميال، بجدرانها التي تتحرك كل ليلة. فهم أخيرًا سبب صعوبة حل المتاهة. كان يتشكك في الأمر حتى تلك هذه اللحظة، متسائلًا كيف يمكن أن يكون العدَّاؤون غير أكفاء إلى هذه الدرجة.

استمر في العدو، يسارًا ويمينًا، وإلى الأمام، أكثر وأكثر، دون توقف. وفي لحظة وصوله إلى الجلايد، كانت الأبواب على بعد دقائق فقط من الإغلاق لهذه الليلة. كان منهَكًا، وتوجه مباشرة إلى منطقة الموتى، وتوغل في الغابة حتى وصل إلى البقعة التي تزدحم فيها الأشجار مقابل الزاوية الجنوبية الغربية، فأكثر من أي شيء آخر في هذا العالم، أراد أن يكون بمفرده ليس إلا.

عندما أصبح لا يسمع سوى أصوات محادثات أفراد الجلايد البعيدة، وكذلك أصداء خافتة لثغاء الأغنام وخنخنة الخنازير، كانت رغبته قد تحققت. وجد نقطة تقاطع الجدارين العملاقين وانهار في الزاوية ليستريح، لم يأتِ أحد، لم يزعجه أحد. وأخيرًا، تحرك الجدار الجنوبي لكي يُغلَق. انحنى توماس إلى الأمام حتى توقفت حركة الجدار، وبعد دقائق، أسند ظهره مرة أخرى ليرتاح على طبقات اللبلاب السميكة، وذهب في النوم.

***

في صباح اليوم التالي، هزَّه شخص ما بلطف ليوقظه.

- توماس، استيقظ.

لقد كان تشاك، وقد بدا أن الفتى كان قد بحث عنه في كل مكان ممكن.

أخذ توماس ينحني للأمام ويمدد ذراعيه ورجليه وهو يئن. كان قد تم وضع بطانيتين فوقه في أثناء الليل. من الواضح أن أحدهم يلعب دور الأم في الجلايد.

سأل توماس قائلًا:

- كم الساعة؟

أجابه تشاك وهو يشده من ذراعه:

- لقد فاتك الأوان تقريبًا لتناول الإفطار. هيا، انهض. عليك أن تبدأ بالتصرف بشكل طبيعي، وإلا فستزداد الأمور سوءًا.

وعند تذكره لأحداث اليوم السابق أحس كما لو أن هناك دلوًا مليئًا بالماء قد سُكِب على رأسه، وبدأت معدته تتقلص بعنف.

قال توماس في قرارة نفسه: *ماذا سيفعلون بي؟ تلك الأشياء التي قالتها عني أنا وهي، وما فعلناه بهم. ما فعلناه بنا جميعًا. ماذا يعني ذلك؟*

ثم خطر بباله أنه لربما كان هو مجنونًا. ربما جعله الضغط العصبي الذي تعرض له في المتاهة يفقد عقله. في كلتا الحالتين، كان ذلك الصوت داخل رأسه فقط، ولا أحد آخر يعرف الأشياء الغريبة التي قالتها تيريسا، واتهمته بها. إنهم لا يعرفون حتى إنها قد أخبرته باسمها. حسنًا، لا أحد باستثناء نيوت، وسوف يُبقي الأمر على هذا النحو. كانت الأمور سيئة بما فيه الكفاية، ولن يُزيدها سوءًا بأي حال من الأحوال بإخبار الناس عن أصوات يسمعها داخل رأسه. كانت المشكلة الوحيدة هي نيوت. كان على توماس أن يقنعه بطريقة ما بأن كل ما قاله كان بسبب توتره والضغط العصبي الذي تعرض له، وأن ليلة من الراحة قد حلَّت كل شيء.

قال توماس لنفسه: *أنا لست مجنونًا.*

وبالطبع هو لم يكن كذلك.

كان تشاك ينظر إليه بحاجبين مرفوعين، فقال له توماس وهو ينهض من مكانه محاولًا التصرف بشكل طبيعي قدر الإمكان:

- آسف. كنت أفكر فحسب. دعنا نذهب لتناول بعض الطعام. أنا أتضور جوعًا.

قال تشاك وهو يصفع توماس على ظهره:

- حسنًا.

توجها إلى بيت المزرعة، وظل تشاك يثرثر طوال الطريق. لم يتذمر توماس، فقد أصبحت ثرثرة تشاك جزءًا طبيعيًا من حياته.

- لقد وجدك نيوت الليلة الماضية وأخبر الجميع بأن يدعوك تنام. وأخبرنا بما قرره المجلس بشأنك. يوم واحد في الزنزانة، ومن ثم ستبدأ التدريب لكي تصبح عدَّاءً. لقد تذمر بعض العراقيب فور سماعهم ذلك، والبعض الآخر هلل وابتهج، ولكن المعظم تصرفوا وكأنهم لا يهتمون من الأساس. أما بالنسبة إلي، فأعتقد أن هذا رائع للغاية.

سكت تشاك للحظات لالتقاط أنفاسه، ثم أردف قائلًا:

- في ليلتك الأولى، عندما كنتَ تقول متفاخرًا إنك مستعد لأن تكون عدَّاءً وكل هذا الرَّطْم. يا إلهي! كنت أضحك بشدة في داخلي. ظللت أقول

لنفسي ما خطب هذا الفتى؟ إنه بحاجة إلى أن يفيقه أحد ما، ولكنك أثبتَّ أنني كنت مخطئًا، هاه؟

ولكن توماس لم يشعر برغبة في الحديث عن ذلك.

- لقد فعلت ما كان سيفعله أي شخص آخر. ليس ذنبي أن مينهو ونيوت يريدانني أن أصبح عدَّاءً.

- أجل صحيح. كُفَّ عن لعب دور المتواضع.

كونه عدَّاءً كان أبعد شيء عن ذهن توماس في هذه اللحظة. كان الشيء الذي لم يستطع التوقف عن التفكير فيه هو تيريسا، الصوت الذي سمعه في رأسه، وكل ما قالته.

- أعتقد أنني متحمس.

أجبر توماس نفسه على الابتسام، على الرغم من انزعاجه من فكرة البقاء في الزنزانة بمفرده طوال اليوم قبل أن يبدأ تدريبه.

- سنرى كيف سيكون شعورك بعد أن تنفد شجاعتك. على أي حال، أريدك أن تعلم بأن تشاكي العجوز فخور بك.

ابتسم توماس ابتسامة صادقة لرؤية حماس صديقه، وتمتم قائلًا:

- آه لو كنتَ أمي يا تشاكي، لكانت الحياة عنبًا.

أمي! جال في خاطره، وشعر وكأن العالم قد أظلم من حوله للحظة. لم يستطع حتى تذكر من هي أمه. دفع تلك الفكرة بعيدًا عن ذهنه قبل أن تستهلكه.

وصلا إلى المطبخ وأحضرا إفطارًا سريعًا، وأخذا مقعدين فارغين على الطاولة الكبيرة بالداخل. كان كل فرد من أفراد الجلايد يدخل أو يخرج من الباب يحدق إلى توماس، جاء القليل منهم وقدموا له التهاني، وبخلاف بعض النظرات القذرة التي كان يتلقاها من حين لآخر، بدا له أن معظم الناس في صفه، ومن ثم تذكر جالي.

سأل بعد أن أخذ قضمة من البيض، محاولًا جعل سؤاله يبدو عرضيًّا:

- قل لي يا تشاك، هل عثرتم على جالي في أي مكان؟

- لا. كنت سأخبرك. قال أحدهم إنهم رأوه وهو يركض إلى المتاهة بعد أن غادر التجمع، ولم يره أحد منذ ذلك الحين.

أوقع توماس شوكته، لم يكن يعرف ما الذي كان يتوقعه أو يأمل فيه، في كلتا الحالتين، لقد أذهله الخبر.

- ماذا؟! أأنت جاد؟ خرج إلى المتاهة؟

- أجل. الجميع يعلم أنه قد جنَّ جنونه، حتى إن بعض العراقيب اتهموك بأنك قد قتلته عندما عدوت إلى هناك بالأمس.

- لا أستطيع أن أصدق...

حدَّق توماس إلى طبقه محاولًا فهم سبب قيام جالي بذلك.

- لا تقلق بشأن ذلك يا صاح؛ لم يكن أحد يحبه باستثناء عدد قليل من أصدقائه المقربين، وهم فقط من يتهمونك بتلك الأشياء.

لم يستطع توماس أن يصدق كيف كان تشاك يتحدث عن الأمر كما لو كان شيئًا عاديًّا.

- أتعرف، ربما يكون الفتى قد مات. إنك تتكلم عنه كما لو أنه قد ذهب في إجازة.

ارتسمت على وجه تشاك نظرة تأملية للحظات ثم قال:

- لا أعتقد أنه مات.

- هاه؟ إذن أين هو؟ ألسنا أنا ومينهو الوحيدَين اللذَين نجوَا من ليلة في متاهة؟

- هذا ما أقصده. أعتقد أن أصدقاءه خبؤوه في مكان ما داخل الجلايد. إن جالي أحمق، ولكنه ليس أحمق لدرجة أن يبقى في المتاهة طوال الليل، مثلك.

هزَّ توماس رأسه وقال:

- ربما هذا هو بالضبط سبب بقائه بالخارج هناك. ربما أراد أن يثبت أنه يستطيع فعل أي شيء يمكنني القيام به. ذلك الفتى يكرهني... يكرهني.

هزَّ تشاك كتفيه كما لو كانا يتجادلان حول ما يجب تناوله على الإفطار قائلًا:

- أيًّا كان. إذا كان قد مات، فعلى الأرجح أنكم ستجدونه في النهاية يا رفاق، وإذا لم يمت، فسوف يجوع ويظهر ليأكل بالتأكيد. لستُ مهتمًّا.

التقط توماس طبقه وأعاده إلى طاولة إعداد الطعام الرئيسية.

- كل ما أريده هو يوم عادي، يوم واحد للاسترخاء.

فقال صوت من عند باب المطبخ خلفه:

- إذن فإن أمنيتك اللعينة ستتحقق.

التفت توماس ليرى نيوت يقف هناك مبتسمًا. غمرت تلك الابتسامة توماس بموجة من الطمأنينة، وكأنه قد اكتشف أن العالم قد عاد بخير مرة أخرى.

قال نيوت:

- تعال أيها الطائر السجين. يمكنك الاسترخاء داخل الزنزانة ببساطة. هيا، فلنذهب. سيحضر لك تشاكي بعض الغداء عند الظهيرة.

أومأ توماس برأسه وخرج من الباب، تبع نيوت على طول الطريق. فجأة، بدا قضاء يوم في السجن فكرة ممتازة، يوم كامل للجلوس والاسترخاء فقط.

على الرغم من أن شيئًا ما أخبره أنه ليس ثمة فرصة لكي يحضِر له جالي باقة من الزهور أفضل من يوم لا يحدث فيه شيء غريب في الجلايد.

الفصل الثلاثون

كانت الزنزانة تقع في بقعة نائية ومنعزلة بعض الشيء بين بيت المزرعة والجدار الشمالي للجلايد، مخبأة خلف شجيرات شائكة والتي بدت وكأنها لم تُقلَّم منذ زمن طويل. كانت الزنزانة أشبه بصندوق ضخم من الخرسانة، مع نافذة واحدة صغيرة ذات قضبان وباب خشبي مقفول بمزلاج معدني كبير صدئ، بدا وكأنه يعود تاريخه إلى العصور المظلمة.

أخرج نيوت المفتاح وفتحه، ثم أشار إلى توماس ليدخل. وقال:

- لا يوجد سوى كرسي في الداخل، ولا شيء على الإطلاق لتفعله. استمتع.

تأوَّه توماس داخليًّا وهو يخطو إلى داخل الزنزانة ورأى قطعة الأثاث الواحدة التي تحويها؛ كرسي قبيح متهالك له ساق أقصر من البقية بشكل واضح، على الأرجح عن عمد. لم تكن هناك وسادة حتى.

قال نيوت قبل أن يغلق الباب:

- استمتع بوقتك.

ثم التفت توماس مرة أخرى إلى منزله الجديد وسمع صوت إغلاق المزلاج ونقرة القفل بعده مباشرة. ثم ظهر له رأس نيوت من النافذة الصغيرة الخالية من الزجاج، ينظر إليه من خلال القضبان وعلى وجهه ابتسامة متكلفة وقال:

- مكافأة لطيفة لكسرك للقواعد. لقد أنقذت أرواحًا يا تومي، ولكن عليك أن تتعلم...

- نعم أعرف. النظام.

ابتسم نيوت وقال:

- أنت لست بهذا السوء أيها العرقوب، ولكن سواء كنا أصدقاء أم لا، فنحن مجبرون على تطبيق نظام معين. هذا كل شيء، وهذا النظام هو ما يبقينا على قيد الحياة. فكر في ذلك جيدًا وأنت جالس هنا تحدق إلى تلك الجدران اللعينة.

ومن ثم ذهب.

***

مرت الساعة الأولى، وشعر توماس بالملل يتسلل كالفئران من تحت الباب. وفي الساعة الثانية، أراد أن يضرب رأسه بالحائط. وبعد ذلك بساعتين، بدأ يفكر في تناول العشاء مع جالي، وأن مواجهة الهوام كانت أهون من الجلوس داخل تلك الزنزانة الغبية. جلس وحاول استعادة الذكريات، ولكن كل جهوده تبخرت وتحولت إلى ضباب قبل أن يتمكن من تذكر أي شيء.

لحسن الحظ، وصل تشاك ومعه الغداء بحلول الظهيرة، ليريح توماس من أفكاره. وبعد أن مرر له بعض قطع الدجاج وكوبًا من الماء من خلال النافذة، تولى دوره المعتاد في أكل أذن توماس. قال الفتى:

- كل شيء عاد إلى مساره الطبيعي. العدَّاؤون في المتاهة بالخارج، والجميع يعملون... ربما سننجو بعد كل شيء. لم يجد أحد أثرًا لجالي حتى الآن. وأخبر نيوت العدَّائين أن يعودوا فورًا إذا عثروا على جثته. و... أوه، أجل... أصبحت حالة آلبي جيدة. يبدو أنه على ما يرام. وأصبح نيوت سعيدًا لأنه لم يعد مضطرًا لأن يكون الزعيم الأكبر بعد الآن.

وبمجرد ذكر سيرة آلبي، انصرف ذهن توماس عن تناول طعامه؛ لقد تذكر الفتى الأكبر وهو يتشنج ويخنق نفسه في اليوم السابق، ثم تذكر أنه لا أحد آخر يعرف ما قاله آلبي بعد أن غادر نيوت الغرفة... قبل النوبة. لكن هذا لا يعني أن آلبي سيُبقي الأمر سرًّا بعد أن تحسنت حالته وأصبح يمشي على قدميه في كل مكان.

واصل تشاك الحديث، وقد اتخذ كلامه منعطفًا غير متوقع. قال:

- أتعلم يا توماس؟ أنا مشوش ومرتبك بعض الشيء يا رجل. من الغريب أن تشعر بالحزن والحنين إلى الديار، ولكنك ليس لديك أي فكرة عما تتمنى أن تعود إليه. كل ما أعرفه هو أنني لا أريد أن أكون هنا، أريد أن أعود إلى عائلتي، أيًّا يكن من هم، أيًّا يكن ما قد أُخِذت منه، أريد أن أتذكر.

كان توماس متفاجئًا بعض الشيء، فهو لم يسبق له أن سمع تشاك يقول شيئًا حقيقيًّا وبتلك الدرجة من العمق. فهمس قائلًا:

- أعرف ما تعنيه.

كان تشاك أقصر من أن تصل عيناه إلى حيث يمكن لتوماس رؤيتهما وهو يتحدث، ولكن من كلامه التالي، تخيلهما توماس مليئتين بالكآبة والحزن، وربما الدموع أيضًا.

- اعتدت أن أبكي كل ليلة.

جعلت هذه الجملة أيَّ أفكار عن آلبي تترك ذهنه في الحال.

- حقًّا؟

- مثل طفل رضيع يبلل سرواله. تقريبًا حتى يوم وصولك إلى هنا. ثم اعتدت ذلك فحسب، أعتقد ذلك. صرت أشعر وكأن هذا أصبح منزلي، حتى وإن كنا نقضي كل يوم على أمل الخروج منه.

- لقد بكيت مرة واحدة فقط منذ وصولي، ولكن كان ذلك بعد أن كدت أوكل حيًّا. ربما أنا مجرد مقشور تافه بلا قلب.

ربما لم يكن توماس ليعترف بذلك لو لم يكن تشاك قد كشف له عما في قلبه.

ثم سمع تشاك يسأله من خلال النافذة قائلًا:

- بكيت؟ عندئذ؟

- أجل. عندما سقطت آخر هامة من فوق الجرف، انهرت وبكيت حتى آلمني حلقي وصدري. وقع كل شيء عليَّ مرة واحدة. من المؤكد أنه جعلني أشعر بتحسن. لا أشعر بالسوء حيال البكاء. أبدًا.

- يجعلك تشعر بتحسن نوعًا ما، هاه؟ إنه لأمر غريب عند التفكير فيه! نبكي لنشعر بالتحسن!

مرت بضع دقائق في صمت. وجد توماس نفسه يأمل ألا يغادر تشاك.

سأل تشاك قائلًا:

- توماس، أتسمعني؟

- أجل ما زلتُ هنا.

- هل تعتقد أن لديَّ والدَين؟ والدَين حقيقيين؟

ضحك توماس، غالبًا لكي يدفع الحزن المفاجئ الذي تسبب فيه سماعه لهذا السؤال.

- بالطبع لديك أيها العرقوب. أتريدني أن أشرح لك عملية التكاثر وكيف يأتي الأطفال إلى العالم؟

شعر توماس بغصة في قلبه. تذكر تلقيه لمحاضرة عن ذلك الموضوع ولكنه لم يتذكر من أعطاه إياها.

قال تشاك بصوت يخلو تمامًا من البهجة:

- ليس هذا ما قصدته.

ثم أردف بنبرة خافتة وكئيبة أقرب إلى الغمغمة:

- إن معظم الفتيان الذين مروا بالتحوُّل يتذكرون أشياءً فظيعة، لا يرغبون في التحدث عنها حتى، مما يجعلني أشك ما إذا كان لدي أي شيءٍ جيد في الديار من الأساس. لذا، أعني، هل تعتقد أنه من الممكن حقًا أن يكون لدي أم وأب في مكان ما في العالم ويفتقداني؟ هل تعتقد أنهما يبكيان في الليل؟

صُدِم توماس تمامًا عندما أدرك أن عينيه قد امتلأتا بالدموع. كانت الحياة جنونية للغاية منذ وصوله ومليئة بالأحداث السريعة والغريبة لدرجة أنه لم تسنح له الفرصة قط للتفكير في أفراد الجلايد كأناس حقيقيين، لديهم عائلاتهم الذين يشتاقون إليهم. كان الأمر غريبًا، ولكنه حتى لم يفكر في نفسه بتلك الطريقة أيضًا، كل ما فكر فيه من قبل كان حول ما يعنيه كل هذا، ومن الذي أرسلهم إلى هنا، وكيف من الممكن لهم أن يخرجوا.

ولأول مرة، شعر بشيء تجاه تشاك جعله غاضبًا جدًا لدرجة أنه أراد قتل شخص ما. كان يجب أن يكون هذا الفتى في مدرسته، في منزله، يلعب مع أطفال الحي. كان يستحق أن يعود إلى المنزل في الليل ليجد عائلة تحبه، تقلق عليه وتهتم لأمره، أم تجعله يستحم كل يوم وأب يساعده في أداء واجباته المدرسية.

شعر توماس بكره شديد تجاه الأشخاص الذين أخذوا هذا الطفل المسكين من عائلته، كرههم لدرجة لم يكن يتخيل أن إنسانًا قد شعر بها من قبل. أرادهم أن يموتوا، بل أن يموتوا معذَّبين. أراد أن يكون تشاك سعيدًا.

ولكن السعادة قد انتُزِعَت من حياتهم، انتُزِعَ الحب من حياتهم.

- أصغِ إليَّ يا تشاك.

ثم سكت توماس لثوانٍ، محاولًا تهدئة نفسه قدر استطاعته، والتأكد من أن صوته ليس متحشرجًا، وأردف قائلًا:

- أنا متأكد من أن لديك والدَين، واثق من ذلك. يبدو هذا فظيعًا، ولكنني أراهن أن أمك تجلس في غرفتك الآن، وتحتضن وسادتك، وتتساءل لماذا قد سرقك منها هذا العالم. وأجل، أراهن أنها تبكي، بحرقة، بكاء من النوع الذي يجعل العينين منتفختين ويصيب الأنف بالسيلان. هذه حقيقة.

لم ينبس تشاك ببنت شفة، ولكن توماس اعتقد أنه قد سمع تنهدات بكاء خافتة.

- لا تستسلم يا تشاك. سنجد حلًّا للخروج من هنا. إنني عدَّاء الآن... أقسم لك بحياتي بأنني سأعيدك إلى غرفتك هذه، وأنك ستجعل أمك تكف عن البكاء، هذا وعد مني.

وكان توماس يعني ذلك حقًّا، من كل قلبه.

قال تشاك بصوت مرتعش:

- آمل أن تكون محقًّا.

ثم رفع إبهامه لأعلى مظهِرًا إياه من النافذة، ومشى بعيدًا.

وقف توماس وبدأ يتمشى داخل الغرفة الصغيرة، يتقد برغبته الشديدة في الوفاء بوعده. وأخذ يتمتم قائلًا:

- أقسم لك يا تشاك، أقسم إنني سأعيدك إلى الديار.

الفصل الحادي والثلاثون

مباشرة بعد سماع توماس لصوت الجرش والقعقعة المدوي الذي يعلن إغلاق الأبواب لهذا اليوم، جاء آلبي ليطلق سراحه. وكانت تلك مفاجأة كبيرة. سمع صوت تكَّة المفتاح في القفل ثم فُتِح باب الزنزانة على مصراعيه.

سأل آلبي قائلًا:

- لم تمُت بعد، صحيح أيها العرقوب؟

لقد بدا أفضل حالًا بكثير من اليوم السابق، ولم يستطع توماس أن يمنع نفسه من التحديق إليه. عادت بشرته إلى لونها الطبيعي، ولم تعد عيناه محتقنتَين بالدم، ويبدو أن وزنه قد زاد نحو خمسة عشر رطلًا في أربع وعشرين ساعة.

لاحظ آلبي أنه كان يحدق إليه، فقال:

- قشرًا أيها الفتى، ما الذي تحدق إليه؟

هز توماس رأسه بقدر طفيف، وشعر وكأنه في حالة من الذهول. بدأت التساؤلات تتزاحم في رأسه، عما يتذكره آلبي، وما الذي عرفه، وماذا قد يقول عنه.

- آااه... لا شيء. تبدو سرعة تعافيك جنونية فحسب. هل أنت بخير الآن؟

قال آلبي وهو يستعرض عضلاته:

- لم أكن يومًا أفضل حالًا. هيا إلى الخارج.

خرج توماس، آملًا ألا يبدو قلقه واضحًا على وجهه. وأغلق آلبي باب الزنزانة ثم التفت إليه وقال:

- في الواقع، ليست هذه سوى كذبة. أشعر وكأنني قطعة من الرَّطْمِ قد تغوطتها الهوام.

- نعم، لقد بدوت هكذا بالأمس.

وعندما حملق به آلبي، تمنى توماس أن يفهم أنها كانت مجرد مزحة وسرعان ما أوضح قائلًا:

- ولكنك تبدو الآن في خير حال، أقسم لك.

وضع آلبي المفاتيح في جيبه واتكأ على باب الزنزانة وقال:

- إذن، بخصوص الحديث الصغير الذي أجريناه بالأمس...

تسارعت نبضات قلب توماس. لم يكن لديه أي فكرة عما يمكن توقعه من آلبي في تلك اللحظة.

- آه... أجل. أتذكَّر.

- لقد رأيت ما رأيت أيها العود الأخضر. إنه يتلاشى نوعًا ما، ولكنني لن أنسى أبدًا. كان الأمر مروعًا، وكلما حاولت التحدث عن ذلك، كنت أشعر بشيء ما يحاول خنقي. الآن تظهر صور في ذهني وتختفي، وكأن ذلك الشيء نفسه لا يريدني أن أتذكر.

ومض في ذهن توماس المشهد الذي رآه في الأمس، آلبي وهو يتشنج ويحاول بعنف أن يخنق نفسه... لم يكن توماس ليصدق حدوث هذا لو لم يرَه بنفسه، وعلى الرغم من خوفه من الإجابة، فإنه كان عليه أن يطرح السؤال التالي.

- وماذا عني؟ ظللت تقول إنك رأيتني. ماذا كنت أفعل؟

حدق آلبي إلى مساحة فارغة على بعد مسافة قبل أن يرد.

- كنتَ مع... المؤسِّسين، كنتَ تساعدهم، ولكن ليس هذا ما صدمني.

شعر توماس كما لو أن شخصًا ما قد ضربه في بطنه بقبضة يده للتو. *أساعدهم*؟ لم يستطع إيجاد الكلمات المناسبة للسؤال عما يعنيه ذلك.

أردف آلبي قائلًا:

- آمل أن يكون التحوُّل لا يمنحنا ذكريات حقيقية، وأنه يزرع في أدمغتنا ذكريات مزيَّفة ليس إلا. البعض يشك في ذلك... لا يسعني إلا أن آمل. لو كان العالم كما رأيته...

سكت فجأة تاركًا صمتًا مشؤومًا.

كان توماس مرتبكًا، ولكنه أصر قائلًا:

- ألا يمكنك أن تخبرني بما رأيت عني؟

هز آلبي رأسه قائلًا:

- مستحيل أيها العرقوب؛ لن أخاطر بخنق نفسي مرة أخرى. ربما يكون هناك شيء قد وضعوه في أدمغتنا من أجل السيطرة علينا، تمامًا مثلما مسحوا ذاكرتنا.

- حسنًا، لو كنتُ شريرًا، فربما يجب عليك أن تتركني محتجَزًا.

لم يكن توماس جادًّا للغاية بشأن ذلك.

- أيها العود الأخضر، أنت لستَ شريرًا. ربما تكون مقشورًا وأخرق، ولكنك لست شريرًا.

ابتسم آلبي ابتسامة خفيفة، والتي ظهرت كمجرد شق في وجهه ذي التعبيرات الصارمة عادة.

- إن ما فعلته -بالمخاطرة بنفسك لإنقاذي أنا ومينهو- ليس شرًّا قد سمعت به من قبل. لا، هذا فقط يجعلني أعتقد أن ثمة شيئًا مريبًا بشأن مصل الهوام والتحوُّل. لمصلحتك ومصلحتي، أن آمل ذلك.

اطمأن قلب توماس لأن آلبي أعتقد أنه ليس شريرًا، لدرجة أنه لم يسمع سوى نصف ما قاله الفتى الأكبر فقط.

- ما مدى سوئها؟ ذكرياتك التي عادت إليك.

- تذكرت أشياء عن نشأتي، أين كنت أعيش، وأشياء كهذه. ولو أُنزِلَ مَلَكًا من السماء الآن وأخبرني أنني أستطيع العودة إلى المنزل لما...

نظر آلبي إلى الأرض وهزَّ رأسه مرة أخرى.

- إذا كان ما رأيته حقيقيًّا أيها العود الأخضر، أقسم أنني كنت سأذهب لأرتمي في أحضان الهوام قبل أن أعود.

فوجئ توماس عند سماعه أن الأمر كان بهذا السوء. كان يتمنى أن يعطيه آلبي بعض التفاصيل، أن يصف له شيئًا، أي شيء، لكنه كان يعلم أن الاختناق كان ما يزال حاضرًا في ذهن آلبي ويمنعه من أن ينطق بحرف.

- حسنًا، ربما ما رأيته لم يكن حقيقيًّا يا آلبي، ربما يحتوي مصل الهوام على نوع من العقاقير التي تسبب الهلاوس.

كان توماس يعلم أنه يحاول التعلق بقشة ليس إلا.

فكر آلبي لدقيقة ثم قال:

- عقاقير... هلاوس...

ثم هزَّ رأسه وأردف:

- أشك في ذلك.

ولكن الأمر كان يستحق المحاولة.

- ما يزال يتعين علينا الهرب من هذا المكان.

قال آلبي ساخرًا:

- أجل، نشكرك أيها العود الأخضر. لم نكن لنعرف ماذا سنفعل دون خطابك التشجيعي هذا.

ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة أخرى، والتي أخرجت توماس من كآبته إلى حدٍّ ما.

- كُفَّ عن مناداتي بالعود الأخضر؛ أصبحت الفتاة هي العود الأخضر الآن.

فتنهد آلبي وقد بدا عليه أنه كان يحاول إنهاء هذه المحادثة:

- حسنًا أيها العود الأخضر، اذهب لتناول العشاء. انتهت فترة عقوبتك بالسجن ليوم واحد.

- آه. يوم واحد يكفي.

وعلى الرغم من تعطشه للحصول على إجابات، لم يكن توماس يطيق أن ينتظر أكثر لكي يبتعد عن الزنزانة، بالإضافة إلى أنه كان يتضور جوعًا. فابتسم في وجه آلبي ابتسامة عريضة، ثم توجه مباشرة إلى المطبخ والطعام.

***

كان العشاء رائعًا.

كان السيد طاسة على علم بأن توماس سيأتي متأخرًا، لذلك ترك له طبقًا مليئًا باللحم البقري المشوي والبطاطس وورقة تعلن عن وجود كعك في الخزانة. بدا أن الطباخ كان عازمًا تمامًا على إكمال الدعم الذي أظهره لتوماس في التجمع. انضم مينهو إلى توماس في أثناء تناوله الطعام، لكي يجهزه قليلًا قبل أول يوم له في التدريب كعدَّاء بإعطائه بعض الإحصائيات والحقائق المثيرة للاهتمام، أشياء يجب عليه التفكير فيها حين يذهب للنوم في تلك الليلة.

وعندما انتهيا، عاد توماس إلى نفس المكان المنعزل الذي نام فيه في الليلة السابقة، في الزاوية خلف منطقة الموتى. فَكَّر في محادثته مع تشاك، وتساءل كيف يبدو شعور أن يقول لك والداك تصبح على خير.

كان العديد من الفتيان يتجولون هنا وهناك في أرجاء الجلايد في تلك الليلة، ولكن بوجه عام كان الهدوء يعم المكان، ومثلما أراد الجميع أن يناموا

فقط، أن ينهوا اليوم وينتهوا من كل أموره، لم يشتكِ توماس، إذ كان هذا هو ما يريده بالضبط.

كانت البطانيات التي تركها له شخص ما في الليلة السابقة ما تزال ملقاة هناك. التقطها ثم جلس ولف نفسه بها في الزاوية المريحة حيث أسند ظهره إلى كتلة من اللبلاب الناعم. استقبلته الروائح المختلطة المنبعثة من الغابة بالترحاب عندما أخذ أول نفس عميق في محاولة للاسترخاء. كان الجو مثاليًّا، مما جعله يفكر ويتساءل مرة أخرى عن طبيعة الطقس في هذا المكان. لا تمطر أبدًا، ولم تتساقط الثلوج قط، ولم تشتد الحرارة أو تنخفض بدرجة كبيرة قط. ولولا حقيقة أنهم قد انتُزِعوا من أصدقائهم وعائلاتهم واحتُجِزوا في متاهة مع مجموعة من الوحوش، لاعتقد أنه في الجنة.

بعض الأشياء هنا كانت مثالية للغاية، كان يعلم ذلك، لكن لم يكن لديه أي تفسير لهذا.

انجرف تفكيره إلى ما قاله له مينهو على العشاء حول حجم المتاهة وأبعادها. صَدَّقَ كلامه، فقد أدرك بنفسه مدى ضخامتها عندما كان عند الجرف، ولكنه لم يستطع أن يتخيل كيف تم إنشاء هيكل بهذه الضخامة، فقد كانت المتاهة تمتد لأميال وأميال. كان يجب على العدَّائين أن يكونوا أشخاصًا خارقين تقريبًا لكي يفعلوا ما يفعلونه كل يوم.

ومع ذلك لم يتمكنوا قط من إيجاد مخرج. وعلى الرغم من ذلك، وعلى الرغم من أن الوضع يبدو ميؤوسًا منه تمامًا، فإنهم لم يستسلموا حتى الآن.

على العشاء أخبره مينهو عن قصة قديمة -أحد الأشياء الغريبة والعشوائية التي تذكرها من قبل- عن امرأة علقت ذات مرة في متاهة، وتمكنت من الهرب من خلال عدم رفعها ليدها اليمنى عن جدران المتاهة مطلقًا في أثناء سيرها. وبفعلها ذلك، أُجبِرت على الانعطاف يمينًا مع كل منعطف، وضمنت القوانين البسيطة للفيزياء والهندسة الرياضية أنها وجدت المخرج في النهاية. هذا أمر منطقي.

ولكن ليس هنا. هنا كل المسارات تؤدي إلى الجلايد. لا بد أن هناك شيئًا ما ينقصهم. غدًا سيبدأ تدريبه، غدًا يمكنه البدء في العثور على هذا الشيء الناقص. في تلك اللحظة اتخذ توماس قرارًا؛ أن ينسى كل الأشياء الغريبة، كل الأشياء السيئة، أن ينسى كل شيء. لن يستسلم حتى يحل اللغز ويجد طريقه إلى المنزل. *غدًا*. أخذت الكلمة تحوم في ذهنه حتى راح في النوم أخيرًا.

الفصل الثاني والثلاثون

أيقظ مينهو توماس قبل الفجر، وأشار إليه بمصباح يدوي ليتبعه في العودة إلى بيت المزرعة. تخلص توماس بسرعة من خدره وخموله الصباحي، متحمسًا لبدء تدريبه. خرج من تحت بطانيته وتبع مدربه بتلهُّف وشغف، وشق طريقه بين حشد فتيان الجلايد الذين كانوا ما يزالون نائمين فوق العشب، وقد كان شخيرهم هو العلامة الوحيدة على أنهم ليسوا ميتين. بدأ البصيص الخافت للصباح الباكر يضيء الجلايد، محوِّلًا كل شيء إلى اللون الأزرق الداكن. لم يكن توماس قد رأى المكان بهذا الهدوء من قبل. صاح الديك الموجود في بيت الدم.

وأخيرًا، عند مخبأ معوَجٍّ بالقرب من الزاوية الخلفية لبيت المزرعة، سحب مينهو مفتاحًا وفتح بابًا مهترئًا يؤدي إلى خزانة صغيرة. شعر توماس بترقب شديد، متسائلًا عما بداخلها. استطاع أن يلمح حبالًا وسلاسل وأغراضًا أخرى كلما تقاطع ضوء مصباح مينهو على الخزانة. وفي النهاية، استقر الضوء عليها ليتضح أنها كانت صندوقًا مفتوحًا مليئًا بأحذية العَدْو. كاد توماس يضحك، فقد بدا شيئًا عاديًّا للغاية.

قال مينهو معلنًا:

- لدينا هنا أفضل المعدات. على الأقل بالنسبة إلينا. إنهم يرسلون إلينا أحذية ومعدات جديدة في الصندوق بين الحين والآخر. فلو كانت أحذيتنا رديئة، لأصبحت أقدامنا تشبه سطح كوكب المريخ الآن؛ حمراء تملؤها الحفر والانبعاجات.

ثم انحنى وبدأ يفتش داخل الكومة وسأل قائلًا:

- ما المقاس الذي ترتديه؟

فكر توماس للحظة ثم قال:

- مقاس؟ أنا... لا أعرف.

كان من الغريب أحيانًا ما يمكنه أو لا يمكنه تذكره. مد يده لأسفل وخلع الحذاء الذي كان ينتعله منذ وصوله إلى الجلايد وألقى نظرة بداخله.

- أحد عشر.

- يا إلهي! لديك أقدام كبيرة أيها العرقوب.

ثم وقف مينهو وفي يده زوجان من الأحذية الفضية اللامعة وأردف:

- ولكن يبدو أن لدي ما يناسبك. تفضل، يمكنك التجديف بهذين!

- إنهما رائعان!

أخذهما توماس وخرج للجلوس على الأرض متلهفًا لتجربته، وأحضر مينهو معه بعض الأشياء قبل أن يخرج للانضمام إليه.

قال مينهو:

- وحدهم العداؤون والأمناء من يحصلون على أشياء كهذه.

وقبل أن يتمكن توماس من رفع رأسه -إذ كان منشغلًا بربط حذائه- وجد ساعة يد بلاستيكية قد سقطت في حِجره، كانت سوداء اللون وبسيطة للغاية، لا يظهر على وجهها سوى شاشة صغيرة تحوي عرضًا رقميًا للوقت.

- ارتدِها ولا تخلعها أبدًا؛ قد تعتمد عليها حياتك.

كان توماس سعيدًا بالحصول عليها. على الرغم من أن الشمس والظلال بدوا كافيين تقريبًا لإعلامه بالوقت حتى تلك اللحظة، ولكن ربما يتطلب كونه عدَّاءً مزيدًا من الدقة. لف الساعة على معصمه ثم عاد ليتمم ربط حذائه.

أكمل مينهو كلامه قائلًا:

- وها هنا حقيبة ظهر، وزجاجات مياه، وعلبة غداء، وبعض السراويل القصيرة والتي-شيرتات، وأغراض أخرى.

ثم دفع توماس بمرفقه لينظر إلى أعلى. كان مينهو يحمل زوجين من الملابس الداخلية الضيقة، مصنوعة من خامة بيضاء لامعة.

- سراويل داخلية خاصة بالعدائين، ستبقيك مرتاحًا بما فيه الكفاية.

- مرتاحًا بما فيه الكفاية؟

- نعم، كما تعلم، الـ...

- أجل، فهمت.

أخذ توماس الملابس الداخلية وبقية الأشياء، وقال وهو يحشو الأشياء في حقيبة ظهره:

- لقد فكرتم في كل التفاصيل حقًّا يا رفاق. أليس كذلك؟

- بعد عامين من العَدْو بشكل يومي، يمكنك معرفة كل ما يحتاج إليه الأمر.

فاندهش توماس وقال:

- أتعني أنه يمكنك أن تطلب الأشياء؟ اللوازم التي تحتاج إليها؟ لماذا قد يساعدنا الأشخاص الذين أرسلونا إلى هنا إلى هذا الحد؟

- بالطبع يمكننا أن نطلب. كل ما عليك هو إلقاء ورقة بطلبك في الصندوق، وهي ستعرف طريقها. هذا لا يعني أننا نحصل دائمًا على كل ما نريده من المؤسِّسين. أحيانًا نحصل على ما نريد، وأحيانًا لا.

- ألم يسبق أن طلبتم خريطة؟

ضحك مينهو قائلًا:

- بلى، جربنا ذلك. وطلبنا تلفازًا أيضًا، ولكن لم يحالفنا الحظ. أعتقد أن هؤلاء المقشورين لا يريدوننا أن نرى مدى روعة الحياة عندما لا تكون عائشًا في متاهة مرعبة.

ساور توماس بعض الشك في أن الحياة قد تكون رائعة جدًّا بالخارج... أي عالم هذا الذي يسمح فيه لأناس بأن يجعلوا أطفالًا يعيشون حياة كهذه؟ فاجأته تلك الفكرة، وكأنها قد جاءته من أعماق ذاكرته، وكأنما ثمة خيط رفيع من الضوء قد عبر في ظلمة عقله، ولكنه اختفى فورًا. هزَّ رأسه عند انتهائه من ربط حذائه، ثم نهض وأخذ يدور مهرولًا ويقفز مرارًا وتكرارًا لكي يجربه.

- إنه مريح تمامًا. أعتقد أنني مستعد.

كان مينهو ما يزال يعبئ حقيبة ظهره على الأرض. نظر إلى توماس باشمئزاز وقال:

- تبدو كأحمق يحاول التدرب على رقصة باليه. حظًّا سعيدًا هناك إذن، دون إفطار، ولا غداء معبأ، ولا أسلحة.

فتوقف توماس عن الحركة وقد شعر بقشعريرة تسري في جسده.

- أسلحة؟

- نعم، أسلحة.

ثم وقف مينهو وعاد إلى الخزانة وأردف:

- تعال إلى هنا، سأريك.

تبع توماس مينهو إلى الغرفة الصغيرة وشاهده وهو يسحب بعض الصناديق بعيدًا عن الجدار الخلفي. كان يوجد بالأسفل باب سري صغير. فتحه مينهو ليكشف عن سلم خشبي يؤدي إلى ظلام دامس.

- نحتفظ بها في القبو حتى لا يتمكن العراقيب أمثال جالي من الوصول إليها. هيا.

نزل مينهو أولًا. وأصدر السلم صريرًا مع كل حركة يصدرانها في أثناء نزولهما كل سلّمة نحو عشر سلّمات. كان الهواء البارد منعشًا، على الرغم من الغبار ورائحة العفن القوية. وطئت أقدامهما على أرضية قذرة، ولم يكن توماس قادرًا على رؤية أي شيء حتى أشعل مينهو أحد المصابيح عن طريق سحب حبل ما في السقف.

كانت الغرفة أكبر مما توقعه توماس، تبلغ مساحتها نحو ثلاثين قدمًا مربعة على الأقل. الأرفف تغطي الجدران، وهناك عدة طاولات خشبية أيضًا. كان كل شيء في نطاق نظره مليئًا بجميع أنواع الخردة لدرجة أعطته شعورًا بالغموض. أعمدة خشبية، ومسامير معدنية، وقطع كبيرة من الشّباك -كالتي تغطي قن الدجاج-، ولفائف الأسلاك الشائكة، والمناشير، والسكاكين، والسيوف. كان ثمة جدار كامل مخصص للرماية: أقواس خشبية، وسهام، وأوتار احتياطية، والتي بمجرد رؤيتها أعادت إلى ذهنه على الفور ذكرى السهم الذي أصاب بِن من قِبَل آلبي في منطقة الموتى.

غمغم توماس قائلًا وقد تردد صدى صوته داخل ذلك المكان المغلق:

- واااو.

كان مرعوبًا في البداية لاكتشافه أنهم كانوا بحاجة إلى هذا القدر الكبير من الأسلحة، لكنه شعر بالارتياح لرؤية أن الغالبية العظمى منها كانت مغطاة بطبقة سميكة من الغبار.

قال مينهو:

- معظم هذه الأشياء لا نستخدمها، ولكن من يدري. كل ما نأخذه معنا في العادة هو بضع سكاكين حادة.

أومأ برأسه نحو صندوق خشبي كبير في الزاوية، مفتوح من أعلى وغطاؤه متكئ على الحائط، تتكدس بداخله سكاكين كثيرة من جميع الأشكال

والأحجام عشوائيًّا وصولًا إلى القمة. لم يسع توماس إلا أن يأمل بأن تظل تلك الغرفة سرية، وألا يعلم معظم فتيان الجلايد بأمرها.

قال:

- ألا يبدو أنه من الخطر امتلاك كل هذه الأشياء؟ فماذا لو نزلَ بِن إلى هنا قبل أن يجن جنونه ويهاجمني؟

سحب مينهو المفاتيح من جيبه وهزها قائلًا:

- فقط عدد قليل من المحظوظين من يحملون مفاتيح كهذه.

- ولكن ما زالـ...

- كُفَّ عن الثرثرة واختر زوجين من السكاكين، هيا. وتأكد من كونهما متينتين وحادتين، ومن ثم سنذهب لتناول الإفطار وحزم غدائنا. أريد قضاء بعض الوقت في غرفة الخرائط قبل أن نغادر.

تحمَّسَ توماس لسماع ذلك. كان يساوره الفضول بشأن المبنى المنخفض منذ أن رأى عدَّاءً يدخل من بابه الذي ينذر بالخطر لأول مرة. اختار خنجرًا فضيًّا قصيرًا بمقبض مطاطي، وآخر بنصل أسود طويل. تضاءل حماسه قليلًا، فعلى الرغم من أنه كان يعرف جيدًا ما الذي يعيش في المتاهة، فإنه ما زال لا يريد التفكير في سبب حاجته إلى أسلحة للخروج إلى هناك. لم يكن الأمر مطمْئنًا.

وبعد مرور نصف ساعة، بعد أن تناولا إفطارهما وحزما غداءهما، وقفا أمام الباب المعدني لغرفة الخرائط، وقد بدا توماس متلهفًا للدخول. كان الفجر قد أرخى بسدوله الذهبية، وانطلق أفراد الجلايد يستعدون لليوم. فاحت روائح قلي لحم الخنزير المقدد في الهواء، فقد كان السيد طاسة وطاقمه يحاولون مواكبة العشرات من البطون الجائعة. أدار مينهو المفتاح في الباب، ثم أدار المقبض الدائري الكبير حتى سمع صوت نقرة من الداخل، ثم سحبه. ومع صوت صرير عالٍ، انفتح اللوح المعدني الثقيل.

انحنى مينهو وقال بنبرة ساخرة:

- من بعدك.

دخل توماس دون أن ينبس ببنت شفة، وقد سيطر عليه خوف ممزوج بفضول شديد، حتى إنه كاد ينسى أن يتنفس.

تفوح من الغرفة المظلمة رائحة رطبة متعفنة، ممزوجة برائحة نحاسية قوية للغاية لدرجة أنه شعر أنه يستطيع تذوقها. وفجأة انبثقت في رأسه ذكرى بعيدة مشوشة عن نفسه حين كان طفلًا وهو يمص البنسات النحاسية.

ضغط مينهو على زر الإضاءة، فأخذت عدة صفوف من مصابيح الفلورسنت تومض حتى وصلت إلى قوة إضاءتها الكاملة، كاشفة عن كل تفاصيل الغرفة.

فوجئ توماس ببساطة الغرفة. كان يبلغ عرض غرفة الخرائط نحو عشرين قدمًا، جدرانها الخرسانية عارية من أي زخارف، بها طاولة خشبية في منتصف الغرفة بالضبط وحولها ثمانية كراسي. ورأى رُزمًا من الورق المرصوص بعناية وأقلام الرصاص على سطح الطاولة، واحد أمام كل كرسي. والأشياء الأخرى الوحيدة الموجودة في الغرفة كانت ثمانية صناديق، تمامًا كالذي يحوي السكاكين في قبو الأسلحة، وكانت مغلقة، ومتباعدة بعضها عن بعض بشكل متساوٍ، اثنان مقابل كل جدار.

قال مينهو:

- مرحبًا بك في غرفة الخرائط. أسعد مكان يمكنك زيارته هنا.

أُصيب توماس بشيء من خيبة الأمل، فقد كان يتوقع شيئًا أكثر إبهارًا. أخذ نفسًا عميقًا ثم قال:

- رائحتها كريهة للغاية، كرائحة منجم نحاس مهجور.

- تروقني تلك الرائحة نوعًا ما.

ثم سحب مينهو كرسيين وجلس على أحدهما وأردف:

- اجلس، أريد أن أُطلِعَك على بعض الأشياء قبل الانطلاق إلى الخارج.

وبينما جلس توماس، أمسك مينهو بورقة وقلم رصاص وبدأ يرسم شيئًا ما. انحنى توماس لإلقاء نظرة أفضل، فرأى أن مينهو قد رسم إطارًا كبيرًا يملأ الصفحة بأكملها تقريبًا ثم ملأه بإطارات أصغر حتى بدا وكأنه لوح لعبة إكس-أُو تمامًا، ثلاثة صفوف كل صف مقسم إلى ثلاثة مربعات، كلها بنفس الحجم. كتب كلمة (جلايد) في المنتصف، ثم رقَّم المربعات الخارجية من واحد إلى ثمانية، بدءًا من الزاوية اليسرى العلوية وأكمل باتجاه عقارب الساعة. وأخيرًا، أضاف القليل من الشَّرطات هنا وهناك.

قال مينهو:

- هذه هي الأبواب. أنت تعرف الأبواب التي تظهر في الجلايد، ولكن هناك أربعة آخرين داخل المتاهة، والتي تؤدي إلى الأقسام الأول والثالث والخامس والسابع. إنهم يبقون ثابتين في أماكنهم، ولكن المسارات التي تؤدي إليهم تتغير كل ليلة مع تحركات الجدران كل ليلة.

ثم مرر الورقة ناحية توماس، والذي التقطها وحدق إليها في ذهول تام من مدى التنظيم الكبير الذي قد صُممت به المتاهة، وأخذ يدرسها بينما استمر مينهو في حديثه.

- إذن لدينا الجلايد، وهو محاط بثمانية أقسام، كل منها مربع قائم بذاته تمامًا ولم نتمكن من حل أي منها على مدار العامين الماضيين منذ أن بدأنا هذه اللعبة اللعينة. الشيء الوحيد الذي يقترب من كونه مخرجًا هو الجرف، وهو ليس بالخيار الجيد إلا إذا كنت تحب أن تسقط من أعلاه وتموت ميتة شنيعة.

ثم نقر مينهو على الورقة وأضاف قائلًا:

- تتحرك الجدران في جميع أنحاء ذلك المكان المقشور كل مساء، في نفس الوقت الذي تُغلَق فيه أبوابنا، أو على الأقل، نحن نعتقد أنها تتحرك في ذلك الوقت، لأننا لم نسمع قط الجدران تتحرك في أي وقتٍ آخر.

رفع توماس رأسه وقد بدا سعيدًا بأنه قادر على تقديم معلومة ما. قال:

- لم أرَ أي شيء يتحرك في تلك الليلة التي علقنا فيها بالخارج هناك.

- تلك الممرات الرئيسية التي تطل عليها الأبواب مباشرة لا تتغير أبدًا، وإنما فقط أولئك الموجودون في العمق قليلًا.

- أوه.

عاد توماس ينظر إلى الخريطة المبسَّطة، محاولًا تصور المتاهة ورؤية الجدران الحجرية حيث وضع توماس الشرطات بقلمه الرصاص.

- دائمًا ما يكون لدينا ثمانية عدَّائين على الأقل، بما فيهم الأمين. واحد لكل قسم. ويستغرق الأمر منا يومًا كاملًا لحفظ مسارات مناطقنا -آملين على الرغم من كل شيء أن نعثر على مخرج- ومن ثم نعود ونرسم ما نتذكره، صفحة منفصلة لكل يوم.

ثم نظر مينهو إلى أحد الصناديق وقال:

- هذا هو السبب في أن كل هذه الصناديق ممتلئة بالخرائط.

خطرت فكرة محبطة -ومخيفة- في ذهن توماس.

- هل أنا... آخذ مكان شخص ما؟ هل قُتِلَ أحدهم؟

هزَّ مينهو رأسه وأجابه قائلًا:

- لا، سندربك فحسب، فربما قد يريد أحدهم أن يأخذ استراحة. لا تقلق، لقد مرَّ وقت طويل منذ أن قُتِلَ أحد العدَّائين.

لسبب ما أثارت تلك الجملة الأخيرة قلق توماس، ولكنه كان يأمل ألا يظهر ذلك القلق على وجهه. أشار إلى القسم الثالث، وقال:

- إذن... يستغرق الأمر يومًا كاملًا للعدو خلال تلك المربعات الصغيرة؟

- مضحك للغاية.

وقف مينهو وخطا تجاه الصندوق الموجود خلفهما مباشرة، وجثا على ركبتيه، ثم رفع الغطاء وأسنده إلى الحائط وقال:

- تعال إلى هنا.

كان توماس قد اقترب بالفعل، وانحنى فوق كتف مينهو وألقى نظرة. كان الصندوق كبيرًا بما يكفي ليستوعب أربع رزم من الخرائط بداخله، والأربع جميعها قد وصلت إلى قمة الصندوق، وبدت كلها متشابهة: رسم تقريبي لمتاهة مربعة، تملأ الصفحة بالكامل تقريبًا، وفي الركن الأيمن العلوي، كُتِبَ القسم الثامن، متبوعًا باسم «هانك»، ثم كلمة «اليوم»، متبوعة برقم. آخرهم أشارت إلى أنه كان اليوم 749.

تابع مينهو قائلًا:

- لقد اكتشفنا منذ البداية أن الجدران كانت تتحرك، وبمجرد أن اكتشفنا ذلك، بدأنا في تتبع مسارها. دائمًا ما كنا نعتقد أن مقارنة تلك الخرائط يومًا بعد يوم، وأسبوعًا تلو الآخر، سيساعدنا على اكتشاف نمط محدد لحركتها. وقد اكتشفنا ذلك بالفعل... ففي الواقع أنماط المتاهة تعيد نفسها كل شهر تقريبًا. ولكننا لم نجد بعد أي فتحة أو مخرج يقودنا إلى خارج المربع. ليس ثمة مخرج على الإطلاق.

قال توماس:

- لقد مرَّ عامان. ألم تصلوا لدرجة من اليأس تدفعكم لقضاء الليل بالخارج هناك؟ لتروا ما إذا كان هناك احتمال لأن يكون هناك أي مخرج ينفتح في أثناء حركة الجدران؟

رفع مينهو وجهه لينظر إليه بعينين تتقدان غضبًا وقال:

- هذا نوع من الإهانة يا صاحبي. حقًا!

- ماذا؟!

صُدِمَ توماس، فهو لم يكن يقصد شيئًا من هذا القبيل.

- لقد كنا نكدح طوال عامين، وكل ما يمكنك السؤال عنه الآن هو: لماذا نحن جبناء للغاية لكيلا نبقى هناك في أثناء الليل؟ قلة قد جربوا فعل ذلك في البداية، وكلهم ماتوا. أتريد قضاء ليلة أخرى هناك؟ أتريد التحقق من فرصتك في النجاة مرة أخرى؟

احمر وجه توماس خجلًا.

- لا، آسف.

شعر فجأة وكأنه قطعة من الرَّطْم. لقد وافقه الرأي بالتأكيد، فهو لم يستطع أن يتخيل أن يجد نفسه في معركة أخرى مع الهوام. لقد ارتعد من الفكرة.

- حسنًا إذًا.

أعاد مينهو نظره إلى الخرائط الموجودة في الصندوق، مما هدَّأ من روع توماس.

- قد لا تكون الحياة في الجلايد لطيفة، ولكنها على الأقل آمنة؛ نملك الكثير من الطعام، وحماية من الهوام. من المستحيل أن نطلب من العدَّائين أن يخاطروا بالبقاء هناك. مستحيل. على الأقل ليس بعد، ليس حتى تظهر أي إشارة تفيد بأنه ثمة مخرج قد ينفتح، حتى ولو بشكل مؤقت.

- وهل اقتربتم من إيجاد حل؟ هل هناك أي تطور؟

هزَّ مينهو كتفيه قائلًا:

- لا أعرف. إن الأمر محبط نوعًا ما، ولكننا لا نعرف ما الذي علينا فعله غير ذلك. لا يمكننا المخاطرة لأنه قد يكون هناك احتمال غير مؤكَّد بأنه في يوم من الأيام، في بقعة ما، في مكان ما، قد يظهر مخرج. ولكن لا يمكننا أن نستسلم، أبدًا.

أومأ توماس برأسه، وقد طمأنه أسلوب مينهو في التفكير، فمهما كان الوضع سيئًا، لن يؤدي الاستسلام إلا إلى تفاقم الأمور.

سحب مينهو عدة أوراق من الصندوق، خرائط الأيام القليلة الماضية، وبينما كان يتصفحها، أوضح قائلًا:

- إننا نقارن اليوم باليوم، والأسبوع بالأسبوع، والشهر بالشهر، تمامًا كما أخبرتك. كل عدَّاء مسؤول عن خريطة القسم الخاص به، ولكي أكون صادقًا لم نتوصل إلى أي شيء حتى الآن، ولكي أكون أكثر صدقًا، نحن لا نعرف حتى ما الذي نبحث عنه. الوضع مزرٍ يا صاحبي، مزرٍ بحق.

- ولكن لا يمكننا أن نستسلم.

قالها توماس بنبرة حاسمة كما لو كانت حقيقة لا تقبل الجدال، وقد بدت وكأنها إعادة لتسجيل صوتي لما قاله مينهو منذ قليل. لقد أضاف «نا» الجمع إلى كلامه دون أن يفكر فيها، دون أن يتردد ولو لثانية، فأدرك أنه -حقًا- أصبح من أفراد الجلايد الآن.

- معك حق يا أخي، لا يمكننا أن نستسلم.

أعاد مينهو الأوراق بعناية وأغلق الصندوق، ثم نهض وقال:

- حسنًا، علينا أن نسرع إلى المتاهة لأننا أضعنا بعض الوقت هنا. سوف تتبعني في أيامك القليلة الأولى. مستعد؟

شعر توماس بشد في أعصابه، وتقلصات في معدته، فها قد جاءت اللحظة. أصبح الأمر حقيقة الآن، لا مزيد من الحديث والتفكير في الأمر.

- أممم... أجل.

- لا تقل لي أممم. أأنت مستعد أم لا؟

فنظر توماس إلى عيني مينهو وقال بنبرة حاسمة:

- مستعد.

- إذن، فلنبدأ العَدْو.

الفصل الثالث والثلاثون

ذهبا عبر الباب الغربي إلى القسم الثامن وشقَّا طريقهما عبر العديد من الممرات. كان توماس بجانب مينهو مباشرة وهو ينعطف عدوًا يمينًا ويسارًا دون أن يبدو عليه أنه بحاجة إلى أن يفكر في الطريق، وقد سطع ضوء الصباح الباكر في السماء، مما جعل كل شيء يبدو واضحًا ومشرقًا؛ اللبلاب، والجدران المتصدعة، والكتل الحجرية في الأرض. استمر توماس في محاولة مواكبة مينهو بقدر الإمكان، وقد اضطر إلى زيادة سرعته من حين لآخر من أجل اللحاق به.

وأخيرًا، وصلا إلى فتحة مستطيلة في جدار طويل ناحية الشمال بدا وكأنه مدخل بلا باب. ركض مينهو من خلاله مباشرة دون توقف.

- هذا يقودنا من القسم الثامن... المربع الأيسر الأوسط... إلى القسم الأول... المربع العلوي الأيسر. وكما أخبرتك، هذا الممر لا يتغير مكانه، لكن المسار المؤدي إليه قد يتغير بعض الشيء بسبب الجدران التي تعيد ترتيب أماكنها كل ليلة.

تبعه توماس، وقد فاجأه كيف أصبحت أنفاسه ثقيلة بالفعل، وأخذ يأمل أن يكون توترًا لا أكثر، وأن أنفاسه ستنتظم قريبًا.

استمرا في العدو على طول ممر باتجاه اليمين، مَرَّا بعدة منعطفات باتجاه اليسار. وعند وصولهما إلى نهاية الممر، تباطأ مينهو بعض الشيء ومد يده خلفه لإخراج مفكرة وقلم رصاص من جيب جانِبي في حقيبته. دوَّنَ ملاحظة، ثم أعادها، ولم يتوقف قط في أثناء ذلك. تساءل توماس عمَّا كتبه، لكن مينهو أجاب عليه قبل أن يطرح السؤال.

- إنني أعتمد... في الغالب على الذاكرة.

ثم نفخ الأمين، وقد ظهر أخيرًا على صوته لمحة من الإجهاد، وأردف قائلًا:

- ولكنني مع كل خمسة منعطفات تقريبًا أكتب شيئًا ما ليساعدني في الوصول لاحقًا. غالبًا ما أضع علامة فقط على ما تغير منذ الأمس. ومن

ثم فيمكنني استخدام خريطة الأمس لرسم خريطة اليوم. ليس الأمر معقدًا يا صاحبي.

كان توماس مفتونًا. لقد جعل مينهو الأمر يبدو سهلًا بالفعل. استمرا في العدو لفترة قصيرة قبل أن يصلا إلى تقاطع. كان لديهم ثلاثة خيارات ممكنة، لكن مينهو ذهب إلى اليمين دون تردد. وفي أثناء قيامه بذلك، سحب إحدى سكاكينه من جيبه، وقطع قطعة كبيرة من اللبلاب الموجود على الجدار دون أن يتوقف ولو للحظة ورماها وراءه على الأرض، واستمر في العدو.

سأل توماس قائلًا:

- فتات الخبز؟

تذكَّر تلك الحكاية الخرافية[1] لوهلة. يبدو أن تلك اللمحات الغريبة من ماضيه لن تكف عن مفاجأته.

- أجل، فتات الخبز. أنا هانسل، وأنت جريتيل.

استمرا في العدو، متبعَين مسارات المتاهة. أحيانًا ينعطفان لليمين، وأحيانًا إلى اليسار. وبعد كل منعطف، كان يقوم مينهو بقطع وإسقاط ثلاثة أقدام من اللبلاب. لم يستطع توماس إلا أن ينبهر، فلم يكن مينهو بحاجة حتى ليبطئ لكي يفعل ذلك.

قال الأمين وقد ثقلت أنفاسه الآن:

- حسنًا، دورك.

- ماذا؟

لم يكن توماس يتوقع فعل أي شيء سوى العَدْو والمراقبة في يومه الأول.

- اقطع اللبلاب الآن، يجب أن تعتاد القيام بذلك في أثناء العَدْو. إننا نلتقطهم في طريقنا للعودة، أو نركلهم جانبًا.

كان توماس أسعد مما تصور بأن لديه شيئًا ما ليفعله، على الرغم من أنه استغرق بعض الوقت لكي يتقن فعل ذلك، ففي المرتين الأوليَين، كان عليه أن يعدو بسرعة للحاق بمينهو بعد قطع اللبلاب، وفي مرة أخرى جرح إصبعه، ولكن في محاولته العاشرة، كاد أن يضاهي مينهو في القيام بهذه المهمة.

---

(1) حكاية هانسل وجريتل الخرافية، ففي الحكاية يقطع الطفلان الخبز ويرميانه خلفهما في الطريق لكي يتركا أثرًا يمكنهما اتباعه للعودة إلى المنزل.

استمرًا في طريقهما. وبعد فترة من العدو المتواصل -لم يكن لدى توماس فكرة عن المدة أو المسافة، ولكنه خمَّنَ أنها ثلاثة أميال- تباطأ مينهو حتى أصبح العَدْو سيرًا، ثم توقف تمامًا.

- وقت الاستراحة.

أنزل حقيبته وأخرج منها بعض الماء وتفاحة، ولم يكن توماس بحاجة لأن يتم إخباره بأن يحذو حذو مينهو، ففي ثوانٍ قليلة كان قد بدأ يشرب ماءه بنهم، ويتلذذ بالبرودة الرطبة التي تسري في حلقه الجاف.

صاح مينهو قائلًا:

- على رسلك أيتها السمكة الحمقاء. ادَّخِر بعض الماء لوقت لاحق.

توقف توماس عن الشرب، وأخذ نفسًا عميقًا، ثم تجشأ. أخذ قضمة من التفاحة، وشعر بانتعاش مدهش. ولسبب ما، عادت أفكاره إلى اليوم الذي ذهب فيه مينهو وآلبي إلى معاينة الهامة الميتة، قبل أن تسوء الأمور وتتحول إلى كومة من الرَّطْم.

- إنك لم تخبرني حتى الآن بما حدث لآلبي ذلك اليوم. لماذا كان في تلك الحالة السيئة؟ من الواضح أن الهامة استيقظت، لكن ما الذي حدث؟

كان مينهو قد رفع حقيبة ظهره مرة أخرى بالفعل، وبدا جاهزًا للذهاب.

- حسنًا، لم تكن تلك المخلوقة المقشورة ميتة، وقد داسها آلبي بقدمه كالأحمق، فبدأ جسمها السمين يتحرك أمامه وكأنها قد عادت فجأة إلى الحياة، وأشهرت مخالبها المعدنية، وكان ثمة خطب فيها مع ذلك، فهجومها لم يكن كالمعتاد. لقد بدا الأمر وكأنها كانت تحاول الخروج من هناك تقريبًا، والمسكين آلبي كان في طريقها.

- إذن هي كانت تحاول الهرب منكما يا رفاق؟

مما رآه توماس قبل بضع ليالٍ فقط، لم يكن ليتخيل ذلك.

هزَّ مينهو كتفيه قائلًا:

- نعم، أظن ذلك... ربما كانت بحاجة إلى إعادة الشحن أو شيء من هذا القبيل. لا أعرف.

- ماذا يمكن أن يكون خطبها؟ هل رأيت إصابة أو أي شيء؟

لم يكن توماس يعرف نوع الإجابة التي يبحث عنها، لكنه كان متأكدًا من أنه يجب أن يكون هناك أي دليل أو درس يمكن تعلُّمه مما حدث.

فكر مينهو لدقيقة ثم قال:

- لا. لقد بدت المخلوقة اللعينة وكأنها ميتة تمامًا، كما لو كانت تمثالًا من الشمع. وفجأة، بوووم! عادت إلى الحياة.

كان عقل توماس يترجرج داخل جمجمته لمحاولة استنتاج شيء ما، لكنه لم يكن يعرف من أي اتجاه عليه أن يفكر.

- أتساءل فقط إلى أين ذهبت؟ أين يذهبن دائمًا؟ ألم تسأل نفسك هذا السؤال؟

ثم سكت لثانية وأردف:

- ثم... ألم تفكر يومًا في اتباعهن؟

- آه يا رجل، ألاحظ أن لديك رغبة في الموت، أليس كذلك؟ هيًا بنا، علينا أن نذهب.

وبهذا استدار مينهو وبدأ يعدو. وبينما كان توماس يتبعه، أخذ يفكر في ذلك الشيء الذي يختلج في عقله. شيء ما يتعلق بظهور تلك الهامة وكأنها ميتة ومن ثم تعود فجأة للحياة، شيء عن المكان الذي ذهبت إليه فور أن نبضت فيها الحياة...

وفي يأس، دفع تلك الأفكار جانبًا وأسرع في العدو للحاق بمينهو.

***

استمر توماس في العدو خلف مينهو لساعتين إضافيتين، تخللتهما بعض فترات الراحة التي بدت وكأنها تصبح أقصر في كل مرة. وبعيدًا عن لياقته البدنية، توماس كان يتألم بحق.

وأخيرًا، توقف مينهو واقتلع حقيبته مرة أخرى. جلسا على الأرض متكئَين على اللبلاب الناعم في أثناء تناولهما للغداء، لم يتحدث أيٌّ منهما كثيرًا. تلذذ توماس بكل قضمة من شطيرته وخضراواته، حاول أن يأكل بأبطأ ما يمكنه، فقد كان يعلم أن مينهو سيجعلهما ينهضان ويتابعان العدو بمجرد الانتهاء من الطعام، لذلك أخذ وقته.

سأل توماس بفضول:

- هل ثمة أي شيء مختلف اليوم؟

مد مينهو يده لأسفل وربت على حقيبته، حيث يضع مفكرته، وأجابه قائلًا:

- فقط تحركات الجدران المعتادة. ليس ثمة شيء ليجعل مؤخرتك النحيفة متحمسة.

شرب توماس جرعة كبيرة من الماء، ونظر إلى أعلى الجدار المغطى باللبلاب المقابل لهما. لاحظ وميضًا فضيًّا وأحمر، وهو شيء قد رآه أكثر من مرة في ذلك اليوم.

سأل توماس قائلًا:

- ما هي قصة تلك الخنفساء؟

لقد بدا وكأنها تظهر في كل مكان، ثم تذكر توماس ما رآه في المتاهة... لقد حدث الكثير من الأشياء لدرجة أنه لم تُتَح له الفرصة لذكر ذلك.

- ولماذا كُتِبَت كلمة وِكِد على ظهورهن؟

- لم أتمكن قط من الإمساك بواحدة منهن.

أنهى مينهو وجبته ووضع علبة الغداء بعيدًا.

- ونحن لا نعرف ما تعنيه هذه الكلمة، ربما مجرد شيء لإخافتنا. ولكن لا بد أنهن جواسيس، جواسيس لهم.

سأل توماس وقد بدا جاهزًا لسماع المزيد من الإجابات، فقد كان يكره هؤلاء الناس الموجودين خارج المتاهة:

- ومن هم؟ هل لدى أي شخص فكرة؟

- لا نعرف شيئًا عن المؤسِّسين الأوغاد.

احمر وجه مينهو وهو يعتصر يديه معًا كما لو كان يخنق شخصًا ما.

- لا أطيق الانتظار حتى أمزِّق...

ولكن قبل أن ينهي الأمين جملته، كان توماس قد هبَّ واقفًا وعبرَ الممر.

- ما هذا؟

قاطعه بسؤاله وهو يتجه إلى وميض رمادي باهت قد لاحظه للتو خلف اللبلاب على الجدار، عاليًا بالقرب من القمة.

قال مينهو بنبرة غير مبالية على الإطلاق:

- أوه، أجل، هذا...

وصل توماس إلى الجدار وقام بإبعاد ستائر فروع اللبلاب، ثم حدَّق بهدوء إلى مربع من المعدن مثبت على الحجر منقوش عليه كلمات بأحرف كبيرة. مد يده ليمرر أصابعه عليها، وكأنه لا يصدق عينيه.

منظمة الكوارث العالمية، قسم تجارب المَقتَل.

قرأ الكلمات بصوت عالٍ، ثم نظر إلى مينهو وسأل قائلًا:

- ما هذا؟

لقد أصابته قشعريرة! لا بد أن لها علاقة بالمؤسِّسين.

- لا أعرف أيها العرقوب. هذه الكلمات منتشرة في كل مكان، وكأنها شعار أو علامات تجارية لعينة للمتاهة الحلوة الجميلة التي بنوها.

عاد توماس إلى الوراء ليحدق إلى اللافتة، محاولًا قمع شعوره بالهلاك الوشيك الذي أخذ يتصاعد بداخله.

- لا يبدو أن المكتوب هنا ينذر بالخير. كوارث. مَقتل. تجارب. هذا لطيف حقًا.

- أجل، لطيف حقًّا أيها العود الأخضر، فلنذهب.

وعلى مضض، ترك توماس فروع اللبلاب تعود إلى مكانها، وحمل حقيبته على كتفيه وانطلقا، وقد تركت تلك الكلمات الست ثقوبًا حارقة في دماغه.

***

وبعد ساعة من الغداء، توقف مينهو في نهاية ممر طويل، مستقيم والجدران فيه مصمتة، وبلا أي ممرات فرعية.

قال لتوماس:

- آخر الطريق مسدود، حان وقت العودة.

أخذ توماس نفسًا عميقًا، محاولًا ألا يفكر في أنه ما زال لديهما طريق العودة بأكمله.

- لا شيء جديد؟

- فقط التغييرات المعتادة للطرق التي وصلنا بها إلى هنا، لقد انتهينا من نصف المهمة، والآن يجب علينا أن نعود.

أجابه مينهو وهو ينظر إلى ساعته دون أن يبدو عليه أي عاطفة. ودون انتظار أي رد، استدار الأمين وانطلق في الاتجاه الذي قد أتيا منه لتوهما.

تبعه توماس، وكان محبَطًا لأنهما لم يتمكنا من قضاء بعض الوقت في تفحص الجدران والاستكشاف قليلًا. وأخيرًا، أسرع ليصبح على نفس وتيرة مينهو في العَدْو وقال:

- ولكن...

- أغلق فمك فحسب يا صاحبي. تذكر ما قلته سابقًا... لا يمكننا أن نجازف بأي شكل من الأشكال. وأيضًا، فكر في الأمر. هل تعتقد حقًّا أنه ثمة مخرج في أي مكان؟ أهو باب سحري سري أم ماذا؟

- لا أعرف... من الممكن أن يكون كذلك. لماذا تسأل بمثل هذه النبرة؟

هز مينهو رأسه، وبصق كمية كبيرة من شيء مقرف على يساره.

- لا يوجد مخرج. في كل مرة نجد نفس الأشياء. الجدار ما هو إلا جدار، مصمت تمامًا.

شعر توماس بمدى ثقل هذه الحقيقة، لكنه أزاحها من ذهنه على أي حال.

- وكيف لك أن تعرف؟

- لأن الأشخاص الراغبين في تعذيبنا بإرسال الهوام للقضاء علينا لن يقدموا لنا مخرجًا سهلًا.

جعل هذا توماس يشك في الهدف وراء ما يفعلانه في الأساس.

- إذن لماذا نكلف أنفسنا عناء الخروج إلى المتاهة من الأساس؟

فنظر إليه مينهو وأجابه قائلًا:

- لماذا نكلف أنفسنا العناء؟ لأنها موجودة... ولا بد أنها موجودة لسبب. ولكن إذا كنتَ تعتقد أننا سنجد بوابة صغيرة لطيفة تقودنا إلى المدينة السعيدة، فأنت لست إلا رطم بقرة متعفن.

نظر توماس إلى الأمام، وشعر باليأس لدرجة أنه كاد يتباطأ حتى يتوقف.

- هذا مقرف.

- هذا أذكى شيء قلته حتى الآن أيها العود الأخضر.

ثم زَفَرَ مينهو نفخة كبيرة من الهواء واستمر في العَدْو، وفعل توماس الشيء الوحيد الذي كان يستطيع فعله؛ تَبِعه.

***

كان ما تبقى من اليوم قد بدا ضبابيًا ومشوشًا بالنسبة إلى توماس بسبب شدة إرهاقه. عاد هو ومينهو إلى الجلايد، ودخلا إلى غرفة الخرائط، وسجَّلا مسارهما داخل المتاهة لليوم، وقارناه بمسار اليوم السابق. ثم أغلِقَت الجدران وذهبا لتناول العشاء. حاول تشاك التحدث إليه عدة مرات، ولكن كل ما استطاع توماس فعله هو إما أن يومئ برأسه بالموافقة على كلامه أو أن يهز رأسه بالرفض. بدا وكأنه كان يستمع بنصف أذن فحسب، فقد كان متعبًا جدًّا.

وقبل أن تظلم السماء تمامًا، كان بالفعل في مكانه المفضل الجديد في زاوية الغابة، متكومًا أمام اللبلاب، يتساءل كيف سيتمكن من فعل الشيء نفسه في الغد، وبخاصة أن الأمر قد بدا عديم الجدوى. فكرة كونه عدَّاءً قد فقدت بريقها، بعد يوم واحد فقط. كل ذرة من الشجاعة النبيلة التي شعر بها، والإرادة لإحداث فرق، والوعد الذي قطعه على نفسه أن يلم شمل تشاك مع عائلته، هباءً... تلاشى كل ذلك في ضباب التعب والبؤس واليأس.

كان على وشك الغرق في النوم عندما سمع صوتًا يتحدث داخل رأسه، صوتًا أنثويًا عذبًا، بدا وكأنه صوت إلهة خرافية عالقة في جمجمته. في صباح اليوم التالي، عندما بدأت الأمور تصبح جنونية وتخرج عن السيطرة، تساءل عما إذا كان ذلك الصوت حقيقيًا أم أنه جزء من حلم ليس إلا. لكنه تذكر ما سمعه بالضبط... تذكر كل كلمة منه:

«توم، *لقد حفزت النهاية للتو*».

الفصل الرابع والثلاثون

استيقظ توماس على ضوء خافت وكئيب. كان أول ما بدر إلى ذهنه أنه قد استيقظ في وقت أبكر من المعتاد، وأنه ما زال نحو ساعة على طلوع الفجر. ولكنه بعد ذلك سمع صيحات، ثم نظر إلى الأعلى، ومن خلال مظلة فروع اللبلاب المليئة بالأوراق رأى السماء تبدو وكأنها بلاطة من اللون الرمادي الكئيب، وليس ضوء الصباح الطبيعي الخافت.

هبَّ واقفًا على قدميه، واستند بيده إلى الجدار لتثبيت نفسه وهو يرفع رقبته ليحدق إلى السماء. لم يرَ زرقة ولا سوادًا ولا نجومًا، ولا حتى اللون الأرجواني للغروب. كانت السماء -بكل شبر منها- رمادي أردوازي، شاحبة تمامًا وكأنها ميتة.

نظر إلى أسفل في ساعته، لقد مرَّت ساعة كاملة على وقت الاستيقاظ الإلزامي. كان يجب أن يوقظه طلوع الشمس، فقد كان ضوء الشمس كفيلًا بإيقاظه منذ وصوله إلى الجلايد، ولكن ليس اليوم.

نظر إلى الأعلى مرة أخرى، وكأنه يتوقع أن يرى السماء قد عادت إلى طبيعتها، لكنها كانت رمادية بالكامل. لم يرَ غيومًا، ولا غروبًا، ولا الدقائق الأولى من الفجر... لون رمادي فحسب.

لقد اختفت الشمس.

***

وجد توماس معظم أفراد الجلايد يقفون بالقرب من الصندوق، يشيرون إلى السماء الميتة، جميعهم يتحدثون في آنٍ واحد. استنادًا إلى الوقت، يجب أن يكون الإفطار قد تم تقديمه بالفعل، كان يجب على هؤلاء الناس أن يكونوا في أعمالهم بحلول هذا الوقت، ولكن كان ثمة شيء ما يتعلق باختفاء أكبر جسم في النظام الشمسي، مما أدى إلى عرقلة الجداول الزمنية العادية.

في الحقيقة، بينما كان توماس يشاهد هذه الفوضى في صمت، لم يكن يشعر بالذعر أو الخوف كما كان يجب أن يكون في خضم موقف كهذا، وقد

فاجأه أن الكثير من الآخرين بدوا كالكتاكيت التائهة التي تم إلقاؤها خارج الحظيرة. كان الأمر، في الواقع، مثيرًا للسخرية.

من المؤكد أن الشمس لم تختفِ؛ لم يكن ذلك ممكنًا.

على الرغم من أن هذا ما يبدو حاصلًا، فلم يكن هناك أي أثر لكرة من النيران المتوهجة في السماء، ولم يكن هناك ولو لمحة لضوء الصباح. ولكنه وجميع أفراد الجلايد الآخرين يجب أن يكونوا أكثر عقلانية وذكاء من أن يستنتجوا شيئًا كهذا. لا، يجب أن يكون هناك تفسير مقبول علميًّا لما كانوا يشهَدونه، ومهما كان هذا التفسير، فهو يعني لتوماس شيئًا واحدًا: أن حقيقة أنهم لم يعودوا قادرين على رؤية الشمس ربما تعني أنهم لم يكونوا قادرين على رؤيتها من البداية في الأساس. لا يمكن للشمس أن تختفي هكذا فحسب، لا بد أن سماءهم كانت -وما تزال- مفبركة، صناعية.

بعبارة أخرى، الشمس التي كانت تشرق على هؤلاء الناس لمدة عامين، والتي تمدهم بالحرارة والحياة لكل شيء، لم تكن الشمس على الإطلاق. بطريقة ما، كانت مزيفة. كل شيء يتعلق بهذا المكان كان مزيفًا.

لم يكن توماس يعرف ما يعنيه ذلك، ولا كيف لهذا أن يكون ممكنًا، ولكنه كان يعرف أن هذا صحيح، فقد كان هذا هو التفسير المنطقي الوحيد الذي يمكن لعقله أن يتقبله. وكان واضحًا من ردود أفعال أفراد الجلايد الآخرين أنه لا أحد منهم قد اكتشف ذلك حتى الآن.

وجده تشاك، وقد سببت نظرة الخوف على وجهه نغزة في قلب توماس.

قال تشاك بصوت مرتعش ومثير للشفقة، وعيناه تحدقان إلى السماء بشدة لدرجة أن توماس اعتقد أنه لا بد لرقبته أنها كانت تؤلمه ألمًا فظيعًا:

- ما الذي تظن أنه حدث؟ تبدو وكأنها سقف رمادي كبير... قريب بما يكفي لتظن أنك تستطيع لمسه.

نظر توماس إلى أعلى هو الآخر وقال:

- نعم، تجعلك تتساءل بشأن هذا المكان.

وللمرة الثانية خلال أربع وعشرين ساعة، قد أجاد تشاك الوصف. بدت السماء وكأنها سقف، مثل سقف غرفة ضخمة.

- ربما ثمة شيء ما معطَّل. أعني، ربما ستعود.

توقف تشاك أخيرًا عن التحديق بذهول إلى السماء ونظر إلى عيني توماس قائلًا:

- معطل؟ ما الذي من المفترض أن يعنيه هذا؟

وقبل أن يتمكن توماس من الإجابة، أتته ذكرى طفيفة لليلة أمس، قبل أن يغرق في النوم. كلمات تيريسا التي يسمعها داخل عقله. قالت: *لقد حفزت النهاية للتو*. لا يمكن أن تكون مصادفة، أليس كذلك؟ شعر بمعدته تؤلمه. مهما كان التفسير، ومهما كان ما حدث للسماء، وسواء كانت الشمس حقيقية أم لا، فقد اختفت، ولا يمكن لهذا أن يكون شيئًا جيدًا.

قال تشاك وهو يربت برفق على ذراعه:

- توماس؟

- نعم؟

شعر توماس بأن عقله كان مشوَّشًا.

كرر تشاك سؤاله قائلًا:

- ماذا تقصد بقولك معطل؟

شعر توماس أنه بحاجة إلى وقت للتفكير في كل شيء.

- أوه. لا أعرف. لا بد أن هنالك أشياء متعلقة بهذا المكان من الواضح أننا لا نفهمها. لكن لا يمكنك أن تجعل الشمس تختفي فجأة من الفضاء. زائد، أنه ما يزال هنالك ما يكفي من الضوء لنستطيع الرؤية، حتى ولو كان خافتًا. فأين مصدره؟

اتسعت عينا تشاك كما لو أن أحلك وأعمق أسرار الكون قد كُشِفَ أمامه للتو.

- أجل، من أين مصدره؟ ما الذي يحدث يا توماس؟

مدَّ توماس يده وضغط على كتف الفتى الصغير، وقد شعر بالإحراج.

- لا فكرة لدي يا تشاك. لا فكرة على الإطلاق. لكنني متأكد من أن نيوت وآلبي سيكتشفان الأمر.

وفجأة، جاء مينهو راكضًا إليهما وقال:

- توماس! اترك مسامرتك مع تشاكي ودعنا نبدأ؛ لقد تأخرنا بالفعل.

ذُهِلَ توماس، فلسبب ما، كان يتوقع أن تلك السماء الغريبة كانت ستلقي بكل الخطط العادية من خارج النافذة.

سأله تشاك وقد بدا مدهوشًا هو الآخر:

- هل ما زلتما ستذهبان للخارج؟

كان توماس سعيدًا بأن الفتى الصغير قد سأله هذا السؤال.

قال مينهو:

- بالطبع سنخرج أيها العرقوب. أليس لديك أعمال لتقوم بها أنت الآخر؟

ثم حوَّل نظره من تشاك إلى توماس وأردف:

- إذا كان ثمة أي شيء غريب يحدث، فهذا سبب أدعى لكي نخرج إلى المتاهة، فلو أن الشمس قد اختفت حقًا، فلن يمر وقت طويل قبل أن تموت النباتات والحيوانات أيضًا. أعتقد أن مستوى اليأس قد ارتفع قليلًا.

صُدِمَ توماس بشدة لسماع تلك الجملة الأخيرة، فعلى الرغم من كل الأفكار التي طرحها على مينهو، لم يكن حريصًا على تغيير الطريقة التي كانت تُنجَز بها الأمور على مدار العامين الماضيين. اجتاحه مزيج من الإثارة والرهبة عندما أدرك ما قاله مينهو.

- تقصد أننا سنقضي الليل هناك؟ وأننا سنستكشف الجدران من كثب؟

فهز مينهو رأسه وقال:

- لا، ليس بعد، ولكن ربما قريبًا.

ثم نظر إلى الأعلى نحو السماء وأردف:

- يا إلهي! يا له من منظر نستيقظ عليه! هيا بنا، فلنذهب.

ظلَّ توماس هادئًا بينما كان هو ومينهو يجهزان أغراضهما ويتناولان فطورهما بسرعة البرق. كانت الكثير من الأفكار تدور في رأسه بشأن السماء الرمادية وما قالته تيريسا -أو هذا ما كان يعتقده على الأقل؛ أن الفتاة هي من كانت تحدِّثه داخل رأسه- وشيء ما في عقله أخبره بأن يبدأ بمشاركة تلك الأفكار التي تدور في ذهنه مع من حوله. ما الذي كانت تقصده بالنهاية؟ لم يستطع توماس التخلص من الشعور بأنه يجب عليه إخبار شخص ما، بأن عليه إخبار الجميع.

ولكنه لم يكن يعرف ما يعنيه ذلك، ولم يكن يريدهم أن يعرفوا أنه ثمة صوت فتاة يحدثه داخل رأسه؛ لقد كانوا مسبقًا يعتقدون أنه مجنون، وربما سيتأكدون من ذلك الآن. وبعد كثير من المداولات، قرر أن يغلق فمه، وأن يذهب للعَدْو مع مينهو في يومه الثاني من التدريب، تحت سماء قاتمة عديمة اللون.

***

لقد رأيا الهامة قبل أن يصلا حتى إلى الباب المؤدي من القسم الثامن إلى القسم الأول. كان مينهو يسبق توماس ببضعة أقدام. كان قد انعطف حول منعطف ما إلى اليمين عندما توقف فجأة، وكادت قدماه أن تنزلقا من تحته. اندفع إلى الخلف وأمسك بتوماس من قميصه، ودفعه نحو الحائط.

همس مينهو قائلًا:

- صه، هنالك هامة لعينة هناك.

اتسعت عينا توماس في ذهول، وشعر بنبضات قلبه تتسارع، على الرغم من أن نبضاته كانت بالفعل سريعة وقوية. أومأ مينهو بهدوء، ثم وضع إصبعه على شفتيه. ترك قميص توماس وتراجع خطوة إلى الوراء، ثم تسلل إلى الزاوية التي رأى عندها الهامة، وببطء شديد، انحنى إلى الأمام لإلقاء نظرة خاطفة. أراد توماس أن يصرخ في وجهه ليأخذ حذره. ارتد مينهو للخلف واستدار لمواجهة توماس. وقال هامسًا:

- إنها جالسة هناك فحسب، تقريبًا مثل تلك الميتة التي رأيناها.

سأل توماس محاولًا أن يكون هادئًا بقدر الإمكان وأن يتجاهل حالة الذعر التي اشتعلت بداخله:

- ماذا سنفعل؟ هل هي قادمة نحونا؟

- لا أيها الأبله، لقد أخبرتك للتو بأنها جالسة هناك.

رفع توماس يديه في إحباط قائلًا:

- إذن؟ ماذا علينا أن نفعل؟

فقد بدا الوقوف بهذا القرب من هامة فكرة سيئة بحق.

سكت مينهو لبضع ثوانٍ، ليفكر قبل أن يتحدث:

- علينا أن نذهب من هذا الطريق لكي نصل إلى قسمنا. دعنا فقط نراقبها لبعض الوقت. إذا جاءت وراءنا، فسنعدو عائدين إلى الجلايد.

أخذ نظرة خاطفة أخرى، ثم التفت بسرعة وقال:

- تبًا... لقد ذهبت! هيا بنا!

لم ينتظر مينهو ردًا، ولم يرَ نظرة الرعب التي ارتسمت على وجه توماس للتو وجعلت عيناه تتسعان. انطلق مينهو يعدو في الاتجاه الذي رأى فيه الهامة، وعلى الرغم من أن غرائزه أخبرته بألا يفعل ذلك، تبعه توماس.

انطلق بسرعة عبر الممر الطويل يلحق بمينهو، انعطفا لليسار، ثم لليمين. ومع كل منعطف، كانا يتباطآن حتى يتمكن الأمين من النظر حول الزاوية وتفقد المكان أولًا. وفي كل مرة كان يهمس مجددًا لتوماس قائلًا إنه رأى نهاية ذيل هامة يختفي عند المنعطف التالي. استمر هذا لعشر دقائق، حتى وصلا إلى الرواق الطويل الذي كانت نهايته الجرف، والذي لا يكمن وراءه سوى تلك السماء الخالية من الحياة. كانت معظم الهوام تتجه نحو هذه السماء.

وقف مينهو فجأة حتى إن توماس كاد يصطدم به، ثم أخذ توماس يحدق في حالة من الصدمة وهو يرى الهامة تحرك مخالبها المعدنية وتتقدم أمامهما مسرعة مباشرة نحو حافة الجرف، ثم انطلقت إلى الهاوية الرمادية، واختفت المخلوقة عن الأنظار، وكأنما الظلال قد ابتلعت ظلًا.

الفصل الخامس والثلاثون

قال مينهو:

- هذا يحسم الأمر.

وقف توماس بجانبه على حافة الجرف، محدقًا إلى العدم الرمادي الموجود وراءه. لم يكن هناك أثر لأي شيء، لا على اليسار، أو اليمين، أو الأسفل، أو الأعلى، أو الأمام، بقدر ما يمكنه أن يرى، لم يكن هناك شيء سوى جدار من الفراغ.

سأل توماس قائلًا:

- يحسم ماذا؟

- لقد رأينا هذا يحدث ثلاث مرات حتى الآن. ثمة شيء ما يحدث.

- أجل.

عرف توماس ما كان يقصده، لكنه انتظر تفسير مينهو على أي حال.

- تلك الهامة الميتة التي وجدتُها... ركضت من هذا الاتجاه، ولم نرها مرة أخرى. ومن ثم بعض الهوام اللعينة التي استطعنا خداعهن لكي يقفزن أمامنا.

قال توماس:

- خداعهن؟ ربما لم يكن الأمر كذلك.

فنظر إليه مينهو متأملًا، ثم قال:

- إمممم. أيًا كان، واليوم هذه الهامة.

ثم أشار إلى الهاوية وأردف:

- لم يعد هناك مزيد من الشك حول هذا... بطريقة ما، يمكن للهوام ترك المتاهة بهذه الطريقة. يبدو الأمر وكأنه سحر، وكذلك الشمس التي اختفت.

أضاف توماس متابعًا خط تفكير مينهو:

- وإذا كان بإمكانهم المغادرة على هذا النحو، فهذا يعني أننا يمكننا فعل الشيء نفسه أيضًا.

انتابته قشعريرة من الإثارة.

ضحك مينهو قائلًا:

- ها هي أمنية الموت الخاصة بك مجددًا. أتريد التسكع مع الهوام؟ يمكنكم تناول الشطائر معًا، إذا أردت.

شعر توماس بآماله تتحطم.

- هل لديك أفكار أفضل؟

- واحدة واحدة أيها العود الأخضر. دعنا نحضر بعض الحجارة ونختبر هذا المكان. لا بد أن يكون هناك مخرج خفيٌّ ما.

ساعد توماس مينهو في التقاط أكبر عدد ممكن الصخور من زوايا وشقوق المتاهة، وقد استطاعا الحصول على المزيد من خلال التنقيب بأصابعهما في شقوق الجدران، وسَكْب كل الكتل المُكَسَّرة على الأرض. وعندما أصبح لديهما كومة كبيرة، قاما بسحبها بجوار الحافة مباشرة وجلسا، وكانت أقدامهما تتدلى من الحافة. نظر توماس إلى الأسفل ولم يرَ شيئًا سوى منحدر رمادي.

أخرج مينهو دفترًا وقلمًا ووضعهما على الأرض بجانبه وقال:

- حسنًا، علينا تدوين الملاحظات حول كل ما سيحدث، ولكن هذا لا يمنع من أن تحفظها في رأسك المقشور هذا أيضًا. لو كان هناك نوع من الوهم البصري يخفي مخرجًا من هذا المكان، فلا أود أن أكون الشخص الذي سيشعر بالذنب مع أول عرقوب يحاول أن يقفز إليه.

قال توماس مازحًا:

- يجب أن يكون ذلك العرقوب هو أمين العدَّائين. ومن الأفضل لك أن تكون متشبثًا جيدًا بحبل متين في أثناء قيامك بهذا.

كان توماس يمزح لمحاولة إخفاء خوفه، فكونه قريبًا جدًّا من مكان قد تظهر فيه الهوام في أي لحظة جعله متوترًا.

التقط مينهو صخرة من الكومة وقال:

- حسنًا، دعنا نتناوب رمي الصخور هناك في اتجاهات مختلفة بشكل متعرج هكذا. لو كان هناك مَخرج سحري، فآمل أن يُفتَح مع رمي الصخور أيضًا... وأن يجعلها تختفي مثل الهوام.

أخذ توماس حجرًا ورماه بحذر على يسارهما، أمام البقعة التي التقى فيها الجدار الأيسر للممر المؤدي إلى الجرف بالحافة مباشرة. سقطت قطعة الحجر الخشنة، أخذت تسقط وتسقط حتى اختفت في الفراغ الرمادي.

جاء دور مينهو بعد ذلك. ألقى بصخرته على بعد قدم واحدة أبعد مما رمى توماس، وهوَت إلى الأسفل أيضًا. ثم ألقى توماس بواحدة أخرى، على بعد قدم أبعد من الرمية السابقة، ثم مينهو. في كل مرة كانت الصخور تهوي إلى الأسفل. استمر توماس في اتباع أوامر مينهو، واستمرا في رمي الحجارة والصخور حتى وصلا إلى خط يبعد نحو عشرة أقدام على الأقل عن حافة الجرف، ومن ثم حركا نقطة الرماية قدمًا إلى اليمين وبدآ في العودة بضع خطوات إلى داخل المتاهة قبل الرمي.

كل الحجارة سقطت. مرة يرميان بالحجر بعيدًا، ومرة يرميان به بالقرب من الحافة. وكل الصخور كانت تسقط. ألقوا صخورًا في أماكن مختلفة تغطي النصف الأيسر بأكمله من المساحة الموجودة أمامهما، محاولين تغطية المسافة التي يمكن لأي شخص -أو أي شيء- القفز فيها. ازداد إحباط توماس مع كل رمية، حتى بدأ يقتنع أن ما يفعلانه هو مجرد هراء ليس إلا.

لم يستطع إلا أن يلوم نفسه على تلك الفكرة الغبية.

ثم اختفت صخرة مينهو التالية.

كان هذا أغرب شيء رآه توماس على الإطلاق وأصعب ما يمكنه تصديقه.

كان مينهو قد رمى بقطعة كبيرة من الصخر، قطعة قد سقطت من أحد شقوق الجدار. كان توماس يراقب سقوط الصخور بتركيز شديد، وهذه الصخرة قد تركت يد مينهو وأخذت تبحر إلى الأمام، تقريبًا حتى مركز المسافة بالضبط الموجودة أمام حافة الجرف، وبدأت تهبط إلى الأرض غير المرئية بالأسفل البعيد. ومن ثم اختفت، كما لو أنها قد سقطت عبر مسطح مائي أو داخل سحابة.

شاهداها تسقط للحظة واحدة فقط، وفي اللحظة التالية اختفت.

عجز توماس عن الكلام.

قال مينهو:

– لقد ألقينا أشياء من الجرف من قبل. كيف أننا لم نرَ هذا يحصل مسبقًا؟ لم أرَ قط أي شيء يختفي. قط!

سعل توماس، كان حلقه ملتهبًا.

- افعل ذلك مرة أخرى، لربما لم نستطع الرؤية جيدًا، أو أن أعيننا قد رمشت أو شيء من هذا القبيل.

فعل مينهو ذلك، ورمى صخرة أخرى من نفس المكان، ومرة أخرى، اختفت من الوجود في لمح البصر.

قال توماس:

- ربما لم تكونوا تنظرون بعناية في الأوقات الأخرى التي رميتم فيها أشياء من هنا في السابق. أعني، أحيانًا لا تدرك أعيننا حدوث الأشياء التي لا نصدق أنها قد تحدث.

ثم ألقوا بقية الصخور، مستهدِفين البقعة الأصلية وكل شبر حولها. ولدهشة توماس، تبين أن البقعة التي قد اختفت فيها الصخور كانت على بُعد بضعة أقدام مربعة فقط.

قال مينهو بغضب وهو يدون الملاحظات والأبعاد في محاولة عمل رسم تخطيطي:

- لا عجب في أننا لم ننتبه إلى ذلك، إنها بقعة صغيرة نوعًا ما.

- بالكاد يمكنها أن تَسَع الهوام.

أبقى توماس عينيه مثبتتين على المربع العائم غير المرئي في محاولة لحفر مكانه ومسافته في ذهنه، لكي يتذكر مكانه بالضبط.

- وعندما تخرج، وفي طريقها إلى العودة، عليها أن تتوازن على حافة الحفرة وأن تقفز عابرة تلك المساحة الفارغة حتى تصل إلى حافة الجرف. ليست بالمسافة البعيدة. إذا كان بإمكاني أن أقفزها، فمن المؤكد أنه أمر سهل عليها.

أنهى مينهو الرسم، ثم نظر إلى تلك البقعة الخاصة وتساءل قائلًا:

- كيف لهذا أن يكون ممكنًا يا صاح؟ ما هذا الذي ننظر إليه؟

- مثلما قلت، إنه ليس سحرًا. لا بد أن الأمر كما لو أن سماءنا قد تحولت إلى اللون الرمادي. نوع من الخداع البصري أو الهولوجرام يخفي بوابة. يبدو أن هذا المكان بأكمله معلّق على ارتفاع كبير.

واعترف توماس في قرارة نفسه أن الأمر مذهل. وكان عقله يتوق لمعرفة نوع التقنية التي تكمن وراء كل ذلك.

نهض مينهو وقال بتأفف وهو يضع حقيبته على ظهره:

- نعم، يبدو أنه معلّق بالفعل. هيا بنا. من الأفضل أن نحصل على أكبر قدر يمكننا الحصول عليه من العدو داخل المتاهة، فمع سمائنا ذات الحُلة الجديدة تلك، ربما قد يكون قد طرأ جديد هناك أيضًا. سنخبر نيوت وآلبي عما حدث هذه الليلة. لا أعرف كيف لهذا أن يساعد، ولكننا بتنا نعرف الآن على الأقل إلى أين تذهب الهوام المقشورة.

قال توماس وهو يلقي نظرة أخيرة على البوابة الخفية:

- وربما من أين يأتون أيضًا، حفرة الهوام.

- أجل، اسم جيد بالفعل. لنذهب.

جلس توماس وأخذ يحدِّق، في انتظار أن يبدأ مينهو بالتحرك. مرت عدة دقائق في صمت، فأدرك توماس أنه لا بد أن يكون صديقه مفتونًا مثله. وأخيرًا، ودون أن ينبس ببنت شفة، استدار مينهو ليغادر، وما لبث أن تبعه توماس على مضض وانطلقا داخل المتاهة التي غيمت عليها الظلال الداكنة.

***

لم يجد توماس ومينهو شيئًا سوى الجدران الحجرية واللبلاب.

قام توماس بمهمة قطع اللبلاب وبتدوين كل الملاحظات. كان يجد صعوبة في ملاحظة أي تغييرات عن اليوم السابق، لكن مينهو كان يشير إليه دون أي تفكير عند الأماكن التي تحركت فيها الجدران. وعندما وصلا إلى الطريق المسدود النهائي وحان وقت العودة إلى الجلايد، كادت تسيطر على توماس رغبة في البقاء هناك طوال الليل، ليرى ماذا سيحدث.

ولكن بدا أن مينهو قد شعر بها فأمسك بكتفه وقال:

- ليس الليلة يا صاح. ليس الليلة.

وبهذا قد عادا.

سيطرت حالة من الكآبة على الجلايد، وهو شيء من السهل حدوثه عندما يمسي كل شيء رماديًّا. لم يختلف الضوء الخافت ولو قليلًا منذ أن استيقظوا في ذلك الصباح، وتساءل توماس عما إذا كان أي شيء سيتغير بحلول وقت «غروب الشمس» أم لا.

توجه مينهو مباشرة إلى غرفة الخرائط بعدما دخلا من الباب الغربي. تفاجأ توماس، فقد كان يعتقد أن هذا كان آخر شيء عليهما فعله.

- أما كنتَ تموت لتخبر نيوت وآلبي عن حفرة الهوام؟

- أها، ولكننا ما زلنا عدَّائين، وما زال لدينا عمل علينا القيام به.

تبعه توماس إلى الباب الفولاذي للمبنى الأشبه بالكتلة الخرسانية الكبيرة، والتفت إليه مينهو ليبتسم له ابتسامة فاترة، ثم قال:

- ولكن أجل، سننجز عملنا سريعًا حتى نتمكن من التحدث إليهم.

كان هناك بالفعل عداؤون آخرون قد تجمعوا في الغرفة بالفعل وبدؤوا في العمل على خرائطهم. لم ينطق أحد بكلمة واحدة، وكأن كل التخمينات والنظريات حول السماء الجديدة قد نفدت. جعل اليأس الذي كان يخيم على الغرفة توماس يشعر كما لو أنه يسير في مستنقع طيني، يعلم أنه لا بد وأن تكون طاقته قد نفدت هي الأخرى من شدة الإرهاق، ولكنه كان متحمسًا جدًّا لمعرفة ردود أفعال نيوت وآلبي على الأخبار الجديدة عن الجرف.

جلس إلى الطاولة ورسم خريطة اليوم بناءً على ذاكرته وملاحظاته، وظل مينهو يطل من فوق كتفه طوال الوقت لإعطائه التعليمات. «أعتقد أن الممر ينتهي هنا، وليس هناك»، و«انتبه إلى اتجاهاتك»، و«اجعل رسمك أكثر استقامة أيها العرقوب». كان مزعجًا ولكن مفيدًا، وبعد خمس عشرة دقيقة من دخوله الغرفة، تفحص توماس منتجه النهائي وقد غمره الفخر، فقد كانت على نفس مستوى جودة باقي الخرائط التي قد رآها.

قال مينهو:

- ليس سيئًا بالنسبة إلى عود أخضر على أي حال.

ثم نهض مينهو وسار إلى صندوق القسم الأول وفتحه، وركع توماس أمامه وأخذ خريطة اليوم السابق ورفعها جنبًا إلى جنب مع الخريطة التي قد رسمها للتو.

سأل قائلًا:

- ما الذي من المفترض أن أبحث عنه؟

- الأنماط. ولكن مقارنة خريطة يومين لن يفيدك بشيء. إنك تحتاج بالفعل إلى الدراسة لعدة أسابيع لكي تعرف عن الأنماط. لا أعرف، أعتقد أن ثمة شيئًا ما هنا، شيئًا سيساعدنا، فقط لا يمكنني العثور عليه بعد.

كانت التساؤلات تحوم داخل رأسه، نفس التساؤلات التي كانت لديه في أول مرة دخل فيها هذه الغرفة حول حركات جدران المتاهة، والأنماط، وتلك الخطوط المستقيمة التي يضعها مينهو على الخرائط. أهذا نوع جديد من

الخرائط؟ هل تشير إلى شيء ما؟ كان ينتابه شعور قوي بأن ثمة إشارة أو دليلًا واضحًا هو لا يدركه.

ربت مينهو على كتفه قائلًا:

- يمكنك العودة للدراسة بعد العشاء، بعد أن نتحدث إلى نيوت وآلبي.

وضع توماس الأوراق في الصندوق وأغلقه، كارهًا الشعور بالضيق الذي أصابه، كان مثل وخز في جنبه. جدران تتحرك، خطوط مستقيمة، أنماط... كان لا بد من وجود إجابة.

- حسنًا، فلنذهب.

كانا قد خرجا للتو من غرفة الخرائط، وأغلقا الباب الثقيل خلفهما، عندما اقترب نيوت وآلبي، ولم تبدُ ملامح أي منهما تبشر بالخير. فتحول حماس توماس مباشرة إلى قلق.

قال مينهو:

- مرحبًا، كنا للتو ســـ...

قاطعه آلبي قائلًا:

- قل ما عندك سريعًا؛ لا وقت لنضيعه. هل وجدتما أي شيء؟ أي شيء؟

تفاجأ مينهو من نبرة آلبي القاسية ومقاطعته لكلامه، ولكن بدا لتوماس أن وجهه قد بدا عليه الارتباك أكثر من الغضب أو الانزعاج.

- شكرًا، أنا أيضًا سعدت برؤيتك. أجل، في الواقع لقد وجدنا شيئًا ما.

والغريب أن آلبي قد بدا محبَطًا تقريبًا.

- فلتنطق إذن، لأن هذا المكان المقشور بأكمله يتداعى.

كان ينظر إلى توماس شزرًا كما لو أن ما يحدث كله كان خطأه.

قال توماس في قرارة نفسه: *ما خطب هذا الفتى؟*

شعر بغضب يتقد في داخله، فقد قضيا طيلة النهار يعملان والآن هذا هو الشكر الذي يحصلان عليه مقابل جهودهما؟

سأل مينهو قائلًا:

- ماذا تقصد؟ ماذا حدث أيضًا؟

أجاب نيوت وهو يومئ برأسه تجاه الصندوق قائلًا:

- الإمدادات اللعينة لم تصل اليوم. لطالما كانت تصلنا كل أسبوع لمدة عامين، في نفس الوقت، في نفس اليوم. ولكن ليس اليوم.

حدق الفتيان الأربعة إلى البابين الحديديِّين الملتصقين بالأرض. وقد بدا لتوماس أن ثمة ظلًّا يحوم فوقهما أغمق من الهواء الرمادي الذي يحيط بكل شيء آخر.

همس مينهو قائلًا وقد جعل رد فعله توماس يدرك مدى خطورة الوضع حقًّا:

- أوه، ها قد بدأ الآن الرعب الحقيقي.

قال نيوت:

- لا شمس للنباتات، ولا إمدادات من الصندوق اللعين. أجل، قد أسمي هذا رعبًا حقيقيًّا.

طوى آلبي ذراعيه وهو ما يزال يحدق إلى الصندوق كما لو كان يحاول فتح بابيه بعقله. كان توماس يأمل ألا يتذكر قائدهم ما رآه في أثناء التحوُّل، أو أي شيء يتعلق به، خصوصًا الآن.

أردف مينهو قائلًا:

- أجل، على أي حال، لقد وجدنا شيئًا غريبًا.

ترقبَ توماس، على أمل أن يكون لنيوت أو آلبي رد فعل إيجابي على الخبر الجديد، وربما كان لديهما معلومات تكشف غموضه.

رفع نيوت حاجبيه سائلًا:

- ماذا؟

استغرق مينهو ثلاث دقائق كاملة للشرح، بدءًا من الهامة التي تتبَّعاها، وانتهاءً بنتائج تجربة رمي الصخور.

وكانت آخر جملة قالها كالآتي:

- لا بد أنها تؤدي إلى حيث... بلا شك... تعيش الهوام.

أضاف توماس قائلًا:

- حفرة الهوام.

نظر إليه الثلاثة بانزعاج، كما لو أنه لا يحق له الكلام، ولكن للمرة الأولى لم يزعجه كثيرًا أن يُعَامَل كعود أخضر فحسب.

قال نيوت:

- يجب أن أرى ذلك بنفسي.

ثم تمتم:

- هذا شيء يصعب تصديقه.

لم يستطع توماس إلا أن يوافقه الرأي من كل قلبه.

قال مينهو:

- لا أعرف ما الذي يمكننا فعله. ربما يمكننا أن نبني شيئًا ما لسد هذا الممر.

قال نيوت:

- مستحيل. تلك المخلوقات اللعينة تستطيع تسلق الجدران، ألا تتذكر؟ لا شيء يمكننا بناؤه قادر على إبعادهن.

ثم حدثت فوضى وضجة خارج بيت المزرعة صرفت انتباههم عن المحادثة. كان ثمة مجموعة من أفراد الجلايد واقفين أمام الباب الأمامي لبيت المزرعة، يصرخون لكي يتم سماعهم. كان تشاك من ضمن المجموعة، وعندما رآه توماس ركض إليهم مسرعًا، كان على وجهه نظرة إثارة وحماس، والتي حين رآها توماس لم يستطع إلا أن يتساءل ما هو الشيء الجنوني الذي قد حدث الآن.

سأل نيوت قائلًا:

- ماذا يحدث؟

صاح تشاك مجيبًا إياه:

- لقد استيقظت! الفتاة استيقظت.

شعر توماس وكأن أحشاءه قد انقلبت رأسًا على عقب، وسرعان ما اتكأ على الحائط الخرساني لغرفة الخرائط. الفتاة، الفتاة التي تتحدث في رأسه. أراد أن يفر راكضًا قبل أن يحدث هذا مرة أخرى، قبل أن تتحدث معه داخل ذهنه.

ولكن الأوان قد فات...

- *توم، أنا لا أعرف أيًا من هؤلاء الأشخاص. تعال وخذني! كل شيء يتلاشى... ذاكرتي تتبخر... ولكني أتذكرك... لدي أشياء علي أن أخبرك بها! ولكنها تتبخر...*

لم يستطع أن يفهم كيف فَعَلَتْ هذا، كيف تتحدث داخل رأسه.

سكتت تيريسا لبرهة، ثم أردفت بقول شيء لا معنى له.

- *المتاهة عبارة عن شفرة يا توم. المتاهة شفرة.*

الفصل السادس والثلاثون

لم يكن توماس يريد رؤيتها، لم يكن يريد أن يرى أحدًا.

وبمجرد أن انطلق نيوت للتحدث مع الفتاة، انسل توماس بعيدًا في صمت، على أمل ألا يلحظه أحد في خضم تلك الفوضى. وبما أن الجميع قد انصب اهتمامهم حول الفتاة الغريبة التي استفاقت من غيبوبتها، فقد كان الأمر سهلًا. قطع الجلايد عَدْوًا وتوجه إلى مكان عزلته خلف غابة منطقة الموتى.

جثم في الزاوية، في أحضان اللبلاب، وألقى ببطانيته على سائر جسمه ورأسه. بطريقة ما، بدا هذا له وكأنه وسيلة للاختباء من اقتحام تيريسا عقله. مرت بضع دقائق، وهدأت نبضات قلبه المتسارعة أخيرًا.

- نسيانك كان الجزء الأسوأ.

في البداية، اعتقد توماس أنها كانت رسالة أخرى داخل رأسه، ضغط بيديه على أذنيه بشدة. ولكن لا، كان الأمر... مختلفًا هذه المرة. لقد سمع هذا بأذنيه. صوت فتاة. شعر بقشعريرة تسري في جميع أنحاء جسده، وبدأ يزيح البطانية عنه ببطء.

كانت تيريسا تقف عن يمينه، متكئة على الجدار الحجري العملاق. بدت مختلفة جدًّا الآن، مستيقظة ومنتبهة... وواقفة على قدميها. كانت ترتدي قميصًا أبيض بأكمام طويلة، وسروالًا من الجينز الأزرق، وتنتعل حذاءً بنيًّا، لقد بدت -بشكل لا يُصدَّق- أكثر جاذبية وجمالًا مما كانت عليه عندما رآها حينما كانت في غيبوبة. أبرز شعرها الأسود بشرة وجهها البيضاء، وعينيها الزرقاوين بلون اللهب الأزرق النقي.

- توم، ألا تتذكرني حقًّا؟

كان صوتها رقيقًا وناعمًا، بعكس الصوت الحاد الجنوني الذي قد سمعه منها بعد وصولها إلى الجلايد مباشرة، عندما كانت تحمل الرسالة التي مفادها أن كل شيء سيتغير.

سأل وقد شعر بالحرج من الرجفة التي بدت في صوته:

- أتعنين... أنكِ تتذكرينني؟

- نعم. لا. ربما.

ثم رفعت ذراعيها بسخط وأردفت قائلة:

- لا يمكنني شرح ذلك.

فتح توماس فمه ثم أغلقه دون أن ينبس ببنت شفة.

تمتمت الفتاة بعد أن تنهدت بحرقة قائلة:

- أتذكر وجود ذكريات في ذاكرتي.

ثم جلست وشدت ساقيها لتلف ذراعيها حول ركبتيها وأردفت:

- مشاعر. عواطف. مثل كل هذه الرفوف في رأسي، مصنّفة للذكريات والوجوه وغيرهم، ولكنها فارغة. كما لو كان كل شيء قد حدث من قبل موجودًا على الجانب الآخر من ستارة بيضاء. بما فيهم أنت.

- ولكن كيف تعرفينني؟

شعر وكأن الجدران كانت تدور من حوله.

استدارت تيريسا تجاهه وقالت:

- لا أعرف شيئًا عما سبق مجيئنا إلى المتاهة. ثمة أمر ما يتعلق بنا. ولكنني لا أتذكره، وكأنها ذكرى فارغة تمامًا. كما قلت لك.

- أتعرفين بشأن المتاهة؟ من أخبركِ؟ لقد استيقظتِ للتو.

- أنا... هذا محير للغاية الآن.

ثم مدت يدها وأردفت قائلة:

- ولكنني أعلم أنك صديقي.

وفي ذهول تام تقريبًا، سحب توماس البطانية عنه بالكامل، وانحنى للأمام ليصافح يدها قائلًا:

- تعجبني الطريقة التي تنادينني بها، توم.

وبمجرد خروج تلك الكلمات من فمه، تأكد تمامًا أنه لم يكن ليقول شيئًا أغبى من ذلك.

دحرجت تيريسا عينيها لأعلى قائلة:

- ولكن هذا هو اسمك، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن معظم الناس تناديني توماس. آه، ما عدا نيوت؛ إنه يناديني تومي. ولكن مناداتي بتوم تجعلني أشعر وكأنني... وكأنني في بيتي أو ما شابه. على الرغم من أنني لا أعرف أي شيء عن بيتي.

ثم ضحك ضحكة مريرة وأردف:

- أنحن في ورطة كبيرة أم ماذا؟

ابتسمت للمرة الأولى، وكاد أن يشيح بنظره بعيدًا، وكأنما هذا الشيء اللطيف لا ينتمي إلى مثل هذا المكان الرمادي الكئيب، وكأنه ليس لديه الحق في النظر إلى تعبيرات وجهها.

أجابته قائلة:

- أجل، إننا في ورطة، وأنا خائفة.

- وكذلك أنا، صدقيني.

وكان هذا أقل ما يمكن أن يُقال عن شعوره في ذلك اليوم.

مرت لحظات طويلة من الصمت، وكلاهما لم يرفع عينيه عن الأرض.

كسر توماس حاجز الصمت غير متأكد من كيفية صياغة السؤال الذي أراد طرحه:

- ما هي... أقصد، كيف... هل كنتِ تتحدثين معي داخل عقلي؟

هزَّت تيريسا رأسها، وأخبرته بالتخاطر:

- *ليس لدي فكرة، يمكنني فعل هذا فحسب.*

ومن ثم تحدثت بصوت عالٍ هذه المرة قائلة:

- يبدو الأمر كما لو أنك حاولت ركوب دراجة هنا... هذا إذا كان لديهم دراجات في هذا المكان. أراهن أنك ستستطيع فعل هذا دون تفكير. ولكن هل تتذكر تعلم ركوب الدراجات؟

- لا. أعني... أتذكر أنني ركبت واحدة، ولكن ليس كيف تعلمتُ ذلك.

ثم سكت لبرهة وشعر بموجة من الحزن، ثم أردف:

- ولا حتى مَن علمني.

فقالت وعيناها ترمشان وكأنها محرَجة من كآبته المفاجئة:

- حسنًا، على أي حال... هو شيء من هذا القبيل.

- أجل، أصبح الأمر أكثر وضوحًا حقًّا!

هزت تيريسا كتفيها، ثم سألته قائلة:

- لم تخبر أحدًا، أليس كذلك؟ سيعتقدون أننا مجانين.

- أممم... عندما حدث ذلك لأول مرة، أخبرت نيوت. لكنني أعتقد أنه قد اعتقد فقط أنني قد توهمت ذلك بسبب التوتر أو الضغط العصبي أو ما شابه.

تململ توماس في مكانه، شعر وكأنه سيُجن لو لم يتحرك. فوقف، وبدأ يسير جيئة وذهابًا أمامها.

- ثمة أشياء نحن بحاجة إلى استيضاحها. تلك الورقة الغريبة التي كانت لديكِ المكتوب فيها أنكِ آخر شخص سيأتي إلى هنا، غيبوبتك، وحقيقة أنكِ تستطيعين التحدث إليَّ عن طريق التخاطر. ألديك أي تفسير؟

تبعته تيريسا بعينيها وهو يمشي جيئة وذهابًا.

- وفِّر أنفاسك وتوقف عن طرح الأسئلة. كل ما لدي هو انطباعات خفية بأنني أنا وأنت كنا مهمين، وأنهم استخدمونا بطريقة ما، وأننا أذكياء، وأننا جئنا إلى هنا لسبب. أعلم أنني قد حفَّزت النهاية، أيًّا كان ما يعنيه ذلك.

ثم تأوهت وقد احمر وجهها وهي تردف قائلة:

- ذكرياتي عديمة الفائدة كذكرياتك.

ركع توماس أمامها وقال:

- لا، ليسوا كذلك. أعني، إن حقيقة أنكِ تعرفين أن ذاكرتي قد مُحيَت دون أن تسأليني، وباقي الأشياء الأخرى التي قلتِها، تعني أنكِ تسبقيننا جميعًا بخطوات.

تلاقت أعينهما لفترة طويلة، بدا الأمر كما لو أن عقلها كان يدور في محاولة لاستنتاج أي شيء.

- تحدثت إليه في عقله قائلة:

- *أنا فقط لا أعرف.*

فقال توماس بصوت مسموع:

- ها أنتِ ذي مجددًا.

على الرغم من شعوره بالارتياح لأن ألعوبتها لم تعد حقًّا تفزعه بعد الآن.

- كيف تفعلين هذا؟

- أفعله فحسب، وأراهن أنك تستطيع فعل ذلك أيضًا.

- حسنًا، لا يمكنني القول إنني متلهف للمحاولة.

جلس مرة أخرى وضم ركبتيه على صدره، مثلما فعلت هي، ثم أردف قائلًا:

- لقد قلتِ لي شيئًا -داخل رأسي- قبل أن تجديني هنا مباشرة. لقد قلتِ «المتاهة شفرة»، ماذا تقصدين بذلك؟

هزت رأسها قليلًا وقالت:

- في البداية، أول ما استيقظت، شعرت كما لو أنني قد دخلت مصحة مجانين... هؤلاء الفتيان الغرباء كانوا يحومون فوق سريري، شعرت بالعالم يدور من حولي، والذكريات تدور في ذهني. حاولت أن أصل للقليل منها، وكانت هذه إحداها. لا أستطيع أن أتذكر حقًا لماذا قلت ذلك.

- أكان ثمة أي شيء آخر؟

- في الواقع، نعم.

شمَّرت كُم ذراعها اليسرى، لتكشف عن عضلة ذراعها. كانت هناك كلمات صغيرة مكتوبة بخط رفيع على جلدها بحبر أسود.

سأل وهو يميل لإلقاء نظرة أفضل:

- ما هذا؟

- اقرأها بنفسك.

كان الخط سيئًا، لكنه تمكن من قراءته عندما اقترب أكثر.

وِكِد تسعى للخير

تسارعت نبضات قلب توماس، وقال وهو يحاول البحث في ذهنه عما يمكن أن تعنيه هذه العبارة:

- لقد رأيت تلك الكلمة من قبل... وِكِد. على تلك المخلوقات الصغيرة التي تعيش هنا: الخنافس المعدنية.

سألت قائلة:

- ما هذه؟

- مجرد آلات صغيرة تشبه السحالي تتجسس علينا لصالح المؤسِّسين؛ الأشخاص الذين أرسلونا إلى هنا.

فكرت تيريسا للحظة وهي تحدق إلى السماء، ثم ركزت على ذراعها وقالت وهي تبلل إبهامها وتمسح الكلمات:

- لا أستطيع أن أتذكر لماذا كتبتُ هذا، ولكن لا تدعني أنسى؛ لا بد أن هذا يعني شيئًا ما.

لم تتوقف تلك الثلاث كلمات عن الدوران في ذهن توماس مرارًا وتكرارًا.

- متى كتبتِها؟

- عندما استيقظتُ. كان لديهم قلم ومفكرة بجانب السرير. لقد كتبتُها في أثناء تلك الفوضى.

كان توماس متحيرًا من أمر هذه الفتاة. أولًا شعوره الغريب منذ البداية بأن ثمة شيئًا ما يربطه بها، ثم حديثها معه داخل عقله، والآن هذه الكلمات الغريبة.

- كل ما يتعلق بكِ غريب. أنتِ تدركين هذا، صحيح؟

- لو حكمنا من خلال هذه البقعة الصغيرة التي تختبئ فيها، لقلت إنك أنت نفسك لست طبيعيًّا جدًّا. تحب العيش في الغابات، أليس كذلك؟

حاول توماس العبوس، ولكنه ابتسم بعد ذلك. لقد شعر بالبؤس والحرج من حقيقة اختبائه.

- حسنًا، تبدين مألوفَة بالنسبة إلي، وتدَّعين أننا أصدقاء، لذا أظن أنني سأثق بكِ.

ثم مد يده لمصافحة أخرى، وقد صافحته، وظلت ممسكة بيده لفترة طويلة. اجتاحت قشعريرة جسد توماس بأكمله، فقد كان ذلك ممتعًا بشكل مدهش.

قالت وهي تترك يده أخيرًا:

- كل ما أريده هو العودة للمنزل، تمامًا مثلما تريدون جميعًا.

أعادت كلماتها الأخيرة توماس إلى الواقع، وقد شعر بثقل في قلبه لما تذكر كيف أصبح الوضع كئيبًا ومُحبِطًا.

- نعم، حسنًا، الأمور سيئة إلى درجة كبيرة فعلًا في الوقت الحالي. اختفت الشمس، وتحولت السماء إلى اللون الرمادي، ولم تصلنا الإمدادات الأسبوعية... يبدو أن الأمور ستنتهي بطريقة أو بأخرى.

ولكن قبل أن تتمكن تيريسا من الإجابة، ظهر نيوت من بين أشجار الغابة راكضًا نحوهما، وكان آلبي وقلة من الآخرين وراءه مباشرة، ثم توقف أمامهما وقال وهو ينظر إلى تيريسا:

- كيف هذا بحق الـ...، كيف وصلتِ إلى هنا؟ قال الطبيبجي إنكِ قد اختفيتِ في لمح البصر.

نهضت تيريسا، مفاجِئة توماس بثقتها، وقالت:

- أعتقد أنه نسي أن يخبرك أيضًا بأنني قد ركلته بين ساقيه وهربت من النافذة.

كاد توماس أن يضحك عندما التفت نيوت إلى فتى أكبر يقف على مقربة، والذي قد احمر وجهه.

قال نيوت:

- تهانينا يا جيف؛ لقد حصلت رسميًا على لقب أول فتى يُضرَب من قِبَلِ فتاة هنا.

ولكن تيريسا لم تسكت عند هذا الحد، إذ أردفت قائلة:

- استمر في الكلام بهذا الشكل وستكون أنت الثاني.

التفت نيوت إليهما مرة أخرى، ولم يبدُ على وجهه إلا الخوف. وقف في صمت، يحدق إليهما فحسب. أما توماس فكان يحدق إلى الفتى الأكبر الواقف خلفه متسائلًا عما يدور في رأسه.

تقدم آلبي خطوة إلى الأمام وأخذ يشير إلى صدر توماس قائلًا:

- لقد سئمت من هذا. أريد أن أعرف مَن أنت، ومن تكون هذه الفتاة العرقوبة، وكيف تعرفان بعضكما بعضًا.

قال توماس في محاولة للدفاع عن نفسه:

- آلبي، أقسم لك...

- لقد أتت إليك مباشرة بعد أن استيقظت أيها المقشور!

كان الغضب يتصاعد داخل توماس، وكذلك القلق من أن يجن جنون آلبي مثل بِن.

- وماذا في ذلك؟ سواء كنت أعرفها، أو تعرفني... هذا لا يعني شيئًا! أنا لا أتذكر شيئًا، وهي كذلك.

نظر آلبي إلى تيريسا قائلًا:

- ماذا فعلتِ؟

نظر توماس -في حيرة من السؤال- إلى تيريسا ليرى ما إذا كانت تعرف ما يعنيه، ولكنها لم ترد.

صرخ آلبي قائلًا:

- ماذا فعلتِ! أولًا السماء، والآن هذا!

أجابته بصوت هادئ قائلة:

- لقد حفَّزتُ حدوث شيء ما. ليس عن قصد، أقسم بذلك. حفَّزت النهاية. ولا أعرف ما الذي يعنيه هذا.

سأل توماس-غير راغب في التحدث إلى آلبي مباشرة- قائلًا:

- ما الخطب يا نيوت؟ ماذا حدث؟

لكن آلبي أمسك به من قميصه وقال:

- تسأل ماذا حدث؟ سأخبرك بما حدث أيها العرقوب. لأن عينيك كانتا مشغولتين جدًّا بتبادل نظرات الحب لدرجة أنك لم تستطع أن تكلفهما عناء النظر حولك، ولا أن تلحظ كم أصبحت الساعة الآن!

نظر توماس في ساعته، وفهم -في فزع شديد- ما الذي أراد آلبي قوله قبل حتى أن ينطق به.

- الجدران أيها المقشور. الأبواب. لم تُغلَق الليلة.



الفصل السابع والثلاثون

عجز توماس عن الكلام؛ قد تغير كل شيء الآن: لا شمس، لا إمدادات، ولا حماية من الهوام. كانت تيريسا محقة منذ البداية، لقد تغير كل شيء. شعر توماس باختناق، وكأن أنفاسه عالقة في حلقه.

أشار آلبي إلى الفتاة وقال:

- أريدها محبوسة. الآن! بيلي! جاكسون! ضعاها في الزنزانة، وتجاهلا أي كلمة تخرج من فمها المقشور.

لم تبدِ تيريسا أي رد فعل، لكن توماس قد فاض به الغضب، فقال:

- ما هذا الذي تقوله يا آلبي؟ لا يمكنك...

لكنه سكت فجأة عندما رمقته عينا آلبي الناريتان بنظرة تتقد بالغضب جعلت قلبه ينقبض.

- لكن... كيف يمكنك أن تلومها على عدم إغلاق الجدران؟

تقدم نيوت نحوه ووضع يده على صدر توماس ودفعه برفق إلى الوراء.

- وكيف لا نفعل يا تومي؟ لقد اعترفت بهذا بنفسها.

التفت توماس لينظر إلى تيريسا وقد شحب وجهه لما رأى الحزن الذي بدا في عينيها الزرقاوين. كان الأمر كما لو أن شيئًا قد اخترق صدره واعتصر قلبه.

قال آلبي قبل أن يرمق كليهما بنظرة أخيرة قبل أن يغادر:

- كن شاكرًا فحسب لأنك لستَ ذاهبًا معها.

لم يشعر توماس من قبل أنه يريد أن يلكم أحدهم بهذه الدرجة.

تقدم بيلي وجاكسون وأمسكا بتيريسا من ذراعيها، وبدآ في اصطحابها بعيدًا.

وقبل أن يدخلوا إلى منطقة الأشجار، أوقفهم نيوت وقال:

- ابقيا معها. ومهما حدث، لا أحد يلمس هذه الفتاة. أقسِما بحياتكما على هذا.

أومأ الحارسان برأسيهما، ثم مشيا بعيدًا، ساحبَين تيريسا معهما. وقد آلم توماس أكثر رؤيته لمدى استسلامها في الذهاب معهما. ولم يستطع تصديق مدى حزنه... أراد أن يستمر في الحديث معها.

قال في قرارة نفسه: *ولكنني قابلتها للتو. إنني حتى لا أعرفها.*

ومع ذلك، كان يعلم أن ذلك ليس صحيحًا، فلقد شعر بالفعل بألفة بينهما والتي لا يمكن أن تأتي إلا من سابق معرفة قبل أن يتم محو ذاكرتَيهما ومجيئهما إلى الجلايد.

قالت في ذهنه:

- *تعال لرؤيتي.*

لم يكن يعرف كيف يفعل هذا، كيف يتحدث إليها بهذه الطريقة، ولكنه جرَّب على أي حال.

- *سآتي. على الأقل ستبقين في أمان بالداخل هناك... تيريسا؟*

لا شيء.

***

في خلال الثلاثين دقيقة التالية، ازداد الارتباك وتصاعدت الفوضى بين أفراد الجلايد.

وعلى الرغم من عدم وجود تغيير ملحوظ في الضوء نظرًا لعدم ظهور الشمس في ذلك الصباح، فإنه بدا الأمر كما لو أن ثمة ظلمة قد خيمت على الجلايد. وعندما قام نيوت وآلبي بجمع الأمناء وتكليفهم بإجراء مهام معينة وإدخال فرقهم إلى بيت المزرعة في غضون ساعة، شعر توماس بأنه ليس أكثر من مجرد متفرِّج، لا يعلم كيف يمكنه المساعدة.

البنَّاؤون -دون قائدهم، جالي، الذي كان ما يزال غائبًا- أُمِروا بوضع حواجز عند كل باب مفتوح، وقد أطاعوا الأمر، على الرغم من أن توماس كان يعلم أنه لم يكن هناك ما يكفي من الوقت ولا ما يكفي من مواد البناء لفعل ذلك بشكل جيد بما فيه الكفاية. بدا له أن الأمناء على الأغلب أرادوا إشغال الناس لإلهائهم، أرادوا تأخير حالات الذعر التي لا مناص منها. ساعد توماس

البنائين في جمع كل الأشياء التي يمكنهم العثور عليها وتكويمها عند المنافذ، وتسمير تلك الأشياء معًا بأفضل ما يمكن. بدا الأمر قبيحًا ومثيرًا للشفقة وأخافه لدرجة الموت. مستحيل أن تستطيع تلك الأشياء إبعاد الهوام بأي حال من الأحوال.

وفي أثناء ما كان توماس يعمل، رأى لمحات من الأعمال الأخرى التي كانت تدور في الجلايد. تم تجميع كل المصابيح اليدوية في *المجمع* وتوزيعها على أكبر عدد ممكن من الفتيان. وقال نيوت إنه خطَّط لأن ينام الجميع داخل بيت المزرعة لتلك الليلة، وأنه لن يتم استخدام أي أنوار إلا في حالات الطوارئ. كانت مهمة السيد طاسة هي إخراج كل الطعام غير القابل للفساد من المطبخ وتخزينه في بيت المزرعة، تحسبًا لأن يتم حصارهم بالداخل. ولم يستطع توماس إلا أن يتخيل مدى فظاعة احتمالية حدوث ذلك. وكان ثمة آخرون يجمعون المعدات والأدوات، رأى توماس مينهو وهو يحمل أسلحة من الطابق السفلي إلى المبنى الرئيسي. لقد أوضح آلبي أنهم لا يمكنهم المجازفة: سيجعلون بيت المزرعة حصنَهم، ويجب فعل كل ما يلزم للدفاع عنه.

تمكن توماس أخيرًا من أن ينسل بعيدًا عن البنائين ويساعد مينهو، حاملًا صناديق من السكاكين ولفائف أسلاك شائكة. ثم قال مينهو إن لديه مهمة خاصة كلفه بها نيوت، وبشكل ما أخبر توماس بأن يغرب عنه، رافضًا الإجابة عن أي من أسئلته.

جرح هذا مشاعر توماس، لكنه غادر على أي حال، وراح يبحث عن نيوت، إذ أراد أن يحدِّثه عن شيء ما. وجده أخيرًا، بعد أن عبر الجلايد في طريقه إلى بيت الدم.

قال توماس أول ما رآه وهو يركض للحاق به:

- نيوت! عليك أن تسمعني.

توقف نيوت فجأة حتى إن توماس كاد يصطدم به. استدار الفتى الأكبر ليرمق توماس بنظرة تنم عن انزعاج شديد لدرجة أنه كان بحاجة إلى أن يفكر مرتين قبل أن ينطق بأي شيء.

قال نيوت:

- قل ما عندك بسرعة.

شعر توماس كما لو أن لسانه قد انعقد، ولم يكن يعرف كيف يصيغ ما كان يريد قوله.

- عليكم أن تطلقوا سراح الفتاة؛ تيريسا.

كان يعلم أنها تستطيع المساعدة، وأنها ربما تتذكر شيئًا ذا قيمة.

- آه، سعيد الآن بالتأكد من أنكما صديقان يا رفاق.

ثم أردف نيوت وقد بدأ يمشي بعيدًا:

- لا تضيِّعْ وقتي يا تومي.

أمسك توماس بذراعه وقال:

- أصغِ إلي! ثمة شيء ما بشأنها، أعتقد أنني أنا وهي قد أُرسِلنا إلى هنا للمساعدة في إنهاء الأمر برمته.

- أجل. إنهاؤه عن طريق السماح للهوام اللعينة بالدخول إلى هنا وقتلنا؟ لقد سمعت بالفعل بعض الخطط المزرية اليوم أيها العود الأخضر، ولكن ما تقوله تجاوز كل شيء.

تأوَّه توماس، لكي يظهِر لنيوت مدى إحباطه.

- لا، لا أعتقد أن هذا ما يعنيه عدم إغلاق الأبواب.

طوى نيوت ذراعيه وقد بدا غاضبًا، وقال:

- ما الذي تريد قوله بالضبط أيها العود الأخضر؟

منذ أن رأى توماس الكلمات الموجودة على جدار المتاهة -منظمة الكوارث العالمية: قسم تجارب المَقتَل- وهو يفكر فيها. وكان يعلم أنه لو كان هناك شخص سيصدقه، فسيكون نيوت هو ذلك الشخص.

- أظن... أعتقد أننا هنا كجزء من تجربة غريبة، أو اختبار، أو شيء من هذا القبيل. ولكن من المفترض لهذا أن ينتهي بطريقة ما. لا يمكننا العيش هنا للأبد. أيًا كان من أرسلونا إلى هنا فهم يريدون لهذا أن ينتهي، بشكل أو بآخر.

شعر توماس بالراحة لإخراجه ما كان مكتومًا في صدره.

فرك نيوت عينيه وقال:

- وهل من المفترض لهذا أن يقنعني بأن كل شيء على ما يرام... وأنه يجب علي أن أطلق سراح الفتاة، لأنها أتت إلى هنا وانقلب كل شيء رأسًا على عقب وأصبح الموت يحدق إلينا؟

- لا، لم تفهم مقصدي. لا أعتقد أن لها أي علاقة بوجودنا هنا، إنها مجرد بيدق في اللعبة، أرسلوها إلى هنا كآخر أداة أو تلميح أو أيًا ما يكون لمساعدتنا على الخروج.

أخذ توماس نفسًا عميقًا ثم أردف:

- وأعتقد أنهم أرسلوني أيضًا للسبب نفسه، ومجرد كونها المحفِّز للنهاية لا يجعل منها شخصًا سيئًا.

نظر نيوت نحو الزنزانة وقال:

- أتعرف ماذا؟ هذا آخر شيء قد يهمني الآن. يمكنها أن تتحمل ليلة واحدة هناك، وإذا حدث أي شيء خارج السيطرة، ستكون أكثر أمانًا منا جميعًا.

أومأ توماس برأسه، وكأنه قد اقتنع بكلام نيوت كحل وسط، وقال:

- حسنًا، فلندع هذه الليلة تمر، بطريقة أو بأخرى. وغدًا، عندما نتأكد من أن كل شيء بأمان، سنرى ما الذي علينا فعله معها. سيكون لدينا الوقت لكي نتخذ قرارنا.

قال نيوت ساخرًا:

- تومي، ما الذي سيجعل الأمر مختلفًا؟ لقد كان الحال كما هو لعامين لعينين كاملين، كما تعلم.

لقد كان لدى توماس شعور قوي بأن كل هذه التغييرات كانت دافعًا، محفزًا للوصول لنهاية اللعبة.

- لأنه الآن يتعين علينا حلها. سنضطر إلى ذلك، سنصبح مجبورين. لا يمكننا العيش بهذه الطريقة بعد الآن. يومًا بعد يوم، نظل نفكر في أن أهم شيء هو العودة إلى الجلايد قبل إغلاق الأبواب لنكون آمنين.

فكر نيوت لدقيقة في وسط صخب استعداد أفراد الجلايد المُحيط بهما، ثم قال:

- أن نبحث بشكل أعمق، أن نبقى هناك بينما تتحرك الجدران.

وافقه توماس الرأي قائلًا:

- بالضبط. هذا بالضبط ما أتحدث عنه. ربما نستطيع بناء سد أو تفجير حفرة الهوام. ونشتري الوقت لتحليل المتاهة.

قال نيوت بإيماءة نحو بيت المزرعة:

- آلبي هو الذي لن يسمح للفتاة بالخروج. هذا الفتى لا يطيقكما كثيرًا أيها العرقوبان. ولكن في الوقت الحالي يتعين علينا فقط أن نحمي أنفسنا وأن نصمد حتى الصباح.

فأومأ توماس برأسه قائلًا:

- يمكننا محاربتهم.

- لقد فعلتَها من قبل، أليس كذلك يا هرقل؟

ودون أن يبتسم أو حتى ينتظر ردًا، مشى نيوت بعيدًا، وهو يصرخ في الناس لينهوا أعمالهم ويدخلوا إلى بيت المزرعة.

كان توماس سعيدًا بهذه المحادثة، فقد جرت على النحو الذي كان يأمله. قرر الإسراع والتحدث إلى تيريسا قبل أن يتأخر الوقت. وبينما كان يركض متجهًا إلى الزنزانة، على الجانب الخلفي لبيت المزرعة، رأى أفراد الجلايد وهم يبدؤون في التحرك للداخل. توقف توماس خارج السجن الصغير وأخذ نفسًا، ثم سأل أخيرًا عبر النافذة ذات القضبان للزنزانة المظلمة:

- تيريسا؟

برز وجهها من الجانب الآخر، مما فاجأه. صرخ صرخة صغيرة قبل أن يتمكن من تمالك نفسه. استغرق الأمر منه ثانية لكي يستطيع استعادة رباطة جأشه.

- أنتِ مخيفة حقًا، أتعلمين؟

- هذا لطف منك. شكرًا.

في خضم الظلام، كانت عيناها الزرقاوان تتوهجان وكأنهما عينا قطة.

أجاب متجاهلًا سخريتها:

- على الرحب والسعة. اسمعي، لقد كنت أفكر...

ثم سكت فجأة ليستجمع أفكاره.

فتمتمت قائلة:

- أكثر ما يمكنني قوله إن آلبي هذا أحمق.

وافقها توماس، لكنه كان حريصًا على قول ما أراد قوله.

- لا بد أن تكون هناك طريقة للخروج من هذا المكان. علينا فقط أن نستمر في البحث وأن نبقى في داخل المتاهة لفترة أطول. والذي كتبتِه

على ذراعك، وما قلتِه عن الشفرة، لا بد أن كل هذا يعني شيئًا ما، أليس كذلك؟

لا بد أنه يعني شيئًا، جال في خاطره. لم يستطع منع نفسه من الشعور بشيء من الأمل.

- أجل، كنت أفكر في الشيء نفسه، ولكن قبل كل شيء، ألا يمكنك إخراجي من هنا؟

ظهرت يداها وهما تمسكان بقضبان النافذة، وشعر توماس برغبة سخيفة في مد يديه ولمسهما.

- آه، قال نيوت إنه ربما غدًا. عليكِ أن تقضي الليلة هنا. في الواقع، قد يكون هذا المكان الآن هو الأكثر أمنًا في الجلايد.

- شكرًا لأنك سألته.

ثم أشارت وراءها بإبهامها وأردفت:

- لا بد أن النوم سيكون ممتعًا على هذه الأرضية الباردة، ومع ذلك أعتقد أن الهوام لن تستطيع العبور من خلال قضبان تلك النافذة، إذن فالأمر على ما يرام. صحيح؟

فاجأه ذِكرها للهوام، فهو لم يكن يتذكر أنه قد حدَّثها عنها بعد.

- تيريسا؟ أأنتِ متأكدة من أنكِ قد نسيتِ كل شيء؟

فكرت لثانية ثم قالت:

- الأمر عجيب! أعتقد أنني أتذكر بعض الأشياء، أو ربما قد سمعت فقط الأشخاص وهم يتحدثون بينما كنت في الغيبوبة.

- حسنًا، أعتقد أن هذا لا يهم الآن. أردت فقط أن أراكِ قبل أن أذهب إلى الداخل لبقية الليل.

لكنه لم يكن يريد الرحيل، بل كاد يتمنى أن يتم إلقاؤه في الزنزانة معها. ابتسم ابتسامة عريضة في داخله؛ لم يستطع سوى أن يتخيل رد فعل نيوت على هذا الطلب.

قالت تيريسا:

- توم؟

أدرك توماس أنه كان سرحان، وقال:

- أوه، آسف. نعم؟

سحبت يديها إلى الداخل واختفت. كل ما كان يراه هو عيناها، واللون الشاحب لبشرتها البيضاء.

- لا أعرف ما إذا كان بإمكاني فعل ذلك؛ أن أبقى في هذا السجن طوال الليل.

شعر توماس بحزن لا يُصدَّق. أراد أن يسرق مفاتيح نيوت ويساعدها على الهرب، لكنه كان يعلم أن هذه فكرة سخيفة، عليها أن تتعامل مع الأمر الواقع فحسب. حدق إلى عينيها المتوهجتين، وقال:

- على الأقل لن يصبح الجو مظلمًا تمامًا، فعلى ما يبدو أننا عالقون في هذا الشفق اللعين لأربع وعشرين ساعة الآن.

- أجل...

ثم ألقت على بيت المزرعة نظرة خاطفة قبل أن تنظر إليه مرة أخرى قائلة:

- أنا فتاة قوية؛ سأكون بخير.

شعر توماس بالخزي لتركها هناك، لكنه كان يعلم أنه ليس لديه خيار آخر.

- سأتأكد من أن أول شيء سيفعلونه غدًا هو إخراجك من هنا، حسنًا؟

ابتسمت، مما جعله يشعر بتحسن.

- هذا وعد، أليس كذلك؟

- وعد.

ثم نقر توماس على صدغه الأيمن وأردف:

- إذا شعرتِ بالوحدة، يمكنك التحدث معي بـ... بطريقتك الخاصة وبكل أنواع الخدع التي تريدينها، وسأحاول الرد.

بات الآن يتقبل حديث تيريسا داخل رأسه، بل كاد يكون يريده. كان يأمل فقط في معرفة كيفية الرد، حتى يمكنهما إجراء محادثة.

قالت داخل ذهنه:

- *ستتعلم ذلك قريبًا.*

- أتمنى.

ثم وقف، وهو غير راغب في المغادرة، على الإطلاق.

قالت:

- من الأفضل لك أن تذهب؛ لا أريد أن تُقتَل بطريقة وحشية بذنبي.

أجبر توماس نفسه على الابتسام، ثم قال:

- حسنًا إذن، أراكِ غدًا.

وقبل أن يتمكن من تغيير رأيه، انطلق بسرعة، متجهًا نحو الباب الأمامي لبيت المزرعة، في الوقت الذي كان يدخل فيه آخر اثنين من فتيان الجلايد بالضبط، وكان نيوت يدفعهما إلى الداخل كما الدجاج الضال. دخل توماس كذلك، وتبعه نيوت الذي أغلق الباب خلفه.

وقبل أن يُغلِق الباب مباشرة، اعتقد توماس أنه قد سمع أول عواء مخيف للهوام القادمة من أعماق المتاهة.

لقد بدأت الليلة.

الفصل الثامن والثلاثون

معظمهم كان ينام في الخارج في الأوقات العادية، لذا فقد جعلَ حشوُ كل تلك الأبدان داخل بيت المزرعة المكانَ ضيقًا جدًّا. قام الأمناء بتنظيم وتوزيع أفراد الجلايد في جميع أنحاء الغرف وإعطائهم البطانيات والوسائد. وعلى الرغم من كثرة العدد والفوضى الناتجة عن هذا التغيير، فإنه قد خيم صمت مخيف على الأجواء، كما لو أنه لا أحد كان يريد لفت الانتباه إلى نفسه.

عندما استقر الجميع، وجد توماس نفسه في الطابق العلوي مع نيوت وآلبي ومينهو، وباتوا أخيرًا قادرين على إنهاء نقاشهم الذي قد بدؤوه في وقت سابق في الساحة. جلس آلبي ونيوت على السرير الوحيد في الغرفة، بينما جلس توماس ومينهو بجانبهما على الكراسي. كانت قطعة الأثاث الوحيدة الأخرى الموجودة في الغرفة عبارة عن خزانة خشبية مائلة وطاولة صغيرة فوقها مصباح يمدهم بما لديه من ضوء. بدا الظلام الرمادي وكأنه يضغط على النافذة من الخارج، كما لو كان ينذر بأن ثمة أمورًا سيئة ستحدث.

قال نيوت:

- آخر ما توصلت إليه حتى الآن هو أن ننسى كل شيء مؤقتًا. أن نقول قشرًا لكل شيء وأن نرسل للهوام قُبُلات ما قبل النوم. إمدادات مقطوعة، سماء رمادية لعينة، جدران لا تُغلَق. لكن لا يمكننا الاستسلام، وكلنا نعرف ذلك. فالأوغاد الذين أرسلونا إلى هنا إما يريدون موتنا أو أنهم يعطوننا حافزًا، وسواء هذا أو ذاك، علينا أن نعمل كالحمير بلا كلل أو ملل، إلى أن نموت أو أن ننجوا بأنفسنا.

أومأ توماس رأسه، لكنه لم يقل أي شيء. كان يوافقه الرأي تمامًا ولكن لم تكن لديه أفكار محددة حول ما يجب عليهم القيام به. إذا تمكنوا من النجاة حتى صباح الغد، فربما يستطيع هو وتيريسا التوصل لشيء ما للمساعدة.

نظر توماس إلى آلبي، الذي كان يحدق إلى الأرضية، وقد كان على ما يبدو تائهًا في أفكاره السوداوية. كان وجهه ما يزال يرتدي قناع الكآبة، وعيناه ما تزالان غائرتين تحيط بهما هالات من السواد.

من الواضح أن تسمية التحوُّل كانت في مكانها، بالأخذ في الحسبان ما قد فعله به.

سأل نيوت قائلًا:

- آلبي؟ هل ستشارك برأيك؟

رفع آلبي وجهه، متفاجئًا وكأنه لم يكن يعلم بوجود أي شخص آخر في الغرفة، وقال:

- هاه؟ نعم. حلو الكلام، لكنك رأيت ما يحدث في أثناء الليل، ولمجرد أن هذا العود الأخضر قد اتضح كونه فتى خارقًا واستطاع النجاة، فهذا لا يعني أن بقيتنا يستطيع ذلك.

حوَّل توماس نظراته إلى مينهو، فقد سئم من سلوك آلبي وموقفه.

وإذا كان مينهو ينتابه نفس الشعور، فمن الواضح أنه بذل مجهودًا كبيرًا لإخفائه.

- أنا مع توماس ونيوت. يجب أن نتوقف عن التذمر والشعور بالأسف على أنفسنا.

ثم برك بيديه معًا وانحنى للأمام قليلًا في جلسته وأردف:

- صباح الغد، أول شيء يجب فعله، أن نعين فِرَقًا تتفرغ لدراسة الخرائط بدوام كامل في أثناء خروج العدَّائين، وسنقوم بحزم أغراضنا حتى نتمكن من البقاء في الخارج هناك لبضعة أيام.

سأل آلبي وقد أظهر صوته أخيرًا بعض المشاعر:

- ماذا؟ قلتَ أيامًا؟

- أجل قلتُ أيامًا، فكون الأبواب مفتوحة ومع عدم وجود الشمس، فلا مغزى من العودة إلى هنا على أي حال. لقد حان الوقت للبقاء هناك ومعرفة ما إذا كان هناك أي شيء ينفتح عند تحرك الجدران. هذا إذا كانت ما تزال تتحرك.

قال آلبي:

- مستحيل. لدينا بيت المزرعة نستطيع الاختباء فيه، وإذا لم ينجح الأمر، فلنختبئ في غرفة الخرائط، أو في الزنزانة. لا يمكننا أن نطلب من الناس أن يخرجوا إلى هناك ويموتوا، مينهو! من الذي قد يتطوع في شيء كهذا؟

قال مينهو:

- أنا. وتوماس.

نظر الجميع إلى توماس، الذي أومأ برأسه ببساطة. على الرغم من أنه كان خائفًا حد الموت، فإن استكشاف المتاهة -استكشافها بحق- كان شيئًا أراد القيام به من المرة الأولى التي عرف فيها بوجودها.

قال نيوت مفاجئًا توماس:

- وأنا سأفعل ذلك إذا اضطررتُ. ومتأكد من أن كل العدَّائين سيفعلون الشيء نفسه.

وعلى الرغم من أن نيوت لم يتحدث عن ذلك قط من قبل، فإن عرج الفتى الأكبر كان تذكيرًا دائمًا بأن شيئًا فظيعًا قد حدث له في المتاهة.

سأل آلبي وقد انسلت ضحكة ساخرة من بين شفتيه:

- بساقك عديمة الفائدة تلك؟

عبس نيوت، ونظر إلى الأرض قائلًا:

- حسنًا، لا يمكنني أن أطلب من بقية الفتيان فعل شيء ما لم أكن أنا على استعداد للقيام به أيضًا.

اتكأ آلبي للخلف على السرير ورفع قدميه وقال:

- أيًّا كان، افعل ما تريد.

فوقف نيوت قائلًا:

- أفعل ما أريد؟ ما خطبك يا رجل؟ أتريد أن تخبرني بأن لدينا خيارًا؟ هل يجب أن نجلس على مؤخراتنا وننتظر أن تقضي علينا الهوام؟

أراد توماس أن يقف ويهتف مشجعًا، فقد كان واثقًا من أن آلبي سيخرج أخيرًا من حالة الكآبة والتخاذل التي تسيطر عليه.

ولكن لم يبدُ على قائدهم أي لمحة من التأثر أو التراجع عن موقفه، إذ رد قائلًا:

- حسنًا، هذا يبدو أفضل من الركض إليهن.

جلس نيوت مرة أخرى قائلًا:

- آلبي، عليك أن تبدأ في التفكير بشكل منطقي.

بقدر ما كان يكره الاعتراف بذلك، إلا أن توماس كان يعرف أنهم بحاجة إلى آلبي إذا كانوا يريدون تحقيق شيء ما. حدَّق إليه بقية الفتيان.

وأخيرًا، أخذ آلبي نفسًا عميقًا، ثم أخذ ينظر إليهم واحدًا تلو الآخر وقال:

- أنتم تعلمون أنني مضطرب يا رفاق. حقًّا، أنا كذلك... آسف. لا ينبغي أن أكون قائدكم الغبي بعد الآن.

حبس توماس أنفاسه؛ لم يستطع تصديق أن آلبي قد قال ذلك للتو.

قال نيوت:

- أوه، اللعنة على...

صاح آلبي وقد بدا على وجهه التواضع والاستسلام:

- لا! ليس هذا ما قصدته. أصغِ إلي. لا أقول إنه يجب علينا تبديل الأدوار أو أي من هذا الرَّطْم. أردتَ فقط أن أقول... أعتقد أنني بحاجة إلى السماح لكم يا رفاق باتخاذ القرارات؛ أنا لا أثق بنفسي، لذا... أجل، سأفعل أي شيء تريدونه.

استطاع توماس أن يرى أن مينهو ونيوت كانا متفاجئَين مثله تمامًا.

قال نيوت ببطء، كما لو كان غير متأكد:

- آه... حسنًا. سنعمل على إنجاح الأمر، أعدك، سترى.

تمتم آلبي قائلًا:

- حسنًا.

ثم أردف بعد لحظات طويلة من الصمت وقد ظهرت لمحة من الحماس الغريب في صوته:

- مهلًا، أتعرف ماذا؟ اجعلوني مسؤولًا عن الخرائط. سأجعل كلًّا منهم ينكب على دراسة تلك الخرائط حتى تذبل عيناه.

قال مينهو:

- أوافق على هذا.

أراد توماس أن يبدي رأيه بالموافقة، لكنه لم يكن يعرف ما إذا كان هذا من صلاحياته.

أنزل آلبي قدميه مرة أخرى على الأرض، وجلس مستقيمًا، وقال:

- أتعرفون؟ كان من الغباء حقًّا أن ننام هنا الليلة. كان يجب أن نكون هناك، في غرفة الخرائط، نعمل.

اعتقد توماس أن هذا كان أذكى شيء سمعه من آلبي منذ وقت طويل.

هز مينهو كتفيه قائلًا:

- ربما معك حق.

فقال آلبي بإيماءة واثقة:

- حسنًا... سأذهب، في الحال.

هز نيوت رأسه قائلًا:

- انسَ ذلك يا آلبي، لقد سمعت بالفعل عواء الهوام اللعينة بالخارج. يمكننا الانتظار حتى نستيقظ غدًا.

انحنى آلبي إلى الأمام وقد أسند مرفقيه إلى ركبتيه وقال:

- ها! أنتم أيها العراقيب من كنتم تعطونني خطابات تشجيعية منذ قليل. لا تبدؤوا في النحيب عندما أبدأ في التنفيذ بالفعل. إذا كنت سأفعل ذلك، فسأفعله الآن إذًا؛ أنا بحاجة إلى شيء لجعل ذهني يغوص فيه.

شعر توماس أنه قد سئم من كل تلك الخلافات.

نهض آلبي قائلًا:

- حقًّا، أنا بحاجة إلى هذا.

ثم تحرك نحو باب الغرفة كما لو كان ينوي المغادرة حقًّا.

قال نيوت:

- لا يمكنك أن تكون جادًّا في هذا. لا يمكنك الخروج إلى هناك الآن!

- أنا ذاهب، وهذا كل شيء.

أخرج آلبي حلقة مفاتيحه من جيبه وهزها ساخرًا، ولم يستطع توماس تصديق مدى شجاعته المفاجئة.

- أراكم في الصباح أيها المقشورون.

ثم خرج.

***

كان من الغريب معرفة أن الوقت قد تأخر ليلًا، وأن الظلام كان من المفترض أن يبتلع العالم من حولهم، ولكنهم لم يتمكنوا سوى من رؤية الضوء الرمادي الباهت في الخارج. جعل هذا توماس يشعر بالغرابة وعدم الراحة، وكأن الرغبة في النوم التي كانت تتزايد بشكل منتظم مع مرور كل دقيقة كانت غير طبيعية بطريقة ما. مرَّ الوقت ببطء شديد، لدرجة أنه شعر كما لو أن اليوم التالي قد لا يأتي أبدًا.

استقر فتيان الجلايد الآخرون في أماكنهم، وقد لفوا أنفسهم بأغطيتهم فوق وسائدهم، محاوِلين بجهد أن يتمكنوا من الاستسلام للنوم. لم يقل أحد شيئًا، وخيمت على المكان أجواء من الكآبة والإحباط، وكل ما كان يمكن سماعه هي أصوات خافتة لخرفشة وهمسات.

حاول توماس جاهدًا إجبار نفسه على النوم، لعلمه أن هذا سيجعل الوقت يمر بشكل أسرع، ولكن بعد ساعتين من المحاولة كان ما يزال لم يحالفه الحظ. ظل مستلقيًا على الأرض في إحدى الغرف العلوية، فوق بطانية سميكة، وكان العديد من الفتيان الآخرين محشورين فوقها بجانبه، أجسادهم متلاصقة تقريبًا، أما السرير فكان من نصيب نيوت.

انتهى المطاف بتشاك في غرفة أخرى، ولسبب ما تصوَّره مكوَّمًا في زاوية مظلمة، يبكي، ويحكم بطانيته على صدره كدبدوب صغير. أحزنت توماس تلك الصورة بشدة، حتى إنه حاول استبدالها لكن دون جدوى.

كان لدى كل شخص تقريبًا مصباحٌ يدوي بجانبه لاستخدامه في حالة الطوارئ، أما بخلاف ذلك فقد أمر نيوت بإطفاء جميع الأضواء، فبصرف النظر عن الضوء المخيف الشاحب لسمائهم الجديدة، لم يكن هناك معنى لجذب أي انتباه أكثر من اللازم، وقد فعلوا كل ما يمكن فعله في مثل هذه المهلة القصيرة للاستعداد لهجوم الهوام: غُطِّت النوافذ بالألواح الخشبية، ونُقِلَ الأثاث أمام الأبواب، ووُزِّعت السكاكين كأسلحة...

ولكن لم يكن أيٌّ من ذلك قادرًا على جعل توماس يشعر بالأمان.

كانت محاولات توقع ما يمكن أن يحدث شيئًا مروعًا. كان على وشك أن يموت مختنقًا من شدة البؤس والخوف. كاد يتمنى أن تأتي تلك المخلوقات اللعينة وتنهي الأمر برمته. شعر بأن وقوع البلاء أهون من انتظاره.

كان الانتظار لا يُطاق.

اقتربت أصوات عويل الهوام البعيدة شيئًا فشيئًا مع امتداد الليل، كانت كل دقيقة تبدو وكأنها تمر أبطأ من تلك التي سبقتها.

مرت ساعة أخرى، ثم أخرى، وجاء النوم أخيرًا، ولكنه كان نومًا متقطعًا وبائسًا. خمن توماس أن الساعة كانت نحو الثانية صباحًا عندما تقلب من النوم على ظهره إلى النوم على بطنه للمرة المليون في تلك الليلة. وضع يديه أسفل ذقنه وأخذ يحدق أسفل السرير، ولم ير سوى ظل في خضم ذلك الضوء الخافت.

ثم تغير كل شيء.

سمع موجة من أصوات تشبه أصوات الماكينات الآلية آتية من الخارج، وتبعتها أصوات النقرات المألوفة من حركة الهوام فوق الأرضية الحجرية، وكأن شخصًا ما قد نثر حفنة من المسامير. هب توماس واقفًا على قدميه مثلما فعل معظم الآخرين.

ولكن نيوت كان مستيقظًا قبل الجميع، وأخذ يلوح بذراعيه، وأسكت جميع من في الغرفة بوضعه إصبعه على شفتيه، ثم جر ساقه العرجاء متجهًا نحو النافذة الوحيدة في الغرفة، والتي قد تم مسمرة ثلاثة ألواح من الخشب عليها على عجل. وأتاحت الشقوق الكبيرة بينها مساحة تسمح بإلقاء نظرة خاطفة إلى الخارج. انحنى نيوت ليلقي نظرة، وتسلل توماس للانضمام إليه.

قرفص بجانب نيوت أمام آخر الألواح الخشبية في أسفل النافذة، وأخذ ينظر إلى الخارج من خلال الشق. كان مرعوبًا لكونه بهذا القرب من الحائط، لكن كل ما رآه كانت أرض الجلايد منبسطة أمام عينيه؛ لم يكن لديه مساحة كافية للنظر إلى أعلى أو إلى أسفل أو إلى أي من الجانبين، لم يستطع سوى أن ينظر أمامه مباشرة فحسب، وبعد دقيقة أو نحو ذلك، استسلم واستدار ليجلس مسندًا ظهره إلى الحائط، أما نيوت فمشى وجلس على السرير.

مرت بضع دقائق، وكانت أصوات الهوام المختلفة تخترق الحائط بين كل عشر إلى عشرين ثانية. صرير محركات صغيرة، متبوع بصوت طقطقة معدنية ناتجة عن نقر مخالب الهوام على الحجر الصلب. صرير ثم نقرات وصرير ثم نقرات، وتوماس يرتعد خوفًا مع كل مرة يسمع فيها شيئًا.

بدا أن ثمة ثلاثًا أو أربعًا -على الأقل- منهن كن في الخارج مباشرة. سمع تلك الآلات الحيوانية تقترب أكثر فأكثر، وكأنها تنتظر فوق كل الكتل الحجرية المحيطة ببيت المزرعة، مُصدِرة عويلها وقعقعاتها المعدنية.

جف فم توماس، لقد رآها من قبل وجهًا لوجه، وكان يتذكرها جيدًا. كان الآخرون في الغرفة هادئين في أماكنهم، لم يصدر أحد أي صوت. بدا الخوف وكأنه يحوم في الهواء مثل عاصفة ثلجية سوداء.

سمعوا صوتًا يوحي بأن إحدى الهوام كانت تتحرك نحو المنزل، ثم تحول صوت نقر المخالب المعدنية على الحجر فجأة ليصبح أجوف وأكثر عمقًا. كان توماس قادرًا على تخيل كل شيء: تخيل المخالب المعدنية لتلك المخلوقة تحفر في الجوانب الخشبية للمنزل. كانت تلك المخلوقة الضخمة تدحرج جسدها، وتتسلق نحو غرفتهم، متحدية الجاذبية بقوتها. سمع توماس مخالب الهوام تمزق الخشب في طريقهن للصعود. كان المبنى بأكمله يهتز.

شعر توماس وكأن صوت الصرير والنقر وتمزيق الخشب هي الأصوات الوحيدة التي يمكن سماعها في العالم، كانت مروعة بحق. أخذت تعلو وتقترب أكثر فأكثر. تراجع الأولاد الآخرون في ارتباك، بعيدًا عن النافذة بقدر الإمكان، وتبعهم توماس أخيرًا، ونيوت بجانبه بالضبط. تجمع الكُل مقابل الحائط البعيد، وهم يحدقون إلى النافذة.

وفي اللحظة التي أصبح فيها الصوت لا يُطاق، أدرك توماس أن الهامة كانت على الجانب الآخر مباشرة من النافذة. هدأ كل شيء في تلك اللحظة وخيم الصمت فجأة، حتى إن توماس كاد يسمع دقات قلبه.

أخذت الأضواء تومض بالخارج، ملقية بأشعة ضوئية غريبة من خلال الشقوق بين الألواح الخشبية. ثم قطع ظل رقيق الضوء، وأخذَ يتحرك جيئة وذهابًا، فعرف توماس أن الهامة قد أخرجت مسابرها وأسلحتها، بحثًا عن وليمتها. تخيل أن ثمة خنافس معدنية تساعد تلك المخلوقات في إيجاد طريقها. وبعد ثوانٍ، توقف الظل، وثبت الضوء تمامًا: ثلاث شعاعات من الضوء الثابت داخل الغرفة.

كان التوتر يملأ الأجواء، لم يستطع توماس سماع أحد يتنفس، واعتقدَ أن الأمر نفسه يحدث في الغرف الأخرى من بيت المزرعة. ثم تذكر أن تيريسا كانت في الزنزانة. كان فقط يتمنى أن تقول له شيئًا. عندما انفتح باب الغرفة بقوة فجأة، انفجرت الصيحات داخل الغرفة، كان الفتيان يتوقعون شيئًا من النافذة، وليس من خلفهم. استدار توماس ليرى من فتح الباب، متوقعًا رؤية تشاك خائفًا أو ربما يكون آلبي قد غير رأيه وعاد، ولكن عندما رأى من يقف هناك، كاد رأسه ينفجر من الصدمة.

لقد كان جالي.

الفصل التاسع والثلاثون

كانت عينا جالي تتقدان بالجنون، وملابسه ممزقة وقذرة. جثا على ركبتيه وظل هناك، وصدره يرتفع وهو يكابد ليشهق أنفاسًا عميقة، يجول بنظره في أرجاء الغرفة مثل كلب مسعور يبحث عن شخص يعضه. لم ينطق أحد ببنت شفة. كان الأمر كما لو أنهم جميعًا -ومثلهم توماس- يؤمنون بأن جالي الذي يرونه لم يكن سوى من نسج خيالهم.

صرخ جالي قائلًا والبصاق يتطاير حوله في كل مكان:

- سيقتلونكم! الهوام ستقتلكم جميعًا، واحدًا في كل ليلة حتى تنتهي منكم!

كان توماس يراقب، وهو عاجز عن الكلام، بينما كان جالي يترنح على قدميه وهو يتقدم للأمام، جارًّا ساقه اليمنى بعرج ثقيل. لم يحرك أيٌّ ممَّن في الغرفة إصبعًا وهم يراقبون جالي، فمن الواضح أنهم كانوا في حالة من الذهول منعتهم من فعل أي شيء. حتى نيوت كان يقف مشدوهًا بفم مفتوح عن آخره، أما توماس فكاد يفوق خوفُه من زائرهم المفاجئ خوفَه من الهوام الموجودة خارج النافذة.

توقف جالي، وكان واقفًا على بعد بضعة أقدام فقط أمام توماس ونيوت، مشيرًا إلى توماس بإصبع دامية وقال بسخرية قد تجاوزت كونها كوميدية لتصبح مربكة تمامًا:

- أنت! هذا كله خطؤك!

ودون سابق إنذار، أرجح يده اليسرى، قابضًا إياها، وضرب توماس في أذنه. صرخ توماس وانهار على الأرض، من أثر المباغتة أكثر من الألم، ولكنه نهض سريعًا محاولًا الفرار من أمامه.

استفاق نيوت أخيرًا من ذهوله ودفع جالي بعيدًا. تعثر جالي إلى الخلف واصطدم بالمكتب الموجود بجوار النافذة، فسقط من جانبه المصباح وانكسر

على الأرض. ظن توماس أن جالي سينتقم، ولكنه اعتدل بدلًا من ذلك، وأخذ يرمق الجميع بنظرات جنونية، وقال وقد صار صوته الآن هادئًا ومخيفًا:

- لا يمكن حلها، تلك المتاهة المقشورة ستقتلكم جميعًا أيها العراقيب... الهوام ستقتلكم... واحدًا في كل ليلة حتى تنتهي منكم... أنا... الأمر أفضل هكذا...

ثم نظر إلى الأرض وأردف:

- سيقتلن واحدًا فقط في كل ليلة... إنها متغيراتهم اللعينة...

استمع توماس في رهبة، محاولًا قمع خوفه حتى يتمكن من حفظ كل كلمة مما قاله الفتى المجنون.

اتخذ نيوت خطوة للأمام وقال:

- جالي، أغلق فمك اللعين هذا! هنالك هامة خارج النافذة مباشرة. فقط اجلس على مؤخرتك وكن هادئًا، لعلها تذهب بعيدًا.

رفع جالي وجهه وضيَّق عينيه قائلًا:

- أنت لا تفهم شيئًا يا نيوت. أنت غبي جدًّا، لطالما كنتَ غبيًّا جدًّا. لا توجد طريقة للخروج، لا توجد طريقة للفوز! ستقتلكم جميعًا... واحدًا تلو الآخر!

وبعد أن قال الكلمة الأخيرة صارخًا، ألقى جالي جسده نحو النافذة وبدأ في تمزيق الألواح الخشبية وكأنه حيوان بري يحاول الهروب من قفص. وقبل أن يتمكن توماس أو أي شخص آخر من إبداء أي ردة فعل، كان قد اقتلع بالفعل أول لوح، وألقى به على الأرض.

أسرع نيوت للأمام وصاح قائلًا:

- لا!

وتبعه توماس للمساعدة، في عدم تصديق مطلق لما كان يحدث.

كان جالي قد انتزع اللوح الثاني في اللحظة التي وصل فيها نيوت إليه، ورفعه بكلتا يديه وضرب به نيوت على رأسه، فسقط مرتميًا على السرير وتناثرت قطرات من دمه على الملاءات.

استجمع توماس نفسه استعدادًا للقتال وصرخ قائلًا:

- جالي! ماذا تفعل؟!

بصق الفتى على الأرض وهو يلهث كالكلب.

- أغلق فمك اللعين يا توماس. أنت تخرس نهائيًّا! أعرفُ مَن أنت، لكنني لم أعد أهتم بعد الآن، ولا يمكنني سوى أن أفعل ما هو صحيح.

شعر توماس كما لو أن قدميه كانتا متسمرتين، متحيرًا تمامًا مما يقوله جالي. ووقف يشاهد الفتى ويمد يده للخلف ويخلع اللوح الأخير. وفي اللحظة التي وقع فيها اللوح المخلوع على أرضية الغرفة، انفجر زجاج النافذة إلى الداخل مثل سرب من الدبابير الكريستالية. غطى توماس وجهه وسقط أرضًا، وأخذ يدفع نفسه بساقيه ليبعد جسده بأسرع ما يمكنه، وعندما اصطدم بالسرير، استجمع نفسه ونظر إلى أعلى، على استعداد لمواجهة نهاية العالم بالنسبة إليه.

كان جسد الهامة المنتفخ يتلوى في منتصف الطريق بالفعل عبر النافذة المحطَّمة، وكانت أذرعها المعدنية المليئة بالأسلحة والكمَّاشات التي تنفتح وتنغلق تتحرك في جميع الاتجاهات، وتوماس في غاية الرعب، وبالكاد استوعب أن جميع من في الغرفة قد فروا إلى الردهة، جميعهم باستثناء نيوت، الذي كان فاقدًا الوعي على السرير.

كان ما يزال توماس متجمدًا في مكانه وهو يراقب إحدى الأذرع الطويلة للهامة تمتد للجسد الملقى على السرير بلا حراك، وكان هذا كل ما يلزمه لكسر خوفه. هب واقفًا على قدميه، وفتش في الأرض من حوله بحثًا عن سلاح. كل ما رآه كان سكاكين، وهي غير قادرة على مساعدته الآن؛ انفجر الذعر بداخله، وقد استهلكه تمامًا.

تحدث جالي مرة أخرى، وسحبت الهامة ذراعها للخلف وكأنها بحاجة إلى الاستماع والرصد، ولكن جسدها كان ما يزال يتحرك بعنف، محاولًا شق طريقها إلى الداخل عبر النافذة.

صرخ الفتى وقد غطى صوته على الضوضاء الرهيبة التي كانت تصدرها تلك المخلوقة، وشق صوته طريقه في أرجاء بيت المزرعة، حتى كاد يمزق الحوائط إلى أشلاء:

- لم يفهم أحد قط! لم يفهم أحد ما رأيت، ما فعله بي التحوُّل! لا تعُد إلى العالم الحقيقي يا توماس! إنك لا... ترغب... في التذكر!

رمق جالي توماس بنظرة طويلة ومخيفة، وعيناه ممتلئتان بالذعر، ثم استدار وألقى بنفسه على جسد الهامة المتلوي. صاح توماس وهو يشاهد كل ذراع ممتدة لهذه المخلوقة المتوحشة تتشبث فورًا بجالي وتحكم قبضتها

على ذراعيه وساقيه، جاعلة من الهروب أو الإنقاذ أمرًا مستحيلًا. غرق جسد الفتى عدة بوصات في لحمها الرخوي، مصدرًا صوتًا مروعًا ومثيرًا للاشمئزاز، ومن ثم وبسرعة مفاجئة، دفعت الهامة نفسها للخلف خارج الإطار المحطَّم للنافذة وبدأت في الهبوط نحو الأرض أدناه.

ركض توماس إلى فتحة الشباك المسننة المتعرجة ونظر إلى أسفل في الوقت المناسب تمامًا ليرى لحظة ارتطام الهامة بالأرض وبدئها في الانطلاق بسرعة عبر الجلايد، وكان جسد جالي يظهر ويختفي كلما تدحرجت تلك الشيء. سطعت أضواء تلك المخلوقة المتوحشة ملقية بتوهج أصفر غريب على حجر الباب الغربي المفتوح، حيث خرجت الهامة إلى أعماق المتاهة. ثم بعد مرور ثوانٍ، تبعت بقية المخلوقات المتوحشة رفيقتهن إلى خارج الجلايد، وقد تعالتْ أصوات الطنين والنقر كما لو كنَّ يحتفلن بانتصارهن.

شعر توماس بالقرف وكان على وشك التقيؤ. بدأ في التراجع عن النافذة، لكن شيئًا ما في الخارج لفت انتباهه؛ انحنى بسرعة إلى خارج النافذة للحصول على رؤية أفضل، كان هناك شخص وحيد يركض عبر ساحة الجلايد باتجاه المخرج الذي قد تم نقل جالي عبره للتو!

وعلى الرغم من سوء الإضاءة، أدرك توماس على الفور من هو ذلك الشخص.

أخذ يصرخ -يصيح به حتى يتوقف- ولكن كان الأوان قد فات.

كان مينهو، يعدو بأقصى سرعته، حتى اختفى داخل المتاهة.

الفصل الأربعون

أُشعلت الأضواء في أنحاء بيت المزرعة كافة، وأخذ الفتيان يركضون هنا وهناك، الجميع يتحدثون في وقت واحد. وكان ثمة فَتَيان يبكيان في زاوية. عمَّت الفوضى في المكان بأكمله.

تجاهل توماس كل هذا.

ركض إلى الممر، ثم قفز نزولًا على الدرج، ثلاث درجات في القفزة الواحدة، ثم شق طريقه عبر حشد في الردهة، وخرج من بيت المزرعة منطلقًا نحو الباب الغربي بأقصى سرعة. توقف للحظات قليلة عند عتبة المتاهة، فقد أجبرته غرائزه على التفكير مرتين قبل الدخول.

ناداه نيوت من الخلف، مما أخَّر قراره.

صاح توماس عندما أمسك به نيوت قائلًا:

- لقد تبعهن مينهو للخارج!

كان نيوت يضغط بمنشفة صغيرة على الجرح في رأسه، وكانت هناك بقعة من الدم قد تسربت بالفعل من خلال الأنسجة البيضاء.

قال نيوت:

- لقد رأيته.

ثم أردف وهو يزيل المنشفة من فوق رأسه لينظر إليها:

- قَشْرًا، هذا يؤلم كالجحيم. لا بد أن مينهو قد استهلك آخر ما تبقى من خلايا دماغه السليمة، ناهيك بجالي؛ لطالما كنت أعلم أنه مجنون.

لم يستطع توماس إلا أن يقلق بشأن مينهو.

- سأذهب وأعثر عليه.

- أحان الوقت لتلعب دور البطل اللعين مرة أخرى أم ماذا؟

نظر توماس إلى نيوت بحدة، وقد آلمته كلماته.

- أتعتقدون أنني أفعل هذا لأثير إعجابكم أيها العراقيب؟ بالتأكيد لا، كل ما يهمني هو الخروج من هنا.

- نعم، حسنًا، بالطبع، هذا هو العادي بالنسبة إليك، لكننا لدينا مشكلات أسوأ في الوقت الحالي.

- ما هي؟

كان توماس يعرف أنه إذا ما كان يريد اللحاق بمينهو فلا وقت لديه لسماع ذلك.

بدأ نيوت يحكي قائلًا:

- أحدهم...

صاح توماس قائلًا:

- ها هو ذا!

كان مينهو قد ظهر للتو عند زاوية في الأمام وكان قادمًا مباشرة إليهما. جوَّف توماس كفيه وصاح بهما قائلًا:

- ما الذي كنت تفعله أيها الأحمق؟!

انتظر مينهو حتى عبر الباب، ثم انحنى ووضع يديه على ركبتيه والتقط أنفاسه قبل أن يجيبه قائلًا:

- أنا فقط... أردت أن... أتأكد.

سأل نيوت قائلًا:

- تتأكد من ماذا؟ إنك لمحظوظ لأنك لم تؤخَذ مع جالي.

استقام مينهو ووضع يديه على فخذيه وكان ما يزال يلتقط أنفاسه بصعوبة.

- اهدؤوا يا رفاق! أردت فقط أن أرى ما إذا كُنَّ سيذهبن نحو الجرف، نحو حفرة الهوام.

قال توماس:

- و؟

فأجاب مينهو وهو يمسح العرق عن جبهته:

- أجل، ذلك ما حدث.

قال نيوت هامسًا:

- لا يمكنني تصديق ذلك. يا لها من ليلة!

حاولت أفكار توماس أن تنجرف نحو الحفرة وما يعنيه كل ذلك، لكنه لم يستطع إلا أن يفكر فيما كان نيوت على وشك قوله قبل أن يريا مينهو عائدًا. فسأل قائلًا:

- ما الذي كنت على وشك أن تخبرني به؟ لقد قلت إن لدينا مشكلات أسوأ...

فأجاب نيوت وهو يشير بإبهامه قائلًا:

- أجل. ما يزال بإمكانك رؤية الدخان اللعين هناك.

نظر توماس في الاتجاه الذي أشار إليه. كان الباب المعدني الثقيل لغرفة الخرائط مفتوحًا جزئيًّا، وكان ثمة أثر خفيف من الدخان الأسود يتدفق نحو السماء الرمادية.

- أحدهم أحرق صناديق الخرائط. الصناديق كلها بلا استثناء.

***

لسبب ما، لم يكن توماس يهتم بأمر الخرائط كثيرًا؛ لقد بدت له عديمة الفائدة على أي حال. كان يقف أمام نافذة الزنزانة بعد أن ترك نيوت ومينهو عندما ذهبا للتحقيق في أمر تخريب غرفة الخرائط. لاحظ توماس أنهما قد تبادلا نظرات غريبة قبل أن ينفصلا، وكأنهما كانا يخبئان سرًّا ما، لكن توماس لم يكن يفكر سوى في شيء واحد فقط.

- تيريسا؟

ظهر وجهها بعدما ناداها مباشرة وكانت يداها تفركان عينيها، وسألت بصوت ناعس إلى حد ما قائلة:

- هل قُتِلَ أحد؟

سأل توماس وقد اطمأن لرؤية أنها تبدو بخير، وارتاح قلبه:

- أكنتِ نائمة؟

فأجابته قائلة:

- أجل، كنت، حتى سمعت شيئًا يمزق بيت المزرعة إلى أشلاء. ماذا حدث؟

هز توماس رأسه في حالة من الذهول، وقال:

- لا أعرف كيف كان بإمكانك النوم وسط أصوات كل تلك الهوام التي كانت هنا.

- إذا جربت أن تستيقظ من غيبوبة في يوم ما، فستعرف كيف. *والآن فلتجِب عن سؤالي* (قالت داخل رأسه).

رمش توماس بعينيه، وقد فوجئ لحظيًا بصوتها داخل رأسه لأنها لم تفعل ذلك منذ فترة.

- توقفي عن فعل هذا.

- فقط أخبرني بما حدث.

تنهد توماس، فقد كانت قصة طويلة، ولم يشعر برغبة في أن يحكي كل ما حدث.

- أنت لا تعرفين جالي، ولكنه فتى مجنون، قد هرب منذ فترة، ثم ظهر اليوم فجأة، وقفز على إحدى الهوامِ، فأخذته الهامة، وانطلقن جميعًا إلى المتاهة. لقد كان الأمر غريبًا حقًا.

كان ما يزال لا يصدق أن هذا قد حدث بالفعل.

قالت تيريسا:

- هذا يعني الكثير.

- أجل.

كان ينظر خلفه، على أمل أن يرى آلبي في مكان ما، فمن المؤكد أنه سيسمح لتيريسا بالخروج الآن. كان الفتيان قد انتشروا في جميع أنحاء الجلايد، ولكن لم يكن هناك أي أثر لقائدهم، فالتفت إلى تيريسا مرة أخرى وقال:

- أنا فقط لا أفهم، لماذا غادرت الهوام بعدما حصلن على جالي؟ لقد قال شيئًا عن أنهن سيقتلننا واحدًا في كل ليلة حتى نموت جميعًا. لقد قال ذلك مرتين على الأقل.

وضعت تيريسا يديها بين القضبان، وأراحت ساعديها على الحافة الخرسانية للنافذة، وقالت:

- واحد فقط كل ليلة؟ لماذا؟

- لا أعرف. وقال أيضًا إن الأمر يتعلق بـ... تجارب، أو متغيرات، شيء كهذا.

كانت لدى توماس نفس الرغبة الغريبة التي شعر بها في الليلة السابقة؛ أن يمد يده ويمسك بإحدى يديها، ولكنه منع نفسه.

- توم، كنت أفكر فيما أخبرتني بأنني قد قلته؛ أن المتاهة عبارة عن شفرة. إن الوجود هنا يفعل العجائب لجعل الدماغ يفكر في كل شيء.

- ماذا يعني هذا برأيك؟

كان مهتمًا للغاية لسماع الإجابة، حاول تجاهل كل الصراخ والضجيج الذي يتردد عبر الجلايد بعد أن اكتشف أفراد الجلايد أن غرفة الخرائط قد تم حرقها.

- حسنًا، تتحرك الجدران كل يوم، صحيح؟

- أجل.

كان بإمكانه أن يستشف أنها بالفعل كانت قادرة على استنتاج شيء ما.

- وقال مينهو إنهم يعتقدون أن هناك نمطًا، صحيح؟

- صحيح.

بدأت التروس تدور في ذهن توماس أيضًا، تقريبًا كما لو كانت هناك قصاصات من ذاكرته القديمة قد بدأت تتحرر.

- حسنًا، لا أتذكر ما قلته لك عن الشفرة، لكنني أعلم أنني عندما كنت أستفيق من الغيبوبة، كانت كل أنواع الأفكار والذكريات تدور في رأسي بجنون، كما لو أن شخصًا ما كان يشفطها من عقلي ليفرغه تمامًا، وشعرت أنني بحاجة إلى قول هذا الشيء عن الشفرة قبل أن أنساه، لذلك يجب أن يكون هناك سبب مهم.

لم ينتبه توماس كثيرًا لما قالته، فقد كان ذهنه مشغولًا بالتفكير أكثر من أي وقت مضى.

- إنهم يقارنون دائمًا خريطة كل قسم بخريطته في الأيام السابقة، يومًا بعد يوم، كل عدَّاء مسؤول عن مراجعة خرائط القسم الخاص به فحسب. ماذا لو كان من المفترض أن يقارنوا الخرائط مع الأقسام الأخرى...؟

ثم سكت لبرهة، وقد شعر أنه على أعتاب التوصل إلى شيء ما.

بدا على تيريسا أنها كانت تتجاهله، وتحاول التوصل إلى نظريتها الخاصة.

- أول ما يتبادر إلى ذهني عند سماع كلمة «شفرة» هي الحروف؛ الحروف الأبجدية. ربما المتاهة تحاول تهجئة شيء ما.

ترابطت كل الأفكار معًا بسرعة كبيرة في ذهن توماس، كاد يسمع طقطقة في رأسه، كما لو كانت قطع أحجية قد سقط كلٌّ منها في مكانه مرة واحدة.

- أنتِ على حق... أنتِ على حق! لكن العدَّائين كانوا ينظرون إلى الأمر بطريقة خاطئة طوال هذا الوقت، كانوا يحللون الخرائط بطريقة خاطئة!

أحكمت تيريسا قبضتها على القضبان بأصابعها البيضاء، وضغطت وجهها بين القضبان الحديدية وقالت:

- ماذا؟ ما الذي تتحدث عنه؟

أمسك توماس باثنين من القضبان أبعد من اللذين تمسكهما هي، واقترب بما يكفي لشم رائحتها، رائحة لطيفة بشكل مدهش، مزيج بين العرق والزهور.

- قال مينهو إن الأنماط تكرر نفسها، وإنهم فقط لا يستطيعون معرفة ما يعنيه ذلك، ولكنهم لطالما كانوا يدرسونها قسمًا قسمًا، ويقارنونها يومًا بيوم. ماذا لو كان كل يوم عبارة عن جزء منفصل من الشفرة، وأنه من المفترض أن يستخدموا الأقسام الثمانية معًا بطريقة ما؟

سألت تيريسا قائلة:

- أتعتقد أنها ربما كل يوم تحاول الكشف عن كلمة؟ عن طريق حركات الجدران؟

أومأ توماس برأسه ثم قال:

- أو ربما حرف في كل يوم، لا أعرف. لكنهم دائمًا ما كانوا يعتقدون أن الحركات تكشف عن كيفية الهروب، لا أن تحاول تهجئة شيء ما. لقد كانوا يدرسونها كخريطة، وليس كصورة لشيء ما. علينا أن...

ثم سكت فجأة، متذكرًا ما أخبره به نيوت للتو.

- أوه، لا.

اتقدت عينا تيريسا بالقلق وسألته قائلة:

- ما الخطب؟

- أوه لا، أوه لا، أوه لا، يا إلهي...

ترك توماس القضبان وعاد خطوة للوراء وكأن إدراكه للأمر قد أصابه بصدمة. استدار لينظر إلى غرفة الخرائط. خفَّ الدخان، لكنه ما زال يخرج من الباب، وثمة سحابة من الضباب الداكن تغطي المنطقة بأكملها.

- ما الخطب؟

كررت تيريسا سؤالها، فهي لم تستطع رؤية غرفة الخرائط من زاويتها.

التفت إليها توماس مرة أخرى وقال:

- لم أكن أعتقد أن الأمر مهم...

- ماذا؟!

- شخص ما قد أحرق كل الخرائط. إذا كانت هناك شفرة، فقد اختفت.

الفصل الحادي والأربعون

استدار للذهاب وقد شعر بحرقة في معدته، وقال سريعًا قبل أن يذهب:

- سأعود ثانيةً. يجب أن أعثر على نيوت، وأعرف ما إذا كان أيٌّ من الخرائط ما زالت سليمة.

صاحت تيريسا قائلة:

- انتظر! أخرجني من هنا!

ولكن لم يكن هناك وقت، وشعر بالسوء حيال ذلك.

- لا أستطيع. سأعود مجددًا، أعدك.

استدار قبل أن تتمكن من الاحتجاج وانطلق في عَدْو سريع إلى غرفة الخرائط وسحابتها الدخانية السوداء. شعر بإبر من الألم تنخز في أحشائه، فإذا كانت تيريسا على حق، وكانوا بالفعل على وشك إيجاد مفتاح الحل لخروجهم من هنا، فمجرد رؤية كل شيء يضيع بين ألسنة اللهب كان... أمرًا محزنًا ومؤلمًا للغاية.

أول ما رآه توماس وهو يعدو مجموعة من فتيان الجلايد محتشدين أمام الباب الفولاذي الكبير مباشرة، الذي كان ما يزال مواربًا، والحافة الخارجية قد اسودَّت من السخام. ولكن عندما اقترب أكثر، أدرك أنهم كانوا يحيطون بشيء ما على الأرض، وكلهم ينظرون إليه. رأى نيوت راكعًا هناك في المنتصف، يميل على جسد شخص ما.

كان مينهو يقف خلفه، وقد بدا في حالة من الذهول والصدمة وملابسه متسخة، وكان أول من رأى توماس من بين الجميع. سأله قائلًا:

- إلى أين قد ذهبت؟

- للتحدث مع تيريسا. ماذا حدث؟

وانتظر في قلق سماع الدفعة التالية من الأخبار السيئة.

تجعد جبين مينهو من الغضب وقال:

- لقد أُضرِمَت النيران في غرفة خرائطنا وأنت ركضت لتتحدث إلى صديقتك المقشورة؟ ما خطبك؟

كان توماس يعرف أن هذا التوبيخ كان يجب أن يؤثر فيه، ولكن عقله كان مشغولًا للغاية.

- لم أكن أعتقد أن الأمر يهم بعد الآن؛ لأن دراسة الخرائط لم تكن تجدي نفعًا حتى هذا اليوم...

نظر مينهو إليه باشمئزاز، وزاد الضوء الشاحب والضباب الدخاني الأمر بأن جعل وجهه ونظراته تكاد تكون شريرة.

- أجل، لذا سيكون هذا وقتًا رائعًا للاستسلام. ما الذي تقوله بحق الـ...

- أنا آسف. فقط أخبرني بما حدث.

مال توماس قليلًا فوق كتف فتى نحيل يقف أمامه ليلقي نظرة على الجسد الملقى على الأرض.

لقد كان آلبي ممددًا على ظهره، وهناك جرح كبير ظاهر على جبهته، والدم يسيل من كلا جانبي رأسه، وبعض منه كان يسيل على عينيه، وقد تراكم هناك، ونيوت ينظفه بخرقة مبللة، بعناية شديدة. عاد توماس -الذي كان قلِقًا على آلبي على الرغم من أسلوبه القاسي في الفترة الأخيرة- إلى مينهو وكرر عليه سؤاله.

- وجده وِنستون هنا، نصف ميت، عندما كانت غرفة الخرائط مشتعلة. دخل بعض العراقيب وأخمدوا النيران، لكن بعد فوات الأوان. كل الصناديق قد احترقت حتى أصبحت رمادًا. لقد شككت في آلبي في البداية، ولكن أيًا كان من فعل ذلك فقد ضرب رأس آلبي في الطاولة... يمكنك رؤية مكان الدم. المنظر مقرف.

- من تعتقد أنه فعلها؟

كان توماس مترددًا في إخباره عن الاكتشاف المحتمَل الذي قد توصل إليه هو وتيريسا، فمع عدم وجود خرائط، أصبح الأمر برمته بلا فائدة.

- ربما كان جالي، قبل أن يظهر لنا في بيت المزرعة ويجن جنونه؟ ربما الهوام؟ لا أعلم، ولا أبالي. لا يهم.

تفاجأ توماس من هذا التغير المفاجئ في الموقف.

- من منًا الذي يستسلم الآن؟

رفع مينهو رأسه بسرعة كبيرة، حتى إن توماس أخذ خطوة للوراء. كانت على وجهه ومضة من الغضب، لكنها سرعان ما تلاشت وتحولت إلى تعبير غريب يوحي بالمفاجأة والارتباك.

- ليس هذا ما قصدته أيها العرقوب.

ضيَّق توماس عينيه في فضول، وسأل قائلًا:

- ماذا تـ...

- فقط أغلق فمك الآن.

قالها مينهو وهو يضع أصابعه على شفتيه، وأخذت عيناه تنظران في جميع الاتجاهات لمعرفة ما إذا كان هناك من ينظر إليه.

- فقط أغلق فمك وستعرف ذلك قريبًا بما فيه الكفاية.

أخذ توماس نفسًا عميقًا وأخذ يفكر. إذا كان يريد بقية الأولاد أن يكونوا صادقين معه، فعليه أن يكون صادقًا معهم هو الآخر. قرر أنه من الأفضل مشاركة الفكرة المحتمَلة حول شفرة المتاهة، بغض النظر عن وجود الخرائط أو عدمه.

- مينهو، أريد أن أخبرك أنت ونيوت بشيء. ونحن بحاجة إلى السماح لتيريسا بالخروج، فعلى الأرجح أنها تتضور جوعًا ويمكننا الاستفادة من مساعدتها.

- تلك الفتاة الغبية هي آخر شيء يمكنني أن أقلق بشأنه.

تجاهل توماس الإهانة، وحاول إقناعه قائلًا:

- امنحنا بضع دقائق فقط؛ لدينا فكرة. ربما قد تكون مفيدة إذا تذكَّر عدد كافٍ من العدَّائين خرائطهم.

بدا أن هذا الكلام قد استحوذ على انتباه مينهو بشكل كامل، ولكن مجددًا، ارتسمت على وجهه تلك النظرة الغريبة نفسها، وكأن توماس كان يفوته شيء في غاية الوضوح.

- فكرة؟ فكرة ماذا؟

- فقط تعال معي إلى الزنزانة، أنت ونيوت.

فكر مينهو للحظة ثم نادى قائلًا:

- نيوت!

- نعم؟

وقف نيوت، وأخذ يطوي خرقته الملطخة بالدم بحثًا عن بقعة نظيفة. ولم يستطع توماس ألا يلحظ كل بوصة منها كانت مغمورة باللون الأحمر.

أشار مينهو إلى آلبي في الأسفل وقال:

- دع الطبيجية يعتنون به؛ علينا أن نتحدث.

رمقه نيوت بنظرة تساؤل، ثم سلم قطعة القماش إلى أقرب فتى بجانبه قائلًا له:

- اذهب وابحث عن كلينت، أخبره بأن لدينا مشكلات أسوأ من الفتيان الذين يعانون جروحًا بسبب شظايا زجاج النافذة اللعينة.

وعندما ركض الفتى ليفعل ما قيل له، ابتعد نيوت عن آلبي وقال:

- نتحدث عن ماذا؟

أومأ مينهو برأسه نحو توماس، لكنه لم يقل أي شيء.

قال توماس:

- تعاليا معي فحسب.

ثم استدار واتجه نحو الزنزانة دون أن ينتظر ردًا.

***

عندما وصل إلى باب الزنزانة، وقف عاقدًا ذراعيه وقال:

- دعاها تخرج، دعاها تخرج ثم سنتحدث. صدقاني، سترغبان في سماع ذلك.

كان نيوت مغطى بالسخام والوَسَخ، وشعره متلبد بالعرق، ومن المؤكد أنه لم يبدُ في مزاج رائق للغاية. قال:

- تومي، هذا...

- أرجوك. افتحه فحسب. دعها تخرج. أرجوك.

لم يرغب في الاستسلام هذه المرة.

وقف مينهو أمام الباب وقد وضع يديه على خصره قائلًا:

- كيف لنا أن نثق بها؟ منذ أن استيقظت وانقلب المكان بأكمله رأسًا على عقب، حتى إنها اعترفت بنفسها بأنها حفّزت حدوث شيء ما.

قال نيوت:

- إنه محق.

أشار توماس عبر الباب إلى تيريسا قائلًا:

- يمكننا الوثوق بها. في كل مرة تحدثتُ فيها معها، كان حديثنا يتعلق بمحاولة الخروج من هنا. لقد تم إرسالها إلى هنا مثلنا تمامًا. من الغباء أن نعتقد بأنها المسؤولة عن أي من هذا.

ضحك نيوت قائلًا:

- إذن ما الذي كانت تعنيه بقولها إنها قد حفزت حدوث شيء ما؟ ما الذي يعنيه ذلك بحق الجحيم؟

هز توماس كتفيه رافضًا الاعتراف بأن نيوت لديه وجهة نظر جيدة. كان لا بد من وجود تفسير.

- ومن يدري؟ لقد كان عقلها في حالة مضطربة وتدور فيه الكثير من الأشياء الغريبة عندما استيقظت. ربما قد مررنا جميعًا بتلك الحالة عندما كنا في الصندوق، نهلوس بقول أي هراء قبل أن نصل مستيقظين تمامًا. فقط دعاها تخرج.

تبادل نيوت ومينهو نظرة طويلة.

ثم أصر توماس قائلًا:

- هيا! ما الذي قد تفعله؟ هل ستجري وتطعن كل فتيان الجلايد حتى الموت؟ بحقكما.

تنهد مينهو وقال:

- حسنًا. فلنطلق سراح تلك الفتاة الغبية.

صاحت تيريسا -وقد بدا صوتها مكتومًا بسبب الجدران- قائلة:

- أنا لست غبية! ويمكنني سماع كل كلمة تقولونها أيها الحمقى!

اتسعت عينا نيوت وقال:

- يا لها من فتاة لطيفة بحق لتصاحبها يا توماس.

قال توماس:

- فقط أسرعا، أنا متأكد من أن لدينا الكثير لنفعله قبل عودة الهوام الليلة، هذا إذا لم يأتين خلال النهار.

ضحك نيوت وخطا تجاه الزنزانة وهو يسحب مفاتيحه، وبعد بضع نقرات، فُتِح الباب على مصراعيه.

- هيا. اخرجي.

خرجت تيريسا، وحدقت إلى نيوت بسخط عند مرورها بجانبه، ورمقت مينهو كذلك بنظرة بغيضة أخرى، ثم توقفت بجانب توماس تمامًا، وقد لمست ذراعها ذراعه. أُصيب بقشعريرة خفيفة في جلده، وشعر بالحرج الشديد.

قال مينهو:

- حسنًا، تحدثا. ما الأمر المهم للغاية؟

نظر توماس إلى تيريسا، متسائلًا كيف عليه صياغة ذلك.

قالت:

- ماذا؟ تحدث أنت؛ من الواضح أنهما يعتقدان أنني قاتلة متسلسلة.

فتمتم توماس قائلًا:

- نعم، تبدين كشخص شديد الخطورة.

لكنه حوَّل انتباهه إلى نيوت ومينهو بعد ذلك وقال:

- حسنًا، عندما كانت تيريسا تستفيق من نومها العميق، كان لديها ذكريات تومض في عقلها. لقد إمم... (بالكاد استطاع منع نفسه من قول إنها كانت تخبره بذلك داخل عقله) لقد أخبرتني فيما بعد بأنها تتذكر أن المتاهة عبارة عن شفرة. إذن فبدلًا من محاولة حلها من أجل إيجاد مخرج، ربما كانت تحاول إيصال رسالة لنا.

سأل مينهو قائلًا:

- شفرة؟ كيف لها أن تكون شفرة؟

هز توماس رأسه، متمنيًا لو كان بمقدوره الإجابة.

- لا أعرف على وجه اليقين، فأنت على دراية بالخرائط أكثر مني. ولكنني لدي نظرية، لهذا السبب كنت أتمنى أن يكون بإمكانكما أن تتذكرا بعضًا من الخرائط يا رفاق.

نظر مينهو إلى نيوت ورفع حاجبيه، فأومأ نيوت برأسه.

سأل توماس وقد سئم من تصرفهما وكأنهما يخفيان عنه معلومات:

- ماذا هناك؟ إنكما يا رفاق تتصرفان وكأنكما تخفيان سرًّا.

فرك مينهو عينيه بكلتا يديه، وأخذ نفسًا عميقًا ثم قال:

- لقد خبَّأنا الخرائط يا توماس.

لم يفهم في البداية.

- هاه؟

أشار مينهو إلى بيت المزرعة قائلًا:

- لقد خبأنا الخرائط اللعينة في غرفة الأسلحة، ووضعنا أخرى مزوَّرة في مكانها، بسبب تحذير آلبي، وبسبب ما يسمى بالنهاية التي قد حفزتها صديقتك.

كان توماس في غاية الحماس لسماع هذا الخبر، حتى كاد ينسى مدى السوء الذي قد آلت إليه الأمور مؤخرًا. تذكر كيف كان مينهو يتصرف بشكل مريب في اليوم السابق، قائلًا إن لديه مهمة خاصة. نظر توماس إلى نيوت، الذي قد أومأ برأسه مؤكِّدًا الخبر.

قال مينهو:

- كلها في الحفظ والصون. كل ورقة ما زالت موجودة، لذلك إذا كان لديك نظرية، فلتتحدث.

- خذني إليها.

قالها توماس متلهفًا من أجل إلقاء نظرة.

- حسنًا، فلنذهب.

الفصل الثاني والأربعون

أشعل مينهو الضوء، مما جعل توماس يغمض عينيه نصف إغماضة لثوانٍ قليلة حتى اعتادته عيناه. كانت الظلال ملتصقة بصناديق الأسلحة المنتشرة على الطاولة وعلى الأرض، مليئة بالسكاكين والعصي وغيرها من الأدوات غير المبهجة، والتي بدت وكأنها تنتظر هناك على استعداد لإنهاء حياة أي شخص غبي بما فيه الكفاية ليقترب. ولم تسهم رائحة الرطوبة العفنة إلا في زيادة الإحساس المخيف للغرفة.

أوضح مينهو قائلًا:

- هناك خزانة مخفية بالخلف.

ثم مشى مارًّا ببعض الرفوف متجهًا نحو زاوية مظلمة، وأضاف:

- اثنان منا فقط من يعرفان ذلك الأمر.

سمع توماس صرير باب خشبي قديم، وإذا بمينهو يسحب صندوقًا كرتونيًّا عبر الأرضية، وقد بدا صوت جره على الأرض كصوت سكين يكحت في عظم.

- وضعت محتويات كل صندوق في كرتونة منفصلة، بإجمالي ثماني كرتونات، كلها موجودة هنا.

ركع توماس بجانبه متلهفًا للبدء، وسأل قائلًا:

- كرتونة أي قسم هذه؟

- ما عليك سوى أن تفتحها وترى. الصفحات جميعها مرقمة. أتتذكر؟

سحب توماس الأغطية المجنحة المتقاطعة للعلبة الكرتونية حتى انفتحت. كانت خرائط القسم الثاني مكوَّمة بشكل فوضوي. أخرج توماس رزمة منها وقال:

- حسنًا، لطالما كان العداؤون يقارنون هذه الخرائط يومًا بيوم، محاولين معرفة ما إذا كان هناك نمط من شأنه أن يساعد بطريقة ما في اكتشاف

طريق للخروج. حتى إنك قد قلت بأنك لا تعرف حقًا ما الذي كنت تبحث عنه، ولكنك كنت تواصل دراستها ومقارنتها على أي حال. صحيح؟

أومأ مينهو برأسه وهو عاقد ذراعيه. لقد بدا كأن شخصًا ما على وشك أن يخبره بسر الحياة الخالدة.

تابع توماس كلامه قائلًا:

- حسنًا، ماذا لو كانت حركات الجدران لا علاقة لها بخريطة أو متاهة أو أي شيء من هذا القبيل؟ ماذا لو كان الأمر ليس فقط تغييرًا لنمط المتاهة وإنما محاولة لتهجي كلمات؟ كلمات دلالية لتساعدنا على الهروب.

أشار مينهو إلى الخرائط في يد توماس وتنهد في إحباط ثم قال:

- يا صاحبي، هل لديك أي فكرة عن كم الوقت الذي أمضيناه ندرس هذه الأشياء؟ ألا تعتقد أننا كنا سنلاحظ ما إذا كانت هناك تهجئة لكلمات لعينة؟

- ربما يكون من الصعب جدًا رؤيتها بالعين المجردة، فقط عن طريق مقارنة يوم واحد بآخر. ربما لم يكن من المفترض مقارنة اليوم بالذي يليه، وإنما النظر إلى كل يوم على حدة.

ضحك نيوت وقال:

- تومي، قد لا أكون الفتى الأكثر ذكاءً في الجلايد، ولكن يبدو أن نظريتك تلك نابعة من مؤخرتك لا عقلك.

وبينما كان يتحدث، كان عقل توماس يدور أسرع وأسرع. كان الجواب قريبًا جدًا، كان يعلم أنه على وشك الوصول إليه، كان فقط من الصعب صياغته في كلمات.

قال:

- حسنًا، حسنًا، سأشرح من جديد. لطالما كان لديكم عدَّاء واحد مخصص لكل قسم، صحيح؟

أجابه مينهو وقد بدا مهتمًا بحق وعلى أتم استعداد للفهم:

- صحيح.

- ويقوم هذا العدَّاء برسم خريطة كل يوم، ثم يقارنها بخرائط من الأيام السابقة، لنفس القسم. ماذا لو، بدلًا من ذلك، كان من المفترض بكم أن

تقارنوا الأقسام الثمانية ببعضها كل يوم؟ وكأن كل يوم هو إشارة أو شفرة منفصلة؟ هل سبق لكم مقارنة أقسام بأقسام أخرى؟

حك مينهو ذقنه وهو يومئ برأسه قائلًا:

- أجل، نوعًا ما. حاولنا معرفة ما إذا كان سيتضح شيء ما عند تجميعهم معًا، بالطبع فعلنا ذلك.

ربَّع توماس رجليه وأخذ يدرس الخرائط التي وضعها في حِجره. كان بالكاد يستطيع رؤية خطوط المتاهة المرسومة على الصفحة الثانية من خلال الصفحة الموضوعة في الأعلى. وفي تلك اللحظة، عرف ما الذي كان يجب عليهم فعله. رفع رأسه ونظر إليهم قائلًا:

- ورق شمع.

سأل مينهو قائلًا:

- هاه؟ ما الذي تقوله بحق الـ...

- فقط ثق بي. نحن بحاجة إلى ورق شمع ومقص وقلم تحديد وكل الأقلام السوداء وأقلام الرصاص التي يمكنكم العثور عليها.

***

لم يكن السيد طاسة سعيدًا جدًّا بسلب علبة كاملة من لفات ورق الشمع الخاصة به، وبخاصة أنه قد تم قطع الإمدادات عنهم. لقد جادل قائلًا بأنه من أكثر الأشياء التي يحتاج إليها، وأنه دائمًا ما يستخدمه في أثناء الخَبْز، وكان عليهم أخيرًا إخباره بالسبب الذي يحتاجون إليه من أجله لإقناعه بالتخلي عنها.

وبعد عشر دقائق من البحث عن أقلام التحديد وأقلام الرصاص -التي كان معظمها قد تلف في أثناء حريق غرفة الخرائط- جلس توماس حول طاولة العمل داخل قبو الأسلحة مع نيوت ومينهو وتيريسا. لم يتمكنوا من العثور على أي مقص، لذلك أحضر توماس أحدَّ سكين وجده.

قال مينهو بنبرة تحذيرية:

- من الأفضل أن يكون الأمر يستحق العناء.

ولكن عينيه كانتا تظهِران بعض الحماس والاهتمام.

انحنى نيوت إلى الأمام، واضعًا مرفقيه على الطاولة، كما لو كان ينتظر رؤية خدعة سحرية، وقال:

- هيا أيها العود الأخضر، أرنا ما لديك.

- حسنًا.

كان توماس متلهفًا للقيام بذلك، ولكنه كان خائفًا حد الموت أنه قد ينتهي به المطاف إلى لا شيء. سلَّم السكين إلى مينهو، ثم أشار إلى ورق الشمع وقال:

- ابدأ بقص مستطيلات بحجم الخرائط تقريبًا. نيوت وتيريسا، يمكنكما مساعدتي في إحضار أول عشر خرائط تقريبًا من علبة كل قسم.

رفع مينهو السكين ونظر إليه باشمئزاز وقال:

- ما هذا؟ وقت الأشغال اليدوية للأطفال؟ لماذا لا تخبرنا فحسب ما الذي سنفعله بحق الجحيم؟

قال توماس:

- لقد انتهيت من الشرح.

كان يعلم جيدًا أنه السبيل الوحيد لكي يفهموا ما يقصده هو أن يستطيعوا رؤية كيف كان يتصور الأمر داخل ذهنه. وقف لينقب داخل الخزانة، وأردف قائلًا:

- سيكون من الأسهل أن أريكم، وإذا اتضح أنني مخطئ فلوموني، ومن ثم يمكننا العودة للجري في المتاهة مثل الفئران.

تنهد مينهو وبدا الغضب واضحًا على وجهه، ثم تمتم بشيء بصوت غير مسموع، بينما ظلت تيريسا صامتة لبعض الوقت، لكنها تحدثت داخل رأس توماس.

- *أعتقد أنني أعرف ما الذي تفعله. عبقري فعلًا.*

تفاجأ توماس، لكنه بذل قصارى جهده ليخفي ذلك. كان يعلم أنه كان عليه أن يتظاهر بأنه لا يسمع أي أصوات في رأسه، فسيعتقد الآخرون أنه مجنون.

- *فقط... تعالي... وساعديني.*

حاول الرد بنفس الطريقة، مفكرًا في كل كلمة على حدة، في محاولة لتصور الرسالة وإرسالها. ولكنها لم ترد.

فقال بصوت عالٍ وهو يومئ برأسه تجاه المخزن:

- تيريسا، أيمكنك مساعدتي لثانية؟

دخل الاثنان إلى الغرفة الصغيرة المتربة وفتحا كل العلب، وأخرجا رزمًا صغيرة من الخرائط من كل علبة، وعند عودتهما إلى الطاولة، وجد توماس أن مينهو قد قطع عشرين مستطيلًا بالفعل، مكوِّنًا كومة فوضوية على يمينه، حيث كان يرمي كل قطعة جديدة أعلى هذه الكومة.

جلس توماس وأخذ بعضًا منها. رفع إحدى أوراق الشمع تجاه الضوء ورأى كيف سطعت بتوهج حليبي. كان هذا بالضبط ما يحتاج إليه.

أمسك بأحد أقلام التحديد وقال:

- حسنًا، فليشفَّ الجميع رسم آخر عشرة أيام أو نحو ذلك على قطعة من أوراق الشمع، وتأكدوا من كتابة المعلومات في الأعلى حتى لا يتوه كل شيء، وعندما ننتهي، أعتقد أننا قد نرى شيئًا ما.

قال مينهو:

- ما هذا الـ...

فأمره نيوت قائلًا:

- فقط استمر في القطع اللعين. أعتقد أنني بدأت أعرف ما يرمي إليه بهذا.

شعر توماس بالارتياح لأن شخصًا ما قد بدأ يفهمه أخيرًا.

شرعوا في العمل، وأخذوا يشفُّون رسم الخرائط الأصلية على ورق الشمع، واحدة بواحدة، محاولين فعل هذا بشكل صحيح ودقيق في أسرع وقت ممكن. استخدم توماس جانب لوح خشبي كبديل للمسطرة، حتى يحافظ على استقامة الخطوط. وفي فترة وجيزة تمكن من إكمال شَفّ خمس خرائط، ثم خمس آخرين. وحافظ الآخرون على نفس الوتيرة أيضًا، وعملوا بجهد شديد.

وبينما كان توماس يرسم، بدأ ينتابه شيء من الذعر، شعور سيئ بأن كل ما يفعلونه مضيعة للوقت. أما تيريسا، التي كانت تجلس بجانبه، فكانت في غاية التركيز، لسانها بارز من زاوية فمها وهي تتبع الخطوط لأعلى وأسفل، ومن جانب لآخر. كانت تبدو على قدر أكبر بكثير من الثقة بأنهم كانوا بالتأكيد في طريقهم للتوصل إلى شيء ما.

استمروا في العمل، علبة تلو الأخرى، قسم تلو الآخر.

وأخيرًا أعلن نيوت كاسرًا حاجز الصمت:

- لقد نلت كفايتي. أصابعي تؤلمني كالجحيم. دعونا نرى ما إذا كان هذا سيعمل أم لا.

وضع توماس قلمه، وأخذ يفرقع أصابعه، آملًا أن يكون على حق.

- حسنًا، أعطوني خرائط الأيام القليلة الأخيرة من كل قسم، ضعوهم في رزم على طول الطاولة، بالترتيب من القسم الأول إلى القسم الثامن. الأول بدءًا من هنا. (أشار إلى نهاية الطاولة) وحتى الثامن هنا. (وأشار إلى النهاية الأخرى).

وفي صمت، نفذوا ما قاله، وفرزوا كل ما رسموه في ثماني رزم منخفضة من ورق الشمع مصطفِّين على الطاولة.

وفي توتر وعصبية، التقط توماس صفحة واحدة من كل رزمة، وتأكد من أنها جميعًا من نفس اليوم، مع الحفاظ على ترتيبها، ثم قام بوضعها واحدة فوق الأخرى، بحيث تطابق كل رسمة للمتاهة رسمة أخرى لنفس اليوم من فوقها وتحتها، حتى أصبح ينظر إلى ثمانية أقسام مختلفة من المتاهة دفعة واحدة، وقد أذهله ما رآه! وكأنه سحر، كأنه صورة اتضحت فجأة أمام عينيه، وشهقت تيريسا شهقة صغيرة.

تقاطعت الخطوط بعضها مع بعض، من أعلى لأسفل، حتى بدا أن ما حمله توماس في يديه كان أشبه بشبكة متداخلة، ولكن بعض الخطوط في الوسط -خطوط كانت أوضح وأغمق من غيرها بشكل ملحوظ- قد شكلت الحرف «ا» في وسط الصفحة بالضبط.

الفصل الثالث والأربعون

شعر توماس بتسارع خليط من المشاعر المختلفة بداخله: ارتياح لرؤيته أن الأمر قد أثمر بشيء ما، دهشة، وحماس، وتساؤل عما من الممكن أن يقودهم هذا إلى شيء.

قال مينهو مُلَخصًا مشاعر توماس في كلمة واحدة:

- يا إلهي!

قالت تيريسا:

- من الممكن أن تكون مصادفة. كرِّر الأمر مع خرائط الأيام الأخرى، بسرعة.

فعل توماس ذلك، وجمَّع الصفحات الثماني من كل يوم، بالترتيب من القسم الأول إلى القسم الثامن. وفي كل مرة، كان يتشكل حرف واضح في وسط كتلة من الخطوط المتقاطعة. بعد الـ «ا» كان هناك «ط»، ومن ثم «ف»، و «ا» مجددًا، ثم «م»... وبعدها «س».

قال توماس مشيرًا إلى أسفل إلى صف الحروف الذي كوَّنوه:

- إنها تتهجأ (اطف) ثم (امس).

كان متحيرًا، ولكن سعيدًا لأن الحروف كانت واضحة جدًّا.

سأل نيوت قائلًا:

- أيقصدون أُطفُ بالأمس مثلًا؟ هذا الهراء لا يبدو لي كشفرة إنقاذ على الإطلاق.

قال توماس:

- فقط نحتاج إلى الاستمرار في العمل.

وبعد تجميعة أخرى أدركوا أن الكلمة الثانية هي في الواقع (امسك).

قال مينهو:

- بالتأكيد ليست صدفة.

ووافقه توماس الرأي قائلًا:

- بالتأكيد لا.

لم يستطع الانتظار لرؤية المزيد.

أشارت تيريسا برأسها نحو الخزانة قائلة:

- نحن بحاجة إلى المرور بهم جميعًا، كل العلب الموجودة هناك.

فأومأ توماس قائلًا:

- أجل، فلنقم بذلك.

قال مينهو:

- لا يمكننا المساعدة.

حدق إليه ثلاثتهم، وقد حدق إليهم هو الآخر، ثم أردف قائلًا:

- على الأقل ليس أنا وتوماس؛ علينا إخراج العدائين إلى المتاهة.

فسأل توماس قائلًا:

- ماذا؟ إن ما نفعله الآن أهم بكثير!

أجابه مينهو في هدوء:

- ربما، ولكننا لا يمكننا تفويت يوم دون الخروج إلى هناك، ليس الآن.

غمرت توماس موجة من خيبة الأمل، فالعَدْو داخل المتاهة بدا مضيعة للوقت مقارنة باكتشاف الشفرة.

- لماذا يا مينهو؟ لقد قلت إن النمط في الأساس كان يعيد نفسه لعدة أشهر، إذن فيوم آخر في الخارج لن يعني شيئًا.

ضرب مينهو بيده على الطاولة وقال:

- هذا كلام فارغ يا توماس! فمن بين كل الأيام، قد يكون اليوم هو الأهم للخروج إلى هناك؛ لربما قد تغير شيء ما، لربما قد فُتِحَ شيء ما. في الواقع، مع عدم إغلاق الجدران اللعينة بعد الآن، أعتقد أنه يجب علينا تجربة فكرتك؛ أن نبقى هناك طوال الليل للاستكشاف بشكل أعمق.

أثار ذلك اهتمام توماس، فقد كان يريد فعل ذلك.

سأل توماس وهو في حيرة من أمره:

- ولكن ماذا عن هذه الشفرة؟ ماذا عن...

قال نيوت بنبرة مواسية:

- تومي، مينهو على حق. اذهبا أيها العرقوبان وخذا العدائين للخارج. وسأجمع بعض الفتيان الذين يمكننا الوثوق بهم وسنستمر في العمل على هذه.

بدا أن الجانب القيادي في نيوت قد ظهر في تلك اللحظة أكثر من أي وقت مضى.

ووافقت تيريسا قائلة:

- وأنا أيضًا، سأبقى وأساعد نيوت.

فنظر توماس إليها قائلًا:

- أأنتِ متأكدة؟

كان متلهفًا لاكتشاف تلك الشفرة بنفسه، لكنه قرر أن مينهو ونيوت كانا على حق.

ابتسمت وطوقت ذراعيها ثم قالت:

- إذا كنت ستحل شفرة سرية من مجموعة معقدة من متاهات مختلفة، فأنا متأكدة من أنك بحاجة إلى عقل فتاة لإدارة العملية.

ثم تحولت ابتسامتها إلى ابتسامة متعجرفة بعض الشيء.

طوى ذراعيه وأخذ يحدق إلى ابتسامتها وقد شعر برغبة مجددًا في أنه لا يرغب في الذهاب:

- إذا كان هذا رأيكم، فحسنًا إذًا.

أومأ مينهو برأسه قائلًا:

- حلو الكلام. هيا بنا.

ثم استدار واتجه نحو الباب، ولكنه توقف عندما أدرك أن توماس لم يكن وراءه.

قال نيوت:

- لا تقلق يا تومي؛ صديقتك ستكون بخير.

شعر توماس بأن ملايين من الأفكار تدور في رأسه في تلك اللحظة. لهفة لمعرفة الشفرة، خجل مما فكر فيه نيوت عنه، وقلق مما قد تخبئه المتاهة لهم... وخوف.

ولكنه دفع كل هذا جانبًا، ودون حتى أن يقول وداعًا، تبع مينهو أخيرًا وصعد السلالم إلى الأعلى.

***

ساعد توماس مينهو في جمع العدَّائين وإطلاعهم على آخر الأخبار وتنظيمهم للرحلة الكبيرة، وقد فوجئ بأن الجميع قد وافقوا بسهولة على أن الوقت قد حان للقيام ببعض الاستكشاف المتعمق للمتاهة وقضاء الليل بأكمله هناك. وعلى الرغم من أنه كان متوترًا وخائفًا، أخبر مينهو أنه يمكنه تولي أحد الأقسام بنفسه، لكن الأمين رفض، فقد كان لديهم ثمانية من العدائين ذوي الخبرة للقيام بذلك. كان على توماس أن يذهب معه، وهو الأمر الذي جعل توماس يشعر بالارتياح لدرجة أنه كاد يخجل من نفسه.

قام هو ومينهو بتعبئة حقائب الظهر الخاصة بهما بمعدات وطعام أكثر من المعتاد، فلا يمكنهم معرفة مدى طول المدة التي سيضطرون إلى قضائها هناك. وعلى الرغم من خوفه، لم يسع توماس إلا أن يكون متحمسًا أيضًا، فلربما يكون هذا هو اليوم الذي سيعثرون فيه على مخرج.

كان هو ومينهو يمدَّان أرجلهما ليعبرا الباب الغربي عندما أتى تشاك ليودعهما.

قال الفتى بصوت مرِح للغاية:

- كنت أود أن أذهب معكما، لكنني لا أريد أن أموت ميتة شنيعة.

ضحك توماس، مفاجئًا نفسه بأنه قد استطاع الضحك. ثم أجابه قائلًا:

- شكرًا على كلمات التشجيع.

قال تشاك وقد ذابت نبرته المرحة سريعًا لتنم عن قلق حقيقي:

- كونا حذرَين. أتمنى لو كان بإمكاني مساعدتكما يا رفاق.

لامست كلماته قلب توماس، وكان على استعداد للمراهنة على أن تشاك لم يكن ليتردد عن الخروج إلى المتاهة لو طُلِب منه ذلك.

- شكرًا يا تشاك. سنكون حذرين بالتأكيد.

ضحك مينهو قائلًا:

- توخي الحذر لن ينفعنا هذه المرة. الآن إما كل شيء أو لا شيء يا عزيزي.

قال توماس:

- من الأفضل أن ننطلق.

شعر بوجود فراشات ترفرف في أحشائه، أراد فقط أن يبدأ في التحرك، وأن يكف عن التفكير في الأمر، ففي كل الأحوال، الخروج إلى المتاهة لم يكن

أسوأ من البقاء في الجلايد والأبواب مفتوحة، لكن هذه الفكرة لم تجعله يشعر بتحسن كبير على أي حال.

رد مينهو بهدوء قائلًا:

- نعم، لنذهب.

قال تشاك وهو ينظر إلى قدميه قبل أن يرفع نظره إلى توماس من جديد:

- حسنًا، حظًّا طيبًا. إذا شعرت حبيبتك بالوحدة في أثناء غيابك، فسأعتني بها.

دحرج توماس عينيه قائلًا:

- إنها ليست حبيبتي أيها المقشور.

قال تشاك:

- واو! ها قد بدأت تستخدم كلمات آلبي القذرة بالفعل.

من الواضح أنه كان يحاول جاهدًا التظاهر بأنه لم يكن خائفًا من كل التطورات الأخيرة، إلا أن عينيه كشفتا الحقيقة. وأردف في النهاية قائلًا:

- أتمنى لكما التوفيق حقًا يا رفاق.

أجاب مينهو وقد بدا عليه الضجر:

- شكرًا، هذا يعني لنا الكثير. نراك لاحقًا أيها العرقوب.

فتمتم تشاك قائلًا:

- أجل، أراكما لاحقًا.

ثم استدار ليذهب.

شعر توماس بموجة مفاجئة من الحزن، فقد كان من المحتمل ألا يتمكن من رؤية تشاك أو تيريسا أو أي شخص آخر ثانية، وشعر برغبة شديدة في قول شيء أخير.

صاح قائلًا:

- لا تنسَ وعدي لك! سأعيدك إلى المنزل!

التفت تشاك ونظر إليه والدموع تترقرق في عينيه، ورفع إبهامه لأعلى.

فرفع توماس إبهاميه الاثنين، ثم حمل هو ومينهو حقيبتَي الظهر الخاصتين بهما ودخلا إلى المتاهة.

الفصل الرابع والأربعون

لم يتوقف توماس ومينهو حتى وصلا إلى منتصف الطريق، إلى الممر الأخير المسدود في القسم الثامن. قطعا تلك المسافة في زمن قياسي -كان توماس يحمل ساعة يده، إذ كان من الصعب تحديد الوقت من خلال تلك السماء الرمادية- لأنهما سرعان ما اكتشفا أن الجدران لم تتحرك منذ اليوم السابق. لم تكن هناك حاجة إلى رسم خرائط أو تسجيل ملاحظات، كانت مهمتهما الوحيدة هي الوصول إلى النهاية ثم البدء في العودة، باحثين عن أشياء لم تُلحَظ من قبل... أي شيء. سمح مينهو باستراحة لمدة عشرين دقيقة، ثم واصلا مهمتهما.

ظلًّا صامتَين وهما يعدوان، فقد علَّم مينهو توماس أن التحدث يهدر الطاقة فحسب، لذا فقد ركز على سرعته وأنفاسه، منتظمة، ومتساوية. شهيق، زفير. شهيق، زفير. تعمقا في المتاهة أكثر وأكثر، لا يرافقهما سوى خواطرهما وصوت وقع أقدامهما على الأرضية الحجرية الصلبة.

وفي الساعة الثالثة، فاجأته تيريسا بتحدثها داخل عقله من مكانها هناك في الجلايد.

- *إننا نحرز تقدمًا... لقد عثرنا بالفعل على كلمتين إضافيتين، ولكن لا يبدو أن لأي منهما معنى منطقيًا.*

كان أول ما تبادر إلى ذهن توماس هو أن يتجاهلها، في محاولة أخرى لإنكار أن لشخص ما القدرة على اختراق عقله، وانتهاك خصوصيته، ولكنه أراد التحدث معها.

- *أيمكنكِ سماعي؟*

سألها، محاولًا تصور الكلمات في ذهنه، وتمريرها لها عقليًا بطريقة ما لا يمكنه شرحها أبدًا. وبتركيز، قالها مجددًا.

- *أيمكنكِ سماعي؟*

ردت قائلة:

- *نعم! كانت المرة الثانية أوضح بشكل كبير.*

صُدِمَ توماس. صُدِمَ لدرجة أنه توقف عن العَدْو تقريبًا. لقد نجح!

قال بعقله:

- *أتساءل لماذا نستطيع نحن القيام بهذا.*

كان الجهد الذهني للتحدث معها مجهِدًا بالفعل. لقد شعر بصداع جهنمي يتضخم في رأسه.

- *ربما كنا عشيقين.*

تعثر توماس وسقط على وجهه، مبتسمًا بخجل وهو ينظر إلى مينهو، الذي التفت لينظر إليه دون أن يبطئ، وسرعان ما نهض توماس ولحق به من جديد. وسألها أخيرًا قائلًا:

- *ماذا؟*

شعر بضحكة منها، كصورة مائية مليئة بالألوان.

قالت:

- *هذا عجيب للغاية. تبدو كشخص غريب بالنسبة إلي، ولكنني أعلم أنك لست كذلك.*

شعر توماس بقشعريرة لطيفة على الرغم من أنه كان يتصبب عرقًا.

- *آسف لإحباطك، لكننا بالفعل غرباء، لقد قابلتك للتو، أتذكرين؟*

- *لا تكن غبيًّا يا توم، أعتقد أن شخصًا ما قد غيَّر شيئًا في أدمغتنا، وضع بها شيئًا ما حتى نتمكن من القيام بهذا التخاطر. وقد حدث ذلك قبل مجيئنا إلى هنا. مما يجعلني أعتقد أننا نعرف بعضنا بعضًا مسبقًا.*

لقد كان يتساءل حول هذا الأمر، واعتقد أنها ربما تكون على حق. تمنى ذلك، على أي حال... لقد بدأ بالفعل يعجب بها.

سألها قائلًا:

- *غيَّر شيئًا في أدمغتنا؟ كيف؟*

- *لا أعرف... بعض الذكريات أعجز عن الوصول لها تمامًا. أعتقد أننا فعلنا شيئًا كبيرًا.*

فكَّر توماس في كيف كان دائمًا يشعر أن ثمة شيئًا يربطه بها، منذ وصولها إلى الجلايد. أراد أن يتعمق أكثر في الحديث عن تلك النقطة.

- *عن ماذا تتحدثين؟*

- *يا ليتني أعلم. أحاول فقط مشاركة أفكاري معك، لعلها تثير أي شيء في ذهنك.*

فكر توماس فيما قاله جالي وبن وآلبي عنه... وشكوكهم بأنه كان ضدهم بطريقة ما، أنه شخص يجب ألا يثقوا به، وفكر فيما قالته له تيريسا في المرة الأولى أيضًا؛ أنهما بشكل من الأشكال مَن فعلا كل هذا.

أضافت قائلة:

- *لا بد أن هذه الشفرة تعني شيئًا ما. وكذلك هذا الشيء الذي كتبته على ذراعي... وِكِد تسعى للخير.*

أجابها قائلًا:

- *ربما قد لا يهم كل ذلك. ربما سنجد مخرجًا، لا أحد يعلم.*

أغمض توماس عينيه لبضع ثوانٍ وهو يعدو، محاولًا التركيز. كان يراوده شعور غريب في كل مرة يتحدثان فيها، وكأن فقاعة هوائية كانت تنتفخ في صدره، شعور يضايقه جزئيًّا، ويأسره جزئيًّا. انفتحت عيناه ثانية عندما أدرك أنها ربما يمكنها قراءة أفكاره حتى عندما لم يكن يحاول التواصل معها. انتظر ردًّا، لكن شيئًا لم يأتِ.

سألها:

- *أما زلتِ هنا؟*

- *أجل، لكن هذا دائمًا ما يصيبني بالصداع.*

شعر توماس بالارتياح لسماعه أنه لم يكن الوحيد الذي يؤلمه رأسه.

- *نعم، وأنا أيضًا يؤلمني رأسي.*

قالت:

- *حسنًا، أراك لاحقًا.*

- *لا، انتظري!*

لم يكن يريدها أن تغادر، فكلامه معها كان يمرر الوقت بشكل أسرع وألطف، ويجعل العَدْو أسهل بطريقة ما.

- *وداعًا يا توم. إذا اكتشفنا أي شيء جديد سأخبرك به.*

- *تيريسا، ماذا عن الشيء الذي كتبتِه على ذراعك؟*

مرَّت عدة ثوانٍ. لم يسمع ردًّا.

- تيريسا؟

لقد ذهبت. شعر توماس كما لو أن تلك الفقاعة الهوائية في صدره قد انفجرت، مطلقة السموم في جسده. آلمته معدته، وفكرة الاستمرار في العَدْو لبقية اليوم بدت محبِطة فجأة.

في بعض الأحيان، شعر أنه يريد إخبار مينهو عن الطريقة التي يمكنه هو وتيريسا أن يتحدثا بها، ومشاركة ما كان يحدث قبل أن ينفجر دماغه، لكنه لم يجرؤ. لم تكن فكرة إقحام التخاطر في الوضع الحالي تبدو جيدة، فقد كان كل شيء في الأساس غريبًا بما فيه الكفاية.

طأطأ توماس رأسه وأخذ نفسًا عميقًا وطويلًا. قرر أن يبقي فمه مغلقًا ويستمر في العَدْو.

وبعد استراحتين أخريين، تباطأ مينهو أخيرًا حتى أصبح يمشي تقريبًا عندما كانا يقطعان ممرًا طويلًا ينتهي بجدار. توقف وجلس مسندًا ظهره مقابل الجدار الذي يسد الطريق. كان اللبلاب هناك كثيفًا بشكل ملحوظ، نسج ستارة خضراء مورقة تخفي وراءها الحجر الصلب الذي لا يمكن اختراقه.

انضم إليه توماس على الأرض، والتهما وجبة غدائهما المتواضعة المكونة من الشطائر وشرائح الفاكهة.

قال مينهو بعد قضمته الثانية:

- هذا كل شيء، لقد عدونا بالفعل عبر القسم بأكمله. ومفاجأة، مفاجأة... لا مخرج.

كان توماس يعرف هذا بالفعل، ولكن سماعه أثقل قلبه أكثر وأكثر. ودون أي كلمه أخرى -لا منه ولا من مينهو- أنهى طعامه واستعد للاستكشاف.

وخلال الساعات القليلة التالية، بحث هو ومينهو في أرجاء المكان، وتحسسا بأيديهما على طول الجدران، وتسلقا اللبلاب في أماكن عشوائية. لم يجدا شيئًا، وازداد إحباط توماس أكثر فأكثر. كان الشيء الوحيد المثير للاهتمام هي واحدة أخرى من تلك اللافتات الغريبة المنقوش عليها (منظمة الكوارث العالمية: قسم تجارب المَقتَل)، والتي لم يعطها مينهو أي اهتمام.

تناولا وجبة أخرى، وواصلا البحث من جديد. لم يجدا شيئًا، صار توماس يستعد لقبول ما لا مفر منه؛ أنه لم يكن هناك شيء ليجدوه. وعندما حان وقت إغلاق الأبواب وتحرك الجدران، بدأ البحث عن أي علامات على وجود الهوام، يرتعد خوفًا مع اقترابه من أي زاوية مظلمة. يحمل هو ومينهو سكاكين في

كلتا يديهما ويحكمان قبضتهما عليها بقوة في تأهب، ولكن شيئًا لم يظهر حتى نحو منتصف الليل.

رصد مينهو هامة تختفي عند ناصية أمامهما، ولم تعد. وبعد ثلاثين دقيقة، رأى توماس واحدة أخرى تفعل نفس الشيء. وبعد ساعة من ذلك، أخذت هامة تتجول عبر المتاهة ومرت من أمامهما مباشرة، ولم تتوقف قط وكأنها لا تراهم. كاد توماس أن ينهار من الرعب المفاجئ الذي اجتاحه. واصل هو ومينهو التحرك.

قال مينهو بعد ذلك ببرهة:

- أعتقد أنهم يتلاعبون بنا.

أدرك توماس أنه لن يتوصل إلى شيء من خلال تفحص الجدران، وكان يتجه عائدًا نحو الجلايد بخطى يثقِلها الإحباط، وبدا أن مينهو كان مثله تمامًا.

سأل توماس قائلًا:

- ماذا تقصد؟

تنهد الأمين وقال:

- أعتقد أن المؤسسين يريدوننا أن نعرف أنه ليس ثمة مخرج. حتى إن الجدران لم تعد تتحرك الآن... إن الأمر كما لو أن هذه كانت مجرد لعبة غبية وقد حان وقت انتهائها، وهم يريدوننا أن نعود ونخبر الآخرين بذلك. أتراهنني أننا عندما نعود سنجد أن هامة أخرى قد أخذت واحدًا منهم تمامًا كالليلة الماضية؟ أعتقد أن جالي كان على حق؛ سيستمرون في قتلنا فحسب.

لم يُجب توماس، وشعر بحقيقة ما قاله مينهو، وكان أي أمل قد راوده في وقت سابق، عندما انطلقا، قد تلاشى منذ فترة كبيرة.

قال مينهو بصوت مرهَق:

- فلنعد إلى الجلايد فحسب.

كان توماس يكره الاعتراف بالهزيمة، لكنه أومأ برأسه بالموافقة. بدا أن الشفرة قد باتت أملهم الوحيد الآن، لذا فقد قرر التركيز على هذا الأمر.

عاد هو ومينهو إلى الجلايد في صمت، ولم يريا أي هامة أخرى طوال الطريق.

الفصل الخامس والأربعون

كانت ساعة توماس تشير إلى نحو التاسعة صباحًا عندما دخل هو ومينهو عبر الباب الغربي عائدَين إلى الجلايد. بدا توماس متعبًا جدًّا لدرجة أنه أراد الاستلقاء هناك وأخذ قيلولة، فقد مكثا في المتاهة لمدة أربع وعشرين ساعة تقريبًا.

والمثير للدهشة، أنه على الرغم من الضوء شديد الخفوت، وكل الأحداث الغريبة التي قلبت الأمور رأسًا على عقب، بدا أن الأعمال في أرجاء الجلايد تسير بشكل طبيعي؛ الزراعة، البستنة، التنظيف. لم يمض وقت طويل حتى لاحظ بعض الفتيان أنهما يقفان هناك، وتم إخطار نيوت وأتى راكضًا.

قال وهو في طريقه إليهما:

- إنكما أولِ العائدين. ماذا حدث؟ أخبراني أن لديكما أخبارًا جيدة.

حطمت نظرة الأمل الطفولية على وجهه قلب توماس، من الواضح أنه كان يعتقد أنهما قد وجدا شيئًا مهمًّا.

كانت عينا مينهو تحدقان بنظرات كئيبة إلى مكان ما على مسافة في قلب الساحة الرمادية وقال:

- لا شيء، المتاهة ليست إلا مزحة كبيرة لعينة.

نظر نيوت إلى توماس في ارتباك وقال:

- ما الذي يتحدث عنه؟

فأجاب توماس وهو يهز كتفيه المرهَقتين قائلًا:

- إنه محبَط فحسب؛ لم نجد أي شيء مختلف. لم تتحرك الجدران، ولم نجد مخارج، ولا أي شيء. هل أتت الهوام في الليلة الماضية؟

صمت نيوت لبرهة، وخيم الظلام على وجهه، ثم أومأ برأسه أخيرًا وقال:

- أجل. أخذن آدم.

لم يتعرف توماس على الاسم، وشعر بالذنب لعدم شعوره بأي شيء تجاه ما سمعه للتو.

جال في خاطره: *شخص واحد فقط مجددًا. ربما كان جالي على حق.*

كان نيوت على وشك أن يقول شيئًا آخر عندما انفعل مينهو فجأة -مما أفزع توماس- وبصق في اللبلاب وبرزت عروق رقبته قائلًا:

- لقد سئمت من هذا! سئمت! انتهى الأمر! انتهى كل شيء!

ثم نزع حقيبته ورماها على الأرض وأردف:

- لا يوجد مخرج، ولم يكن هناك قط، ولن يكون هناك أبدًا. لقد انتهى أمرنا جميعًا.

جفَّ حلق توماس، وأخذ يراقب مينهو وهو يندفع نحو بيت المزرعة. أقلقته الحالة التي آل إليها، فإذا استسلم مينهو، فسيكونون جميعهم في ورطة كبيرة.

لم يقل نيوت كلمة واحدة، وترك توماس واقفًا هناك، في حالة ذهول. كان اليأس معلَّقًا في الهواء مثل دخان، كثيف ولاذع.

***

عاد العدَّاؤون الآخرون في غضون ساعة، ومن خلال ما سمعه توماس، لم يعثر أيٌّ منهم على أي شيء واستسلموا في النهاية أيضًا. كانت الوجوه الكئيبة منتشرة في جميع أرجاء الجلايد، وقد ترك معظم العُمَّال وظائفهم اليومية.

عرف توماس أن شفرة المتاهة باتت أملهم الوحيد الآن. لا بد أنها ستكشف شيئًا ما، لا بد لها من ذلك. وبعد تجوله عشوائيًّا في الجلايد لسماع حكايات العدائين الآخرين، استفاق من إحباطه.

- *تيريسا*

قالها في عقله وقد أغمض عينيه وكأن هذا سيفي بالغرض.

- *أين أنتِ؟ هل توصلتِ لأي شيء؟*

وبعد برهة طويلة، كاد فيها أن يستسلم، معتقدًا أن الأمر لم ينجح، سمعها تجيب في عقله:

- *هاه؟ توم؟ هل قلتَ شيئًا؟*

قال في حماس لإجراء ذلك الاتصال مرة أخرى:

- *نعم. أيمكنكِ سماعي؟ هل أفعلُ هذا الشيء بشكل صحيح؟*

- *في بعض الأحيان يكون الصوت متقطعًا، ولكن الأمر يعمل. إنه غريب بعض الشيء، صحيح؟*

فكر توماس في ذلك، في الواقع، لقد بدأ يعتاده نوعًا ما.

- *الأمر ليس بهذا السوء. أما زلتم في القبو يا رفاق؟ لقد رأيت نيوت ولكنه اختفى من جديد.*

- *أجل، ما زلنا هنا. أحضر نيوت ثلاثة أو أربعة من الفتيان ليساعدونا في عمل الخرائط. أعتقد أننا قد حصلنا على الشفرة كاملة الآن.*

قفز قلب توماس فرحًا:

- *حقًا؟*

- *انزل إلينا.*

- *أنا قادم.*

كان قد بدأ يتحرك بالفعل وهو يقولها. وبشكل ما، شعر أنه لم يعد مرهَقًا بعد الآن.

***

سمح له نيوت بالدخول.

وقال بينما كانا ينزلان السلالم إلى القبو:

- لم يظهر مينهو حتى الآن. إنه في بعض الأحيان يتحول إلى شخص متهور ومزعج.

تفاجأ توماس بأن مينهو كان يضيع الوقت في الغضب والعبوس، وبخاصة وأنه ما زال أمامهم احتمال لأن يتوصلوا لأي شيء من خلال الشفرة. دفع تلك الفكرة جانبًا عندما دخل الغرفة. كان هناك العديد من فتيان الجلايد الذين لا يعرفهم مجتمعين حول الطاولة، واقفين، وقد بدا عليهم الإرهاق جميعًا، أعينهم بدت غائرة يحيط بها السواد، وثمَّة أكوام من الخرائط متناثرة في كل مكان، بما في ذلك الأرضية. بدا الأمر كما لو أن إعصارًا قد ضرب منتصف الغرفة.

وقفت تيريسا تتكئ على بعض الرفوف وتمسك بورقة واحدة تقرؤها بعناية. نظرت إلى أعلى عندما دخل، لكنها سرعان ما أعادت بصرها إلى الورقة مرة أخرى. أحزنه هذا قليلًا؛ كان يأمل أن تسعد برؤيته، ولكنه بعد ذلك شعر بأنه غبي حقًا لأن فكرة كهذه قد خطرت بباله، فمن الواضح أنها كانت مشغولة في اكتشاف الشفرة.

أخذ نيوت يصرف مساعديه، وفي أثناء صعودهم السلم الخشبي، ظل اثنان منهم يتذمران بشأن القيام بكل هذا العمل مقابل لا شيء.

. وفي تلك اللحظة قالت له تيريسا:

- *عليك أن ترى هذا.*

ارتبك توماس لوهلة، قلقًا من أن يلاحظ نيوت ما يجري.

- *لا تتحدثي في رأسي عندما يكون نيوت في الجوار. لا أريده أن يعرف بشأن... موهبتنا.*

قالت تيريسا بصوت عالٍ وهي بالكاد تحاول إخفاء ابتسامتها:

- تعال وانظر إلى هذا.

قال نيوت:

- سأركع على ركبتي وأقبّل قدميك اللعينتين إذا أمكنك فهم أي شيء من هذا.

ذهب توماس إلى تيريسا، متلهفًا لمعرفة ما توصلوا إليه. مدت إليه يدها بالورقة ورفعت حاجبيها قائلة:

- لا شك في صحة هذه الشفرة، نحن فقط ليس لدينا أي فكرة عما تعنيه.

أخذ توماس الورقة وتفحصها سريعًا بعينيه. كانت هناك دوائر مرقَّمة على الجانب الأيسر، من واحد إلى ستة، بجانب كل دائرة كانت هناك كلمة مكتوبة بخط كبير وعريض.

اطف، امسك، انزف، مُت، تصلَّب، اضغط

هذا كل شيء. ست كلمات.

غمرت خيبة الأمل توماس. كان متأكدًا أن الغرض من الشفرة سيكون واضحًا بمجرد أن يتم اكتشافها. نظر إلى تيريسا بقلب مثقَل وقال:

- أهذا كل شيء؟ أمتأكدون من أنهم في الترتيب الصحيح؟

أخذت الورقة منه وقالت:

- إن المتاهة كانت تردد تلك الكلمات اللعينة لعدة أشهر. لقد توقفنا عندما أصبح الأمر واضحًا. ففي كل مرة، بعد كلمة «اضغط»، يمر أسبوع كامل دون إظهار أي حرف على الإطلاق، ثم تبدأ من جديد مع كلمة «اطفُ»، لذلك توصلنا إلى أن هذه هي الكلمة الأولى، وأن هذا هو الترتيب.

طوى توماس ذراعيه واتكأ على الرفوف بجانب تيريسا. ودون أي جهد أو تفكير كان قد حفظ الكلمات الست، وكأنها مطبوعة في ذهنه. اطف، امسك، انزف، مت، تصلَّب، اضغط.

لم يبدُ أن الكلمات تبشر بالخير قط.

قال نيوت وكأنه قد عكس أفكاره بالضبط:

- تُبَشِّرُ بالخير، أليس كذلك؟

فأجابه توماس بتنهيدة إحباط قائلًا:

- آه، نعم. نحن بحاجة إلى أن نأتي بمينهو إلى هنا، فربما كان يعرف شيئًا لا نعرفه. ربما لو كان لدينا أدلة أكثر لـ...

تجمَّد لسانه، وأُصيب بالدوار، كاد أن يسقط على الأرض لو لم تكن لديه أرفف ليتكئ عليها. فكرة رهيبة، فظيعة، مروعة. أسوأ فكرة في تاريخ الأفكار المرعبة، الفظيعة، المروعة. ولكن إحساسه أخبره بأنه كان على حق، وأن هذا ما عليه القيام به.

اقترب منه نيوت وعلى وجهه نظرة قلق جعدت جبهته وسأله قائلًا:

- تومي؟ ما خطبك؟ قد أصبح وجهك شاحبًا كما الشبح.

هز توماس رأسه وأجابه قائلًا:

- أوه... لا شيء، آسف. عيناي تؤلمانني. أعتقد أنني بحاجة إلى بعض النوم.

قالها وهو يفرك عينيه لإضافة مزيد من التأثير.

سألته تيريسا داخل عقله:

- *هل أنت بخير؟*

تطلع إليها ورأى أنها كانت قلقة مثل نيوت، مما جعله سعيدًا.

- *أجل. ولكنني مجهد حقًا. أنا فقط بحاجة إلى بعض الراحة.*

قال نيوت وهو يمد يده ويضغط على كتف توماس:

- حسنًا. لقد قضيت ليلة مُرهِقة في المتاهة. اذهب وخذ قيلولة.

نظر توماس إلى تيريسا، ثم إلى نيوت. أراد مشاركة الفكرة التي خطرت برأسه، ولكنه قرر ألا يفعل، وبدلًا من ذلك أومأ برأسه وتوجه إلى السُلَّم. ولكن كانت لديه خطة الآن، على الرغم من بشاعتها فإن لديه خطة على أي حال. كانوا بحاجة إلى مزيد من الأدلة حول الشفرة، بحاجة إلى ذكريات، لذلك قرر أنه سيُلدَغُ من قِبَل الهوام، وسيمر بالتحوُّل، عن عمد.

الفصل السادس والأربعون

رفض توماس التحدث إلى أي شخص بقية اليوم.

حاولت تيريسا التحدث معه عدة مرات، لكنه ظل يخبرها بأنه بخير، وأنه يريد فقط أن يكون بمفرده وأن ينام في مكانه خلف الغابة، وربما قضاء بعض الوقت في التفكير، محاولًا اكتشاف سر داخل عقله ربما يساعدهم في معرفة ما الذي يجب عليهم فعله.

ولكنه في الحقيقة، كان بحاجة إلى أن يعد نفسه لما خطط له لذلك المساء، وأن يقنع نفسه بأن هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله، بل الشيء الوحيد الذي ينبغي فعله. بالإضافة إلى أنه كان مرعوبًا تمامًا، ولم يرغب في أن يلاحظه الآخرون.

وفي نهاية المطاف، عندما أظهرت ساعته أن المساء قد حل، ذهب إلى بيت المزرعة مع الآخرين، وبالكاد لاحظ أنه كان جائعًا حتى بدأ في تناول وجبة السيد طاسة التي قد أُعدَّت على عجل: بعض البسكويت وحساء الطماطم.

ومن ثَمَّ، كان قد حان الوقت لقضاء ليلة أخرى بلا نوم.

أصلح البنّاؤون الثقوب الكبيرة التي خلَّفتها المخلوقات المتوحشة التي أخذت جالي وآدم. بدت النتيجة النهائية لتوماس كما لو أن جيشًا من الرجال السكارى قد أنجزوا العمل، لكنها كانت متينة بما يكفي. أصر نيوت وآلبي -الذي قد شعر أخيرًا بتحسن يسمح له بالتجول مرة أخرى، على الرغم من أن رأسه كان ما يزال ملفوفًا بالكثير من الضمادات- على وضع خطة للتناوب في النوم حتى لا ينام أحد ليلتين متتاليتين في نفس المكان.

انتهى المطاف بتوماس في غرفة المعيشة الكبيرة في الطابق السفلي من بيت المزرعة مع نفس الأشخاص الذين قضى معهم الليلة قبل الماضية. خيَّم الصمت على الغرفة بسرعة، لكنه لم يكن يعرف ما إذا كان ذلك بسبب أنهم قد ناموا بالفعل أم أنهم فقط خائفون، ويأملون في صمت -على الرغم من أن الأمل بدا ضعيفًا- ألا تأتي الهوام مجددًا. وعلى عكس الليلتين الماضيتين،

سُمح لتيريسا بالبقاء في المبنى مع بقية أفراد الجلايد. كانت قريبة منه، ملتفة في بطانيتين، وبطريقة ما، شعر أنها كانت نائمة، غارقة بالفعل في نوم عميق.

بالتأكيد لم يستطع توماس النوم، على الرغم من أنه كان يعلم أن جسده بحاجة ماسة إليه. لقد حاول... حاول جاهدًا أن يغلق عينيه، ويجبر نفسه على الاسترخاء، لكن لم يحالفه الحظ.

طال الليل، وأحس بأن شعوره بالترقب الشديد كان كالحِمل الثقيل على صدره. ثم، وكما توقعوا جميعًا، جاءت الأصوات الميكانيكية المخيفة للهوام من الخارج. لقد حان الوقت.

احتشد الجميع معًا بالقرب من الحائط بعيدًا عن النوافذ، وبذلوا قصارى جهدهم للحفاظ على الهدوء. جلس توماس في زاوية بجوار تيريسا، محتضنًا ركبتيه، يحدق إلى النافذة. حقيقة القرار المخيف الذي اتخذه مُسبقًا قد اعتصرت قلبه كالقبضة الساحقة، لكنه كان يعلم أن كل شيء قد يعتمد عليه.

أخذ التوتر يتصاعد في الغرفة. كانوا جميعهم هادئين، لم يحرك أحد منهم إصبعًا. سمعوا صوتًا بعيدًا لخرفشة المعدن فوق الخشب، والتي تردد صداها عبر المنزل بأكمله. بدا الأمر لتوماس وكأن هامة تتسلق بيت المزرعة من الجانب الخلفي، الجهة المقابلة للمكان الذي يقفون فيه. ازدادت أصوات الضوضاء بعد بضع ثوانٍ، قادمة من جميع الاتجاهات، أقربهم كان آتيًا من خارج النافذة الخاصة بهم. بدا أن الهواء في الغرفة قد تجمد ليصبح جليدًا صلبًا. ضغط توماس بقبضتيه على عينيه في رعب شديد، متوقعًا الهجوم عليه في أي لحظة.

دوى صوت قوي من تمزق الخشب وتكسير الزجاج من مكان ما في الطابق العلوي، هزَّ المنزل بأكمله. شعر توماس بجسده قد تخدَّر عندما اندلعت العديد من الصرخات، يتبعها صوت الهوام الفارَّة، ثم أعلنت صيحات وآهات عالية عن حشد كامل من أفراد الجلايد يهرعون إلى الطابق الأول.

صاح أحدهم بنبرة عالية من الرعب قائلًا:

- قد أخذن ديف!

تجمد كل من في غرفة توماس في مكانه، كان يعلم أن كل واحد منهم ربما كان يشعر بالذنب لأن قلوبهم قد ارتاحت، على الأقل تأكد كل منهم أن دوره لم يحن بعد، وأنهم ربما سيكونون آمنين لليلة أخرى، فلِليلتين متتاليتين حتى الآن، كان يؤخذ فتى واحد فقط، وبدأ الناس يصدقون أن ما قاله جالي كان صحيحًا.

انتفض توماس عند سماع صوت اصطدام رهيب بدا أنه خارج بابهم مباشرة، مصحوبًا بصرخات وتمزيق للخشب، كما لو أن هناك وحوشًا ذات فكوك حديدية تلتهم الدرج بأكمله. وبعد ثانية دوّى صوت آخر لخشب يتمزق: الباب الأمامي. لقد كانت الهامة تتجول عبر المنزل بالفعل وهي الآن تغادر.

تملَّك الخوف توماس. كان عليه تنفيذ خطته الآن وإلا فلا.

هرع إلى باب الغرفة وفتحه. سمع نيوت يصرخ، ولكنه تجاهله واتجه إلى الردهة، محاولًا تفادي المئات من قطع الخشب المتناثرة والقفز من فوقها. كان قادرًا على رؤية الفجوة الكبيرة ذات الحواف المسننة الموجودة في الحائط مكان الباب الأمامي التي تؤدي إلى الليل الرمادي بالخارج. توجه مباشرة نحوها وبدأ يعدو خارجًا إلى الجلايد.

صرخت تيريسا داخل عقله قائلة:

- *توم! ما الذي تفعله!*

لكنه تجاهلها واستمر في العدو فحسب.

كانت الهامة تحمل ديف -وهو فتى لم يسبق لتوماس أن تحدث إليه- وتدحرِج نفسها باستخدام مخالبها المعدنية متجهة نحو الباب الغربي، وهي تتخضخض وتطن. بقية الهوام الأخرى قد تجمعت بالفعل في الساحة وتتبعن رفيقتهن نحو المتاهة. ودون تردد، مع العلم أن الآخرين سيعتقدون أنه كان يحاول الانتحار، انطلق توماس متجهًا إليهن، حتى وجد نفسه وسط قطيع من تلك المخلوقات. بدت الهوام مترددة، بعدما أُخِذَت على حين غرة.

قفز توماس على الهامة التي تحمل ديف، محاولًا انتزاع فريستها، على أمل أن تنتقم. وكانت صرخات تيريسا داخل عقله عالية جدًّا، شعر وكأنها خنجر يثقب جمجمته.

هاجمته ثلاث هوام في وقت واحد، وأخذت كمَّاشاتهن الطويلة ومخالبهن وإبرهن تطير في كل الاتجاهات. ضرب توماس بذراعيه وساقيه محاولًا التخلص من الأذرع المعدنية المرعبة وهو يركل أجسام الهوام الضخمة المنتفخة. أراد أن يُلدَغ فقط، لا أن يؤخَذ مثل ديف. اشتد هجومهن الذي لا هوادة فيه، وشعر توماس بالألم ينفجر في كل شبر من جسده. وخزات إبر أخبرته بأن خطته قد نجحت. أخذ يركل ويدفع ويضرب وهو يصرخ عاليًا، كافح بقوة وقد ملأ الأدرينالين عروقه، حتى وجد أخيرًا بقعة مفتوحة ليضع قدميه تحته ويعدو بكل قوته.

وبمجرد أن هرب من قبضتهن، استسلمن وتراجعن، واختفين في أعماق المتاهة. أما توماس، فسقط على الأرض وهو يئن من الألم.

وصل إليه نيوت في خلال ثانية، وتبعه تشاك على الفور، وتيريسا، وعدة أشخاص آخرين. أمسكه نيوت من تحت ذراعيه ورفعه لأعلى وصاح قائلًا:

- فليحمل أحدكم ساقيه!

شعر توماس بالعالم يدور من حوله، شعر بهذيان وغثيان. أطاع شخص ما أمر نيوت؛ وتم نقله عبر الساحة، والباب الأمامي لبيت المزرعة، ثم عبر الردهة المحطَّمة، وصولًا إلى أريكة موضوعة في إحدى الغرف. وكان ما يزال يشعر بالعالم يدور من حوله.

صاح نيوت في وجهه قائلًا:

- ما الذي كنت تفعله؟! كيف يمكنك أن تكون غبيًّا لهذه الدرجة اللعينة؟!

كان على توماس أن يتكلم قبل أن يفقد وعيه تمامًا.

- لا... لا يا نيوت... أنت لا تفهم....

- اصمت! لا تهدر طاقتك!

شعر توماس بشخص يفحص ذراعيه وساقيه، ويمزق ملابسه عن جسده، للتحقق من حجم الضرر الذي أصابه. سمع صوت تشاك، ولم يسع قلبه إلا أن يطمئن لأن صديقه كان بخير. قال أحد الطبيجية شيئًا عن أنه قد أصيب بعشرات اللدغات.

كانت تيريسا عند قدميه، تضغط على كاحله الأيمن بيدها.

- *لماذا يا توم؟ لماذا فعلت ذلك؟*

- لأنني...

لم تكن لديه قوة التركيز الكافية لأن يجيبها.

صاح نيوت من أجل مصل الهوام، وبعد دقيقة شعر توماس بوخزة في ذراعه. انتشر الدفء من تلك النقطة إلى جميع أنحاء جسده، مهدِّئًا إياه، ومخففًا من آلامه، ولكن العالم كان ما يزال يبدو وكأنه ينهار على نفسه، وكان يعلم أن كل شيء سيختفي من حوله في غضون بضع ثوانٍ فقط. الغرفة تدور، وتداخلت الألوان بعضها في بعض، وأخذت تموج أكثر فأكثر. استغرق الأمر منه جهدًا كبيرًا، لكنه استطاع قول شيء أخير قبل أن يبتلع وعيَه الظلامُ نهائيًّا.

همس قائلًا:

- لا تقلقوا، لقد فعلت هذا عن عمد...

الفصل السابع والأربعون

لم يكن لدى توماس أي فكرة عن الوقت الذي استغرقه في أثناء مروره بالتحوُّل.

كانت بدايته تشبه إلى حد كبير أول ذكرى له عن الصندوق؛ مظلم وبارد، ولكنه هذه المرة لم يشعر بأي شيء يلمس قدميه أو جسده، شعر وكأنه يطفو في الفراغ، ويحدق إلى سواد لا منتهٍ. لم يرَ شيئًا، لم يسمع شيئًا، ولم يشم شيئًا. كان الأمر كما لو أن شخصًا ما قد سرق حواسه الخمس وتركه في فراغ.

امتد الوقت أكثر وأكثر، وتحول خوفه إلى فضول، ثم تحول الفضول إلى ملل.

وأخيرًا، وبعد طول انتظار، بدأت الأمور تتغير.

عصفت رياح بعيدة، غير محسوسة، ولكنها مسموعة، ثم ظهر ضباب أبيض حائم على بعد مسافة بعيدة... إعصار دوَّار من الضباب يتخذ شكل قمع طويل، ويمتد إلى أعلى وأسفل على مدى بصره، إذ لم يستطع أن يرى له قمة أو قاعًا. لقد شعر بالعاصفة حينها، حيث بدأ برج الضباب الكثيف يتحرك نحوه، أو أن توماس كان هو الذي يتحرك نحوه، لم يستطع أن يحدد، وقد ازدادت سرعته بمعدل ينذر بالخطر، إذ كان قبل ثوانٍ فقط قادرًا على رؤية وتمييز شكله القُمعي، أما الآن فأصبح لا يرى إلا مساحةً بيضاء مسطحة تحيطه.

ومن ثم التهمته، وشعر بالضباب يأخذ عقله بعيدًا، وشعر بالذكريات تتدفق إلى عقله.

تحول كل شيء آخر إلى ألم.



الفصل الثامن والأربعون

- توماس؟

كان الصوت بعيدًا، مشوَّشًا، يتردد مثل الصدى في نفق طويل.

- توماس، هل تسمعني؟

لم يكن يرغب في الإجابة. لقد انطفأ عقله عندما لم يعد بإمكانه تحمل الألم أكثر، كان يخشى أن يعود إحساسه بالألم إذا سمح لنفسه بالعودة إلى وعيه. شعر بالضوء على الجانب الآخر من جفنيه، لكنه كان يعلم أن الألم سيكون لا يُطاق إذا فتحهما، ففضَّل عدم فعل أي شيء.

- توماس، هذا أنا، تشاك. هل أنت بخير؟ أرجوك لا تمت يا صديقي.

عاد كل شيء بسرعة إلى عقله. الجلايد، الهوام، الإبر اللادغة، التحوُّل، الذكريات، المتاهة التي لا تُحَل. وطريقتهم الوحيدة للخروج كانت شيئًا لم يتوقعوه قط، شيئًا مرعبًا. لقد سحقه اليأس.

وبين تأوهاته، أجبر نفسه على فتح عينيه قليلًا. رأى وجه تشاك البدين أمامه، يحدق إليه بعينين خائفتين، ولكنهما ما لبثتا أن لمعتا وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. على الرغم من كل شيء، على الرغم من كل الأحداث الجنونية المخيفة التي تحدث، ابتسم تشاك.

صاح الولد قائلًا:

- لقد استيقظ! استيقظ توماس!

جعل صوته العالي توماس يجفل، وأغمض عينيه مرة أخرى قائلًا:

- تشاك، هل عليك أن تصرخ؟ لا أشعر أنني بخير تمامًا.

- آسف. أنا فقط سعيد لأنك ما زلت على قيد الحياة. أنت محظوظ لأنني لم أعطِك قبلة كبيرة.

- أوه، أرجوك لا تفعل ذلك يا تشاك.

فتح توماس عينيه مجددًا وأجبر نفسه على الجلوس في السرير الذي كان مستلقيًا عليه، وقد دفع ظهره إلى الحائط ومدد ساقيه. كان الوجع يلتهم مفاصله وعضلاته. سأل قائلًا:

- كم من الوقت استغرقتُ؟

أجاب تشاك قائلًا:

- ثلاثة أيام. لقد كنا نضعك في الزنزانة ليلًا لنبقيك بأمان، ومن ثم نعيدك إلى هنا مجددًا في الصباح. لقد اعتقدت لثلاثين مرة أنك قد متَّ بالفعل قبل أن تفتح عينيك. ولكن ها أنت ذا، انظر إلى نفسك، تبدو بأحسن حال!

لم يكن توماس قادرًا إلا على تخيل مدى سوء الحال الذي يبدو عليه.

- هل أتت الهوام مجددًا؟

تلاشى ابتهاج تشاك على الفور، وحدق إلى الأرض قائلًا:

- أجل. لقد أخذن زارت واثنين آخرَين، واحد في كل ليلة، قام مينهو والعدَّاؤون بتفقد كل أرجاء المتاهة، في محاولة للعثور على مخرج، أو اكتشاف أي فائدة لتلك الشفرة الغبية التي توصلتم إليها يا رفاق. لكن لا شيء. لماذا برأيك تأخذ الهوام عرقوبًا واحدًا منا فقط في كل مرة؟

شعر توماس بمعدته تؤلمه؛ كان يعرف الإجابة الدقيقة عن هذا السؤال، بل وبعض الأسئلة الأخرى أيضًا الآن. عرف بما يكفي لأن يوقن بأنه في بعض الأحيان... تكون معرفة الأمور شيئًا مزريًا.

وأخيرًا أجابه قائلًا:

- أحضِر نيوت وآلبي إلى هنا. أخبرهما بأننا بحاجة إلى عقد تجمُّع، في أسرع وقت ممكن.

- حقًا؟

تنهد توماس قائلًا:

- تشاك، بحقك، لقد مررت بالتحوُّل للتو. ألا تعتقد أنني جاد؟

ودون أن ينبس ببنت شفة، قفز تشاك على الفور وأسرع إلى خارج الغرفة، وبدأ صوت نداءاته لنيوت يخفت كلما ابتعد أكثر.

أغمض توماس عينيه وأسند رأسه إلى الحائط. ثم نادى تيريسا في عقله.

- تيريسا.

لم تجبه في البداية، ولكن بعد ذلك ظهر صوتها فجأة في أفكاره كما لو كانت جالسة بجانبه.

- *ما فعلته كان غباءً يا توم. غباء بحق.*

- *كان عليَّ فعل ذلك.*

- *لقد كرهتك بما فيه الكفاية في الأيام القليلة الماضية. كان يجب أن ترى كيف كنت تبدو. بشرتك، وعروقك...*

- *هل كرهتِني؟*

لقد كان سعيدًا باهتمامها الواضح به.

سكتت لبرهة، ثم أردفت:

- *هذه طريقتي فحسب لقول إنني كنت سأقتلك لو كنت متَّ.*

شعر توماس بدفء يتدفق إلى صدره.

- *حسنًا... شكرًا لكِ.*

- *إذن، هل تتذكر الكثير؟*

سكت لثوانٍ ثم أجابها:

- *أتذكر ما قلتِه بشأننا نحن الاثنين على الأقل، وما فعلناه بهم...*

- *أكان هذا صحيحًا؟*

- *لقد فعلنا بعض الأمور السيئة يا تيريسا.*

بدا عليها الإحباط، وكأنها كان لديها مليون سؤال، وليس لديها أدنى فكرة من أين تبدأ. سألته وكأنها لا تريد معرفة ما الدور الذي لعبته في كل هذا:

- *هل عرفت أي شيء من شأنه مساعدتنا على الخروج من هنا؟ أو الغرض من الشفرة؟*

تردد توماس قليلًا قبل الإجابة، لم يكن يرغب حقًّا في التحدث عن ذلك بعد... ليس قبل أن يستجمع أفكاره جيدًا. ففرصتهم الوحيدة للخروج من هنا قد تعَد انتحارًا حقيقيًّا. قال أخيرًا:

- *ربما، لكن الأمر لن يكون سهلًا. نحتاج إلى عقد تجمُّع. سأطالب بأن تحضريه، فلا أملك طاقة تكفي لأكرر الكلام مرتين.*

ثم سكت كلاهما لفترة من الوقت، وأخذ اليأس يحوم بين عقليهما.

- *تيريسا؟*

- نعم؟

- *المتاهة غير قابلة للحل.*

استغرقت فترة طويلة قبل أن ترد.

- *أعتقد أن جميعنا بات يعرف ذلك الآن.*

كره توماس سماع نبرة الألم في صوتها، لقد تمكن من الشعور بها في ذهنه.

- *لا تقلقي. المؤسسون يريدوننا أن نهرب على الرغم من كل شيء. لدي خطة.*

أراد أن يمنحها بعض الأمل، حتى ولو كان شحيحًا.

- *أوه، حقًا؟*

- *أجل، ولكن الأمر مروع، وقد يموت بعض منا. تبدو مُبشِّرة، أليس كذلك؟*

- *إلى حدٍّ كبير. ولكن ما هي؟*

- *علينا أن...*

ولكن قبل أن يتمكن من إنهاء جملته، دخل نيوت إلى الغرفة مقاطعًا إياه، فأنهى توماس حديثه مع تيريسا بسرعة قائلًا في عقله:

- *سأخبركِ لاحقًا.*

- *أسرع!*

ومن ثم اختفت.

مشى نيوت إلى السرير وجلس بجانبه وقال:

- تومي؛ لا تبدو حالتك سيئة للغاية.

أومأ توماس برأسه قائلًا:

- أشعر بالقليل من الغثيان، ولكن بخلاف ذلك، فأنا بخير. اعتقدت أن الأمر سيكون أسوأ من ذلك بكثير.

هز نيوت رأسه، وعلى وجهه مزيج من الغضب والذهول وقال:

- ما فعلتَه كان نصفه شجاعة ونصفه غباء لعين. لا أعرف لماذا فعلت ذلك. ما هي الذكريات التي استرجعتها؟ هل من أي شيء من شأنه أن يساعدنا؟

حرك توماس ساقيه ليكون أكثر ارتياحًا، والمثير للدهشة أنه لم يشعر بالكثير من الألم، وإنما وهن فحسب، ثم أجاب نيوت قائلًا:

- نحن بحاجة إلى عقد تجمُّع، قبل أنْ أبدأ في نسيان بعض من هذه الأشياء.

- نعم، أخبرني تشاك بذلك. سنفعل ذلك. لكن لماذا؟ ما الذي عرفته؟

- إنه اختبار يا نيوت، كل شيء ما هو إلا اختبار.

أومأ نيوت برأسه قائلًا:

- كتجربة.

فهز توماس رأسه نافيًا وقال:

- لا، أنت لا تفهم الأمر. إنهم يغربلوننا، ليروا ما إذا كنا سنستسلم، ويجدوا الأفضل من بيننا. يلقون بالمتغيرات علينا، في محاولة لجعلنا نيأس ونستسلم. يريدون اختبار قدرتنا على الأمل والكفاح. إن إرسال تيريسا إلى هنا وإطفاء كل شيء ما هو إلا الجزء الأخير. ولكن حان الآن وقت الاختبار النهائي؛ الهروب.

تجعد جبين نيوت من الارتباك وقال:

- ماذا تقصد؟ أتعرف طريقة للخروج؟

- أجل، فلنعقد تجمُّعًا، الآن.

الفصل التاسع والأربعون

بعد مرور ساعة، كان توماس جالسًا أمام أمناء التجمُّع، تمامًا مثلما كان يجلس أمامهم قبل أسبوع أو أسبوعين. لم يسمحوا لتيريسا بالدخول، وهو الأمر الذي أزعجه بقدر ما أزعجها هي، لقد أصبح نيوت ومينهو يثقان بها الآن، لكن ما زال لدى الآخرين شكوكٌ بشأنها.

قال آلبي:

- حسنًا أيها العود الأخضر، تبدو أفضل بكثير وأنت جالس في منتصف كراسي النصف الدائرة، بجانب نيوت. ابدأ بالتحدث، إننا نستمع إليك.

كانت جميع الكراسي الأخرى مشغولة باستثناء كرسيَّين، كتذكير صارخ بأن زارت وجالي قد أخذتهما الهوام.

استغرق الأمر وقتًا من توماس -الذي كان ما يزال يشعر بالغثيان من بعد مروره بالتحول- حتى يستعيد رباطة جأشه. كان لديه الكثير ليقوله، لكنه أراد أن يتأكد بقدر الإمكان بأن ما سيقوله لن يبدو غبيًا.

بدأ كلامه قائلًا:

- إنها قصة طويلة، ليس لدينا الوقت للخوض فيها كلها، ولكنني سأخبركم بخلاصتها. عندما مررت بالتحوُّل، رأيت ومضات من صور -المئات من الصور- مثل عرض شرائح سريع. استرجعت الكثير من الذكريات، لكن بعضًا منها فقط واضح بما يكفي للحديث عنه، والبعض الآخر تلاشى أو يتلاشى.

ثم سكت لبرهة، وأخذ يستجمع أفكاره للمرة الأخيرة، وأردف قائلًا:

- لكنني أتذكر ما يكفي. إن المؤسسين يختبروننا. ليس ثمة حل للمتاهة أبدًا. كل شيء كان كتجربة، يريدون من الفائزين -أو الناجين- أن يفعلوا شيئًا مهمًا.

ثم سكت فجأة، وقد ارتبك بالفعل من تفكيره في الترتيب الذي يجب عليه إخبارهم به بالتفاصيل.

سأل نيوت قائلًا:

- ماذا؟

قال توماس وهو يفرك عينيه:

- اسمحوا لي أن أبدأ كلامي من جديد. لقد تم أخذ كل واحد منا عندما كنا صغارًا جدًّا، لا أذكر كيف أو لماذا، وإنما مجرد لمحات وشعور بأن كل شيء في العالم قد تغيَّر، وأن ثمة شيئًا سيئًا حقًّا قد حدث، شيء ليس لدي أي فكرة عنه. لقد اختطفنا المؤسِّسون، وأظن أنهم يعتقدون أن دوافعهم مبرَّرة بشأن فعل ذلك. لقد اكتشفوا بطريقة ما أن لدينا ذكاء فوق المتوسط، ولهذا اختارونا. لا أعلم، على أي حال، ليس هذا أهم ما في الأمر. لا أستطيع تذكر أي شيء عن عائلتي أو ما حدث لهم، ولكن بعد أن تم اختطافنا، أمضينا السنوات القليلة التالية نتعلم في مدارس من نوع خاص، ونعيش حياة طبيعية إلى حد ما، حتى تمكنوا أخيرًا من تمويل وبناء المتاهة. إن كل أسمائنا ما هي إلا مجرد ألقاب غبية اخترعوها. آلبي على سبيل المثال هو اختصار ألبرت آينشتاين، ونيوت لإسحاق نيوتن، وأنا... توماس، اختصار لتوماس إديسون.

بدا آلبي وكأنه قد صُفِع على وجهه، وقال في ذهول:

- أسماؤنا... هذه ليست أسماءنا الحقيقية؟

هز توماس رأسه قائلًا:

- على حد علمي، أظن أننا لن نتمكن أبدًا من معرفة ما هي أسماؤنا الحقيقية.

سأل السيد طاسة قائلًا:

- ما الذي تقوله؟ أننا مجرد أيتام تربوا على أيدي علماء؟

قال توماس:

- أجل، ومن المفترض أننا أذكياء حقًّا وهم يدرسون كل خطوة نقوم بها، ويحللون تصرفاتنا، ليروا مَن سيستسلم ومَن لا، ليروا مَن سينجو مِن كل هذا. لا عجب أن لدينا الكثير من الخنافس المعدنية للتجسس علينا هنا، بالإضافة إلى أن البعض منا لديه أشياء... قد تغيرت في دماغه.

تذمر وِنستون -وقد بدا مُتعَبًا وغير مبالٍ- قائلًا:

- لا أصدق كلمة مما قلته. هذا مجرد رَطْم ليس إلا.

قال توماس وقد ارتفعت نبرة صوته، فقد عرَّض نفسه للدغ عمدًا من أجل تذكر كل هذا:

- ولماذا عساني أن أختلق كل هذا؟ وماذا برأيك قد يكون تفسير كل ما يحدث؟ لماذا نعيش في مكان غريب كهذا؟

قال آلبي:

- فقط استمر في الحديث. لكنني لا أفهم لماذا لم يتذكر أحد منا هذه الأشياء! لقد مررت بالتحوُّل، لكن كل ما رأيته كان...

ثم ألقى نظرة سريعة على الأرجاء من حوله، وكأنه قد قال للتو شيئًا لم يكن ينبغي له قوله. وأردف:

- لا أتذكر شيئًا.

فقال توماس وقد كان خائفًا من الإفصاح عن ذلك الجزء من القصة:

- سأخبرك في خلال دقيقة واحدة لماذا أعتقد أنني أتذكر أكثر من الآخرين. هل أكمل كلامي أم لا؟

قال نيوت:

- تكلم.

أخذ توماس نفسًا عميقًا، كما لو كان على وشك البدء في سباق، ثم قال:

- حسنًا، لقد محوا ذكرياتنا بطريقة ما، ليس فقط ذكريات طفولتنا، وإنما أيضًا كل الأمور المتعلقة بدخولنا إلى المتاهة. لقد وضعونا في الصندوق وأرسلونا إلى هنا. مجموعة كبيرة في البداية، ثم واحد كل شهر في خلال العامين الماضيين.

سأل نيوت قائلًا:

- لكن لماذا؟ ما الهدف من هذا كله بحق الجحيم؟

رفع توماس يده في إشارة له ليصمت، ثم أكمل كلامه قائلًا:

- سأشرح لكم. كما قلت، أرادوا اختبارنا، ومعرفة كيف ستكون ردات فعلنا على ما يسمونه بالمتغيرات، وعلى المشكلة التي ليس لها حل. يريدون معرفة ما إذا كان بإمكاننا العمل معًا، وربما بناء مجتمع حتى. لقد تم توفير كل شيء لنا، وتم وضع المشكلة على هيئة أكثر الألغاز التي عرفتها الحضارة شيوعًا، ألا وهي المتاهة. كل هذا بالإضافة إلى جعلنا نعتقد بأنه يجب أن يكون هناك حل، فقط لتشجيعنا على أن

نبذل قصارى جهدنا وفي الوقت نفسه تضخيم شعورنا بالإحباط لعدم العثور على أي حلول.

ثم سكت لبرهة ونظر حوله ليتأكد من أنهم جميعًا يستمعون إليه وتابع قائلًا:

- خلاصة قولي هو أنه لا يوجد حل.

اندلعت الثرثرة في الغرفة، وتداخلت الأسئلة بعضها مع بعض.

رفع توماس يديه مرة أخرى، متمنيًا لو أن بإمكانه نقل أفكاره إلى أدمغة الآخرين فحسب. قال:

- أترون؟ ردود أفعالكم تثبت ما أقوله. كان معظم الناس سييأسون ويستسلمون بحلول هذا الوقت، لكنني أعتقد أننا مختلفون. نحن لا يمكننا أن نقبل بأن المشكلة ليس لها حل، وبخاصة عندما يكون الأمر بسيطًا كمجرد متاهة. إننا نواصل المحاولة مهما ازداد الوضع سوءًا.

أدرك توماس أن نبرة صوته قد ارتفعت باطراد في أثناء حديثه، وشعر بحرارة في وجهه.

- أيًا كان السبب، فقد سئمت منه! سئمت من كل ذلك: الهوام، والجدران المتحركة، والجرف... كل تلك الأشياء ما هي إلا عناصر اختبار غبي. يتم استخدامنا والتلاعب بنا. يريد المؤسسون إبقاء أذهاننا تعمل لمحاولة إيجاد حل لا وجود له من الأساس. والأمر نفسه ينطبق على إرسال تيريسا إلى هنا، واستخدامها لتحفيز النهاية -أيًا كان ما يعنيه هذا-، وأن كل شيء في هذا المكان قد تم إطفاؤه، والسماء الرمادية، وغيرها وغيرها وغيرها. إنهم يرموننا بأشياء جنونية ليروا طبيعة استجابتنا، ويختبروا قوة إرادتنا، ليروا ما إذا كنا سننقلب ضد بعضنا بعضًا. وفي النهاية، هم يريدون الناجين من أجل فعل شيء ما مهم.

فوقف السيد طاسة وقال:

- وقتل الناس؟ أهذا جزء صغير من خطتهم اللطيفة؟

انتابت توماس لحظة من الخوف، فقد كان قلقًا من أن يفجر الأمناء غضبهم فيه لأنه يعرف الكثير، وقد كان الأمر على وشك أن يزداد سوءًا.

- أجل يا سيد طاسة، قتل الناس جزء من خطتهم، والسبب الوحيد الذي يجعل الهوام يأخذن واحدًا منا تلو الآخر هو أنهم لا يريدوننا أن نموت

جميعًا قبل أن ينتهي كل شيء بالشكل المخطط له. البقاء للأصلح. لن يتمكن من الهرب إلا الأفضل من بيننا.

ركل السيد طاسة كرسيه وقال:

- حسنًا، من الأفضل أن تحدثنا عن خططك السحرية للهروب إذًا!

قال نيوت في هدوء:

- سيفعل. اسكت واستمع فحسب.

أما مينهو، الذي كان صامتًا في أغلب الوقت، فتنحنح قائلًا:

- ينتابني شعور بأنني لن أحب ما سأسمعه.

قال توماس:

- على الأرجح لا.

أغمض عينيه لثانية وثنى ذراعيه. كان يعلم أن الدقائق القليلة القادمة ستكون حاسمة.

ثم أردف قائلًا:

- إن المؤسسين يريدون الأفضل من بيننا من أجل هدف معين قد خططوا له. ولكن علينا أن نكسب هذه اللعبة مهما كان الثمن.

سكت كل مَن في الغرفة تمامًا وثبَّتوا أعينهم عليه.

- الشفرة.

فكرر السيد طاسة بنبرة تنطوي على بصيص من الأمل:

- الشفرة؟ ماذا عنها؟

حدَّق إليه توماس ثم قال:

- لقد خُبِّئَت في حركة جدران المتاهة لسبب ما. عليَّ أن أعرف... لقد كنت هناك عندما صنعها المؤسسون.

الفصل الخمسون

للحظات طويلة، لم ينبس أحد ببنت شفة، وكل ما رآه توماس كانت وجوهًا صماء. شعر بقطرات من العرق تتساقط على جبهته، وتعرقت كفاه كذلك. كان خائفًا من الاستمرار في حديثه. بدا نيوت متحيرًا تمامًا، وكسر الصمت أخيرًا قائلًا:

- ما الذي تقوله؟

- حسنًا، أولًا ثمة شيء يجب أن أخبركم به، عني أنا وتيريسا. هناك سبب وراء اتهام جالي لي بالعديد من الأشياء، ووراء أن كل مَن مرَّ بالتحوُّل كان يتعرف عليَّ.

كان يتوقع أن تنهمر عليه الأسئلة -أن تنفجر الأصوات من حوله- ولكن الغرفة بأكملها كانت غارقة في صمت قاتل.

أردف قائلًا:

- تيريسا وأنا... مختلفان. لقد كنا جزءًا من تجارب المتاهة منذ البداية، لكنني أقسم بأن ذلك كان رغمًا عن إرادتنا.

قال مينهو:

- توماس، ما الذي تتحدث عنه؟

- أنا وتيريسا قد تم استخدامنا من قِبَل المؤسسين. إذا استعدتم ذكرياتكم كاملة، لربما ترغبون في قتلنا، ولكن عليَّ أن أخبركم بهذا بنفسي لأظهر لكم أنه يمكنكم الوثوق بنا الآن. ولكي تصدقوني عندما أخبركم بالطريقة الوحيدة التي يمكننا بها الخروج من هنا.

نظر توماس إلى وجوه الأمناء سريعًا، متسائلًا للمرة الأخيرة عما إذا كان من المفترض عليه أن يقول ذلك حقًا، وما إذا كانوا سيفهمون ما سيقوله، لكنه في قرارة نفسه كان يعلم أن عليه قول ذلك. كان لا بد من قول ذلك.

أخذ توماس نفسًا عميقًا، ثم قال:

- أنا وتيريسا قد ساعدنا في تصميم المتاهة، ساعدنا في إنشاء كل هذا.

بدا الجميع في حالة من الذهول، ولم ينطق أحدٌ بأي رد. ظلوا يحدقون إليه بوجوه صماء خالية من أي تعبير، حتى إن توماس قد اعتقد أنهم لم يفهموه أو لم يصدقوه.

سأل نيوت أخيرًا قائلًا:

- ما الذي من المفترض أن يعنيه ذلك؟ إنك تبلغ من العمر ستة عشر عامًا. كيف يمكنك إنشاء متاهة؟

لم يستطع توماس نفسه ألا يشك في هذه النقطة تحديدًا، لكنه كان متأكدًا مما تذكَّره، وبقدر ما بدت الفكرة جنونية، كان متأكدًا من أنها الحقيقة.

- لقد كنا... ذكيَّين. وأعتقد أن هذا جزء من المتغيرات. ولكن الأهم من ذلك، أنا وتيريسا لدينا... موهبة، موهبة جعلتنا ذوي قيمة في أثناء تصميمهم وبنائهم لهذا المكان.

ثم سكت فجأة حين أدرك أن كل ما يقوله يبدو سخيفًا تمامًا.

صاح نيوت قائلًا:

- تكلم! قل ما عندك!

- إننا نستطيع التواصل عن طريق التخاطر! نستطيع التحدث داخل أدمغة بعضنا بعضًا!

كاد قول ذلك بصوت عالٍ يجعله يشعر بالخجل، كما لو أنه قد اعترف للتو بأنه لص.

رمش نيوت في ذهول، بينما سعل شخص ما.

أردف توماس في عجلة من أمره للدفاع عن نفسه قائلًا:

- لكن اسمعوني، إنهم أجبرونا على مساعدتهم. لا أعرف كيف أو لماذا، ولكن هذا ما فعلوه.

وبعد سكوته لبرهة تابع قائلًا:

- ربما كان ذلك لمعرفة ما إذا كان بإمكاننا كسب ثقتكم على الرغم من كوننا جزءًا منهم. ربما كان من المخطط له منذ البداية أننا من سنكشف لكم عن كيفية الهروب. فأيًّا كان السبب، لقد تمكنا عن طريق خرائطكم من التوصل إلى الشفرة، ونحن بحاجة إلى استخدامها الآن.

نظر توماس حوله، ولدهشته الكبيرة، لم يبدُ أحدٌ غاضبًا. استمر معظم الفتيان في التحديق إليه بوجوه صماء وهم يهزون رؤوسهم في ذهول أو عدم تصديق. ولسبب غريب، كان مينهو يبتسم.

أردف توماس قائلًا:

- هذه هي الحقيقة، وأنا آسف، لكن عليكم أن تعرفوا أنني في نفس القارب معكم الآن. لقد تم إرسالنا أنا وتيريسا إلى هنا تمامًا كأي شخص آخر، ويمكننا أن نموت بنفس السهولة. لكن المؤسسين قد رأوا ما يكفي، وحان الآن وقت الاختبار النهائي. أعتقد أنني كنت بحاجة إلى أن أمر بالتحوُّل من أجل إيجاد القطع الأخيرة الناقصة من الأحجية. على أي حال، أردتكم أن تعرفوا الحقيقة، وأن تعرفوا بأن هناك احتمالًا لأن ننجح في ذلك.

أمسك نيوت رأسه وهو يحدق إلى الأرض، ثم رفع وجهه ونظر إلى الأمناء وقال:

- المؤسسون، هؤلاء العراقيب هم مَن فعلوا هذا بنا، وليس تومي وتيريسا. المؤسسون هم من فعلوا، ولسوف يندمون على هذا.

قال مينهو:

- أيًّا كان، ومن يبالي بهذا الرَّطْم؟ فقط أخبِرنا بخطة الهروب فحسب.

شعر توماس بكتلة تقف في حلقه. شعر بارتياح لدرجة أنه كاد لا يستطيع الكلام، فقد كان على يقين من أنهم سيضعونه تحت ضغط شديد بسبب اعترافه، وإذا لم يرموه من أعلى الجرف حتى الآن، فقد بدا ما تبقى مما أراد قوله سهلًا الآن.

- هناك محطة حاسوب في مكان لم نره من قبل. ستفتح الشفرة لنا بابًا للخروج من المتاهة. كما أنها تطفئ الهوام حتى لا تتمكن من تتبعنا... هذا إذا تمكنا من البقاء على قيد الحياة حتى الوصول إلى هذه النقطة.

سأل آلبي قائلًا:

- مكان لم نره من قبل؟ ماذا تظننا كنا نفعل على مدار عامين؟

- ثقوا بي، هو مكان لم يسبق لكم الذهاب إليه من قبل.

وقف مينهو وقال:

- حسنًا، أين هو؟

قال توماس وقد كان يعلم أنه يحاول تأخير إجابته بقدر الإمكان:

- إن الأمر شبه انتحار. سوف تلاحقنا الهوام كلما حاولنا القيام بذلك. كلهن. هذا هو الاختبار النهائي.

لقد أراد التأكد من أنهم قد استوعبوا حجم المخاطرة. فقد كان احتمال أن يتمكنوا جميعًا من النجاة ضئيلًا جدًّا.

سأل نيوت وقد انحنى إلى الأمام في كرسيه:

- إذن أين هو؟

أجاب توماس:

- أعلى الجرف. علينا أن نعبر من خلال حفرة الهوام.

الفصل الحادي والخمسون

هبَّ آلبي واقفًا وسقط كرسيه إلى الخلف، وحدَّق بعينيه المحتقنتين بالدماء حتى برزت من أسفل الضمادة البيضاء الملفوفة على جبهته. تقدم خطوتين للأمام ثم توقف، وكأنه كان على وشك توجيه الاتهام إلى توماس ومهاجمته.

قال وهو يحدق إلى توماس:

- أنت الآن إما عرقوب أحمق لعين، وإما خائن قذر. كيف يمكننا الوثوق بأي كلمة تقولها إذا كنت قد ساعدت في تصميم هذا المكان، ووضعتنا هنا؟! إننا لا نستطيع مواجهة هامة واحدة، فما بالكم بمحاربة حشد كامل منهن في حفرتهن الصغيرة؟ ما الذي تنوي فعله حقًّا؟

قال توماس في غضب:

- ما الذي أنوي فعله؟ لا شيء! لماذا قد أختلق كل هذا؟

كانت ذراعا آلبي مشدودتين وكفاه مقبوضتين وقال بنبرة حازمة:

- كل ما نعرفه أنه قد تم إرسالك إلى هنا لقتلنا جميعًا. فلماذا عسانا أن نثق بك؟

حدق توماس في ريبة وقال:

- آلبي، هل لديك مشكلة في الذاكرة قصيرة الأمد؟ لقد خاطرت بحياتي لإنقاذك في المتاهة. كنتَ ستموت لولا ما فعلتُه من أجلك!

- ربما كانت حيلة لكسب ثقتنا. فإذا كنت حليفًا مع المقشورين الذين أرسلونا إلى هنا، فلا يوجد لديك ما يدعو للقلق بشأن إيذاء الهوام لك. ربما كان كل هذا تمثيلًا.

خفَّت حدة غضب توماس قليلًا، وتحول إلى شفقة. كان ثمة شيء غريب هنا... شيء مريب.

تدخل مينهو أخيرًا وأراح قلب توماس قائلًا:

- تلك أغبى نظرية سمعتها في حياتي. لقد تعرض للدغ بالفعل قبل ثلاث ليالٍ. أتعتقد أن هذا كان جزءًا من مشهد تمثيلي؟

أومأ آلبي مرة واحدة وبحزم قال:

- ربما.

قال توماس وقد ألقى بأكبر قدر من الانزعاج في صوته:

- لقد فعلت ذلك. عمدًا. على أمل أن أستعيد ذكرياتي، وأن أستطيع مساعدتنا جميعًا في الخروج من هنا. أيجب عليَّ أن أريك كم الجروح والكدمات التي أُصِبتُ بها في جميع أنحاء جسدي؟

لم يقل آلبي شيئًا. كان وجهه ما يزال يرتجف من الغضب وقد دمعت عيناه وبرزت عروق رقبته. ثم التفت أخيرًا ليواجه جميع من في الغرفة وهو يصرخ قائلًا:

- لا يمكننا أن نعود! لقد رأيتُ كيف كانت حياتنا من قبل... لا يمكننا أن نعود!

سأل نيوت قائلًا:

- أهذا هو كل ما في الأمر؟ أتمزح معنا؟

فانقلب آلبي عليه بشراسة، حتى إنه قد رفع قبضته في وجهه. ولكنه تراجع، وأنزل ذراعه، ثم ذهب وجلس في كرسيه ودفن وجهه بين يديه وانفجر في البكاء. لم يكن توماس ليتفاجأ أكثر من ذلك. كان القائد الشجاع لأفراد الجلايد يبكي بالفعل كطفل صغير.

قال نيوت:

- آلبي، تحدث إلينا. ما الأمر؟

فأجاب آلبي بين تنهيداته:

- أنا من فعل ذلك. أنا من فعل ذلك.

سأله نيوت وقد بدا مرتبكًا، تمامًا كما شعر توماس:

- فعلتَ ماذا؟

رفع آلبي وجهه، ونظر إليهم بعينين مليئتين بالدموع وقال:

- لقد أحرقتُ الخرائط. أنا مَن فعلت ذلك. وقد صدمت رأسي بالطاولة حتى تعتقدوا أنه شخص آخر، لقد كذبت، أنا من أحرقت كل شيء. أنا مَن فعل ذلك!

أخذ الأمناء يتبادلون النظرات فيما بينهم، وكانت الصدمة واضحة على وجوههم. ولكن بالنسبة إلى توماس، أصبح كل شيء يبدو منطقيًّا الآن. لقد تذكر آلبي كم كانت حياته مروعة قبل أن يأتي إلى هنا ولم يكن يريد العودة.

قال مينهو بنبرة تكاد تكون ساخرة:

- حسنًا، من حسن الحظ أننا حفظنا تلك الخرائط. شكرًا على النصيحة التي قدمتها لنا بعد التحوُّل، لحمايتها.

نظر توماس ليرى كيف ستكون ردة فعل آلبي على تعليق مينهو الساخر والذي كاد يبدو قاسيًا، ولكنه تصرف وكأنه لم يسمعه حتى.

أما نيوت، فبدلًا من أن يظهِر غضبًا، طلب من آلبي أن يشرح ما قاله للتو. عرف توماس لماذا لم يكن نيوت غاضبًا، فالخرائط كانت بأمان، وقد تم اكتشاف الشفرة، لم يعد الأمر مهمًّا.

أجابه آلبي والذي قد بدا وكأنه يتوسل، في حالة شبه هستيرية:

- سأخبركم. لا يمكننا العودة من حيث أتينا؛ لقد رأيت كيف كانت حياتنا من قبل، وتذكرت أشياء بشعة وفظيعة. أرض محترقة، ومرض متفشٍ... شيء ما يسمى الوَهَج. كان الأمر مروِّعًا... أسوأ بكثير من حياتنا هنا.

صاح مينهو قائلًا:

- إذا بقينا هنا، فسنموت جميعًا! هل ثمة شيء أسوأ من ذلك؟

حدق آلبي إلى نيوت للحظات طويلة قبل أن يرد. ولم يسع توماس في خلال تلك اللحظات إلا أن يفكر في الكلمات التي قالها للتو. *الوَهَج*. شيء ما حيال هذا كان مألوفًا، وكأنه كان على حافة ذاكرته، ولكنه كان على يقين من أنه لم يتذكر أي شيء عن ذلك عندما مرَّ بالتحوُّل.

قال آلبي أخيرًا:

- أجل، إنها أسوأ. الموت هنا أفضل من العودة إلى الديار.

ضحك مينهو وأسند ظهره إلى الخلف في كرسيه وقال:

- يا فتى، دعني أخبرك بأن ما تقوله ليس إلا حفنة من السخافات. أنا مع توماس، أنا مع توماس مائة بالمائة، وإذا كنا سنموت، فلنمت ونحن نحاول.

وأضاف توماس وقد شعر بارتياح لوقوف مينهو في صفه بقوة:

- سواءً كنا داخل المتاهة أو خارجها، فما زلنا نعيش داخل العالم نفسه الذي تذكرتَه.

وقف آلبي مرة أخرى، وقد بدا على وجهه شعوره بالهزيمة، ثم تنهد وقال:

- افعلوا ما شئتم، لا يهم، فسوف نموت في كل الأحوال.

وبهذا، سار إلى الباب وغادر الغرفة.

زَفَرَ نيوت زَفْرَةً عميقة وهز رأسه قائلًا:

- لم يعد الشخص نفسه قط منذ تعرض للدغ، لا بد أن ذكرياته كانت سيئة بحق. ثم ما هو الوَهَج ذلك بحق الجحيم؟

قال مينهو:

- لا يهمني. أي شيء سيكون أفضل من الموت هنا. يمكننا تدبر أمرنا مع المؤسسين بمجرد خروجنا. ولكن في الوقت الحالي علينا أن نفعل ما قد خططوا له، أن نعبر من خلال حفرة الهوام ونهرب. ولو كان هذا سيؤدي إلى موت البعض منا، فليكن ذلك.

ضحك السيد طاسة وقال:

- إنكم ستقودونني إلى الجنون أيها العراقيب. لا يمكننا الخروج من المتاهة، وفكرة التسكع مع الهوام في وكرهم تبدو أغبى فكرة سمعتها في حياتي. لم يعد ينقص سوى أن نقطع شرايين معاصمنا أيضًا.

اندلع جدال بين الأمناء الآخرين، كان الجميع يتحدثون في وقت واحد ويقاطعون بعضهم بعضًا حتى صرخ نيوت فيهم لكي يصمتوا.

وبمجرد أن هدؤوا، تحدث توماس مجددًا قائلًا:

- سأصل إلى حفرة الهوام وسأمر من عبرها، وإلا فسأموت وأنا أحاول فعل ذلك. ويبدو أن مينهو ينوي الشيء نفسه أيضًا. وأنا واثق من أن تيريسا معنا. إذا استطعنا محاربة الهوام حتى يتمكن أحدنا من إدخال الشفرة وإطفائهم، من ثم يمكننا المرور عبر الباب الذي يخرجن منه، وبهذا سنكون قد نجحنا في الاختبارات، ومن ثم سنتمكن من مواجهة المؤسسين أنفسهم.

ابتسم نيوت ابتسامة لم تكن تنم عن سعادة بأي شكل من الأشكال، ثم قال:

- وأنت تعتقد أن بإمكاننا محاربة الهوام؟ حتى لو لم نَمُت، فعلى الأرجح سنتعرض جميعًا للدغ. قد نجدهن جميعًا في انتظارنا عندما نصل إلى

الجرف. إن الخنافس المعدنية موجودة هناك بشكل دائم؛ سيعرف المؤسسون أننا في طريقنا لهناك.

كان يخشى توماس ذلك، لكنه كان يعلم أن الوقت قد حان لإخبارهم بالجزء الأخير من خطته.

- لا أعتقد أنهن سيلدغننا، فقد كان التحوُّل أحد المتغيرات بالنسبة إلينا عندما كنا نعيش هنا، لكن تلك المرحلة ستنتهي. بالإضافة إلى ذلك، ما زالت لدينا نقطة قد تزيح عنا بعضًا من القلق.

سأل نيوت وهو يقلب نظراته قائلًا:

- وما هي إذن؟ لا أطيق الانتظار لسماعها.

- لن يستفيد المؤسسون أي شيء إذا متنا جميعًا. من المفترض أن يكون فعل هذا صعبًا ولكن ليس مستحيلًا. أعتقد أننا صرنا نعرف على وجه اليقين أن الهوام مبرمَجة على قتل واحد منا فقط كل يوم. إذن من الممكن أن يضحي أحدنا بنفسه من أجل إنقاذ الآخرين بينما نسرع نحن إلى الفرار عبر الحفرة. أعتقد أنه ربما هذه هي الطريقة التي يجب أن يسير بها الأمر.

عمَّ الصمت الغرفة، حتى كسره أمين بيت الدم فجأة بضحكة عالية.

قال وِنستون:

- معذرة؟ إذن فاقتراحك هو أن نرمي بفتى مسكين للذئاب حتى يتمكن البقية من الهرب؟ أهذا هو اقتراحك العبقري؟

كره توماس الاعتراف بمدى السوء الذي بدا عليه الأمر، ولكن خطرت له فكرة.

قال توماس وقد تجاهل تحديق الفتى إليه:

- أجل يا وِنستون، وأنا سعيد للغاية بإبدائك اهتمامًا بكلامي. وأعتقد أنه قد بات من الواضح من الذي يجب أن يكون هذا الفتى المسكين.

سأل وِنستون قائلًا:

- آه، حقًّا؟ مَن؟

طوى توماس ذراعيه وأجابه قائلًا:

- أنا.

الفصل الثاني والخمسون

تحول الاجتماع إلى جوقة من الجدالات. وقف نيوت بهدوء شديد، ومشى إلى توماس وأمسكه من ذراعه وجذبه نحو الباب قائلًا:

- غادر. حالًا.

سأله توماس في ذهول:

- أغادر؟ لماذا؟

أعتقد أنك قد قلت ما يكفي في هذا الاجتماع. نحتاج إلى أن نتحدث ونقرر ما سنفعله... دون وجودك هنا.

كانا قد وصلا إلى الباب وقام نيوت بدفعه إلى الخارج برفق وقال له:

- انتظرني بجوار الصندوق. عندما ننتهي، سنتحدث أنا وأنت.

ولكن عندما بدأ نيوت يلتفت ليبتعد، مدَّ توماس يده وأمسك به قائلًا:

- عليك أن تصدقني يا نيوت. هذا هو السبيل الوحيد للخروج من هنا، يمكننا فعلها، أقسم لك. إننا مجهَّزون لفعل ذلك.

اقترب نيوت من وجهه وهمس له بلهجة غاضبة:

- أجل، لقد أحببت على وجه الخصوص الجزء الذي تطوعت فيه للتضحية بنفسك.

- أنا على استعداد تام للقيام بذلك.

كان توماس يعني ما قاله حقًّا، ولكن ذلك كان فقط بسبب شعوره بالذنب الذي سيطر عليه. شعوره بالذنب لأنه قد ساعد بطريقة ما في تصميم المتاهة. ولكن في أعماقه، كان يتمسك بالأمل في أن يتمكن من المحاربة لوقت كافٍ حتى يتمكن شخص ما من إدخال الشفرة وإطفاء الهوام قبل أن تقتله، وأن ينفتح الباب.

سأله نيوت وقد بدا غاضبًا:

- أوه، حقًّا؟ إلى من أتحدث الآن؟ السيد نوبل بنفسه أم ماذا؟

- لدي الكثير من أسبابي الخاصة، فأنا بشكل من الأشكال أُعَد سببًا في وجودنا هنا.

ثم سكت لبرهة، وأخذ نفسًا ليهدأ، وأردف قائلًا:

- على أي حال، سأفعل ذلك. لذا من الأفضل ألا تهدر الفرصة، وألا نضيع الوقت.

عبس نيوت، وامتلأت عيناه فجأة بالشفقة وقال:

- إذا كنت ساعدتَ فعلًا في تصميم المتاهة فهذا ليس خطأك يا تومي. إنك ما زلت صغير السن، لا يمكنك فعل أي شيء إذا أجبروك على أمر ما.

ولكن كلام نيوت لم يكن مهمًا، ولا كلام أي شخص آخر. تحمل توماس المسؤولية على أي حال، وكان شعوره يزداد ثقلًا كلما فكَّر في الأمر.

- أنا فقط... أشعر أنني يجب عليَّ إنقاذ الجميع، لأكفر عما فعلته.

تراجع نيوت خطوة للوراء، وأخذ يهز رأسه ببطء قائلًا:

- أتعرف ما المضحك في الأمر يا تومي؟

فأجابه توماس بتحفظ:

- ماذا؟

- إنني أصدقك بحق. لا يمكنني رؤية أي ذرة من الكذب في عينيك، ولا أستطيع أن أصدق أبدًا أنني على وشك قول هذا.

ثم سكت لبرهة، وأردف:

- لكنني سأعود إلى الداخل لإقناع هؤلاء العراقيب بأننا يجب أن نعبر من خلال حفرة الهوام، تمامًا كما قلت. لعلنا نستطيع محاربة الهوام بدلًا من الجلوس والسماح لهم بالتقاطنا واحدًا تلو الآخر.

ثم رفع إصبعه قائلًا:

- لكن اسمعني، لا أريد سماع أي كلمة لعينة عن موتك أو أي من هذا الرَّطْم البطولي. إذا كنا سنفعل ذلك، فجميعنا سوف نخاطر، أتسمعني؟

رفع توماس يديه لأعلى، وقد غمره الارتياح.

- أسمعك بوضوح تام. كنت أحاول فقط أن أوضح أن الأمر يستحق المخاطرة، فإذا كان شخص ما سيموت كل ليلة بشكل أو بآخر، فلنستخدم هذا لصالحنا.

عبس نيوت وقال:

- حسنًا، يبدو ما تقوله مبهجًا بحق، أليس كذلك؟

استدار توماس ليبتعد، لكن ما لبث أن ناداه نيوت قائلًا:

- تومي؟

توقف توماس لكنه لم ينظر إلى الوراء.

- نعم؟

- إذا كان بإمكاني إقناع هؤلاء العراقيب -وهذا احتمال مشكوك فيه- فسيكون أفضل وقت للذهاب هو الليل. يمكننا أن نأمل أن تكون معظم الهوام بالخارج أو بالمتاهة، وليسوا في تلك الحفرة الخاصة بهن.

- حلو الكلام.

اتفق توماس معه، وكان يأمل فقط أن يتمكن نيوت من إقناع الأمناء، فالتفت إليه أخيرًا وأومأ برأسه.

ابتسم نيوت، وبالكاد ظهر على وجهه شيء من القلق، وقال:

- يجب أن نفعل ذلك الليلة، قبل أن يُقتَل أي شخص آخر.

وقبل أن يتمكن توماس من قول أي شيء، اختفى نيوت مرة أخرى وعاد إلى التجمع.

وغادر توماس -الذي كان مصدومًا بعض الشيء من آخر جملة سمعها- بيت المزرعة وسار متجهًا إلى مقعد قديم بالقرب من الصندوق وجلس هناك، وقد شعر وكأنما ثمة زوبعة تدور في عقله. ظل يفكر فيما قاله آلبي عن الوَهَج وما يمكن أن يعنيه. قد تحدث الفتى أيضًا عن أرض محترقة ومرض متفشٍ. لم يكن توماس يتذكر أي شيء كهذا، ولكن إن كان ذلك صحيحًا، فإن العالم الذي كانوا يحاولون العودة إليه لا يبدو رائعًا للغاية. ومع ذلك... لا يبدو أن لديهم أي خيار آخر، فإلى جانب حقيقة أن الهوام كانت تهاجمهم كل ليلة، لقد تم إيقاف تشغيل كل شيء داخل الجلايد بالأساس.

وفي إحباط، وقلق، وتعب من أفكاره، نادى تيريسا.

- *أيمكنكِ سماعي؟*

أجابت:

- *أجل، أين أنت؟*

- *بجانب الصندوق.*

- *سآتي إليك في خلال دقيقة.*

أدرك توماس مدى حاجته الشديدة إلى أن يكون بصحبتها.

- *حسنًا، سأخبرك بالخطة؛ أعتقد أنها ستنجح.*

- *ما هي؟*

انحنى توماس على المقعد ووضع قدمه اليمنى فوق ركبته متسائلًا كيف ستكون ردة فعل تيريسا على ما سيقوله.

- *علينا أن نعبر من خلال حفرة الهوام، وأن نستخدم تلك الشفرة لإطفاء الهوام وفتح الباب الذي سيخرجنا من هنا.*

ثم سكت توماس وفكر للحظات ثم أضاف قائلًا:

- *إلا إذا كان لديكِ أي أفكار أفضل.*

- *لا، لكن ما قلته يبدو مروعًا.*

ضرب بقبضته اليمنى في كف يده الأخرى، على الرغم من أنه كان يعلم أنها لا تستطيع رؤيته.

- *نستطيع أن نفعلها.*

- *أشك في ذلك.*

- *حسنًا، علينا أن نحاول.*

وبعد وقفة صمت أخرى، وللحظات أطول هذه المرة، بدأ يشعر بعزيمتها.

- *أنت على حق.*

- *أعتقد أننا سنغادر الليلة. فقط تعالي إلى هنا حتى يمكننا التحدث أكثر عن ذلك.*

- *سأكون عندك خلال دقائق.*

شعر توماس وكأن معدته قد عُقِدَت، فقد بدأ يستوعب حقيقة ما اقترحه، ومدى خطورة الخطة التي كان نيوت يحاول إقناع الأمناء بالموافقة عليها. كان مدركًا لخطورة الأمر، لكن فكرة محاربة الهوام -وليس الهرب منهن فحسب- كانت مرعبة. بدا أن أفضل سيناريو على الإطلاق هو أن يموت واحد

منهم فقط، ولكن حتى ذلك لا يمكن الوثوق به، فربما سيعيد المؤسسون برمجة تلك المخلوقات فحسب، ومن ثم ستُلغى كل الرهانات.

حاول ألا يفكر في الأمر.

***

وفي وقت أسرع مما توقعه توماس، كانت تيريسا قد وجدته وجلست بجانبه. كان جسدها ملتصقًا بجسده على الرغم من وجود مساحة كبيرة على المقعد. مدت يدها وأخذت يده. ضغط على يدها بشدة، لدرجة أنه عَلِم أنه لا بد أن يكون قد آلمها.

قالت:

- أخبرني...

أخبرها توماس بكل شيء، إذ روى عليها كل كلمة قالها الأمناء، كارهًا كيف امتلأت عينا تيريسا بالقلق والرعب. ثم قال بعد أن حكى لها كل شيء:

- كان من السهل مناقشة الخطة، لكن نيوت يعتقد أننا يجب أن نذهب الليلة. لا يبدو الأمر جيدًا الآن.

لقد أرعبه على وجه الخصوص التفكير في وجود تشاك وتيريسا هناك، لقد واجه الهوام بالفعل وعرف جيدًا كيف يكون الأمر. أراد لو أن في مقدرته حماية أصدقائه من تلك التجربة المروعة، لكنه كان يعلم أنه لا يستطيع.

قالت بصوت هادئ:

- يمكننا القيام بذلك.

ومجرد سماعها وهي تقول هذا، جعله يقلق أكثر.

- اللعنة، أنا خائف بحق.

- سحقًا، أنت إنسان؛ من الطبيعي أن تكون خائفًا.

لم يرد توماس، وظلَّا جالسَين هناك فترة طويلة متشابكَي الأيدي، بلا أي كلمة، ولا حتى في ذهنيهما. شعر ببعض السلام والهدوء، حتى لو كانت لحظات عابرة، وحاول الاستمتاع بها لأطول فترة ممكنة.

الفصل الثالث والخمسون

كان توماس حزينًا تقريبًا بانتهاء التجمُّع، فعندما خرج نيوت من المنزل كان يعلم أن وقت الراحة قد انتهى. رآهما الأمين واقترب منهما. لاحظ توماس أنه قد ترك يد تيريسا دون تفكير.

توقف نيوت أخيرًا أمامهما وعقد ذراعيه فوق صدره وهو ينظر إليهما وهما جالسان على المقعد، وقال:

- يبدو الأمر جنونيًا، أنت تعرف ذلك، صحيح؟

كان من الصعب قراءة وجهه، ولكن كان هناك تلميح بالنصر في عينيه.

نهض توماس وشعر باندفاع من الإثارة يسري في جسده:

- أوافقوا على الذهاب إذًا؟

أومأ نيوت برأسه قائلًا:

- جميعهم. لم يكن الأمر صعبًا كما اعتقدت. لقد رأى هؤلاء العراقيب ما يحدث في أثناء الليل وتلك الأبواب اللعينة مفتوحة، ولا نستطيع الخروج من تلك المتاهة الغبية؛ علينا أن نجرب فعل شيء مختلف.

ثم استدار ونظر إلى الأمناء، الذين كانوا قد بدأ كل منهم في تجميع فريقه. وأردف قائلًا:

- كل ما علينا الآن هو إقناع بقية أفراد الجلايد.

كان توماس يعلم أن هذا سيكون أصعب من إقناع الأمناء.

وقفت تيريسا وشاركتهم المحادثة أخيرًا بسؤالها قائلة:

- هل تعتقدان أنهم سيوافقون على فعل ذلك؟

قال نيوت:

- ليس جميعهم. أنا متأكد من أن بعضهم سيرغبون في البقاء هنا وتجريب حظهم.

استطاع توماس رؤية الإحباط في عينيه، ولم يكن يشك في أن الناس سيخافون من فكرة محاولة الهرب من الجلايد ومحاربة الهوام.

- ماذا عن آلبي؟

أجاب نيوت وهو ينظر حوله في أرجاء الجلايد مراقبًا الأمناء وفِرَقهم:

- ومن يدري؟ أنا مقتنع بأن خوف الفتى من عودته إلى منزله يفوق حقًّا خوفه من الهوام، ولكنني سأقنعه بالذهاب معنا، لا تقلق.

تمنى توماس لو أن بإمكانه استعادة بعض الذكريات حول تلك الأمور المروعة التي تحدَّث عنها آلبي، لكنه لم يكن يتذكر أي شيء حيال ذلك.

- كيف ستقنعه؟

ضحك نيوت وقال:

- سأختلق بعض الأكاذيب. سأخبره بأننا سنجد جميعًا حياة جديدة في جزء من مكان آخر بالعالم، وأننا سنعيش في سعادة دائمة.

هز توماس كتفيه قائلًا:

- حسنًا، ربما سنتمكن من فعل ذلك. لقد وعدت تشاك بأنني سأعيده إلى منزله، أو على الأقل سأجد منزلًا له.

تمتمت تيريسا قائلة:

- حسنًا إذن، أي شيء سيكون أفضل من هذا المكان.

نظر توماس حوله ملتفتًا إلى النقاشات التي اندلعت عبر الجلايد، فقد كان الأمناء يبذلون قصارى جهدهم لإقناع الناس بضرورة المجازفة والمكافحة في طريقهم إلى حفرة الهوام. ابتعد بعض الأفراد عند سماعهم هذا، ولكن بدا أن معظمهم كانوا يستمعون ويفكرون في الأمر على الأقل.

سألت تيريسا قائلة:

- إذًا ما هي الخطوة التالية؟

أخذ نيوت نفسًا عميقًا وقال:

- سنعرف من سيذهب ومن سيبقى، وسنستعد، ونجهز الأسلحة، وكل تلك الأمور، ومن ثم سنذهب. توماس، سأضعك في القيادة، بما أن هذه فكرتك، ولكننا سنجد صعوبة في إقناع الناس بالوقوف في صفنا إذا جعلنا العود الأخضر قائدنا. لا أقصد الإساءة، ولكن لا تلفت الأنظار إليك كثيرًا فحسب، اتفقنا؟ سنترك أمر الشفرة لك أنت وتيريسا.

كان توماس متوافقًا مع فكرة ألا يلفت إليه الأنظار بقدر الإمكان، أما أمر العثور على محطة الحاسوب وإدخال الشفرة فكانت مسؤولية كبيرة جدًّا بالنسبة إليه، ولكن حتى مع وجود هذا القدر الكبير من الأعباء الملقاة على كتفيه، كان عليه أن يحارب فيضان الذعر المتصاعد الذي شعر به.

قال أخيرًا محاولًا بذل قصارى جهده لتهوين الموقف:

- إنك تقول الأشياء ببساطة كما لو كانت هينة.

طوى نيوت ذراعيه مرة أخرى، ونظر إليه من كثب قائلًا:

- كل ما في الأمر أننا إذا بقينا هنا فسيموت أحد العراقيب الليلة، وإذا ذهبنا فسيموت واحد أيضًا، تمامًا مثلما قُلتَ. فما الفرق إذن؟

ثم أشار إلى توماس وأردف:

- هذا إن كنتَ محقًّا.

- أنا واثق من أنني محق.

كان توماس يعلم أنه محق بشأن الحفرة، والشفرة، والباب، وضرورة المحاربة. ولكن ما إذا كان شخص واحد سيموت أم أكثر، هذا ما لم يكن لديه أدنى فكرة عنه. ومع ذلك، لو كان هناك شيء واحد قد أخبره به حدسه، فسيكون ألا يعترف بأي شكوك كانت تراوده في ذلك الوقت.

ربت نيوت على ظهره وقال:

- حلو الكلام، فلنبدأ العمل.

***

كانت الساعات القليلة التالية متسارعة الوتيرة.

انتهى الأمر بموافقة معظم أفراد الجلايد على الذهاب. كان العدد أكثر مما توقعه توماس، حتى آلبي قرر أن يخوض المخاطرة. وعلى الرغم من أن أحدًا لم يعترف بذلك، فإن توماس كان يراهن على أن معظمهم كانوا يعتمدون على نظرية أن شخصًا واحدًا فقط هو من سيُقتَل على يد الهوام، وأن كلًّا منهم قد عدَّ أن فرصته في ألا يكون هو تعيس الحظ كانت كبيرة. أما أولئك الذين قرروا البقاء في الجلايد فكانوا قلة، إلا أنهم عنيدون ومزعجون. أخذوا يتجولون في الأرجاء عابسي الوجه، محاولين إخبار الآخرين كم كانوا أغبياء. وفي نهاية المطاف، استسلموا وابتعدوا.

أما بالنسبة إلى توماس وبقية من قرروا الهرب، فكان لديهم أطنان من العمل الذي يتعين عليهم القيام به.

وُزِّعَت حقائب الظهر ومُلِئت بمختلف اللوازم، وكان السيد طاسة -أخبر نيوت توماس بأن الطباخ كان آخر من وافق على الذهاب من بين الأمناء- مسؤولًا عن جمع كل الطعام وإيجاد طريقة لتوزيعه بالتساوي بين الجميع. وكانت حقن مصل الهوام من ضمن الأشياء التي وُزِّعَت عليهم، على الرغم من أن توماس لم يكن يعتقد أن الهوام سوف تلدغهم. أما تشاك فكان مسؤولًا عن ملء زجاجات المياه وتوزيعها على الجميع. ساعدته تيريسا، وقد طلب منها توماس أن تُلَطِّف الرحلة بقدر المستطاع، حتى ولو كانت ستضطر إلى الكذب بشكل واضح. كان تشاك يحاول التصرف بشجاعة منذ أن عرف أنهم سيقدمون على ذلك، إلا أن بشرته المتعرقة وعينيه الهائمتين كشفتا الحقيقة.

ذهب مينهو إلى الجرف بصحبة عدد من العدَّائين، والتقطوا فروع لبلاب وصخورًا لاختبار مكان الحفرة غير المرئية مرة أخيرة. كانوا يأملون في أن تحافظ تلك المخلوقات على جدول مواعيدها المعتاد وألا تخرج خلال ساعات النهار. اعتقد توماس أنه سيتعين عليهم فقط القفز إلى الحفرة مباشرة ومحاولة إدخال الشفرة بسرعة، لكنه لم تكن لديه أي فكرة عما يمكن أن يتوقعه أو ما قد ينتظره. كان نيوت محقًا؛ كان من الأفضل لهم أن ينتظروا حتى الليل على أمل أن تكون معظم الهوام في المتاهة، وليس بداخل الحفرة.

وعندما عاد مينهو، سالمًا معافى، اعتقد توماس أنه قد بدا متفائلًا جدًا بأن تلك الحفرة كانت مخرجًا حقًا، أو مدخلًا، على حسب كيف تنظر إليها.

ساعد توماس نيوت في توزيع الأسلحة، بل وابتكرا أسلحة جديدة في يأسهم للاستعداد لمواجهة الهوام. تم نحت الأعمدة الخشبية لتصبح رماحًا، أو لُفَّت بالأسلاك الشائكة، وتم شحذ السكاكين ورُبِطت بخيوط في نهايات أغصان متينة تم قطعها من أشجار الغابة، وتم لصق قطع من الزجاج المتكسر على المجارف. وبحلول آخر النهار، كان أفراد الجلايد قد تحولوا إلى جيش صغير، جيش مثير للشفقة ويعاني من سوء التجهيز في رأي توماس، ولكنه ما يزال جيشًا على أي حال.

وبمجرد أن انتهى هو وتيريسا من المساعدة، ذهبا إلى المكان السري في منطقة الموتى، لوضع إستراتيجية حول المحطة الموجودة داخل حفرة الهوام، وكيف خططا لإدخال الشفرة.

جلسا وأسندا ظهريهما إلى الأشجار الوعرة، وقد بدأت الأوراق التي كانت خضراء في السابق تتحول إلى اللون الرمادي بسبب نقص ضوء الشمس الصناعي. قال توماس:

- علينا أن نُدخِلها بأنفسنا وليس أي أحد سوانا، وبتلك الطريقة لو افترقنا، يمكننا أن نظل على اتصال ونساعد بعضنا بعضًا.

كانت تيريسا قد أمسكت بعصا وأخذت تُقَشِّر اللحاء، وأجابته قائلة:

- لكننا قد نحتاج إلى دعم في حالة حدوث شيء ما لنا.

- بالتأكيد. يعرف نيوت ومينهو كلمات الشفرة. سنخبرهما بأنه يتعين عليهما أن يُدخِلاها إلى الحاسوب إذا نحن... حسنًا، أنتِ تعلمين.

لم يرغب توماس في التفكير في كل الأشياء السيئة التي قد تحدث.

قالت تيريسا متثائبة:

- ليس هناك الكثير لنخطط له إذن. الأمر بسيط، سنحارب الهوام، ونُدخِل الشفرة، ونهرب عبر الباب. ومن ثم سنتدبر أمرنا مع المؤسِّسين... مهما كلف الأمر.

كانت تتحدث كما لو كانت الأمور طبيعية تمامًا. ثم كسرت العصا إلى نصفين وأردفت قائلة:

- شفرة من ست كلمات، ومن يعرف عدد الهوام التي تنتظرنا. ما الذي تعتقد أن كلمة وِكِد ترمز إليه برأيك؟

شعر توماس وكأنه قد تلقى ضربة في أحشائه. لسبب ما، أدى سماعه إلى هذه الكلمة في تلك اللحظة، من شخص آخر، إلى جعل شيء ما يطرق في ذهنه. لقد ذُهِل لأنه لم يستطع الربط بين الاثنين مسبقًا.

- تلك اللافتة التي رأيتُها في المتاهة... أتذكرين؟ اللافتة المعدنية التي كانت ثمة كلمات محفورة عليها؟

بدأت نبضات قلب توماس تتسارع بسبب الإثارة.

جعدت تيريسا جبينها وبدت في حيرة من أمرها لثوانٍ، ولكن سرعان ما أضاء وميض في عينيها، وقالت:

- مهلًا، منظمة الكوارث العالمية: قسم تجارب المَقتَل.[1] وِكِد.[2] وِكِد تسعى للخير... تلك الجملة التي كتبتُها على ذراعي. ما الذي قد يعنيه ذلك؟

- لا فكرة لدي. ولهذا السبب أنا خائف حد الموت من أن يكون ما نحن بصدد القيام به ليس إلا غباءً خالصًا. قد يتحول الأمر إلى مجزرة.

- الجميع يدركون ما هم مقبلون عليه.

ثم مدت تيريسا يديها وأمسكت بيده وأردفت:

- ليس لدينا شيء لنخسره، أتذكر؟

كان توماس يتذكر بالفعل، ولكن لسبب ما، بدت كلمات تيريسا خالية تمامًا من أي بصيص لأمل.

كرر قائلًا:

- أجل، ليس لدينا شيء لنخسره.

---

(1) وردت العبارة في النص الأصلي بهذا الشكل: «World In Catastrophe: killzone Experiment Department»

(2) وردت الكلمة في النص الأصلي بهذا الشكل «WICKED»

استطاعا تخمين ما ترمز إليه «WICKED» عن طريق تشابه أحرفها مع الحرف في بداية كل كلمة من كلمات العبارة السابقة.

الفصل الرابع والخمسون

قبل الوقت المعتاد لإغلاق الباب مباشرة، أعد السيد طاسة وجبة أخيرة لكي تمكّنهم من الصمود طوال الليل. لم يكن من الممكن أن تخيم على المكان أجواء أكثر كآبة وخوفًا في أثناء تناولهم للطعام. ووجد توماس نفسه جالسًا بجوار تشاك، يتناول طعامه في شرود.

قال الولد وهو يأخذ قضمة كبيرة من البطاطس المهروسة:

- إذن... أخبرني يا توماس، أتعتقد أنني قد لُقّبت على اسم مَن برأيك؟

لم يستطع توماس إلا أن يهز رأسه، فها هُم على وشك البدء في أخطر مهمة في حياتهم، بينما تشاك ينتابه فضول ليعرف من أين حصل على لقبه.

- لا أعرف، داروين، ربما؟ ذلك الصاح الذي اكتشف التطور.

- أراهن أنه لم يسبق لأحد أن ناداه بصاح من قبل.

ثم أخذ تشاك قضمة كبيرة أخرى، وعلى ما يبدو أنه كان يعتقد بأن هذا هو أفضل وقت للتحدث، الآن، بهذا الفم الممتلئ. إذ أردف قائلًا:

- أتعلم، أنا حقًا لست خائفًا إلى هذه الدرجة. أعني، في الليالي القليلة الماضية، كنا نجلس في بيت المزرعة فحسب، في انتظار قدوم هامة لتأخذ أحدنا. كان ذلك أسوأ شيء يمكن فعله على الإطلاق. أما الآن، فعلى الأقل سنذهب إليهن، ونحاول فعل شيء ما. وعلى الأقل...

سأل توماس قائلًا:

- على الأقل ماذا؟

لم يصدق ولو للحظة أن تشاك لم يكن خائفًا، وكانت تؤلمه رؤيته وهو يحاول أن يمثّل الشجاعة.

- حسنًا، يتكهن الجميع بأنهن لن يقتلن إلا واحدًا منا، ربما هذا لا يبدو شيئًا لطيفًا، ولكنه يمنحني بعض الأمل، فعلى الأقل سينجو معظمنا،

تاركين شخصًا واحدًا مسكينًا فقط للموت. وهذا أفضل من أن نموت جميعًا.

سئم توماس من رؤية الناس وكل أملهم متعلق على فكرة أن واحدًا فقط من سوف يموت، وكان كلما فكر في الأمر أكثر، ازداد شكه في صحة هذه الفكرة، فالمؤسسون يعرفون الخطة، وربما يعيدون برمجة الهوام. ولكن حتى الأمل الكاذب كان أفضل من لا شيء.

- ربما يمكننا أن ننجو جميعًا، ما دمنا سنقاتل جميعًا.

توقف تشاك عن حشو فمه لثانية وحدق إلى توماس قائلًا:

- أتعتقد ذلك حقًّا؟ أم أنك تحاول طمأنتي فحسب؟

فقال توماس وهو يأكل آخر لقمة:

- يمكننا فعلها.

ثم شرب الكثير من الماء.

لم يشعر قط أنه كان كذَّابًا إلى هذه الدرجة في حياته. فمن المؤكد أن ثمة أناسًا سيموتون، لكنه كان سيفعل كل ما في وسعه للتأكد من أن تشاك لن يكون واحدًا منهم، وتيريسا كذلك.

- لا تنس وعدي لك. ما يزال بإمكانك الاعتماد عليه.

عبس تشاك وقال:

- رائع! ما زلت أسمع أن العالم في حالة أشبه بالرَّطْم.

- ربما يكون كذلك، ولكننا سنجد الأشخاص الذين يهتمون لأمرنا... سترى.

وقف تشاك وأعلن قائلًا:

- حسنًا، لا أريد التفكير في الأمر. فقط أخرجني من المتاهة وسأكون الفتى الأسعد على الإطلاق.

وافق توماس قائلًا:

- حلو الكلام.

لفتت انتباهه ضجة آتية من الطاولات الأخرى. كان نيوت وآلبي يجمعان أفراد الجلايد ليخبراهم بأن الوقت قد حان للذهاب. لم يكن يبدو على آلبي أي

تغيير، إلا أن توماس كان ما يزال قلقًا بشأن الحالة العقلية للفتى، ففي بعض الأحيان يكون سلوكه خَطِرًا ويصعب السيطرة عليه.

شعر توماس بتلك الموجات من الخوف والذعر التي كانت تجتاحه في أحيان كثيرة خلال الأيام القليلة الماضية وهي تجتاحه مرة أخرى بكامل قوتها. هذا هو ما عليه الأمر، سيذهبون بالفعل. وفي محاولة لصرف تفكيره عن الأمر، وليبدأ في اتخاذ الخطوات فحسب، أمسك بحقيبته وعلقها على كتفيه، وفعل تشاك الشيء نفسه، وتوجها نحو الباب الغربي، وهو الباب الذي يؤدي إلى الجرف.

وجد توماس مينهو وتيريسا يتحدثان بعضهما مع بعض بالقرب من الجانب الأيسر من الباب، يراجعان سريعًا الخطط التي قد أُعِدَّت على عجل حول إدخال شفرة الهروب بسرعة بمجرد وصولهم إلى الحفرة.

سأل مينهو عندما اقتربا قائلًا:

- جاهزان أيها العرقوبان؟ توماس، هذا كله كان فكرتك، لذا فمن الأفضل أن تنجح، وإلا سوف أقتلك قبل أن تقتلك الهوام.

قال توماس:

- أشكرك.

لكنه لم يستطع التخلص من شعوره بتقلصات معدته، فماذا لو كان مخطئًا بطريقة ما؟ ماذا لو لم تكن ذكرياته حقيقية؟ ماذا لو كانت مجرد ذكريات مزيفة قد تم زرعها في ذهنه بطريقة ما؟ أرعبه التفكير، لذا دفع كل أفكاره جانبًا. فليس ثمة مجال للتراجع.

نظر إلى تيريسا، والتي كانت تقوم ببعض تمارين الإحماء البسيطة، وسألها قائلًا:

- أأنتِ بخير؟

أجابته بابتسامة صغيرة قائلة:

- أنا بخير.

ولكن كان من الواضح أنها لم تكن بخير على الإطلاق.

- إنني متوترة فحسب.

قال مينهو:

- آمين، يا أختاه.

بدا مينهو الأهدأ، والأكثر ثقة، والأقل خوفًا بالمقارنة مع توماس. كان توماس يحسده على ذلك.

عندما جمع نيوت الكُل، وطلب منهم الهدوء، التفت توماس لسماع ما سيقوله.

- إن عددنا واحدٌ وأربعون شخصًا.

ثم سحب حقيبة الظهر التي كان يحملها على كتفيه، ورفع عمودًا خشبيًا سميكًا، ملفوف على أحد أطرافه أسلاك شائكة، وقد بدا كسلاح فتَّاك.

أردف نيوت:

- تأكدوا من حصولكم على أسلحتكم. أما بخلاف ذلك، فليس ثمة الكثير مما يجب قوله، فجميعكم على علم بالخطة. سنحارب لشق طريقنا إلى حفرة الهوام، وسيقوم تومي هناك بإدخال شفرته السحرية الصغيرة، ومن ثم سننتقم من المؤسسين كيفما نشاء. هذا كل شيء.

بالكاد انتبه توماس إلى ما قاله نيوت، بعد أن رأى آلبي يبتعد عن بقية المجموعة وهو عابس الوجه. أخذ يتلاعب بوتر قوسه وهو يحدق إلى الأرض. وكانت هناك جعبة من الأسهم معلَّقة على كتفه. شعر توماس بقلقه يتصاعد، وأن آلبي كان بطريقة ما غير متزن، وأنه بشكل أو بآخر قد يفسِد كل شيء. لذا قرر أن يبقي عينيه عليه بقدر المستطاع.

قال مينهو جاذبًا انتباه توماس بعيدًا عن آلبي:

- ألا ينبغي لأحد أن يلقي علينا خطابًا حماسيًا أو شيئًا من هذا القبيل؟

أجابه نيوت قائلًا:

- فلتتفضل أنت.

فأومأ مينهو برأسه ونظر إلى الحشد، ثم قال بلهجة جافة:

- ابقوا حذِرين، لا تموتوا.

كان توماس سيضحك لو استطاع، لكن خوفه الشديد منع أي ضحكة من الارتسام على وجهه.

قال نيوت:

- عظيم، ها قد أصبحنا جميعًا متحمسين وجاهزين بحق الجحيم.

ثم أشار من فوق كتفه نحو المتاهة وأردف:

- كلكم تعرفون الخطة. بعد عامين من معاملتنا كالفئران، حان الوقت الليلة لأن نتخذ موقفًا، الليلة، سيحين دور المؤسسين ليخافوا، مهما كان ما علينا المرور به من أجل الوصول إلى هناك. الليلة سنجعل الهوام تخاف منا وليس العكس!

هلَّل شخص ما، ثم شخص آخر، وسرعان ما اندلعت الصيحات ونداءات المعركة، وأخذ الصوت يعلو، حتى ملأ الهواء كالرعد.

شعر توماس بشعلة صغيرة من الشجاعة بداخله، حاول التشبث بها وحثها على النمو. الليلة، سيحاربون. الليلة، يتخذون موقفهم، مرة واحدة وإلى الأبد.

كان توماس جاهزًا. هلل وهتف مع أفراد الجلايد الآخرين. كان يعلم أنهم من المفترض أن يبقوا هادئين، وألا يجذبوا إليهم المزيد من الانتباه، ولكنه لم يهتم. لقد بدأت اللعبة.

رفع نيوت سلاحه في الهواء وصاح قائلًا:

- اسمعونا أيها المؤسسون! نحن قادمون!

وبهذا، استدار وبدأ يركض داخل المتاهة، وبالكاد كان عرجه ملحوظًا في أعماق ظلالها الداكنة التي بدت أكثر قتامة من الجلايد. كان أفراد الجلايد حول توماس ما يزالون يهتفون، ولكن ما لبثوا أن التقطوا أسلحتهم وركضوا خلفه، وحتى آلبي كذلك. تبعهم توماس، وأخذ مكانه بين تيريسا وتشاك، حاملًا رمحًا خشبيًّا كبيرًا، مربوط في طرفه سكين كبير. كاد شعوره المفاجئ بالمسؤولية تجاه أصدقائه يطغى عليه ويثقِله، حتى جعل عَدْوَه أصعب...

لكنه واصل التقدم، عازمًا على الفوز.

قال في قرارة نفسه: *يمكنك فعل هذا، عليك فقط أن تصل إلى تلك الحفرة.*



الفصل الخامس والخمسون

حافظ توماس على وتيرة ثابتة في أثناء عَدْوه مع أفراد الجلايد الآخرين على طول الممرات الحجرية في طريقهم نحو الجرف. لقد اعتاد العَدْو في المتاهة، لكن هذه المرة كانت مختلفة تمامًا. ترددت أصوات وقع الأقدام بين الجدران، وكانت ومضات أضواء الخنافس المعدنية أكثر تهديدًا بين فروع اللبلاب. من المؤكد أن المؤسسين كانوا يراقبون ويسمعون.

بطريقة أو بأخرى، سيكون هنالك قتال.

سألته تيريسا بينما كانا يعدوان قائلة:

- خائف؟

- *لا. أحب الأشياء المصنوعة من الشحم والفولاذ. لا أطيق الانتظار لرؤيتهن.*

لم يشعر بأي حس مرح أو دعابة، وتساءل عما إذا سيكون هناك مرة أخرى سيستطيع فيها أن يشعر بأي مرح.

ردت قائلة:

- *مضحك للغاية!*

كانت بجواره تمامًا، لكن عينيه ظلتا مثبتتين للأمام.

- *سنكون على ما يرام. فقط ابقَيْ بالقرب مني أنا ومينهو.*

- *أوه، يا فارسي المغوار. ماذا؟ أتظن أنني لا أستطيع أن أتدبر أمري؟*

في الواقع، لقد كان يفكر عكس ذلك تمامًا. كانت تيريسا قوية كأي شخص آخر هنا.

- *لا، أنا فقط أحاول أن أكون لطيفًا.*

كان الحشد قد انتشر بعرض الممر بالكامل، يعدون بوتيرة ثابتة ولكنها سريعة. تساءل توماس عن مدى المدة التي سيستطيع فيها غير العدائين

الصمود. وفي تلك اللحظة بالضبط، كما لو كان إجابة عن تساؤله، تراجع نيوت، وقد ربت على كتف مينهو وسمعه توماس يقول:

- فلتقُد أنت الطريق الآن.

فأومأ مينهو برأسه وأسرع إلى الأمام، ليرشد أفراد الجلايد إلى كل المنعطفات اللازم عليهم أخذها. كانت كل خطوة بمنزلة عذاب بالنسبة إلى توماس. كل الشجاعة التي استجمعها تحوَّلت إلى خوف، وأخذ يتساءل متى ستطاردهم الهوام أخيرًا. تساءل متى ستبدأ المعركة.

وهكذا سارت الأمور بالنسبة إليه في أثناء استمرارهم في الحركة، لم يعتَد هؤلاء الأشخاص العدو لمسافات كهذه وهم يلهثون جرعات ضخمة من الهواء، ولكن أحدًا لم يستسلم.

استمروا في العدو أكثر وأكثر، دون ظهور أي علامة للهوام. وبمرور الوقت، بدأ توماس يسمح لنفسه بالشعور بأمل بسيط، فربما قد يستطيعون الوصول قبل أن يتعرضوا للهجوم، ربما.

وأخيرًا، وبعد مرور أطول ساعة في حياة توماس، وصلوا إلى الزقاق الطويل الذي يؤدي إلى المنعطف الأخير قبل الجرف، وهو ممر قصير على اليمين متفرع منه كالحرف T.

تقدم توماس -الذي بدأت نبضات قلبه تتسارع، والعرق يسيل على بشرته- ليصبح وراء مينهو مباشرة، وكانت تيريسا إلى جانبه. تباطأ مينهو عند الزاوية، ثم توقف وقد رفع يده ليخبر توماس والآخرين بأن يفعلوا الشيء نفسه، ثم التفت إليهم، وعلى وجهه نظرة رعب.

همس قائلًا:

- أتسمعون ذلك؟

هز توماس رأسه، محاولًا سحق الرعب الذي اجتاحه بمجرد رؤيته لتعبيرات وجه مينهو.

تسلل مينهو للأمام وألقى نظرة خاطفة حول الحافة الحجرية الحادة، لكي يتمكن من رؤية الجرف. كان توماس قد رآه يفعل ذلك من قبل، عندما تتبعا إحدى الهوام إلى هذا المكان بالتحديد. تمامًا في وقت كهذا، رجع مينهو قليلًا إلى الخلف ثم التفت ليواجههم.

قال الأمين وهو يتأوَّه:

- أوه، لا. أوه، لا.

ثم تمكن توماس من سماع الصوت، كانت أصوات هوام. كان الأمر كما لو كُنَّ يختبئن في انتظارهم، وعندما رأينهم، دبت فيهن الحياة. لم يكن عليه أن ينظر حتى؛ كان يعرف ما سيقوله مينهو قبل أن ينطق به.

قال مينهو وهو يفرك عينيه بباطن كفيه:

- هناك ما لا يقل عن عشر هوام. ربما خمس عشرة. إنهن في انتظارنا مباشرة!

ازداد خوف توماس أكثر من أي وقت مضى. نظر إلى تيريسا، كان على وشك أن يقول شيئًا ما، لكنه تراجع عندما رأى ذلك التعبير على وجهها؛ لم يسبق له أن رأى هذا الرعب الصارخ على وجهها من قبل.

شقَّ نيوت وآلبي طريقهما للأمام عبر طابور أفراد الجلايد لينضمَّا إلى توماس والآخرين. من الواضح أن تصريح مينهو قد تم التهامس به بالفعل عبر الصفوف، إذ كان أول شيء قاله نيوت:

- حسنًا، علمنا أنه يتعين علينا القتال.

لكن نبرة صوته المرتعشة خانته. كان يحاول قول الشيء الصحيح فحسب.

شعر به توماس، فقد كان من السهل التحدث عن المعركة، وعن أننا ليس لدينا شيء لنخسره، والأمل في أنهن سيأخذن واحدًا منا فقط، وأنه ستكون هناك فرصة للهروب أخيرًا.

ولكن عندما يصبح الأمر واقعًا، يختلف الأمر.

تسربت الشكوك في أنه سيستطيع القيام بذلك إلى عقله وقلبه. تساءل عن سبب انتظار الهوام لهم بهذا الشكل. كان من الواضح أن الخنافس المعدنية قد سمحت لهم بمعرفة أنهم قادمون. هل يستمتع المؤسسون بفعل هذا؟

خطرت له فكرة.

- ربما قد قامت الهوام بالفعل بأخذ فتى من الجلايد. ربما يمكننا تجاوزهن، وإلا لماذا يجلسن فقط؟!

قاطعه ضجيج عالٍ آتٍ من الخلف، فالتفت ليرى المزيد من الهوام تتحرك في الممر نحوهم، مشهِرة مخالبها، وتلوِّح بأذرعها المعدنية، قادمة من اتجاه

الجلايد. كان توماس على وشك قول شيء ما عندما سمع أصواتًا من الطرف الآخر من الزقاق الطويل، فنظر ليرى المزيد من الهوام.

أحاط العدو بهم من جميع الجهات، حاصرهم تمامًا. اندفع أفراد الجلايد نحو توماس، مشكّلين مجموعة ضيقة، مما أجبره على الخروج معهم إلى التقاطع المفتوح حيث التقى ممر الجرف بالزقاق الطويل. رأى قطيعًا من الهوام يحول بينهم وبين الجرف، وقد تمددت مخالبهن المعدنية وأخذ جلدهن الرطب ينبض للداخل والخارج، تنتظر في ترقب. واقتربت مجموعتا الهوام الأخريان ثم توقفتا على بُعد بضع عشرات من الأقدام عن أفراد الجلايد، وكذلك كانت تنتظر في ترقب.

استدار توماس ببطء حول نفسه، كان يحارب خوفه بينما يستوعب حقيقة الوضع. لقد كانوا محاصرين تمامًا. لم يعد لديهم خيار الآن. لا مكان ليذهبوا إليه. شعر بألم حاد ينبض خلف عينيه.

تزاحم من حوله أفراد الجلايد، حتى أصبح الجميع متلاصقًا في مساحة أصغر، الكل وجهه نحو الخارج، مجتمعين معًا وسط التقاطع الذي يتخذ شكل الحرف T. كان توماس محشورًا بين نيوت وتيريسا، قادرًا على الشعور برجفة نيوت. لم يقل أحد أي كلمة، الأصوات الوحيدة المسموعة هي أصوات العواء الغريبة وأزيز الآلات القادمة من الهوام، اللواتي كن يجلسن هناك كما لو كن يستمتعن بالفخ الصغير الذي نصبنه للبشر. أجسامهن المقززة تخفق للداخل والخارج وكأنها تتنفس مُصدرة أزيزًا ميكانيكيًا.

سأل توماس تيريسا:

- *ماذا يفعلن؟ ما الذي ينتظرنه؟*

لم تجبه، وهو الشيء الذي أقلقه. مد يده وضغط على يدها. وكان فتيان الجلايد واقفين من حوله في صمت تام ممسكين بأسلحتهم الهزيلة.

نظر توماس إلى نيوت قائلًا:

- ألديك أي أفكار؟

أجابه بصوت مرتجف بعض الشيء:

- لا. لا أفهم ما الذي ينتظرنه بحق الجحيم.

قال آلبي:

- ما كان علينا المجيء.

لقد كان هادئًا للغاية، بدا صوته غريبًا، وبخاصة مع الصدى المخيف الذي أحدثته جدران المتاهة.

لم يكن توماس في مزاج يسمح له بسماع أي نوع من التذمر. كان عليهم أن يفعلوا شيئًا.

- حسنًا، لم نكن أفضل حالًا في بيت المزرعة. أكره قول ذلك، ولكن إن مات أحدنا، هذا أفضل من أن نموت جميعًا.

كان يأمل حقًّا في أن تكون نظرية موت واحد فقط كل ليلة صحيحة الآن، فرؤيته لكل تلك الهوام عن قرب، أعادته فجأة إلى الواقع القاسي؛ هل يمكنهم حقًا محاربتهن جميعًا؟

مرت لحظات طويلة قبل أن يرد آلبي قائلًا:

- ربما ينبغي أن...

ثم سكت فجأة وبدأ يمشي للأمام -في اتجاه الجرف- ببطء كما لو كان ليس في وعيه.

راقبه توماس في رهبة شديدة، لم يكن يصدق عينيه.

قال نيوت:

- آلبي؟ عد إلى هنا!

وبدلًا من الإجابة، انطلق آلبي راكضًا! لقد توجه مباشرة نحو قطيع الهوام الذي يفصل بينهم وبين الجرف.

صرخ نيوت قائلًا:

- آلبي!

كان توماس قد بدأ في قول شيء ما، لكن آلبي كان قد وصل بالفعل إلى تلك المخلوقات المتوحشة وقفز على إحداهن.

ابتعد نيوت من جانب توماس واتجه نحو آلبي، ولكن كانت خمس أو ست من الهوام قد اندفعن فجأة بالفعل وهاجمن الفتى في خليط مشوش من المعدن والجلد.

مد توماس يديه وأمسك بنيوت من ذراعيه قبل أن يتمكن من الابتعاد أكثر من ذلك، وسحبه إلى الخلف.

صاح نيوت وهو يكافح لتحرير نفسه من قبضة توماس:

- اتركني!

صرخ توماس قائلًا:

- أمجنون أنت؟! لا يوجد شيء يمكنك القيام به!

خرجت هامتان أخريان من القطيع وانقضّتا على آلبي، بعضهن فوق بعض. ينهشن الفتى ويقطعنه، كما لو كن يردن التباهي بأنفسهن، وإظهار قوتهن الوحشية. والغريب، الذي لا يصدقه عقل، هو أن آلبي لم يصرخ. فقد توماس رؤيته لجسد آلبي بينما كان يحاول منع نيوت من الذهاب، وقد كان شاكرًا لهذا التشتيت. استسلم نيوت أخيرًا، وتراجع للخلف في هزيمة.

لقد انتهى أمر آلبي. كان قائدهم خائفًا جدًّا من العودة إلى ما رآه عندما استعاد ذكرياته، فاختار التضحية بنفسه بدلًا من ذلك. لقد رحل، رحل إلى الأبد.

ساعد توماس نيوت على الوقوف على قدميه. لم يستطع الفتى أن يتوقف عن التحديق إلى المكان الذي اختفى فيه صديقه.

همس نيوت قائلًا:

- لا أصدق ذلك. لا أصدق أنه قد فعل ذلك للتو.

هز توماس رأسه، غير قادر على الرد، فرؤيته لآلبي يسير نحو مصيره بهذا الشكل جعلته يشعر بنوع جديد من الألم لم يكن قد اختبره من قبل، ألم غريب، أسوأ من أي ألم جسدي. لم يكن يعرف حتى ما إذا كان للأمر أي علاقة بآلبي شخصيًّا، فهو لم يكن يحب ذلك الفتى كثيرًا بالأساس، لكن فكرة أن ما رآه للتو قد يحدث مع تشاك أو تيريسا...

اقترب مينهو من توماس ونيوت، وربت على كتف نيوت قائلًا:

- لا يمكننا إهدار الفرصة التي منحنا إياها.

ثم التفت إلى توماس وأردف:

- سنحاربهم إذا اضطررنا لذلك، وسنشق طريقنا إلى الجرف من أجلك أنت وتيريسا. حتى تتمكنا من الدخول إلى الحفرة وتنفيذ الخطة. سنحاول إبقاءهم بعيدًا حتى تتاديانا لنلحق بكما.

نظر توماس إلى كل مجموعة من مجموعات الهوام الثلاث -لم تصدُر أيُّ حركة منهن تجاه أفراد الجلايد بعد- وأومأ قائلًا:

- لنأمل أن يبقين في ثبات لفترة من الوقت. نحتاج فقط إلى دقيقة أو نحو ذلك لإدخال الشفرة.

غمغم نيوت قائلًا:

- كيف يمكنكم يا رفاق أن تكونوا بلا قلب إلى هذه الدرجة؟

وقد تفاجأ توماس لسماع تلك النبرة من الاشمئزاز في صوته.

قال مينهو:

- وما الذي تريد منا فعله يا نيوت؟ أيجب علينا الذهاب لتبديل ملابسنا وإقامة جنازة؟

لم يرُد نيوت، وكان ما يزال يحدق إلى البقعة التي بدت أن الهوام كانت تتغذى فيها على آلبي. لم يستطع توماس أن يمنع نفسه من إلقاء نظرة خاطفة... رأى بقعة حمراء زاهية على جسم إحدى تلك المخلوقات. انقلبت معدته، وحوَّل نظره بعيدًا بسرعة.

تابع مينهو قائلًا:

- آلبي لم يكن يرغب في العودة إلى حياته القديمة. لقد ضحى بنفسه من أجلنا، ومن الواضح أنهن لا ينوين مهاجمتنا، لذا فربما ينجح الأمر. سنكون بلا قلب حقًّا إذا أضعنا الفرصة.

هز نيوت كتفيه فقط، وأغمض عينيه.

استدار مينهو إلى أفراد الجلايد وخاطبهم قائلًا:

- اسمعوا! الأولوية الأولى هي حماية توماس وتيريسا. علينا إيصالهما إلى الجرف والحفرة حتى...

قاطعته أصوات الهوام وكأنها قد دبت فيها الحياة فجأة بمجرد سماعها لتلك الكلمات. نظر توماس في اتجاه الصوت في رعب. بدا أن الصوت كان آتيًا من المخلوقات المتربصة على كلا الجانبين من حشد أفراد الجلايد. أشهرت تلك المخلوقات مخالبها المعدنية وبدأ جسدها يهتز ويخفق. ومن ثم، وفي وقت واحد، بدأت الوحوش تتحرك إلى الأمام، ببطء وثبات، وقد أشارت أذرعهن المعدنية المزوَّدة بالأدوات نحو توماس وبقية أفراد الجلايد، وكأنها على استعداد لقتلهم. أخذت الهوام تتقدم نحوهم بثبات، مضيِّقة عليهم الفخ كما لو كان حبل مشنقة.

لقد ضحَّى آلبي بنفسه عبثًا.

الفصل السادس والخمسون

أمسك توماس بمينهو من ذراعه وقال:

- بطريقة أو بأخرى لا بد لي من المرور عبر ذلك!

وقد أومأ برأسه نحو مجموعة الهوام المتدحرجة التي تفصل بينهم وبين الجرف، وقد بدا منظر تلك المخلوقات أكثر تهديدًا ورعبًا في خضم الضوء الرمادي الباهت.

انتظر توماس سماع إجابة بينما ظل مينهو ونيوت يحدقان إلى وجه بعضهما بعضًا في ارتباك. كان مجرد توقع محاربة الهوام أهون بكثير من شعورهم بالخوف الآن وقد أصبح الأمر واقعًا.

صاحت تيريسا قائلة:

- إنهن قادمات! علينا أن نفعل شيئًا!

قال نيوت لمينهو أخيرًا بصوت يكاد يكون هامسًا:

- فلتكن أنت القائد. شق الطريق اللعين لتومي وتيريسا. هيا.

أومأ مينهو برأسه مرة واحدة، وقد بدت على وجهه عزيمة فولاذية، ثم استدار نحو أفراد الجلايد وقال:

- سنتجه مباشرة نحو الجرف! سنقاتل ونشق طريقنا من منتصف القطيع، محاولين إبعاد تلك المخلوقات اللعينة نحو الجدران. وأهم ما في الأمر هو إفساح مجال لمرور توماس وتيريسا إلى حفرة الهوام!

نظر توماس بعيدًا إلى الجرف، ثم عاد ينظر إلى الوحوش التي تتقدم نحوهم... لقد أصبحت على بعد أقدام قليلة فقط. أحكم قبضته بقوة على رمحه البائس.

قال لتيريسا:

- *علينا أن نظل قريبين بعضنا من بعض. سندعهم يتولون أمر القتال، علينا أن نعبر إلى تلك الحفرة.*

لقد شعر بأنه جبان، ولكنه كان يعلم أن أي قتال -وأي ضحايا- سيذهب سدى إذا لم يتم إدخال هذه الشفرة، ويُفتَح الباب الذي يؤدي إلى المؤسسين.

- *أعرف هذا. سنبقى معًا.*

صرخ مينهو بجانب توماس وقد رفع عصاه الملفوفة بالأسلاك الشائكة في الهواء بيد وسكين فضية طويلة في الأخرى قائلًا:

- مستعدون!

ثم صوَّب سكينه -وقد ظهر وميض من نصلها- نحو قطيع الهوام وأردف:

- انطلقوا!

اندفع الأمين راكضًا نحو الأمام دون أن ينتظر ردًّا. انطلق نيوت وراءه مباشرة، ومن ثم تبعهما بقية فتيان الجلايد، رافعين أسلحتهم ومندفعين في صخب نحو معركتهم الدامية.

أمسك توماس بيد تيريسا، وأفسح لهم الطريق ليمرُّوا جميعًا. شعر بتخبطهم فيه في أثناء مرورهم، وشمَّ رائحة عرقهم، وأحس بذعرهم، وظل في انتظار الفرصة المثالية لينطلق هو.

وفي اللحظة التي بدأت فيها أول أصوات الأولاد الذين اصطدموا بالهوام تملأ الهواء -أصوات صاخبة لصراخ وهدير آلات وضرب بالأسلحة الخشبية على الفولاذ- ركض تشاك أمام توماس، والذي مد يده بسرعة وأمسك بذراعه. تعثَّر تشاك للخلف، ثم نظر إلى توماس وعيناه مليئتان بالرعب. شعر توماس بقلبه ينكسر، وفي هذا الجزء من الثانية، كان قد اتخذ قرارًا.

- تشاك، ستبقى معي أنا وتيريسا.

لقد قالها بحزم وبلهجة سلطوية، حتى لا يترك أي مجال للشك.

نظر تشاك إلى المعركة المشتعلة بالأمام وقال:

- ولكن...

ثم سكت. وعرف توماس أن الفكرة كانت تروق للفتى لكنه كان يخجل من الاعتراف بذلك.

وبسرعة حاول توماس إنقاذ كرامة الفتى الصغير قائلًا:

- سنحتاج إلى مساعدتك في حفرة الهوام، فمن الممكن أن نجد إحدى تلك المخلوقات في انتظارنا هناك.

فأومأ تشاك برأسه موافقًا بسرعة، بسرعة كبيرة. ومجددًا، شعر توماس بالحزن يغمر قلبه، وشعر برغبة ملحة في إعادة تشاك إلى منزله بأمان أكثر من أي وقت سابق.

قال توماس:

- حسنًا إذن، أمسِك يد تيريسا. لننطلق.

فعل تشاك ما قيل له، محاولًا بأقصى جهده أن يتصرف بشجاعة، وقد لاحظ توماس ذلك. وربما لأول مرة في حياته، لم يتفوّه الفتى الصغير بأي كلمة.

صاحت تيريسا داخل عقل توماس قائلة:

- *لقد صنعوا ممرًّا!*

تسبب ذلك في شعوره بطعنة ألم سريعة في جمجمته. أشارت إلى الأمام، فرأى توماس فتحة ضيقة قد تشكّلت في منتصف الممر، ورأى أفراد الجلايد وهم يقاتلون بعنف ويكافحون لدفع الهوام نحو الجدران.

صاح توماس قائلًا:

- الآن! هيا!

انطلق إلى الأمام، ساحبًا تيريسا من خلفه، والتي سحبت تشاك من خلفها، وركضوا بأقصى سرعتهم، حاملين أسلحتهم في أيديهم، ومضوا قدمًا عبر الممر الدامي المليء بالصرخات، مباشرة نحو الجرف.

احتدمت المعركة من حولهم، وكان الأدرينالين الناتج عن الذعر يدفع فتيان الجلايد إلى مواصلة القتال. كانت الأصوات التي يتردد صداها عبر الجدران نشازًا مرعبًا؛ صرخات بشرية، وصلصلة معدنية، وهدير محركات، والعواءات المخيفة للهوام، ومناشير كهربائية تدور، ومخالب تتشابك، والفتيان يصرخون طلبًا للنجدة. كان المشهد بأكمله مشوشًا، لم يستطع سوى رؤية بقع دموية وومضات معدنية في خضم الضوء الرمادي الخافت. حاول توماس ألا ينظر إلى اليسار أو اليمين، حاول تثبيت عينيه إلى الأمام فقط، على الفتحة الضيقة التي صنعها أفراد الجلايد.

وحتى وهم يركضون، راجع توماس كلمات الشفرة في ذهنه؛ اطف، امسك، انزف، مت، تصلّب، اضغط. كان عليهم فقط أن يقطعوا مسافة بضع عشرات من الأقدام بعد.

صرخت تيريسا:

- *شيء ما جرح ذراعي!*

وفي نفس اللحظة، شعر توماس بطعنة حادة في ساقه، لم ينظر إلى الوراء، ولم يكلف نفسه عناء الإجابة. كانت استحالة النجاة من مأزقهم كطوفان هائج من المياه السوداء يفيض من حوله ويدفعه للاستسلام. لكنه لم يستسلم، ودفع نفسه إلى الأمام.

كان الجرف هناك، مفتوحًا على سماء رمادية داكنة، على بعد نحو عشرين قدمًا. أجبر نفسه على الاندفاع للأمام، ساحبًا معه أصدقاءه.

احتدمت المعارك على كلا الجانبين. رفض توماس النظر، ورفض المساعدة. دارت إحدى الهوام وقطعت طريقه، وكان هناك فتى، لم يستطع رؤية وجهه، مقبوض عليه في مخالبها، ويطعن بشراسة في جلدها الدهني السميك الأشبه بجلد الحوت، في محاولة للفرار. راوغ توماس نحو اليسار، واستمر في الجري، سمع صرخة عالية في أثناء مروره، عويل حارق للحلق لا يمكن أن يعني سوى أن أحد أفراد الجلايد قد خسر القتال، وقد لقى نهاية مروِّعة. استمر الصراخ، وملأ الهواء، وغطى على سائر أصوات المعركة، حتى يقطعه الموت. شعر توماس بقلبه يرتجف، وتمنى مع كل صرخة ألا يكون أحدًا يعرفه.

قالت تيريسا في عقله:

- *فقط واصل العَدْو!*

صاح توماس بصوت عالٍ مجيبًا إياها:

- أعرف هذا!

ركض شخص ما أمام توماس، واصطدم به، ثم اقتربت هامة من ناحية اليمين، وأشهرت عن شفراتها الدوارة. قطع طريقها أحد فتيان الجلايد، وهاجمها بسيفين طويلين، وتعالى الصليل المعدني في أثناء قتالهما. سمع توماس صوتًا بعيدًا، يصرخ مرددًا نفس الكلمات مرارًا وتكرارًا، يقول شيئًا عنه، عن حمايته وهو يعدو. لقد كان مينهو، وكان اليأس والتعب يملآن صياحه.

استمر توماس في العَدْو.

صاحت تيريسا:

- *كادت واحدة أن تصيب تشاك!*

وقد تردد في رأسه صدى عنيف لصيحتها.

وكلما حاولت المزيد من الهوام مهاجمتهم، كان المزيد من فتيان الجلايد يأتون للمساعدة. كان وِنستون قد التقط قوس وسهم آلبي، وأخذ يقذف بالرماح ذات السنون الفولاذية على أي شيء غير بشري يتحرك، وكان يخفق أكثر مما يصيب. كان هناك فتيان لا يعرفهم توماس يعدون بجانبه، يحاولون التصدي بأسلحتهم الضعيفة لأي هامة تشرع في الهجوم. تعالت الأصوات أكثر وأكثر... الاشتباكات، والقعقعة، والصراخ، والعويل والنحيب، وهدير المحركات، والمناشير الدوارة، طقطقة الشفرات، والصرير الناتج عن احتكاك المخالب المعدنية في الأرض، ونداءات الاستنجاد التي تقشعر لها الأبدان، تصاعدت كلها حتى أصبحت لا تُطاق.

أخذ توماس يصرخ، ولكنه استمر في العَدْو حتى وصلوا إلى الجرف. توقف فجأة، على الحافة بالضبط. اصطدم به كلٌّ من تيريسا وتشاك، حتى كاد أن يسقط ثلاثتهم في الهاوية التي لا نهاية لها. وفي جزء من الثانية، ألقى توماس نظرة استقصائية سريعة لكي يحدد مكان حفرة الهوام. كانت هناك، معلَّقة في الهواء، حيث تمددت أفرع اللبلاب إلى مكان غير مرئي.

في وقت سابق، كان مينهو واثنان من العدَّائين قد سحبوا فروعًا من اللبلاب وعقدوها معًا لتصبح حبالًا سميكة وكانت ما تزال أطرافها معلَّقة بالجدران. وقاموا بعد ذلك بإلقاء الأطراف السائبة من فوق الجرف، حتى استطاعوا تحديد مكان حفرة الهوام والتسديد فيها، حيث توجد الآن ستة أو سبعة حبال من اللبلاب تتدفق من الحافة الحجرية إلى المربع غير المرئي، تحلق في السماء الفارغة حيث اختفت أطرافهم في العدم.

لقد حان وقت القفز. تردد توماس، وشعر بلحظة أخيرة من الرعب الشديد -كان يسمع الأصوات الرهيبة من ورائه، ويرى الوهم من أمامه- ولكنه ما لبث أن حرر نفسه من خوفه.

- أنتِ أولًا يا تيريسا.

لقد أراد أن يكون آخر من يذهب لكي يتأكد من أن الهوام لن تصيبها هي أو تشاك بأي مكروه.

ولدهشته، تيريسا لم تتردد، فبعد أن ضغطت على يد توماس ثم على كتف تشاك، قفزت من على الحافة، وعلى الفور صَلَّبت ساقيها، وأبقت ذراعيها

على جانبيها، وحبس توماس أنفاسه حتى انزلقت في البقعة بين نهايات حبال اللبلاب المختفية. بدا الأمر كما لو أنها مُحيَت من الوجود بحركة واحدة سريعة.

صاح تشاك -وكأنه قد عاد لطبيعته القديمة لثانية واحدة- قائلًا:

- يا للهول!

- أجل هذا مدهش بحق. هيًا، أنت التالي.

وقبل أن يتمكن الفتى من المجادلة، رفعه توماس من تحت ذراعيه وقال:

- ادفع نفسك بكلتا ساقيك، وأنا أيضًا سأعطيك دفعة. مستعد؟ واحد، اثنان، ثلاثة!

ثم دفعه بقوة نحو الحفرة.

صرخ تشاك وهو يطير في الهواء، وكاد يخطئ الهدف، ولكن قدميه مرَّتا، ثم اصطدم كل من بطنه وذراعيه بجانبي الحفرة غير المرئية قبل أن يختفي بالداخل. عززت شجاعة الفتى الصغير شيئًا ما في قلب توماس. لقد أحب هذا الولد، لقد أحبه وكأنما قد وُلِدا من نفس الأم.

ضيَّق توماس أحزمة حقيبته، وأمسك رمحه الهزيل بإحكام في قبضته اليمنى. كانت الأصوات من ورائه فظيعة، مروعة. شعر بالذنب لعدم تقديمه أي مساعدة.

حدَّث توماس نفسه قائلًا: *أدِّ مهمتك فحسب.*

قوَّى أعصابه، وضرب برمحه فوق الأرضية الحجرية، ثم وضع قدمه اليسرى على حافة الجرف وقفز، قاذفًا بنفسه في الهواء وأخذ يتأرجح لأعلى وأسفل. شدَّ ساقيه ووجهه وقدماه نحو الأسفل وصَلَّب جسده بالكامل.

ثم غاص في الحفرة.

الفصل السابع والخمسون

شعر توماس ببرودة شديدة في أثناء دخوله إلى حفرة الهوام، بدءًا من أصابع قدميه وصعودًا حتى طالت جسده بالكامل، وكأنه قد قفز عبر سطح من الماء المتجمد. أصبح العالم من حوله أشد حلكة مع هبوط قدميه على سطح زلق، ثم سقط على ظهره، ليجد نفسه بين ذراعي تيريسا. ساعدته هي وتشاك على الوقوف. كانت معجزة أن توماس لم يطعن عين أحد برمحه.

كانت حفرة الهوام ستكون حالكة السواد لولا شعاع مصباح تيريسا اليدوي الذي قطع الظلام. وعندما استجمع توماس نفسه، ألقى نظرة على المكان من حوله، وأدرك أنهم كانوا يقفون داخل أسطوانة حجرية يبلغ ارتفاعها نحو عشرة أقدام، رطبة، ومغطاة بزيت لامع قذر، تمتد لعشرات الياردات قبل أن تتلاشى في الظلام. رفع توماس رأسه لينظر إلى الحفرة التي جاؤوا من خلالها. بدت وكأنها نافذة مربعة في فضاء سحيق معتم خالٍ من النجوم.

قالت تيريسا محاولة جذب انتباهه:

- الحاسوب موجود هناك.

وعلى بعد عدة أقدام إلى الأمام، وجَّهت تيريسا ضوء مصباحها نحو مربع صغير من الزجاج المتسخ الذي أضاء بلون أخضر باهت. وتحته، قد تم تثبيت لوحة مفاتيح على الحائط، مرتفعة بعض الشيء بحيث يُسمح للشخص بالكتابة عليها بسهولة إذا كان واقفًا. كان هناك، جاهزًا لاستقبال الشفرة. لم يستطع توماس مقاومة فكرة أن الأمر بدا بسيطًا للغاية، بسيطًا لدرجة يصعب تصديقها.

صفع تشاك توماس على كتفه وهو يصيح قائلًا:

- أدخِل الكلمات! هيا بسرعة!

طلب توماس من تيريسا أن تقوم هي بذلك، وقال:

- أنا وتشاك سنراقب المكان، لنتأكد من أن الهوام لن تدخل إلينا عبر الحفرة.

كان يأمل فقط أن يكون أفراد الجلايد الآن قد حولوا تركيزهم من فتح ممر في المتاهة إلى محاولة إبعاد الهوام عن الجرف.

قالت تيريسا:

- حسنًا.

علم توماس أنها كانت أذكى من أن تضيع الوقت في الجدال حول هذا الموضوع. تقدمت نحو لوحة المفاتيح والشاشة، ثم بدأت في الكتابة.

صاح توماس داخل عقلها قائلًا:

- مهلًا! *أمتأكدة من أنكِ تعرفين الكلمات؟*

فالتفتت إليه ورمقته بنظرة عابسة وأجابته قائلة:

- لستُ غبية يا توم. أجل، أنا قادرة تمامًا على التذكر...

دوَّى صوت عالٍ من فوقهم ومن خلفهم قاطعًا كلامها، جعل توماس يقفز فزعًا. استدار ليرى هامة تسقط من خلال حفرة الهوام، بدا خروجها من المربع الأسود المظلم وكأنه سحر. كانت تلك المخلوقة قد سحبت مخالبها وأذرعها لتستطيع الدخول. أصدرَ هبوطها صوت ارتطام رخوي، برزت العشرات من الزوائد المعدنية الحادة والقذرة من جسمها مرة أخرى، لتبدو أكثر فتكًا من أي وقت مضى.

دفع توماس تشاك خلفه وواجه الهامة، وقد صوب رمحه إلى الأمام كما لو كان ذلك من شأنه أن يبقيها بعيدة.

صاح قائلًا:

- فقط استمري في الكتابة يا تيريسا!

انبثق قضيب معدني رفيع من جلد الهامة الرطب، ملحق بنهايته ثلاث شفرات دوَّارة، تتحرك مباشرة نحو وجه توماس.

أمسك بنهاية رمحه بإحكام بكلتا يديه، وقد أنزل الطرف ذا السكين على الأرض أمامه. تقدمت الذراع ذات الشفرات بضع أقدام أخرى، وبدت جاهزة تمامًا لتشريح جلده وتقطيعه إلى أجزاء صغيرة. وعندما أصبح على بعد قدم واحد، شد توماس عضلاته وحرك الرمح لأعلى، نحو السقف بأقصى ما يستطيع، وضرب به الذراع المعدنية، جاعلًا هذا الشيء يدور حول محوره نحو السماء،

حتى غاص مرة أخرى داخل جسم الهامة. أطلقت المخلوقة المتوحشة صرخة غاضبة وتراجعت عدة أقدام للوراء وقد سحبت مخالبها إلى داخل جسمها.

كان توماس يلهث، وقال داخل عقل تيريسا:

- *ربما أستطيع أن أعطلها قليلًا، فقط أسرعي!*

فردت:

- *أنا على وشك الانتهاء.*

ظهرت مخالب الهامة مرة أخرى، وأخرجت ذراعًا أخرى من جلدها وبدأت تتقدم للأمام مجددًا، هذه المرة كان ملحقًا بذراعها مخالب ضخمة، تحاول الاستيلاء على الرمح. أرجح توماس رمحه، هذه المرة من فوق رأسه، ورماه بكل قوته. اصطدم الرمح بقاعدة المخالب، ومع صوت طقة عالية، ثم صوت شيء لزج يُسحق، انفصلت الذراع بالكامل من مقبسها، وسقطت على الأرض، ومن ثم، وعلى الرغم من أن توماس لم يستطع رؤية أي فم لتلك المخلوقة، أطلقت الهامة صرخة مفزعة طويلة وتراجعت مجددًا، واختفت مخالبها.

صاح توماس قائلًا:

- يمكن التغلب على تلك المخلوقات!

قالت تيريسا داخل عقله:

- *إنه لا يسمح لي بإدخال الكلمة الأخيرة!*

بالكاد سمعها، ولم يفهمها تمامًا، أطلق زأرة عالية واندفع للأمام لاقتناص لحظة ضعف الهامة واستغلالها. أرجح رمحه بعنف، وقفز على جسم المخلوقة المنتفخ، ودفع اثنتين من الأذرع المعدنية بضربة قوية. رفع الرمح من فوق رأسه، وثبَّت قدميه -كان قد شعر بهما تغرقان في مادة دهنية مقززة- ثم طعن برمحه في جسم الهامة. انفجرت مادة لزجة صفراء من جسمها، وتناثرت على ساقي توماس بينما كان يغرس الرمح أعمق بقدر ما يمكنه في جسم هذا الشيء. ومن ثم ترك مقبض سلاحه وقفز بعيدًا، وركض عائدًا إلى تشاك وتيريسا.

أخذ توماس يراقب في افتتان كيف كانت الهامة تتلوى بشكل لا يمكن السيطرة عليه وتقذف بزيتها الأصفر في كل اتجاه، وظلَّت مخالبها المعدنية تدخل وتخرج من جلدها، وأذرعها المتبقية تلوح في كل الاتجاهات، حتى إنها في بعض الأحيان كانت تُخَوْزِق جسمها. سرعان ما بدأت حركاتها في التباطؤ، وهي تفقد طاقتها بتدريج مع كل قطرة دم -أو وقود- تفقدها.

وبعد ثوانٍ قليلة، توقفت عن الحركة تمامًا. لم يستطع توماس تصديق ذلك، لم يستطع تصديق ذلك على الإطلاق! لقد هزم هامة للتو! لقد هزم واحدة من الوحوش التي أرهبت أفراد الجلايد لأكثر من عامين.

نظر سريعًا إلى تشاك، الذي كان يقف خلفه محدقًا في ذهول.

قال الفتى الصغير:

- لقد قتلتَها!

ثم ضحك وكأن هذا الحدث وحده قد حل كل مشكلاتهم.

فتمتم توماس قائلًا:

- لم يكن الأمر بهذه الصعوبة.

ثم التفت إلى تيريسا ليراها تكتب بشكل محموم على لوحة المفاتيح، فعلم على الفور أنه كان ثمة خطب.

سأل بصوت عالٍ قائلًا:

- ما المشكلة؟

ركض إليها ونظر من فوق كتفها ليرى أنها كانت تكتب كلمة «اضغط» مرارًا وتكرارًا، لكن شيئًا لم يظهر على الشاشة.

أشارت إلى المربع الزجاجي المتسخ، وقد كان فارغًا من كل شيء فيما عدا توهجه المخضر الذي يوضح أنه ما يزال يعمل.

- لقد أدخلتُ كل الكلمات، وواحدة تلو الأخرى كانت تظهر على الشاشة، ثم كنتُ أسمع صفيرًا وتختفي، ولكنه الآن لا يسمح لي بإدخال الكلمة الأخيرة. لا يستجيب لأي شيء!

تجمَّد الدم في عروق توماس عند سماعه لكلمات تيريسا.

- لكن... لماذا؟

- لا أعرف!

حاولَت مرارًا وتكرارًا ولكن شيئًا لم يظهر.

صرخ تشاك من خلفه قائلًا:

- توماس!

استدار توماس ورآه يشير إلى حفرة الهوام. كانت هناك هامة أخرى تشق طريقها للدخول. وبينما كان يراقب، سقطت الهامة فوق أختها الميتة، وبدأت أخرى في الدخول من الحفرة.

صاح تشاك بشكل هستيري قائلًا:

- ما الذي يستغرقه كل هذا الوقت؟! لقد قلتم إنهن سيتوقفن عن العمل بمجرد أن تُدخِلا الشفرة!

اعتدلت كلتا الهامتين وأخرجتا مخالبهما الطويلة، وبدأتا في التحرك نحوهم.

قال توماس بنبرة شاردة:

- لا يَسمح لنا بإدخال كلمة «اضغط».

بدا وكأنه لم يكن يتحدث إلى تشاك حقًّا، وإنما يحاول التفكير في حل...

قالت تيريسا:

- *أنا لا أفهم.*

كانت الهامتان تقتربان، أصبحتا على بعد بضعة أقدام فقط. شعر توماس بأن شجاعته تتلاشى، إلا أنه ثبَّت قدميه على الأرض ورفع قبضتيه في وهن. كان من المفترض للخطة أن تنجح. كان من المفترض للشفرة أن...

قال تشاك:

- ربما علينا فقط الضغط على هذا الزر.

تفاجأ توماس كثيرًا بسماعه تلك الجملة العابرة لدرجة أنه أدار ظهره للهامتين ونظر إلى الفتى الصغير. كان تشاك يشير إلى بقعة صغيرة بالقرب من الأرض، أسفل الشاشة ولوحة المفاتيح مباشرة.

وقبل أن يتمكن من الحركة، كانت تيريسا بالأسفل بالفعل، جاثية على ركبتيها، وسرعان ما انضم توماس إليها، مدفوعًا بالفضول، والأمل العابر. سقط على الأرض من أجل إلقاء نظرة أفضل، وهو يسمع عواء الهوام من خلفه. شعر بمخلب حاد يمزق قميصه، وتبعه شعور بألم حاد. ومع ذلك، لم يستطع أن يشيح ببصره عما كان ينظر إليه.

كان هناك زر أحمر صغير في الحائط على ارتفاع بضع بوصات فقط من الأرض، وكان ثمة ثلاث كلمات فقط مطبوعة فوقه على الحائط بخط أسود. كانت الكلمات واضحة للغاية، لم يستطع تصديق أنه لم يلحظهم مسبقًا.

إيقاف تشغيل المتاهة

شعر بطعنة أخرى من الألم أخرجته من ذهوله. أمسكته إحدى الهامتين باثنين من أدواتها وبدأت تجرُّه إلى الوراء، وكانت الأخرى تطارد تشاك وعلى وشك أن تضربه بشفرتها الطويلة.

الزر.

صرخ توماس بأعلى صوت من الممكن أن يخرج من إنسان قائلًا:

- اضغطا الزر!

ونفذت تيريسا ما قاله فورًا.

ضغطت الزر وسكت كل شيء تمامًا. ومن ثَمّ، مِن مكان ما في نهاية النفق المظلم، سمعوا صوت باب ينفتح.

الفصل الثامن والخمسون

في اللحظة نفسها تقريبًا، أُطفِئت الهامتان تمامًا، وامتُصت أذرعتهما ومخالبهما داخل جلدهما الثخين اللزج، وحتى أنوارهما انطفأت، وسكت صوت آلاتهما الداخلية. وذلك الباب قد...

سقط توماس على الأرض بعد أن أُطلِقَ سراحه من مخالب آسِرَتِه، وعلى الرغم من الألم الذي تسببت فيه جروحه العديدة في ظهره وكتفيه، فإنه شعر بابتهاج شديد يغمره بقوة، حتى إنه لم يكن يعرف كيف يتفاعل مع ما حدث. شهق، ثم ضحك، ثم اختنق بالبكاء قبل أن يعود للضحك ثانية.

هرع تشاك مبتعدًا عن الهوام واصطدم بتيريسا، التي أمسكت به وعانقته بقوة.

قالت تيريسا:

- لقد فعلتَها يا تشاك. لقد كنا قلقين للغاية بشأن كلمات الشفرة الغبية، ولم نفكر في البحث حولنا عن أي شيء يمكننا أن «نضغطه». كانت تلك هي الكلمة الأخيرة، آخر قطع الأحجية.

ضحك توماس مجددًا، غير مصدق أن شيئًا كهذا يمكن أن يحدث بعد وقت قصير من كل ما مروا به.

- إنها محقة يا تشاك، لقد أنقذتنا يا فتى! لقد أخبرتك بأننا سنحتاج إليك.

هب توماس واقفًا على قدميه وانضم إلى صديقيه في عناق جماعي، وكان في حالة أشبه بالهذيان.

- تشاك البطل المقشور!

قالت تيريسا بإيماءة نحو حفرة الهوام:

- ماذا عن الآخرين؟

شعر توماس بفرحته تذبل فجأة، وما لبث أن تراجع واستدار نحو الحفرة.

وكما لو كان ردًّا على سؤالها، سقط أحدهم من المربع المظلم... لقد كان مينهو، وقد بدا وكأنه قد تعرض للجرح والطعن في تسعين بالمائة من جسده.

صاح توماس وقد غمره الارتياح قائلًا:

- مينهو! هل أنت بخير؟ ماذا عن البقية الآخرين؟

تعثَّر مينهو باتجاه الجدار المنحني للنفق، ثم انحنى هناك، وأخذ يشهق أنفاسًا عميقة وهو يقول:

- لقد فقدنا الكثيرين منهم.... توجد بحيرة من الدماء هناك... ومن ثم كل شيء قد أُطفِئ فجأة.

ثم سكت لبرهة وأخذ نفسًا عميقًا بحق، وعاد يردف قائلًا:

- لقد نجحتم يا رفاق. لا أصدق أن ذلك قد نجح بالفعل.

جاء نيوت في تلك اللحظة، وتبعه السيد طاسة، ومن ثم وِنستون وآخرون. وقبل مضي وقت طويل، كان قد انضم ثمانية عشر فتى إلى توماس وأصدقائه في النفق، فأصبحوا إجماليًّا واحدًا وعشرين فردًا من أفراد الجلايد. وكان كل واحد من الذين نجوا في المعركة مغطى بحمأة الهوام والدم البشري وملابسه ممزقة إلى أشلاء.

سأل توماس في خوف شديد من سماع الإجابة:

- والبقية؟

أجابه نيوت بصوت واهن:

- نصفنا... قد ماتوا.

لم ينبس أحد ببنت شفة بعد ذلك. لم يتفوه أحد بأي شيء لفترة طويلة جدًّا.

قال مينهو وهو يحاول الاعتدال في وقفته:

- أتعرفون ماذا؟ ربما قد مات نصفنا، لكن النصف الآخر ما زال على قيد الحياة، ولم يتعرض أحد للدغ، تمامًا كما كان يعتقد توماس. وعلينا الآن الخروج من هنا.

قال توماس في قرارة نفسه: *لقد مات عدد كبير، عدد كبير بحق.*

تلاشت فرحته بعيدًا، وحلَّ مكانها حزن عميق على عشرين شخصًا قد فقدوا حياتهم. وعلى الرغم من البديل، على الرغم من معرفة أنهم إذا لم يحاولوا الهروب، فلربما كانوا قد ماتوا جميعًا، كان ما يزال هذا مؤلمًا، حتى ولو لم يكن يعرفهم جيدًا. كيف يمكن النظر إلى هذه المذبحة بعدِّها انتصارًا؟

قال نيوت:

- دعونا نخرج من هنا. حالًا.

سأل مينهو قائلًا:

- إلى أين سنذهب؟

أشار توماس إلى نهاية النفق الطويل وقال:

- سمعت بابًا ينفتح في هذا الاتجاه.

حاول أن يدفع كل هذا الألم بعيدًا... أهوال المعركة التي كسبوها للتو، والخسائر. دفع كل ذلك بعيدًا، مدركًا أنهم لم يصلوا إلى بر أمان بعد.

أجاب مينهو قائلًا:

- حسنًا، فلنذهب.

واستدار الفتى الأكبر وبدأ بالسير في النفق دون انتظار سماع ما سيقوله البقية.

أومأ نيوت برأسه، إيذانًا لبقية أفراد الجلايد الذين أمامه ليتبعوه. ذهبوا واحدًا تلو الآخر حتى تبقى هو مع توماس وتشاك وتيريسا فقط.

قال توماس:

- سأكون آخر من يذهب.

لم يجادله أحد. ذهب نيوت، ثم تشاك، ثم تيريسا، إلى أعماق النفق المظلم، حتى أضواء مصابيحهم اليدوية كاد الظلام أن يبتلعها. تبعهم توماس في نهاية المطاف، ولم يكلف نفسه حتى عناء النظر إلى الهوام الميتة.

وبعد دقيقة أو نحو ذلك من المشي، سمع صرخة من الأمام، وتلتها صرخة أخرى، ثم أخرى. كانت الصرخات تتلاشى شيئًا فشيئًا وكأنها لأناس يسقطون...

رافقتهم الهمهمة على طول طريقهم، وأخيرًا استدارت تيريسا لتوماس وقالت:

- يبدو أن هناك انزلاقًا أمامك يؤدي إلى الأسفل.

انقلبت معدة توماس بمجرد أن بدأ في التفكير. بدا الأمر وكأنه كان لعبة بالفعل، على الأقل لمن بنوا هذا المكان.

سمع صيحات فتيان الجلايد وهو ينزلقون واحدًا تلو الآخر. ثم جاء دور نيوت، وبعده تشاك. سلطت تيريسا ضوء مصباحها على منحدر معدني أسود شديد الانحدار.

قالت داخل ذهنه:

- *أعتقد أننا ليس لدينا خيار.*

- *أظن ذلك.*

كان لدى توماس شعور قوي بأن هذا لم يكن الطريق المؤدي لخروجهم من كابوسهم هذا، كان يأمل فقط ألا يؤدي إلى ظهور مجموعة أخرى من الهوام.

انزلقت تيريسا على المنزلق بصرخة تكاد تكون مرحة، ثم تبعها توماس قبل أن يحدِّثه عقله بأن يغير رأيه، فأي شيء سيكون أفضل من المتاهة على أي حال.

انزلق جسده على المنحدر الحاد، الذي كان زَلقًا بمادة لزجة تفوح منها رائحة كريهة، رائحة أشبه بالبلاستيك المحترق والآلات القديمة المُستهلَكة بإفراط. قلَّب توماس جسده حتى أصبحت قدماه إلى الأمام، ثم حاول أن يبطِّئ نفسه بيديه في أثناء هبوطه، ولكن ذلك كان عديم الفائدة، فقد كانت المواد الدهنية تغطي كل شبر من المنزلق؛ لم يستطع الإمساك بأي شيء.

ترددت صيحات بقية أفراد الجلايد على جدران النفق في أثناء انزلاقهم على المنحدر المُزيَّت. استحوذ الرعب على قلب توماس؛ لم يستطع محاربة تخيُّل أنهم قد تم ابتلاعهم من قِبَل أحد الوحوش العملاقة وأنهم الآن ينزلقون عبر مرِّيئِهِ الطويل، وعلى وشك الهبوط في معدته في أي لحظة. ومن ثم، وكأن تخيلاته قد تحققت؛ تغيرت الرائحة، تحولت إلى شيء أشبه بالعفن. بدأ يشعر برغبة قوية في التقيؤ، واستغرق الأمر كل قوته في محاولته ألا يتقيَّأ.

بدأ النفق في الالتواء، وكأنه قد تحول إلى دوامة حلزونية، فتسبب ذلك في إبطائهم بطبيعة الحال، وارتطمت قدما توماس في تيريسا، ضاربًا الفتاة في رأسها. ارتد الفتى وخيم عليه شعور بالبؤس التام. كانوا ما يزالون يهبطون. بدا أن الوقت يمتد إلى ما لا نهاية.

أخذوا يلفون ويلفون هكذا دواليك إلى أسفل الأنبوب. شعر بغثيان حارق في بطنه، فشعوره بالمادة اللزجة على جسده، والرائحة، والحركة الدائرية، لم يكن محتملًا. كان على وشك أن يدير رأسه جانبًا للتقيؤ عندما أطلقت تيريسا صرخة حادة، ولكن هذه المرة لم يكن هناك صدى. وبعد ثانية واحدة، طار توماس من النفق وهبط فوقها.

كانت الأجساد متناثرة في كل مكان، بعضهم فوق بعض، يتأوهون ويتلوَّون في حالة من الارتباك بينما كانوا يحاولون الابتعاد بعضهم عن

بعض. زحزح توماس نفسه بذراعيه وساقيه ليبتعد عن تيريسا، ثم زحف مبتعدًا بضعة أقدام أخرى لكي يتقيأ، ويفرغ معدته.

كان ما يزال يرتجف من تأثير التجربة، ومسح بيده على فمه ليدرك أنها كانت مغطاة بمخاط قذر. اعتدل في جلسته، وأخذ يفرك كلتا يديه على الأرض، وألقى أخيرًا نظرة من حوله على المكان الذي وصلوا إليه. وبينما فغر فاه، رأى أيضًا جميع من حوله قد جمعوا أنفسهم معًا في مجموعة وراحوا يستكشفون المكان الجديد.

كان توماس قد رأى لمحات من هذا المكان في أثناء التحوُّل، ولكنه لم يتذكره بوضوح حتى تلك اللحظة بالذات.

لقد كانوا داخل غرفة ضخمة تحت الأرض، كبيرة بما يكفي لتَسَع تسعة أو عشرة مبانٍ، ومن أعلى إلى أسفل، ومن جانب إلى آخر، كان المكان مغطى بجميع أنواع الآلات والأسلاك والكابلات وأجهزة الحاسوب. وعلى أحد جوانب الغرفة -عن يمينه- كان هناك صف مكون من نحو أربعين كبسولة كبيرة بيضاء تشبه التوابيت الضخمة. ومقابل ذلك على الجانب الآخر كانت توجد أبواب زجاجية كبيرة، مع إضاءة جعلت من المستحيل رؤية ما كان على الجانب الآخر من الزجاج.

صاح أحدهم قائلًا:

- انظروا!

لكنه كان قد رآه بالفعل، وشعر كما لو أن أنفاسه قد علقت في حلقه. سرت قشعريرة في جسده بالكامل، وسيطر عليه رعب شديد.

أمامهم مباشرة، كان يوجد صف من نحو عشرين نافذة مظلمة امتدت عبر الغرفة بشكل أفقي، وخلف كل واحدة منها، شخص -بعضهم رجال، وبعضهم نساء، وكلهم بدوا شاحبين ونحيفين- يراقب كل منهم أفراد الجلايد محدقًا من خلال الزجاج بعينين مغمضتين نصف إغماضة. ارتعد توماس خوفًا؛ لقد بدوا جميعًا كالأشباح، أشباح لأشخاص غاضبين، جائعين، مشؤومين وكأنهم لم يروا يومًا واحدًا سعيدًا في الحياة.

لكن توماس كان يعلم أنهم بالطبع ليسوا أشباحًا، لقد كانوا الأشخاص الذين أرسلوهم جميعًا إلى الجلايد، الأشخاص الذين سلبوهم حيواتهم.

المؤسسون.

الفصل التاسع والخمسون

تراجع توماس خطوة إلى الوراء، ولاحظ أن الآخرين قد فعلوا الشيء نفسه. بدا وكأن صمتًا مخيفًا قد امتص الحياة من الهواء المحيط بينما كان كل أفراد الجلايد بلا استثناء يحدقون إلى صف النوافذ، صف المراقبين. شاهد توماس واحدًا منهم وهو ينظر إلى أسفل ليكتب شيئًا ما، وآخر يمد يده ليرتدي نظارته. كانوا جميعًا يرتدون معاطف سوداء فوق قمصان بيضاء، وكان ثمة كلمة مطرزة على الجانب الأيمن من صدرهم، لكنه لم يتمكن من قراءتها. لم يكن على وجه أي منهم تعبير واضح أو مميز، لقد كانوا كلهم شاحبين وهزيلين وبائسي المنظر.

استمروا في التحديق إلى أفراد الجلايد. هز رجل رأسه، وأومأت امرأة، ومد رجل آخر يده وحكَّ أنفه، وقد كانت تلك أكثر الحركات بشريةً التي رأى توماس أيًّا منهم يفعلها.

همس تشاك -ولكن صوته قد تردد صداه في جميع أنحاء الغرفة- قائلًا:

- مَن هؤلاء الناس؟

قال مينهو:

- المؤسسون.

ثم بصق على الأرض وصرخ مردفًا:

- سأكسر وجوهكم!

كان صوته عاليًا جدًّا، حتى إن توماس كاد يغطي أذنيه بيده.

سأل توماس قائلًا:

- ماذا سنفعل؟ وما الذي ينتظرونه هم؟

قال نيوت:

- من المحتمل أن يكونوا قد أعادوا تشغيل الهوام أيضًا. من المحتمل أن يكونوا قادمين الآ...

قاطعه صوت صفير عالٍ، وبطيء، كإنذار شاحنة ضخمة تسير في الاتجاه المعاكس، ولكنه أقوى بكثير. أتى من كل صوب، يدوي ويتردد صداه في جميع أنحاء الغرفة.

سأل تشاك بغير محاولة لإخفاء القلق البادي في صوته:

- ماذا الآن؟

لسبب ما نظر الجميع إلى توماس، والذي في إجابة عن سؤال تشاك، هزَّ كتفيه فحسب. فقط كان يتذكر الكثير فيما قبل، أما الآن فقد نسي كل شيء فجأة، وأصبح لا يعرف أي شيء مثله مثل أي شخص آخر. وخائفًا رفع رقبته وهو يتفحص المكان من أعلى إلى أسفل، محاولًا العثور على مصدر أصوات الإنذار. لكن شيئًا لم يتغير. ثم، وبطرف عينه، لاحظ أن بقية أفراد الجلايد كانوا ينظرون جميعًا في اتجاه الأبواب، وكذلك فعل هو. تسارعت نبضات قلبه عندما رأى أن أحد الأبواب كان يتأرجح باتجاههم.

توقف صوت الإنذار، وخيَّم صمت عميق بعمق الفضاء الخارجي على الغرفة. حبس توماس أنفاسه في ترقب، واستعد لاندفاع شيء مروع عبر الباب.

ولكن بدلًا من ذلك، دخل شخصان إلى الغرفة.

أحدهما كانت امرأة، ناضجة، بدا مظهرها عاديًا جدًا، ترتدي بنطالًا أسود وقميصًا أبيض بأزرار وشعار على الصدر -وِكِد- مكتوب بأحرف كبيرة زرقاء. كان شعرها البني يصل لكتفيها، وكان وجهها رفيعًا، وعيناها داكنتَي اللون. وبينما كانت تسير نحو المجموعة، لم تبتسم أو تعبس، كان الأمر كما لو أنها لم تلحظ أو تهتم بأنهم واقفون هناك.

قال توماس في قرارة نفسه: *أنا أعرفها.*

لكنها كانت ذكرى غائمة نوعًا ما، لم يستطع تذكر اسمها أو ما علاقتها بالمتاهة، ولكنها بدت مألوفة بالنسبة إليه. وليس الأمر متعلقًا بمظهرها فقط، ولكن بطريقة مشيتها، وسلوكياتها... حازمة للغاية، بلا أدنى ذرة من المرح.

توقفت أمام أفراد الجلايد بعدة أقدام، ونظرت إليهم ببطء من اليسار إلى اليمين.

كان الشخص الآخر، الذي يقف بجانبها، فتى يرتدي سترة فضفاضة للغاية، وكان غطاء الرأس الخاص بالسترة قد أخفى معالم وجهه.

قالت المرأة أخيرًا:

- مرحبًا بعودتكم. لقد مر أكثر من عامين، ولم يمت منكم إلا عدد قليل. مدهش.

شعر توماس بفمه قد فُتِح على مصراعيه، وبالغضب يشتعل في وجهه.

قال نيوت:

- معذرةً؟

قامت عيناها بتفحص الحشد مرة أخرى قبل أن تسقطا على نيوت، وقالت:

- لقد سار كل شيء حسب الخطة يا سيد نيوتن. على الرغم من أننا توقعنا أن يستسلم المزيد منكم على طول الطريق.

نظرت إلى رفيقها، ثم مدت يدها وخلعت غطاء الرأس عن الفتى. رفع رأسه، ونظر إليهم بعينين مغرورقتين بالدموع. شهق كل واحد من أفراد الجلايد من أثر المفاجأة. شعر توماس بركبتيه تتخبطان.

لقد كان جالي.

رَمَش توماس، ثم فرك عينيه، وكأن ما يحدث كان مشهدًا من فيلم كرتوني، لقد اجتاحه شعور بالصدمة والغضب.

لقد كان جالي.

صاح مينهو قائلًا:

- ما الذي يفعله هنا؟!

ردت المرأة وكأنها لم تسمع:

- أنتم بأمان الآن. أرجوكم، اهدؤوا.

انفجر مينهو غاضبًا وقال:

- نهدأ؟ من أنتِ لتخبرينا أن نهدأ؟ نريد رؤية الشرطة، العمدة، الرئيس... أي أحد!

كان توماس قلقًا مما قد يفعله مينهو، ومن ناحية أخرى، أراده توماس بشكل ما أن يلكمها في وجهها.

ضيَّقت جفنيها وهي تنظر إلى مينهو وقالت:

- إنك ليس لديك أي فكرة عما تقوله يا فتى. كنت أتوقع المزيد من النضج من شخص قد اجتاز تجارب المتاهة.

تفاجأ توماس من سماع نبرتها المتعالية.

بدأ مينهو في الاحتجاج، ولكن نيوت نكزه بكوعه في بطنه.

قال نيوت:

- جالي، ما الذي يحدث هنا؟

نظر إليه الفتى ذو الشعر الداكن، أشرقت عيناه للحظة، وهز رأسه قليلًا، ولكنه لم يرد.

قال توماس في قرارة نفسه: ثمة خطب *ما بشأنه*.

كانت حالته تبدو أسوأ من ذي قبل.

أومأت المرأة برأسها وكأنها فخورة به وقالت:

- يومًا ما ستكونون جميعًا ممتنين لما فعلناه من أجلكم. لا يسعني إلا أن أعدكم بهذا، وأنا واثقة من أن عقولكم ستتقبل هذا. لو حدث غير ذلك، لكان الأمر برمته خطأً. إنها أوقات عصيبة يا سيد نيوتن، أوقات عصيبة.

سكتت لبرهة ثم أردفت قائلة:

- ثمة، بالطبع، متغير واحد نهائي.

ثم تراجعت للخلف.

ركز توماس نظره على جالي. كان جسد الفتى بالكامل يرتجف، ووجهه شاحبًا جدًّا، مما جعل عينيه المبللتين الحمراوين تبرزان مثل بقعتين دمويتين على الورق. كان يضغط على شفتيه بقوة، وجلده من حولهما يرتعش، وكأنه كان يحاول الكلام لكنه لا يستطيع.

سأله توماس محاولًا قمع كل الكراهية التي يكنها تجاهه:

- جالي؟

اندفعت الكلمات من فم جالي:

- إنهم... يستطيعون التحكم بي... أنا لا...

انتفخت عيناه ووضع يديه على حلقه وكأنه كان يختنق.

- يجب... عليَّ... أن...

بدا وكأنه كان يسعل كل كلمة، ثم سكت، وهدأ وجهه، واسترخى جسده.

كانت حالته أشبه بحالة آلبي عندما كان طريح الفراش، هناك في الجلايد، بعد مروره بالتحوُّل، كان يحدث له الشيء نفسه عندما يحاول التحدث. ما الذي كان...

لكن لم يكن لديه الوقت الكافي لإنهاء تفكيره حول الأمر، فقد مد جالي يده من خلفه، وسحب شيئًا طويلًا ولامعًا من جيبه الخلفي. انعكست أضواء الغرفة على سطحه الفضي البرَّاق واتضح أنه كان خنجرًا مخيف المظهر، يمسك به بإحكام بين أصابعه. بسرعة غير متوقَّعة، تراجع للخلف ورمى بالسكين على توماس، وفي أثناء قيامه بذلك، سمع توماس صراخًا عن يمينه، واستشعر حركة ما باتجاهه.

دار النصل في الهواء، وقد رأى توماس دورانه بالتصوير البطيء، كما لو أن العالم قد تحول إلى وضع الحركة البطيئة. وكأن هذا قد حدث لغرض وحيد، ألا وهو السماح للرعب بأن يتملكه من رؤية شيء كهذا. اقترب السكين أكثر، يدور ويدور في الهواء، نحوه مباشرة. شعر بصرخة خانقة مكتومة في حلقه. حاول أن يتحرك من مكانه لكنه لم يستطع.

ثم ظهر تشاك أمامه من العدم، ووقف أمامه. شعر توماس كما لو أن قدميه قد تجمدتا في كتل من الجليد؛ لم يستطع سوى أن يقف محدقًا إلى المشهد المرعب الذي يحدث أمامه، وهو في عجز تام.

وبصوت مثير للاشمئزاز، يوحي بأنه قد اخترقَ وسطًا رطبًا، ارتطم الخنجر بصدر تشاك بكامل قوته وانغمس بالداخل إلى أقصى درجة ممكنة. صرخ الفتى الصغير، وسقط على الأرض، وكان جسده يرتجف بالفعل. تدفق الدم من الجرح، بلون قرمزي غامق. كانت ساقاه تصفعان الأرض، وكأنهما كانتا تحاولان صدَّ الموت بلا أمل. سال البصاق الأحمر من بين شفتيه، وشعر توماس كما لو أن العالم ينهار من حوله، ويسحق قلبه.

سقط على الأرض، وجذب جسد تشاك المرتجف بين ذراعيه.

صرخ عاليًا:

- تشاك! تشاااك!

شعر كما لو أن صوته كان حمضًا يمزق حلقه.

ارتجف الفتى الصغير بشكل لا يمكن السيطرة عليه، وسال الدم في كل مكان، مبللًا يدي توماس. ارتفع بؤبؤا عيني الفتى لأعلى، وسال دم من أنفه وفمه.

همس توماس قائلًا:

- تشاك...

لا بد أن يكون هناك شيء يمكنهم القيام به. لا بد أنهم سيتمكنون من إنقاذه. لا بد أن...

توقف جسد الفتى الصغير عن الارتجاف، هدأ تمامًا، وعاد بؤبؤا عينيه إلى وضعهما الطبيعي، ينظر إلى توماس، وكأنها كانت محاولته الأخيرة للتشبث بالحياة. ونطق بكلمة واحدة، بالكاد تُحسب كلمة:

- تو... ماس.

قال توماس:

- تماسك يا تشاك. لا تمُت... قاوم. فليستدعِ أحد المساعدة!

لم يتحرك أحد، وفي أعماقه كان يعرف السبب؛ لا شيء يمكنه أن يساعد الآن، الأمر انتهى. شعر توماس بأن الغرفة تتمايل وتتأرجح من حوله.

قال في قرارة نفسه: *لا. تشاك لا. تشاك لا. أي أحد إلا تشاك.*

همس تشاك قائلًا:

- توماس، اعثر على... أمي.

انفجر سعال شديد من رئتيه، وتناثر رذاذ الدم في كل اتجاه.

- أخبرها...

لم يستطع إنهاء ما أراد قوله؛ أُغمِضَت عيناه، وارتخى جسده، وخرج نفس أخير بصعوبة من بين شفتيه.

حدَّق توماس إليه، حدَّق إلى جثة صديقه الهامدة.

شيء ما حدث في داخل توماس، وُلِدت في أعماق صدره بذرة من الغضب، من الانتقام، من الكراهية. شيء مظلم ومريع.

ثم انفجر، وأخذ ينتشر عبر رئتيه، وحلقه، وذراعيه وساقيه، وعقله.

ترك تشاك، ووقف، مرتجفًا، واستدار لمواجهة زائريهم الجدد.

وفي تلك اللحظة، انفجر توماس صارخًا، انفجر بالكامل.

اندفع للأمام، وألقى بنفسه على جالي، وغرس أصابعه فيه كالمخالب. استطاع الإمساك برقبة الفتى، واعتصرها بين يديه، وسقط فوقه على الأرض. امتطى صدر الفتى، وحاول أن يلف ساقيه من حوله حتى لا يستطيع الهرب، ثم بدأ توماس بلكمه.

ثَبَّتَ جالي في الأرض بيده اليسرى، ضاغطًا على رقبة الفتى، بينما أخذت قبضته اليمنى تمطره باللكمات على وجهه، واحدة تلو الأخرى، مرارًا وتكرارًا، يضرب بقبضته في خد وأنف الفتى. كان هناك دم، وكانت هناك صرخات مروِّعة. وبين كل ما يحدث، لم يكن توماس يعرف أيهما كان أعلى؛ صوت جالي أم صوته هو. لقد ضربه، وسكب في ضربه كل ذرة من الغضب المتأجج بداخله.

ومن ثم، قام كل من مينهو ونيوت بسحبه بعيدًا، استمرت ذراعاه في الضرب حتى ولو كانت تضربان الهواء فحسب. جرَّاه على الأرض، حاول أن يقاومهما، أخذ يتلوَّى ويصرخ ليتركاه وشأنه. ظلَّت عيناه مثبتتين على جالي، الذي كان ما يزال راقدًا هناك. كان توماس قادرًا على استشعار الكراهية المتدفقة بينهما، كما لو أن ثمة خطًّا مرئيًا من اللهب يربطهما.

ثم فجأة، تبخَّر كل شيء، ولم يتبقَ سوى تفكيره في تشاك.

تحرر من قبضتي مينهو ونيوت، وركض إلى جثة صديقه الهامدة، واحتضنه مرة أخرى بين ذراعيه، متجاهلًا الدم، ومتجاهلًا نظرة الموت المتجمدة على وجه الفتى الصغير.

صاح توماس وقلبه يتآكل من شدة الحزن:

- لا! لا!!!!

اقتربت منه تيريسا، ووضعت يديها على كتفه، ولكنه أزاحها بعيدًا.

صرخ بصوت جنوني قائلًا:

- لقد وعدته! لقد وعدته بأنني سأنقذه، بأنني سأعيده إلى المنزل! لقد وعدته!

لم تُجِب تيريسا، أومأت برأسها فقط، وعيناها مثبتتان على الأرض.

عانق توماس تشاك، وضغط على صدره بأقصى ما أوتي من قوة في أثناء العناق، كما لو أن ذلك من شأنه أن يعيده للحياة بطريقة ما، يوفيه حقه من الشكر على إنقاذ حياته، على كونه صديقًا حقيقيًا عندما لم يكن لديه أي أحد.

بكى توماس، بكى كما لم يبكِ في حياته من قبل، وغزى الغرفة تردد صدى تنهداته المؤلمة.

الفصل الستون

وأخيرًا، هدأ. غارقًا تمامًا في تعبه وألمه. في الجلايد، كان تشاك قد أصبح رمزًا بالنسبة إليه، شعلة من الأمل على أنهم قادرون بطريقة ما على جعل كل شيء في العالم يعود على ما يرام مجددًا، على أنهم سيتمكنون من النوم في أسِرَّتهم، والحصول على قبلة ما قبل النوم من والديهم، وتناول اللحم المقدد والبيض على الإفطار، والذهاب إلى مدرسة حقيقية، وأن يكونوا سعداء.

ولكن الآن تشاك قد رحل، وبدت جثته الهامدة، التي ما يزال توماس متشبثًا بها، وكأنها دليل ليس على أن هذه الأحلام بمستقبل مفعم بالأمل لن تتحقق فحسب، بل على أن الحياة لم تكن قط على هذا النحو من الأساس، وأنه حتى بعد هروبهم، كانت ثمة أيام كئيبة في انتظارهم، وحياة مليئة بالأسى.

كانت ذكرياته التي استعادها من قبل مشوشة على أي حال، ولكن لم يبد أنها تنطوي على الكثير من الأشياء الجيدة.

جمَّع توماس كل الألم الذي شعر به، وحبسه بداخله. فعل ذلك من أجل تيريسا، من أجل نيوت ومينهو. فمهما كان حجم الظلام الذي ينتظرهم، سيواجهونه معًا، وكان هذا كل ما يهم في ذلك الحين.

ترك تشاك، وتراجع للخلف، محاولًا ألا ينظر إلى قميص الفتى الصغير، الذي كان غارقًا بالدم. مسح الدموع عن خديه، وفرك عينيه. وأخيرًا، رفع رأسه ونظر إلى تيريسا، إلى عينيها الزرقاوين الواسعتين المثقلتين بالحزن... حزن على تشاك وعليه هو أيضًا، كان واثقًا من هذا.

مدت يديها لأسفل، وأمسكت بيده، وساعدته على الوقوف. وعندما قام، لم تترك يده، ولا هو كذلك. ضغط على يدها، محاولًا قول ما يشعر به من خلال ذلك. لم ينبس أي شخص آخر ببنت شفة، كان معظمهم يحدق إلى جثة تشاك دون أي تعبير على وجوههم، كما لو أنهم قد أصبحوا الآن فاقدي القدرة على الشعور بأي شيء. لم ينظر أحد إلى جالي، والذي كان ما يزال يتنفس على الرغم من عدم قدرته على الحركة.

كسرت امرأة وِكِد الصمت قائلة:

- كل الأشياء تحدث لغرض ما. يجب أن تفهموا هذا.

كانت نبرة الخبث قد اختفت الآن من صوتها.

نظر إليها توماس، وقد ألقى بكل كراهيته المكبوتة في حملقته، ولكنه لم يفعل شيئًا.

وضعت تيريسا يدها الأخرى على ذراعه، وسألته:

- *والآن ماذا؟*

أجابها:

- *لا أعرف. إنني لا...*

قوطعت جملته بسلسلة مفاجئة من الصيحات والضجيج من خارج المدخل الذي جاءت منه المرأة. بدا عليها ذعر واضح، وشحب وجهها فجأة وهي تلتفت نحو الباب.

تبع توماس نظرتها.

اقتحم الغرفة العديد من الرجال والنساء. كانوا يرتدون بناطيل من الجينز المتسخ ومعاطف مبللة، يلوحون بأسلحتهم، ويصيحون بكلمات وهم يصرخون في نفس الوقت. كان من المستحيل فهم ما يقولونه. بدت بنادقهم ومسدساتهم وكأنها... قديمة، وريفية. أشبه بألعاب كانت مهجورة في الغابة لسنوات، وتم العثور عليها من قبل الجيل الجديد من الأطفال الجاهزين لممارسة لعبة الحرب.

حدق توماس في صدمة عندما قام اثنان من الوافدين الجدد بدفع امرأة وِكِد وطرحها على الأرض، ثم تراجع أحدهما إلى الوراء وأشهر مسدسه نحوها.

قال توماس في قرارة نفسه: *مستحيل. لا...*

أضيئت ومضات في الهواء حيث أُطلقت عدة طلقات من المسدس وأصابت جسد المرأة.

لقد ماتت.

تراجع توماس عدة خطوات للوراء، وكاد يتعثر.

تقدم أحد الرجال نحو فتيان الجلايد بينما انتشر بقية من معه من حولهم، وراحوا يحركون أسلحتهم يمينًا ويسارًا وهم يطلقون النار على نوافذ المراقبة، مما أدى لتهشيم زجاجها. سمع توماس صرخات، ورأى دماء. نظر

بعيدًا، وركَّز على الرجل الذي اقترب منهم. كان لديه شعر داكن، ووجه شاب لكنه مليء بالتجاعيد حول عينيه، كما لو أنه قضى كل يوم من أيام حياته قلقًا بشأن اليوم الذي يليه.

قال الرجل بصوت متوتر كوجهه:

- ليس لدينا وقت للشرح. فقط اتبعوني واركضوا كما لو أن حياتكم تعتمد على ذلك، لأنها كذلك.

ثم أشار الرجل إلى بعض من رفاقه، واستدار وخرج من الأبواب الزجاجية الكبيرة، مصوبًا مسدسه أمامه بشكل صارم. كان ما يزال إطلاق النار وصيحات الألم ترج الغرفة، لكن توماس بذل قصارى جهده لتجاهل كل ما يحدث واتباع التعليمات.

صاح أحد المنقذين -وكان هذا هو المسمى الوحيد الذي استطاع توماس أن يفكر في إطلاقه عليهم في ذلك الحين- من الخلف قائلًا:

- إلى الأمام!

وبعد تردد لثوانٍ معدودة، استجاب له أفراد الجلايد، وكادوا يدوسون بعضهم بعضًا في أثناء اندفاعهم للخروج من الغرفة، بعيدًا عن الهوام والمتاهة وكل ما يحدث بقدر الإمكان. ركض توماس معهم، وكانت يده ما زالت ممسكة بيد تيريسا، ليلتحقا معًا بالجزء الخلفي من المجموعة. ولم يكن لديهم خيار سوى ترك جثة تشاك وراءهم.

لم يشعر توماس بشيء؛ كان مخدرَ الشعور. ركض على طول ممر طويل مؤدٍّ نحو نفق خافت الإضاءة، ثم صعودًا على درج متعرج. كل شيء مظلم، تفوح منه رائحة الأجهزة الإلكترونية. استمر في الركض، نزولًا إلى ممر آخر، وصعودًا لمزيد من السلالم، ثم المزيد من الممرات.

أراد توماس أن يتألم لموت تشاك، وأن يتحمس لهروبهم، وأن يبتهج لأن تيريسا كانت معه، لكنه لم يشعر بأي شيء سوى فراغ تام.

واصَل العَدْو.

كان هناك بعض الرجال والنساء يقودون المسير من الأمام، وبعضهم يطلقون هتافات التشجيع من الخلف.

وصلوا إلى مجموعة أخرى من الأبواب الزجاجية وعبروا من خلالها، ليجدوا أنفسهم تحت أمطار غزيرة، تهطل من سماء سوداء. لم يكن هناك شيء مرئي سوى البريق الخافت لقطرات الماء المتساقطة من السماء.

لم يتوقف القائد عن التحرك حتى وصلوا إلى حافلة ضخمة، جوانبها منبعجة ومليئة بالخدوش ومعظم نوافذها متكسِّرة. غمر المطر كل شيء، مما جعل توماس يتصور وحشًا عملاقًا يخرج من المحيط.

صرخ الرجل قائلًا:

- هيا، اركبوا! بسرعة!

نفَّذوا ما قاله، مشكِّلين حشدًا متزاحمًا خلف الباب عند دخولهم، واحدًا تلو الآخر. بدا أن الأمر سيستغرق دهرًا، إذ كان أفراد الجلايد يتزاحمون ويتدافعون في طريقهم لصعود الثلاث درجات حتى وصولهم للمقاعد.

توماس في الخلف، وتيريسا أمامه مباشرة. نظر توماس إلى السماء، وشعر بقطرات الماء وهي تضرب وجهه... قطرات دافئة، تكاد تكون ساخنة، ساعده ذلك على التخلص من حالة الخدر التي كانت مسيطرة عليه، وأعاده إلى انتباهه. ركز على الحافلة، وعلى تيريسا، وعلى الهروب.

كانا قد وصلا إلى الباب تقريبًا عندما امتدت يد فجأة على كتفه، ممسكة به من قميصه. صرخ عندما قام أحدهم بسحبه للخلف بقوة وترك يد تيريسا. لقد رآها تلتفت في الوقت المناسب تمامًا لتشاهده وهو يرتطم بالأرض وقد اندفع حوله الكثير من رذاذ الماء. شعر بألم مبرح أسفل عموده الفقري، وظهر رأس امرأة فوقه ببضع بوصات فقط، مقلوبة رأسًا على عقب، حاجبة رؤيته لتيريسا.

تدلى شعرها الدهني ولامس توماس، مؤطِّرًا وجه يخفيه الظل. ملأت رائحة كريهة أنفه، رائحة أشبه بتعفن البيض والحليب. تراجعت المرأة بما يكفي للسماح بكشف ضوء المصباح اليدوي لأحدهم عن ملامحها. بشرة شاحبة متجعدة تغطيها الكثير من القروح الشنيعة التي تنز بالصديد. سيطر على توماس رعب مطلق، وجمَّده في مكانه.

قالت المرأة البشعة والبصاق يتطاير من فمها على وجه توماس:

- ستنقذنا جميعًا! ستنقذنا من الوَهَج!

ثم ضحكت، غير أن ضحكاتها بدت كسعال حاد.

صرخت المرأة عندما أمسكها أحد رجال الإنقاذ بكلتا يديه وانتزعها بعيدًا عن توماس، الذي استعاد نفسه ووقف على قدميه. عاد إلى تيريسا، وهو يحدق بينما كان الرجل يجر المرأة بعيدًا، وأخذت تركل بقدميها بضعف، وعيناها مثبتتان على توماس. أشارت إليه وصاحت قائلة:

- لا تصدق أي كلمة يقولونها لك! سوف تنقذنا من الوَهَج! ستفعل ذلك!

وعندما أصبح الرجل على بعد عدة ياردات من الحافلة، ألقى بالمرأة على الأرض، وصرخ في وجهها قائلًا:

- لا تقتربي وإلا سأطلق عليك النار!

ثم التفت إلى توماس وقال:

- اصعد إلى الحافلة!

استدار توماس -الذي كان يرتجف في رعب شديد- وتبع تيريسا إلى ممر الحافلة. راح كل مَن في الحافلة يحدقون إليهما بأعين واسعة وهما يسيران على طول الطريق حتى وصلا إلى المقعد الخلفي وجلسا معًا. غسلت المياه السوداء النوافذ من الخارج. كان المطر ينهمر على السطح بغزارة، وهزَّ الرعد السماء من فوقهم.

قالت تيريسا داخل عقله:

- *ماذا كان ذلك؟*

لم يستطع توماس الإجابة، واكتفى بهز رأسه فحسب.

غمر رأسه التفكير في تشاك مجددًا، ليحل محل تفكيره في تلك المرأة المجنونة. لم يشعِره الهرب من المتاهة بأي ارتياح. تشاك...

جلست سيدة من فريق الإنقاذ على الجانب الآخر من توماس وتيريسا، وصعد القائد الذي قد تحدث إليهم في وقت سابق إلى الحافلة وجلس إلى عجلة القيادة، وأدار المحرك، وبدأت الحافلة في التحرك.

في تلك اللحظة، لمح توماس حركة خارج النافذة. كانت المرأة المغطاة بالقروح قد وقفت على قدميها من جديد، وانطلقت تركض بسرعة نحو مقدمة الحافلة، ملوِّحة بذراعيها بعنف، وتصرخ بشيء لم يستطع سماعه بسبب أصوات العاصفة. ولم يستطع توماس معرفة ما إذا كانت عيناها مشتعلتين بالجنون أم الرعب.

مال ناحية زجاج النافذة، لكنها كانت قد اختفت عن أنظاره بالأمام.

صرخ توماس قائلًا:

- تمهَّل!

لكن أحدًا لم يسمعه، أو سمعوا، لكن أحدًا لم يهتم.

ضغط السائق دواسة البنزين بقوة، ترنحت الحافلة عندما اصطدمت بجسد المرأة. كانت هزة قوية كادت أن تطيح بتوماس من مقعده، إذ دهستها العجلات الأمامية، وما لبثت أن تبعتها العجلات الخلفية مسببة هزة أخرى. نظر توماس إلى تيريسا، ورأى النظرة المؤلمة على وجهها، والتي كانت بالتأكيد تعكس النظرة التي ارتسمت على وجهه هو أيضًا.

ودون أن ينبس ببنت شفة، أبقى السائق قدمه على دواسة البنزين، وانطلقت الحافلة تشق طريقها في الليلة الممطرة.

الفصل الحادي والستون

كانت الساعة التالية أو نحو ذلك مزيجًا من الأصوات والرؤى المشوَّشة لتوماس.

انطلق السائق يقود بسرعات جنونية، قاطعًا القرى والمدن، بينما يهطل المطر بغزارة ويحجب الرؤية، إذ كانت الأضواء والمباني مغطاة بالوحل والمياه، فبدا المنظر مثل هلوسات تحت وطأة عقار مخدر. وعند نقطة ما، هرع أناس بالخارج نحو الحافلة، كانت ملابسهم قذرة ورثة، وشعورهم متلبدة في رؤوسهم، وتغطي تقرحات غريبة -كتلك التي رآها توماس على بشرة المرأة- وجوههم الفَزِعة. أخذوا يضربون على جانبي الحافلة وكأنهم يريدون الهرب من حياواتهم الشنيعة التي كانوا يعيشونها.

ولكن الحافلة لم تبطئ من سرعتها قط، وظلت تيريسا ملتزمة الصمت بجانب توماس، الذي استجمع شجاعته أخيرًا لكي يتحدث إلى المرأة الجالسة على الجانب الآخر من الممر.

سألها في غير تأكد من أفضل السبل لصياغة سؤاله:

- ما الذي يجري؟

وجهت المرأة ناظريها نحوه، بشعرها الأسود المبلل الذي يحيط بوجهها، وعينيها الداكنتين التي يملؤهما الحزن، وقالت بصوت أكثر حنوًّا مما توقع توماس، مما أعطاه الأمل بأنها قد تكون صديقة حقًّا، وأن كل المنقذين أناس أخيار حقًّا، بغض النظر عن أنهم دهسوا امرأة بدم بارد:

- إنها قصة يطول شرحها.

قالت تيريسا:

- أرجوكِ، أخبرينا بأي شيء، أرجوكِ.

بدلت المرأة نظرتها بين توماس وتيريسا جيئة وذهابًا ثم أطلقت زفرة، وقالت:

- سوف يستغرق الأمر وقتًا حتى تستعيدوا ذاكرتكم إذا كنتم سوف تستعيدونها أصلًا، إننا لسنا علماء، وليس لدينا أدنى فكرة عما فعلوه بكم، أو كيف فعلوه.

كاد قلب توماس يتوقف لدى احتمال أنه لن يستعيد ذاكرته أبدًا، ولكنه تماسك وعاد يسألها:

- من يكونون؟

أجابت المرأة بعينين تحدقان إلى الفراغ:

- لقد بدأ كل شيء بالوهج الشمسي...

اعترضتها تيريسا مستفهمة:

- ما الذي...

ولكن توماس أوقفها، وحدَّثها في عقلها:

- *دعيها تتكلم فقط، يبدو أنها ستتكلم.*

- *حسنًا.*

بدت المرأة ذاهلة بينما تتكلم وبصرها شاخص في الفراغ البعيد.

- لم يكن بإمكان أحد التنبؤ بالوهج الشمسي قبل حدوثه، ظاهرة طبيعية، ولكنه هذه المرة كان بطريقة غير مسبوقة: هائل، أخذ يشتد ويتصاعد أكثر فأكثر، وما أن اكتُشِف، كانت مسألة دقائق قبل أن تلفح نيران الشمس كوكب الأرض، كانت أقمارنا الصناعية هي أول ما احترق، آلاف الناس ماتوا في الحال، وصلت أعدادهم إلى ملايين في غضون أيام، واستحالت أميال لا تُحصى إلى خراب، وظهر الوباء فيما بعد.

توقفت وتنفست، وتابعت:

- بسبب انهيار النظام البيئي بالكامل، أصبح من المستحيل السيطرة على انتشار الوباء، أو حتى محاصرته في أمريكا الجنوبية. اختفت الغابات، ولكن الحشرات بقيت. أصبح الناس يطلقون عليه فيروس الوهج، إنه شيء فظيع، فظيع. الأثرياء فقط من يمكنهم تلقي الدواء، ولا يمكن لأحد أن يشفى، إلا إذا كانت الشائعات الآتية من جبال الألب حقيقية.

كاد توماس أن يفعل عكس نصيحته، إذ امتلأ رأسه بالأسئلة وتزايد الرعب في قلبه، ظل جالسًا واستمع إلى المرأة بينما تابعت:

- أما أنتم، فلستم جميعًا سوى قليل من ضمن الملايين الذين فقدوا عائلاتهم، لقد أجروا اختبارات على الآلاف ووقع عليكم الاختيار من أجل الحدث الأكبر، الاختبار النهائي. كل شيء خضتم غماره كان محسوبًا بغاية الدقة، كانوا يوفرون لكم المحفزات لدراسة ردود أفعالكم، استجابات أدمغتكم، وأفكاركم. كل ذلك في سبيل إيجاد أولئك القادرين على مساعدتنا في إيجاد وسيلة لهزيمة الوهج.

توقفت مجددًا وأزاحت خصلة من شعرها خلف أذنها.

- معظم الأعراض الجسدية يتسبب بها شيء آخر، تبدأ الهلوسة والأوهام في بادئ الأمر ومن ثم تبدأ الغرائز الحيوانية في دحر الغرائز البشرية حتى تقضي عليها كليًا في النهاية وتستأصل إنسانيتهم من جذورها. كل شيء يحدث بداخل الدماغ؛ يستوطن فيروس الوهج أدمغتهم، إنه أمر بشع، من الأفضل لك أن تموت على أن تُصاب به.

أشاحت المرأة بناظريها الشاخصين في الفراغ وركزتهما على توماس ومن ثم نظرت إلى تيريسا، ومجددًا إلى توماس، وتابعت:

- نحن لا نسمح لهم أن يفعلوا ذلك بالأطفال، لقد كرسنا حياتنا لمحاربة وِكد. لا يمكننا أن نفقد إنسانيتنا تحت أي ظرف وأي نتيجة.

شبّكت يديها في حجرها وأخذت تنظر إليها:

- سوف تعرفون المزيد في الوقت المناسب، إننا نعيش في الشمال بعيدًا عن جبال الأنديز بآلاف الأميال، إنهم يطلقون عليها الأرض المحترقة، تتمركز بشكل أساسي في المنطقة التي اعتادوا أن يطلقوا عليها خط الاستواء، باتت اليوم صحراء متأججة تعج بالبرابرة ضحايا فيروس الوهج اليائسين. إننا نحاول اجتياز هذه الأرض، لكي نجد العقار. ولكن حتى ذلك الحين، لن نكف عن محاربة وِكد وإيقاف التجارب والاختبارات.

ثم نظرت مليًا إلى توماس وتيريسا.

- نأمل أن تنضما إلينا.

ومن ثم أشاحت بنظرها وحدقت إلى نافذتها.

نظر توماس إلى تيريسا ورفع حاجبيه في تساؤل، واكتفت هي بهزة من رأسها ثم وضعتها على كتفه وأغمضت عينيها. وراحا يتخاطران بداخل رأسيهما:

- *إنني منهكة ولا أقوى على التفكير، إننا في أمان إلى الآن.*

- *ربما نكون في أمان، ربما.*

سمع صوت أنفاسها الهادئة إذ غطت في النوم، ولكنه أدرك أن النوم كان ضربًا من ضروب المستحيل بالنسبة إليه. أحسَّ بعاصفة من المشاعر المتضاربة تعصف به، لم يستطع إدراك ماهية أي منها، ولكنها على الرغم من كل شيء كانت أفضل من الخواء الثقيل الذي كان يملؤه من قبل. لم يستطع سوى أن يجلس ويحدق خارج النافذة إلى الأمطار والظلام، تدور في عقله كلمات مثل: الوهج، والوباء، والتجارب، والأرض المحترقة، ووِكِد. فما استطاع إلا أن يجلس ويتمنى أن تتحسن الأمور أكثر مما كانت عليه في المتاهة.

وبينما يتأرجح ويتمايل مع حركة الحافلة، أخذ رأس تيريسا يرتطم بكتفه من حين إلى آخر لدى مرورهم بمطبات كبيرة، وسمعها تتقلب وتذهب في النوم مجددًا، وسمع همهمات الأحاديث التي تدور بين أفراد الجلايد الآخرين، ولم تنفك أفكاره تعود إلى الشيء ذاته؛ تشاك.

***

توقفت الحافلة بعد مرور ساعتين.

توقفوا في ساحة وقوف موحلة تحيط ببناء قديم به عدة صفوف من النوافذ. اقتادت المرأة وبقية المنقذين الفتيان التسعة عشر والفتاة عبر الباب الأمامي ثم إلى مهجع نوم ضخم يحتوي على عدة سُرر ذات طابقين مصطفة جوار أحد الجدران، بينما على الجانب المقابل توجد بعض الخزائن والطاولات، وكل جدار يحوي نافذة مغطاة بالستائر.

تفحص توماس الغرفة بنظرة باردة صامتة، لم يعد هناك شيء ليفاجئه أو يتغلب عليه بعد الآن.

كان المكان مليئًا بالألوان، طلاء الجدران باللون الأصفر، وأغطية حمراء، وستائر خضراء. كان الأمر أشبه وكأنهم أصبحوا داخل قوس قزح بعد أجواء المتاهة المشبعة بالرمادية الباهتة. رؤيته للأسرَّة وخزانات الملابس المرتبة والنظيفة وشعوره الغامر بعودة الحياة إلى طبيعتها، كان أروع من قدرته على التصديق. تمكن مينهو من التعبير عنه بأبلغ طريقة لدى دخوله إلى عالمهم الجديد:

- لقد متُّ ثم بُعِثتُ إلى الجنة.

وجد توماس أنه من العسير عليه أن يشعر بالسعادة، كان ذلك يُعَد خيانة لتشاك، ولكنه شعر بشيء كهذا في داخله.

ترك قائد الحافلة أفراد الجلايد تحت تصرف بضعة أشخاص، نحو تسعة أو عشرة رجال وامرأة ترتدي بنطالًا ضيقًا أسود وقميصًا أبيض، شعرهم نظيف ومرتب ووجوههم وأيديهم نظيفة، كانوا مبتسمين.

الألوان، والأسرَّة، والأشخاص، كلها أمور بعثت في قلب توماس سعادة عارمة من الصعب مقاومتها، ولكن على الرغم من ذلك، كانت تتخللها هوة كامنة من الكآبة الثقيلة التي قد لا تغادره أبدًا لذكرى تشاك ومقتله الوحشي، لتضحيته بنفسه. ولكن على الرغم من ذلك، على الرغم من كل شيء، وعلى الرغم من كل ما أخبرَتْهم به تلك المرأة في الحافلة عن العالم الجديد الذي دخلوه، فإن توماس داخَلَه شعور بالأمان لأول مرة منذ خطا خارج الصندوق.

توزعت الأسرَّة بينهم، وتولوا أمور الملابس والحمام، وقُدِّم إليهم الطعام؛ بيتزا، بيتزا أصلية حقيقية ذات حشوة غنية كاد توماس أن يلتهم أصابعه بعد كل لقمة. تغلب الجوع على كل ما دونه، وأصبح شعوره بالسعادة والارتياح جليًّا وملموسًا. التزم معظم أفراد الجلايد بالهدوء طوال الوقت، ربما خشية أن يختفي كل شيء لو تكلموا.

بعد فترة من إنهاء الطعام، لم يجادل أي واحد منهم عندما قيل لهم إن وقت النوم قد حان.

وبالطبع ليس توماس...

الذي شعر وكأنه قادر على النوم لشهر كامل.

الفصل الثاني والستون

تشارك توماس سريرًا ذا طابقين مع مينهو، الذي أصر على أن ينام بالأعلى، وكان نيوت والسيد طاسة بجوارهما مباشرة. بينما أخذ الموظفون تيريسا بعيدًا قبل حتى أن تتمكن من توديعهم ووضعوها في غرفة منفصلة. لم تكد تمر ثوانٍ على ذهابها حتى شعر توماس بشوق إليها.

كان توماس مستلقيًا على الفراش الوثير استعدادًا للنوم حين قاطعه مينهو من الأعلى قائلًا:

- توماس.

- نعم؟

- في اعتقادك، ما الذي حدث لأفراد الجلايد الذين بقوا هناك؟

لم يفكر توماس في هذا الأمر، إذ كان عقله منشغلًا بما حدث لتشاك، والآن تيريسا.

- لا أدري، ولكن بالنظر إلى عدد الذين ماتوا في محاولة الوصول إلى هنا، فإنني لا أود أن أكون واحدًا منهم الآن، على الأرجح أن الهوام قد هجمت عليهم كسرب من النحل.

لم يستطع أن يصدق الهدوء الذي بدا في صوته وهو يقول ذلك.

سأله مينهو:

- أتظن أننا في أمان مع أولئك الناس؟

فكر توماس في السؤال، ولم يجد سوى إجابة واحدة ليتمسك بها.

- أجل، أظن أننا في أمان.

قال مينهو شيئًا آخر، ولكن لم يسمعه توماس. استنزف الإنهاك قواه، وأخذ عقله يسترجع الفترة القصيرة التي قضاها في المتاهة، الفترة التي أصبح خلالها عداءً وكم أراد ذلك بشدة منذ ليلته الأولى في الجلايد، بدت وكأنها مئة عام، مثل الحلم.

تعالت أصوات همهمات في الغرفة، ولكن توماس شعر أنها آتية من عالم آخر. أخذ يحدق إلى الألواح الخشبية المتقاطعة للسرير العلوي بينما يلفه النوم شيئًا فشيئًا، ولكن رغبته في التحدث إلى تيريسا جعلته يقاوم نعاسه.

تحدث إليها في عقله:

- *كيف هي غرفتك؟ أتمنى لو أنك هنا.*

أجابته:

- *حقًّا؟ مع كل أولئك الأولاد المقرفين؟ لا أظن ذلك.*

- *يبدو أنك محقة، أظن أن مينهو قد أطلق ريحًا لثلاث مرات خلال دقيقة واحدة.*

أدرك توماس أنها محاولة بائسة للمزاح، ولكن هذا كان أفضل ما لديه.

شعر أنها كانت تضحك وتمنى لو بإمكانه أن يفعل مثلها. ساد الصمت لهنيهة إلى أن تكلمت أخيرًا:

- *أنا آسفة حقًّا بشأن تشاك.*

شعر توماس بألم حاد مباغت وأغمض عينيه بينما ابتلعه ظلام الليل التعيس، وقال:

- *لقد كان مشاغبًا جدًّا...*

توقف وراح يفكر في تلك الليلة عندما جعل جالي يبول على نفسه فزعًا في الحمام.

- *ولكنني أتألم لفقدانه، أشعر وكأنني فقدت أخًا لي.*

- *أعلم.*

- *لقد وعدتُه...*

- *توقف يا توم.*

- *ماذا؟*

كان يريد أن تساعده تيريسا ليصبح أفضل، أن تقول له شيئًا سحريًّا يجعل ألمه يفر هاربًا.

- *توقف عن الحديث عن الوعود وتلك الأمور، لقد تمكن نصفنا من النجاة، كنا جميعًا لنموت لو أننا بقينا في المتاهة.*

قال توماس:

- *ولكن تشاك لم ينجُ.*

اجتاحه شعور بالذنب، إذ أدرك بما لا يشوبه الشك أنه على أتم الاستعداد لكي يضحي بأي واحد من أفراد الجلايد في تلك الغرفة مقابل أن يستعيد تشاك.

عادت تيريسا تقول:

- *لقد مات فداءً لك، وقد اختار هذا بكامل إرادته، فقط لا تُضيع هذا هباءً.*

شعر توماس بالدموع تترقرق في مقلتيه. ساد الصمت لدقيقة بينهما، ثم قال:

- *تيريسا؟*

- *نعم؟*

خشيَ توماس أن يشاركها ما يجول في ذهنه، ولكنه فعل.

- *أريد أن أتذكرك، أن أتذكرنا معًا، في الماضي.*

- *وأنا أيضًا.*

- *يبدو وكأننا...*

لم يكن يعرف كيف يقول ذلك.

- *أعرف.*

- *أتساءل عما يخبئه لنا الغد.*

- *سنكتشف ذلك في غضون ساعات قليلة.*

- *أجل، حسنًا، تصبحين على خير.*

ود لو يقول أكثر من ذلك، أكثر بكثير، ولكن شيئًا لم يخطر في عقله.

قالت تيريسا ما إن أُطفئت الأضواء:

- *تصبح على خير.*

تقلب توماس في نومته، كان سعيدًا لأن أحدًا لن يتمكن من رؤية النظرة التي اكتسى بها وجهه في هذا الظلام الدامس.

لم تكن ابتسامة بالضبط، ولا حتى تعبيرًا يوحي بالسعادة، ولكن شيئًا مثل هذا.

وحتى هذه اللحظة، كان كل شيء جيدًا بما يكفي.

خاتمة

مذكرة وِكِد، التاريخ: 232.1.27، الساعة: 22:45.

إلى: شركائي.

من: المستشارة، إيفا بايج.

الموضوع: إرهاصات تجارب المتاهة، المجموعة (أ).

أعتقد أننا جميعًا متفقون ولو بقدر ما على نجاح التجارب، لدينا عشرون ناجيًا، وجميعهم في غاية الكفاءة لتحقيق هدفنا المنشود. لقد كانت الاستجابات للعوائق ذات نتائج مرضية وواعدة، وقد كان مقتل الفتى الصغير و«الإنقاذ» نهاية عظيمة بحق. كان علينا أن نسبب صدمة لأنظمتهم الحيوية لنرى ردود أفعالهم. إنني حقًّا لا أصدق أننا، وعلى الرغم من كل شيء، قد تمكنا في نهاية المطاف من جمع هذا العدد الكبير من الأولاد الذين لم يستسلموا قط.

الغريب في الأمر أن رؤيتهم بهذا الشكل، وهم يفكرون في أن كل شيء أصبح على ما يرام، هو أصعب شيء يمكنني رؤيته. ولكن فات أوان الندم، سوف نمضي قدمًا لأجل صالح البشرية.

لدي إحساسي الخاص عمن يجب أن يصبح القائد، ولكنني سأحجم عن الإفصاح عنه في الوقت الحالي كيلا أؤثر على أي قرارات. ولكنه خيار شديد الوضوح بالنسبة إلي.

إننا جميعًا ندرك جيدًا ما يحتمل أن نخسره، وإنني، بالحديث عن نفسي، متحمسة. أتتذكرون ما كتبته الفتاة على ذراعها قبل أن تُمحى ذاكرتها؟ الشيء الوحيد الذي اختارته كيلا تنساه؟ وِكِد تسعى للخير.

سيقوم المبحوثون في النهاية بتذكر وفهم الهدف وراء كل الأشياء الصعبة التي فعلناها ونخطط أن نفعلها معهم. إن وِكِد تكرس نفسها لخدمة البشرية والحفاظ على بقائها، ولا يهم ما يتكلفه ذلك. إننا، بالفعل، «نسعى للخير».

من فضلكم أرسلوا لي وجهات نظركم. سوف نتيح للمبحوثين فرصة لكي يناموا الليلة كاملة قبل بدأ المرحلة الثانية. وحتى يحين هذا الوقت، فلنسمح لأنفسنا بأن نكون متفائلين.

إن نتائج اختبارات المجموعة (ب) تفوق التوقعات أيضًا، أحتاج إلى بعض الوقت لدراسة الإحصائيات، ولكن يمكننا مناقشتها صباحًا.

موعدنا غدًا إذن.

نهاية الكتاب الأول





عندما فُتِحَ بابَ المصعد، كان الشيء الوحيد الذي يتذكره توماس هو اسمه الأول. لكنه لم يكن وحده. كان محاطًا بالفتيان، فتيان اختفت ذاكرتهم أيضًا، الذين وقفوا يرحبون به في الجلايد، وهو مكان أشبه بمعسكر ذي جدران حجرية شاهقة وحوله متاهة عجيبة ورهيبة ودائمة التغير، إنها الطريق الوحيد للخروج، ولم يتمكن أحد من قبل من مغادرتها حيًّا.



ومثل توماس، لا يعرف أفراد الجلايد لماذا أو كيف جاؤوا إلى هناك، أو ما الذي حدث للعالم بالخارج! كل ما يعرفونه هو أنه عندما تفتح المتاهة أبوابها في الصباح، سيخاطرون بكل شيء من أجل معرفة ذلك.

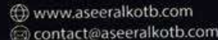
telegram @soramnqraa

تصميم الغلاف كريم آدم karimadam.com


9 789776 902688






www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

